

صِيْقَةُ الْإِسْلَامِ

دار النيل للطباعة والنشر

الطبعة الأولى: 1431 هـ - 2010م

حقوق الطبع محفوظة للمترجم

Kıskık Mah. Meltem Sok. No: 5

34676 Üsküdar – İstanbul / Türkiye

Tel: +90 216 3184288 Faks: +90 216 3185220

مركز التوزيع / فرع القاهرة

7 ش البرامكة - الحي السابع - مدينة نصر - القاهرة

تليفون وفاكس: +20222631551 المحمول: +20165523088

جمهورية مصر العربية

com.daralnile.www

صَيْقُلُ الْإِسْلَامِ

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة

إحسان قاسم الصالحي

هذه المجموعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.

بعد أن أكرمنا المولى الكريم بعميم فضله وجميل توفيقه على إكمال ترجمة" كليات رسائل النور "ونشرها في سبعة مجلدات، آثرتُ أن أعرج على مؤلفات الأستاذ النورسي القديمة التي ألفها في عهد" سعيد القديم "أي قبل شروعه بتأليف رسائل النور سنة 1927. وذلك لأن لهذه الرسائل " القديمة " أهميتها التاريخية من جهة، وقيمتها الفكرية من جهة أخرى، مثلما نبّه إليها الأستاذ المؤلّف نفسه في مواضع كثيرة من مكاتيبه التي أرسلها إلى طلاب النور . حتى إنه أدمج قسماً من هذه الرسائل ضمن موضوعات وفصول "تاريخ حياته"، بل أشار إلى طلابه القيام بنشر قسم منها على صورة كتيبات مستقلة وذلك بعد إعادة النظر فيها وقراءتها بإنعام في ضوء موازين رسائل النور وقواعدها وأسسها، فأجرى تصحيحاتٍ دقيقة في الرسائل التي تمسّ الحياة الاجتماعية والسياسية، مستخرجاً منها فقراتٍ ومُقرأً أخرى، ومضيفاً إليها جُملاً وحاذفاً أخرى، علاوة على وضع هوامش في كثير من المواضع لتوضيح ما غمض واستجلاء ما استتر من المعاني .بمعنى أنه نَقَح هذه الرسائل تنقيحاً دقيقاً وشدّبها تشديباً كاملاً حتى جعلها جاهزة للنشر يستفيد منها العلماء وعامة الناس أيضاً.

ونحن بدورنا جعلنا تلك النسخ المصحّحة المنقّحة هي المعوّل عليها في أثناء ترجمة التركيبة منها إلى العربية، أو في تحقيق العربية منها.

فلله الحمد والمنة أولاً وآخرًا.

وتضم هذه المجموعة الرسائل الآتية:

1- محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة:

وهي المسماة بـ"صيفل الإسلام" أو "رجة العلماء".

2- قزل إيجاز:

وهي حاشية الأستاذ النورسي على "السلم المُنورق" المنظوم لشيخ الإسلام عبد الرحمن الأخصري (*) في علم المنطق، مع شرح الملا عبد المجيد. (*)

3- تعليقات على برهان الكلنوي :

وهي رسالة في علم المنطق أيضاً عبارة عن تعليقات وتقريرات الأستاذ النورسي على كتاب "البرهان" للعالم المحقق إسماعيل بن مصطفى الكلنوي. (*)

وهاتان الرسالتان- في علم المنطق- ألّفهما الأستاذ النورسي باللغة العربية. ولم أجر فيهما غيرَ التنسيق والتنظيم على أمل أن يهيئ المولى القدير مَنْ يتناولهما بالشرح والتوضيح ليعمّ النفع. والرسائل الثلاث رسائل علمية تخاطب العلماء وربما الخواص منهم. أما بقية الرسائل فالطابعُ الغالب عليها أنها رسائل تسلط الأضواء على الأوضاع الاجتماعية والسياسية في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، أي إنها أُلّفت والدولة العثمانية تعاني ما تعاني في أيامها الأخيرة، وقد دبت فيها أمراضٌ شتى وعللٌ متنوعة، لذا فهي تُداوي تلك الأمراض وتقدم الحلول الوافية والعلاجات الشافية لها، وفي الوقت نفسه تضمد الجروح الغائرة التي أصيبت بها الأمة الإسلامية جمعاء وتضع البلمس الشافي عليها بأسلم وسيلة.

بمعنى أن هذه الرسائل ليست رسائل قديمة قد عفا عليها الزمن، بل تنطوي على دروس اجتماعية وموازين سياسية تنبض بالجدّة وتندفق طراوةً ونداوةً حيث إنها حقائق ثابتة.

والرسائل هي:

4- السانحات.

5- المناظرات.

6- المحكمة العسكرية العرفية: وهي دفاع الأستاذ النورسي أمام المحكمة العسكرية

العرفية في عهد الاتحاديين، والمسماة بـ"شهادة مَدْرَسَتِي المصيبة" إذ عندما طالب الأستاذ إصلاح التعليم وتأسيس جامعة في شرقي الأناضول باسم مدرسة الزهراء أُلقي في مستشفى المجازيب، وبعده اقتيد إلى المحكمة العسكرية بتهمة مطالبته بعودة الشريعة . حيث قال له رئيس المحكمة خورشيد باشا وهو يشير إلى الجثث المعلقة على أعواد المشانق:

"وأنت أيضاً تطالب بالشرية!"

وهكذا يَعدّ الأستاذ النورسي مستشفى المجازيب مدرسة مصيبة أولى والسجن مدرسة مصيبة ثانية.

-7الخطبة الشامية.

-8الخطوات الست.

وقد قدّمتُ لعملي في الترجمة والتحقيق مقدمة في مستهل كل رسالة من الرسائل الثمان لهذه المجموعة مع بيان أهمية الرسالة وسبب تأليفها.

ثم إن هذه المجموعة لا تضم مؤلفات سعيد القديم جميعها، بل هناك رسائل أخرى نُشرت وقت تأليفها، إلا أن المؤلف لم ينشرها في عهد سعيد الجديد، أو لم يرَ داعياً إلى نشرها، ربما لاندراج كثيرٍ من مفاهيمها ضمن رسائل أخرى وهي: "طلوعات، إشارات، نطق، رموز... علماء أن قسماً آخر من مؤلفات سعيد القديم قد نُشر مستقلاً مثل: "إشارات الإعجاز في مغان الإيجاز" و"المثنوي العربي النوري" و"كذا" اللوامع" التي نشرت ملحقةً بمجموعة "الكلمات".

وقد ارتأينا أن نستعيّر اسم إحدى رسائل هذه المجموعة وهو "صيقل الإسلام" عنواناً لكامل هذه المجموعة.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حُسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.
وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إحسان قاسم الصالحي

مَحَامِدٌ عَقَلِيَّةٌ

في التفسير والبلاغة والعقيدة

أو

صيقل الإسلام " رتبة العلماء "

وصفةٌ طبية: لعصر مريض، وعنصر عليل، وعضو سقيم

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة وتحقيق

إحسان قاسم الصالحي

تقديم

العالم الفاضل الأستاذ الدكتور

عبد الملك السعدي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرشدين، وعلى آله وأصحابه

الهداة المهديين.

وبعد، فالإمام النورسي أشهر من أن يُعرّف به؛ إذ قد تجسّد في ذاته جميع ما أُطلق عليه من ألقاب، فهو سعيدٌ اسماً ومعنى، وبديعٌ زمانه جهاداً وتضحية، ونورٌ شاع في ظروف تركية إسلامياً هي بأمس الحاجة إلى أنوار عقليته الجبارة وتوجيهاته السديدة.

فقد عرفنا النورسي من خلال ثروته العلمية عالماً نابغاً، ومرشداً مبصراً، وواعظاً مؤثراً، ومجاهداً مثابراً، وصابراً على المكاره جليداً، ومؤلفاً بارعاً.

كيف لا.. وهو الذي أفنى حياته بين سجن وإبعاد، وأيامه بين ضغط واضطهاد.

وهو الذي زيّن خزانات العلم بمؤلفاته ورسائله؟!!

لقد ظهر النورسي في ظروف وكأنها تنتظره لإصلاح ما فسدَ بها وإعلاء ما انخفض فيها.

وما هو جهاده إلا لمحّة من لمحات ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9):
ونبأ من أنباء خلود الرسالة المحمدية في أرض الله.

فقد ظهر في عصرٍ رفع الكفر رأسه فيه، واشربت أعناقُ التضليل لتطل بنظراتها المسمومة على دولة لها عراقُها في الحضارة الإسلامية ولها دورها الفعال في تدعيم ركائز العقيدة في بلاد الأناضول.

فقد وقف وقفة الشجاع الصامد، والهزبر الجسور أمام أئمة العلمانية ودعاتها فألقم بحججه وكتابه ومناظراته حَجراً للأفواه النتنة المتمشقة بالطعن بالإسلام ولغة القرآن واتهمتها بالرجعية والتخلف.

فالإمام سنّ في تركيا المسلمة سنةً حسنةً له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة؛ إذ قابل الشرَّ بالخير، وعالج الفكر بالفكر، فدعوته كانت وما زالت بعدّه تخرس العقيدة في نفس الشعب التركي وتحفّز همته وتوقد جذوة الإيمان في قلبه كلما أراد أهل الشر إطفاءها.

ولم تكن حركة هذا الإمام مقصورةً على الشعب التركي المسلم فحسب بل انتشرت إلى العالم وذاع صيتها وخرجت إلى أرجاء العالم تحمل بين يديها الأمل والبشرى للمؤمنين وأيقنوا أن شعباً تخلد فيه حركة كحركة النورسي حريّ به أن يحقق أهدافه في مواصلة الدرب الذي وضعهم الإمام عليه.

فقد حصل لهذا الرائد الكبير والمصلح الملهّم أتباعٌ يحملون ذلك المشعل الذي أوقده بأيديهم داخل تركيا وخارجها ليواصلوا المسيرة حتى يرفعوا راية الإسلام على ربوع بلاد الفاتح.

وقد قيّض الله لنشر مؤلفاته وترجمتها رجالاً مخلصين لربهم ولدينهم ولعقيدتهم، ومن بين هؤلاء الرجال الأخ الماجد الأستاذ إحسان قاسم الصالحي؛ إذ قد ترجم له العديد من مؤلفاته إلى العربية وملا بها أسواق العراق وخزانات العلماء، فجزاه الله خيراً عن المؤلف

وعن المسلمين وبارك له في جهوده.

والأستاذ الصالح هو الذي عرض عليّ أن أُشرفَ ناظري في كتابٍ من كتب هذا الداعية الكبير، وأكحلَ أجناني بما انطوى عليه من حِكْمِ جَمَّةٍ ومعرفةٍ واسعةٍ وعلمٍ عزيزٍ . ذلك الكتاب هو " محاكمات عقلية."

وبعد أن تصفحتُ صفحاته وقلبت طرف الطَّرْفِ في سطورهِ وجنباةهِ وأطلعت على كنوز ذخائره وخزائنه، وجدته كتاباً قد احتوى على معلومات لها وزنها لدى أهل العلم والمعرفة ولها قيمتها عند أهل الفضل والعرفان . إلا أني وجدت الشيخ رحمه الله قد تأثر في أسلوبه ببلاغةٍ بلغاءٍ كالسكاكي والتفتازاني والجرجاني وغيرهم حيث كانت ظاهرة الغموض تطفو على أسلوبه . وعلامات التعقيد تظهر على عباراته، مع أنه قد اتجه اتجاهاً روحياً دقيقاً متحدياً كثيراً من أعداء العقيدة، مقرناً تحدياته بالتوجيه والنصح والتحذير مما قد ينأى بعيداً بالقارئ عن عنوان الموضوع.

لذا فإن حُكْمي على الكتاب بأنه كتابٌ علمي رصين وليس كتاباً ثقافياً يسهل تناول ما فيه لكل من له خلفية إسلامية، بل يستفيد منه أهل التخصص بهذا الشأن وليس للعامة فيه نصيب .

ومع هذا فإن المكتبة الإسلامية العربية بحاجة إلى إخراجهِ من حيزِ العدم إلى حيزِ الوجود ليتبوأ مكانته مع أخواته مصنفات المؤلف نفسها والمصنفات الأخرى التي أملتها قرائحُ فطاحل هذه الأمة وأفذاؤها من رجال الفكر والتأليف .

فلأخوة القائمين بنشر تراث هذا الرجل العظيم مني كل إجلال وتقدير مع دعائي لهم بالتوفيق من العلي القدير .

ولهذا الخبر من أبناء أمة محمد ﷺ الرحمة والرضوان من الرحمن الرحيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

د . عبد الملك عبد الرحمن السعدي

العراق - الرمادي - الجامع الكبير

تحريراً في 26/7/1410 هـ

23/3/1990 م

كلمة للقارئ الكريم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد:
لقد سمي الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي مؤلفه هذا بـ"رجة العلماء" أي الوصفة
الطبية للعلماء، وذلك إما كان يشعر به ويلمسه من حاجة العلماء ولاسيما علماء عصره،
إلى تناول مثل هذه العلاجات التي يضمها الكتاب.

فكتب مؤلفه هذا باللغة التركية ثم ترجمه إلى لغة العلم السائدة لدى أهل العلم وهي
اللغة العربية. إلا أنه أجمل فيه ما فصل هناك. حتى غدا النص العربي غامضاً مغلقاً. إلا
للعلماء -مما اضطر إلى كتابته- تنبيه "في مستهل الترجمة العربية في طبعها الأولى وكما
يأتي:

"وجب عليك أن لا تتعجل في مطالعتها وأن تسأل أهل الذكر إن كنت لا تعلم، وعليك
برفيقتها التركية فإنها شرحت مَعَمَّياتها وقربتها إلى أفواه أفهام العوام."
وفي ختام التنبيه كرر قوله:

"واسترفق رقيقة تركية القَدِ تفصل ما أجمل... فعليك بالصحبة معها."

ونرى أيضاً أن الأستاذ النورسي عندما ضُمَّ إلى عضوية دار الحكمة الإسلامية التابعة
للمشيخة الإسلامية للدولة العثمانية، سجّل هذا الكتاب ضمن كتبه التركية في سجل الدار
المذكورة.

بمعنى أن الكتاب قد أُلّف أصلاً باللغة التركية ثم لخصه المؤلف نفسه في عبارات
مجملة جداً باللغة العربية.

أخّص من هذا أن السبب الذي دعاني إلى ترجمة الكتاب وتحقيقه وعدم الاكتفاء بترجمة المؤلف العربية هو الغموض الشديد في النص العربي إلى حد استعصاء الفهم- إلاّ للعلماء- بينما المؤلف التركي يستفيد منه العلماء وكثير من المهتمين والمثقفين. والسبب الآخر والأهم الذي دعاني إلى القيام بالترجمة والتحقيق هو أنني لما أكرمني المولى القدير بتحقيق آثار الأستاذ النورسي العربية: "المثنوي العربي النوري" ثم "إشارات الإعجاز" و"الخطبة الشامية" رأيت أنه من الواجب عليّ تقديم هذا الكتاب للقارئ الكريم بأسلوب مفهوم حيث المؤلف عدّه مقدّمه لتفسيره الجليل "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز". فللّه الحمد والمنة على توفيقه الكريم وله الفضل أولاً وآخرأ.

والكتاب بحد ذاته يحوز أهمية بالغة للمهتمين بالفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية، إذ يُبرز ما كان يدور في أذهان العلماء وكتب التفسير المتداولة في ذلك العصر- وأخر الدولة العثمانية- فضلاً عن أن الموازين والقواعد التي وضعها المؤلف لتقويم المفاهيم الغربية والدخيلة في كتب متداولة لدى العلماء، ما تزال تحفظ تلك الموازين بجديتها وحيويتها وحقيقتها... ولعل هذا هو السبب الذي أدّى إلى تسمية الكتاب بـ"محاكمات عقلية" أو "صيفل الإسلام" أملاً من المؤلف أن يشحذ به سيف الإسلام وُجُلّيه من أدران وصدأ.

كان نهجي في الترجمة والتحقيق الآتي:

أولاً: ترجمة النص التركي المطبوع في دار سوزلر للنشر بإسطنبول سنة 1977 م مع الاعتماد على نسخة من الطبعة الأولى) مطبوعة سنة 1911-1327 م بمطبعة" أبو الضياء" بإسطنبول (وعلى هذه النسخة تصحيحات المؤلف نفسه. تفضّل بها عليّ الإخوة العاملون في دار سوزلر، جزاهم الله خيراً.

ثانياً: مقابلة الترجمة بعد الانتهاء منها بترجمة المؤلف الموجزة بطبعتها الأولى المنشورة تحت اسم" رجة العلماء". وبطبعتها الثانية المنشورة ضمن كتاب" الصيفل الإسلامي" بمطبعة النور بأنقرة سنة 1958 م .

ثالثاً: اقتباس بعض عبارات المؤلف العربية من ترجمته.

رابعاً: ضبط الآيات الكريمة وبيان مواضعها من السور.

خامساً: تخريج الأحاديث الشريفة بمعاونة إخوة لهم باع طويل في علم الحديث .

سادساً: كتابة هوامش لشرح بعض الاصطلاحات العلمية الواردة في الكتاب.

سابعاً: وضع تراجم مختصرة لعدد من الأعلام التي وردت في الكتاب ولمؤلفاتهم ممن

لم ينالوا حظاً من الشهرة عند القارئ، مع إغفال المشاهير المعروفين عندهم.

وبعد أن تم العمل بفضل الله وددت أن لو قام أحدُ العلماء الأفاضل بمراجعة ما قمتُ به

من تحقيق وترجمة .علّه يرشدني إلى ما فيه الأصبوب .فشاء الله أن يكون ذلك العالم هو

الشيخ الجليل والعالم المبجل والأستاذ القدير الدكتور عبد الملك السعدي، فما إن عرضت

عليه الفكرة حتى رحّب بها وقبّلها بتواضع جم، فقرأ الكتاب قراءةً عالم مدقق ونّبّهني على

نقاط قد غفلت عنها، ووضّع هوامش ذبّلثها باسمه، ثم كلّل جهدي بمقدمة قيّمة نافعة بإذن

الله فجزاه الله عنا خير جزاء.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إحسان قاسم الصالحي

مَحَامَاتُ عَقَلِيَّةٍ

في التفسير والبلاغة والعقيدة

أو

صيفل الإسلام " رجة العلماء "

وصفة طبية: لعصر مريض، وعنصر عليل، وعضو سقيم

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة وتحقيق

إِحْسَانُ قَاسِمِ الصَّالِحِي

وبه نستعين وبالله التوفيق...

التحياتُ للحاكم الحكيم الرحمن الذي لم يزل ..الذي فضّلنا بالإسلام، وهدانا إلى الصراط المستقيم بشريعته الغراء، تلك التي صدّق العقلُ والنقلُ معاً حقانَتَها الثابتة، الراسخة في أرض الحقيقة أصولها، المنتشرة في سماء الكمالات فروغها، الحاملة بسعادة الدارين ثمارها.

والذي أرشدنا إلى الحق المبين، بقرآنه المعجز البيان الذي بيّن بقواعده- من كتاب

العالم -قوانينَ الله العميقة الجارية بيدَ القدر، المسطرة بقلم الحكمة على صفحة الوجود، فيحقق بأحكامه العادلة رقيَّ البشرية وسموَّ نظامها ودقةَ اتزانها، فأصبح حقاً مرشداً وهداياً إلى سواء السبيل.

والصلاة الدائمة على سيد الكونين وفخر العالمين الذي يشهد لرسالته ويدلّ على معجزاته ويدعو إلى ما أتى به من خزينة الغيب من كنز عظيم العالمُ بأنواعه وأجناسه، حتى لكان كلُّ نوع يرحّب بمقدّمه بلسانه الخاص، كما يستنطق سلطانُ الأزل أوتارَ الأرض والسموات، فينشد كلُّ وترٍ بلسانِ نغماتٍ معجزاته، فيرنُّ ذلك الصدى الجميل إلى الأبد ما دامت هذه القبة الزرقاء.

فالسماءُ تُبارك رسالته بالسنة معراجها وملائكتها وقمرها.

والأرضُ تفخر بمعجزاته بالسنة حَجَرها وشجرها وحيوانها.

وجوُّ الفضاء يبشّر بنبوته بجنّه، ويظللها ويحميها بسحابتها.

والماضي يبشر بالفجر الصادق لذلك السراج المنير، بتصديق الأنبياء وتلويحات الكتب ورموز الكهان.

والحالُّ الحاضرة- أعنى خيرَ القرون، قرن السعادة النبوية -تشهد على ثبوت نبوّته بلسان الحال، بالانقلاب العظيم الذي أحدثته في طبائع العرب، وتحويلهم دفعةً من البداوة الصرفة إلى المدنية المحضة.

والمستقبلُ يشكر بلسان الحكمة إرشاداته ويستقبل موكبه الميمون بأحداثه وبتحقيقاته. والبشريةُ قاطبة بعلمائها ومحققها تشهد أنه مرسلٌ من عنده تعالى، ولا سيما المستمعون إلى محمد ص بلسانه الفصيح وبكلامه البليغ، والذي هو كالشمس يضيء نفسه كما يضيء غيره.

والله سبحانه وتعالى بلسان قرآنه الحكيم يعلن رسالته ويستقرئها.

جملة شيران جهان بستء إين سلسله أند

روبه أز حيله جه سان بكسلد إين سلسله را(1)

1 (بيت شعر باللغة الفارسية" لملا جامي "ورد في" مكتوبات الإمام الرباني "بالفارسية رقم

أما بعد،

فإن هذا الفقير، الغريب، النورسي، الذي يستحق أن يُطلق عليه اسم بدعة الزمان إلا أنه اشتهر - دون رضاه - بـ"بديع الزمان..." فهذا المسكين يستغيث ألاماً من حرقة فؤاده على تدني الأمة ويقول: آه.. آه... وآه... وأسفى!..

لقد انخدعنا ففكرنا جوهرَ الإسلام ولبائبه، وحصرنا النظر في قشره وظاهره.

وأسانا الفهم، فأسانا الأدب معه، وعجزنا عن أن نوفيه حقه حق الإيفاء وما يستحقه من الاحترام، حتى رغبَ عَنَّا، ونَفَرَ مِنَّا، وتَسَتَّرَ بسحائب الأوهام والخيالات. والحق معه، إذ نزلنا الإسرائيليات منزلةً أصوله، وأدخلنا الحكايات في عقائده، ومزجنا مجازاته بحقائقه. فبَحَسْنَا حَقَّهُ، فجازانا بالإذلال والسفالة في الدنيا.. ولا خلاص لنا إلا باللواذ برحمته.

أيها الإخوة المسلمون! هيا لنعتذر إليه، ونطلب رضاه فنمدَّ إليه معاً متفقين يدَ الصداقة نبايعه ونعتصم بحبله المتين.

أُعلنُ بلا حرج ولا تردد: أن الذي دفعني وشجعني إلى مبارزة أفكار العصور الخوالي، والتصدي للخيالات والأوهام التي تقوّت واحتشدت منذ مئات السنين.. إنما هو اعتقادي وبقيني بأن الحقَّ سينمو نموّ البذرة النابتة، وإن تسترت تحت التراب... وأن أهله سينتصرون وإن كانوا قلةً وضعفاء بظلم الأحوال. واعتقادي أن حقيقة الإسلام هي التي ستسود قارات العالم وتستولي عليها.

نعم، إن الإسلام هو الذي سيعتلي عرش الحقائق والمعارف، فلا يكشفها ولا يفتحها إلا الإسلام... الإمارات تبدو هكذا..

ذلك لأن الذي حال دون استيلاء الشريعة الغراء استيلاءً تاماً في الماضي، في تلك الصحراء الموحشة والجهل المطبق الذي ترَبَّع على عرشه التعصبُ الذمِيم، وضرب فيه النقلُ أطنابه، في بلاد الجهل المخيم بالسفساف والاستبداد المقيت... أقول إن الذي حال

27 و 58 من الجزء الأول. وفي الترجمة العربية، المكتوب السابع والعشرون :

هل يقطع الثعلب المحتال سلسلةً قِيدَتْ بها أسدُ الدنيا بأسرهم.

دون هيمنة الشريعة في الماضي هيمنة تامة هي أمور ثمانية، وقد مُحِقَّت- وكذلك الآن تُمَحَق -ثلاث حقائق .

هذه الموانع هي التي أدَّت إلى كسوف شمس الإسلام .

أما الموانع التي في الأجنب فهي: التقليد، والجهل، وتعصبهم، وسيطرة القسس عليهم .

أما الموانع التي عندنا فهي: الاستبداد المتنوع، وسوء الخلق، واليأس الذي تنجم منه العطالة، والأحوال المضطربة .

أما المانع الثامن، وهو أهم الموانع والبلاء النازل، فهو توهُمُنَا- نحن والأجنب -بخيال باطل؛ وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم. فمَرَحَى لجهود المعرفة الفياضة وانتشارها، وبخٍ بخٍ لعناء العلوم الغيورة، اللتين أمدَّتا تحرِّي الحقائق وشخنتا الإنسانية، وغرستا ميلَ الإنصاف في البشرية، فجَهَّزتا تلك الحقائق بالأعتدة لدفع الموانع، فقضت وستقضي عليها قضاءً تاماً.

نعم، إن أعظم سبب سلبَ منا الراحةَ في الدنيا، وحرَّم الأجنبَ من سعادة الآخرة، وحجب شمسَ الإسلام وكسفها هو سوءُ الفهم وتوهُمُ مناقضة الإسلام ومخالفتِهِ لحقائق العلوم.

فيا للعجب! كيف يكون العبدُ عدوَّ سيده، والخادمُ خصمَ رئيسه، وكيف يعارض الابنُ والده!! فالإسلام سيّدُ العلوم ومرشدُها ورئيسُ العلوم الحقة ووالدها.

ولكن، يا للأسف.. هذا الفهم الخطأ، هذا الفهم الباطل، قد أجرى حكمه إلى الوقت الحاضر، فألقى بشبهاته في النفوس، وأوصد أبوابَ المدنية والمعرفة في وجه الأكراد وأمثالهم... فذعروا من توهم المنافاة بين ظواهر من الدين لمسائل من العلوم. فكروية الأرض- مثلاً -وهي أولى مرتبة من مراتب الجغرافية التي هي أول منزل من منازل العلوم، هذه المسألة البديهية توهموها منافيةً للمسائل الست التي سنذكرها، ولم يتحرَّجوا من المكابرة فيها والإصرار عليها.

فيا من يُمعن النظر في كتابي هذا !

اعلم أن ما أريد أن أسديه بهذا الكتاب من خدمة هو: ردُّ شبهات أعداء الدين الذين يبخسون الإسلامَ حقَّه، بإظهار الطريق المستقيم الذي عليه الإسلام.. ودفعُ أوهم أهل الإفراط والغلو المغرَّمين بظاهر الإسلام دون حقيقته والذين يستحقون لقب "الصَّدِيق الأحمق"، ببيان الجانب الآخر من ذلك الطريق السوي.. وإمدادُ علماء الإسلام الأوفياء الصادقين العقلاء وهم المرشدون الحقيقيون الأصلاء الذين يسعون في إظهار هذا الصراط القويم، يحدوهم الأمل الكامل في النصر، ويمهِّدون السبيل إلى مستقبل عالم الإسلام الزاهر.

زبدة الكلام:

إن ما أقصده بهذا الكتاب: صقلُ ذلك السيف الأمامي وشحذُه.
فإن سألت: لِمَ هذا الاضطراب والقلق، وما جدوى سرد البراهين على ما صار كالعلوم المتعارفة؟ إذ المسائل التي تمخضت عن تلاحق الأفكار⁽²⁾ وكشفيات التجارب صارت واضحة وضوح البديهة. فإيراد البراهين عليها من قبيل الإعلام بالمعلوم؟!
أقول جواباً: إن معاصريّ- مع الأسف- وإن كانوا أبناء القرن الثالث عشر الهجري إلا أنهم تذكأر القرون الوسطى من حيث الفكر والرقي. وكانهم فهرسٌ ونموذج وأخلأط ممتازة لعصور خلت- من القرن الثالث إلى الثالث عشر الهجري -حتى غدا كثيراً من بديهيأ هذا الزمان مبهمة لديهم.

² (تألاق الأفكار: أي تأعابها وتربب بعضها على بعض .

المقدمة

هذا الكتاب مبنيٌّ على ثلاث مقالات وثلاثة كتب:
المقالة الأولى: تبحث في عنصر الحقيقة أو في صقل الإسلام بمقدمات ومسائل.
المقالة الثانية: تكشف عن عنصر البلاغة.
المقالة الثالثة: تبين عنصر العقيدة والأجوبة اليابانية⁽³⁾.
أما الكتب: فهي تحقيق علمي ونوع تفسير لما أشار إليه القرآن من علم السماء وعلم الأرض وعلم البشر⁽⁴⁾.

³ (حضر القائد العام الياباني الجنرال (Nogi Maresuke) إسطنبول سنة 1907 م. أي أواخر حكم السلطان عبد الحميد الثاني، ووجه جملة من الأسئلة حول العقيدة وعلامات الساعة إلى المشيخة الإسلامية، فوجه العلماء بدورهم تلك الأسئلة مع أسئلة أخرى إلى الأستاذ النورسي، أورد قسماً من أجوبته التي تخص العقيدة في المقالة الثالثة في مؤلفه "المحاكمات"، وفصله في رسالة "نقطة من معرفة الله جل جلاله"، وخصّ "الشعاع الخامس" للأجوبة التي تخص أشراف الساعة والدجال.

⁴ (لم يتيسر للمؤلف تأليف هذه الكتب الثلاثة، إذ باشر بتأليف تفسيره "إشارات الإعجاز" في خضم معارك الحرب العالمية الأولى، ولم يتمه أيضاً حيث صرفه المولى القدير إلى تأليف رسائل النور إنقاذاً للإيمان.

المقالة الأولى

عنصر الحقيقة

مقدمات ومسائل

إن من دساتير أهل العلم المحققين الاستناد إلى مقدمات، بلوغاً إلى الهدف والقصد. لذا ن نصب سُلماً ذا اثنتي عشرة مرتبة:

المقدمة الأولى

من الأصول المقررة: أنه إذا تعارض العقل والنقل، يعدّ العقلُ أصلاً ويؤوّل النقل، ولكن ينبغي لذلك العقل أن يكون عقلاً حقاً⁽⁵⁾.

ثم قد تحقّق أيضاً: أن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية المنبثّة في كل جهاته

⁵ (وذلك إذا كان العقل قطعي الدلالة والنقل ظني الدلالة، فيؤوّل الظني ليوافق القطعي. أما إذا كانا قطعيين فلا تعارض أصلاً. وأما إذا كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار). المحقق)

أربعة: إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر الجسماني، والعدل.

أي إن القرآن هو وحده الكفيل بالإجابة عن الأسئلة التي تسألها الحكمة من الكائنات : من أين؟ وبأمر من تاتون؟ من سلطاتكم ودليلكم وخطيبكم؟ ما تصنعون؟ وإلى أين تصيرون؟

ولهذا فذكرُ الكائنات في القرآن الكريم- مما سوى المقاصد -إنما هو ذكرٌ استطرادي لبيان طريق الاستدلال على الصانع الجليل بانتظام الصنعة .

نعم، الانتظام يشاهد، بل يُظهر نفسه بكل وضوح .فالصنعة المنتظمة تشهد على وجود الصانع وعلى قصده وإرادته شهادةً صادقة قاطعة، إذ تتراءى في كل جهة من جهات الكون وتتألاً من كل جانب ..وتعرض جمال الخلق إلى أنظار الحكمة، حتى لكأن كلَّ مصنوع لسانٌ يسيح بحكمة صانعه، كلُّ نوع يشهد مشيراً بإصبعه إلى حكمة الصانع. فمادام المقصد هو هذا، وما دما نتعلم من كتاب الكائنات الرموزَ والإشارات الدالة على الانتظام، وأن النتيجة الحاصلة واحدة، فكيفما كان تشكُّل الكائنات في ذاتها، فلا علينا، إذ لا تتعلق بنا.

ولكن كلَّ فرد من أفراد الكائنات، الذي دخل ذلك المجلس القرآني الرفيع موظفٌ بأربع وظائف:

الأولى: إعلان عظمة الخالق الجليل بانتظامه واتفاقه مع غيره.

الثانية: إظهاره أن الإسلام زبدة العلوم الحقيقية، حيث إن كلاً من الأفراد موضوع

وخلاصة لعلم من العلوم الحقيقية.

الثالثة: إثبات تطابق الإسلام مع القوانين والنواميس الإلهية الجارية في العالم، وانطباقه عليها، لينمو الإسلام ويتعرع بإمداد تلك النواميس الفطرية، حيث إن كلَّ فرد من الكائنات نموذجٌ لنوع.

نعم، إن الإسلام، الدين المبين، يتميّز بهذه الخاصية عن سائر الأديان المترددة بين الهوى والهوسات، لفقدانها الجذور العريقة الممدة لها؛ فتارة تضيء وأخرى تنطفئ، وتتغير بسرعة.

الرابعة: توجيه الأفكار إلى حقائق الأشياء والحثُّ عليها والتنبيه إليها، من حيث إن كل

فرد منها نموذجٌ لحقيقة من الحقائق.

فمثلاً: إن القَسَمَ بالأجرام العلوية والسفلية في القرآن الكريم، إنما هو لتنبيه الغافلين

دوماً وحثِّهم على التفكير. فالقَسَمَ القرآني قرغُ العصا لمن غطَّ في نوم الغفلة.

فالذي تحقّق الآن هو الآتي:

إن القرآن الكريم الذي هو معجز، وفي أسمى بلاغة وأرفعها، يسلك بلا ريب أوضح

طرق الاستدلال وأصوبها وأقصرها وأوفقها لأساليب اللغة العربية، أي إنه يراعي

حسيّات العوام لأجل إفهامهم وإرشادهم، أي يذكر الدليل- وهو انتظام الكون- بوجه يكون

معروفاً لديهم وتأسُّ به عقولهم.. وبخلافه يكون الدليلُ أخفى من المدّعى مما ينافي طريق

الإرشاد ومنهج البلاغة ومذهب الإعجاز .

فمثلاً: لو قال القرآن: أيها الناس! انظروا إلى الكرة الأرضية الطائرة في انجذاب

وتنشوة والسائرة في جو الفضاء، وتأملوا في الشمس المستقرة مع حركتها والأجرام

العلوية المرتبط بعضها ببعض بالجاذبة العامة، وتدبّروا في العناصر الكثيرة المرتبط

بعضها ببعض بأواصرَ كيميائية في شجرة الخلقة المنتشرة فروغها في الفضاء غير

المحدود.. لتتصوروا عظمة الصانع!! أو انظروا بمجهر عقولكم إلى قطرة ماء، التي

تستوعب عالماً من الحيوانات، بأن الله على كل شيء قدير!!.

فلو قال القرآن هذا، أما كان الدليلُ أخفى وأغمض من المدّعى وأحوج إلى التوضيح؟

أما كان ذلك تنويراً للحقيقة بشيء مظلم بالنسبة لهم! أو تكليفهم بأمرٍ غير معقول هو

مغالطة أنفسهم تجاه بداهة حسّهم!

إن إعجاز القرآن أجلّ وأظهر من أن يقع على ذيله الصافي اللامع غبارُ إخلال

الأفهام. ولقد لوح القرآن الكريم إلى المقصد الحقيقي في معاطف الآيات البيّنات وتلافيها،

كما جعل قسماً من ظواهر الآيات مناراً ومرشداً إلى المقصد، كالكناية عليه.

ومن الأصول المقررة أيضاً: أن الصدق والكذب، أو التصديق والتكذيب في الكنايات

وأمثالها لا يرجعان إلى صورة المعنى، أي إلى " المعاني الأولى " كما يعبرُ عنها فنُّ

البيان، بل يتوجهان إلى المقصد والغرض، أي إلى " المعاني الثانوية . "فكما إذا قيل :
 "طويلُ النَّجَادِ" فالحكم صحيح والكلام صدق إن كان الشخصُ طويلَ القامة وإن لم يكن له
 سيف .وكما تكون الكلمة الواحدة في كلامٍ قرينةً المجاز (6) للاستعارة، فإن طائفة من
 الآيات الكريمة، كأنها كلمة واحدة لكلام الله، تكون قرائن لحقائق وجواهر سائر أخواتها،
 وترجمان وأدلاء على ما في ضمائر جاراتها من أسرار .
 حاصل الكلام :من لم يضع هذه الحقيقة نصبَ العين، وعجزَ عن موازنة الآيات، ولم
 يتمكن من الحكم بينها حكماً عادلاً، يكون كالبكتاشي الذي قال لتسويغ تركه الصلاة :إن
 القرآن يقول :﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ ..أما ما بعده فلستُ حافظاً للآية !الأ يكون هذا موضع
 هزء في نظر الحقيقة؟!!

المقدمة الثانية

قد يكون بديهياً ما هو نظري⁽⁷⁾ في الماضي .هكذا تحقق ...في العالم ميلٌ للاستكمال
 وبه يتبع العالمُ قانونَ التكمال .ولأن الإنسان من ثمرات العالم وأجزائه ففيه كذلك ميلٌ
 الترقى المستمد من الميل للاستكمال .وميلُ الترقى هذا ينمو ويتوسع مستمداً من تلاحق
 الأفكار الذي ينبسط بتكامل المبادئ واكتمال الوسائل، وتكامل المبادئ يلقى- من صلب
 الخلقه -بذورَ علوم الأكوان ملقحاً رحمَ الزمان التي تُربّي تلك البذور وتنبتّها، فتستوي
 بالتجارب المتعاقبة التدريجية.

وبناءً على هذا، فإن مسائل كثيرة في هذا الزمان قد أصبحت في عداد البديهيات
 والعلوم المعتادة، بينما كانت في السابق أموراً نظرية، شديدة الخفاء والغموض، ومحتاجة
 إلى سرد البراهين؛ إذ نرى كثيراً من مسائل الجغرافية والفلك والكيمياء والهندسة العملية؛
 يعرفها حتى صبيانُ هذا الزمان، بل يلعبون بها لعبهم بالملاعيب، وذلك بتكامل المبادئ

⁶ (أي الإشارة التي تخص المجاز، أي التي تجعل الكلمة مجازاً حتماً وهي القيد الذي يحول
 الكلمة عن معناها الحقيقي .

⁷ (البديهي ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال، والنظري هو ما يحتاج إلى نظر واستدلال

وبرقَى الوسائط وبكشفيات تلاحق الأفكار، علماً أنها كانت نظريَّة وخفية على " ابن سينا " وأمثاله من الفلاسفة .مع أنه لو وزن " أبو الفلسفة "بمئات من فلاسفة هذا الزمان لرَجَّحهم في الذكاء وقوة الفكر وكمال الحكمة وسعة القريحة .فالنقصُ إذن ليس في " ابن سينا"، فهو ابن الزمان، بل في أبيه الزمان.

أليس بديهياً أنه لو لم تُكتشف الدنيا الجديدة) أمريكا- (واشتهر به كولومبس -لاقتدرَ على اكتشافها وإحاطها بهذه الدنيا القديمة أبسطُ الملاحين؟ إذ بدلاً من تبجُّر فكر المكتشف الأول واقتحامه المهالك تكفي الآن سفينةٌ صغيرة وبوصلة .

ومع هذا يلزم أخذُ الحقيقة الآتية بنظر الاعتبار وهي أن المسائل قسمان: قسم: يؤثر فيه تلاحقُ الأفكار، بل يتوقف عليه، كالتعاون في الماديات لرفع صخرة كبيرة.

والقسم الثاني: لا تأثير للتعاون وتلاحق الأفكار فيه من حيث الأساس؛ فالواحد والألف سواء .كالقفز في الخارج من مرتفع إلى آخر، أو المرور من موضع ضيق .فكلُّ فرد والكلُّ سواء، ولا يجدي التعاون.

فبناءً على هذا القياس: فإن قسماً من العلوم هو كرفع الصخر، بحاجة إلى التعاون وتلاحق الأفكار .وأغلب هذا القسم هو من العلوم المادية.

أما القسم الثاني، وهو الشبيه بالمثل الثاني، فنكمله دفعي، أو شبيه الدفعي .وأغلب هذا القسم هو من المعنويات ومن العلوم الإلهية.

ولكن على الرغم من أن تلاحق الأفكار لا يغير ماهية هذا القسم الثاني ولا يكمله ولا يزيده، إلا أنه بفيض وضوحاً وظهوراً وقوة في مسالك براهينه .

ويجب ملاحظة ما يأتي:

إن من توغل كثيراً في شيء، أدَّى به في الغالب إلى التغابي في غيره.

فبناءً على هذا: من توغل في الماديات تبدُّد في المعنويات وظل سطحياً فيها.

فنظراً إلى هذه النقطة لا يكون حكمُ الحاذق في الماديات حجةً في المعنويات بل غالباً

لا يستحق سماعه.

نعم، إذا ما راجع مريض مهندساً بدلاً من طبيب، ظناً منه أن الطب كالهندسة، وأخذ بوصفة المهندس، فقد أخذ لنفسه تقريراً ينقله إلى مستشفى مقبرة الفناء، وعزى أقرباءه. وكذلك مراجعة أحكام الماديين في المعنويات التي هي الحقائق المحضة والمجردات الصرفة، واستشارة آرائهم وأفكارهم، تعني الإعلان عن سكتة القلب الذي هو اللطيفة الربانية، وعن سكرات العقل الذي هو الجوهر النوراني.

نعم، إن الذين يبحثون عن كل شيء في الماديات عقولهم في عيونهم، والعين عاجزة عن رؤية المعنويات.

المقدمة الثالثة

إن دخول طائفة من الإسرائيليات وقسم من الفلسفة اليونانية ضمن دائرة الإسلام وظهورها بزي الدين الجميل، شوّشت الأفكار.

وذلك: بأن أولئك القوم، العرب النجباء، كانوا أمة أمية في الجاهلية. ولكن لما تجلّى الحقّ فيهم وتيقظ استعداد حسياتهم بمشاهدة الدين المبين، وجّهوا رغباتهم وميولهم كلّها في معرفة الدين وحده. ولم يك نظرهم المتوجّه إلى الكون من نوع التفصيل الفلسفي بل نظر استطرادٍ للاستدلال ليس إلّا. وما كان يُلهم ذوقهم المرهف الطبيعي إلاّ محيطهم الواسع الرفيع المنسجم مع فطرتهم... والقرآن الكريم هو وحده المربي لفطرتهم الأصلية النقية ومعلّمها.

ولكن الأمة العربية- بعد ذلك -أخذت تحتضن الأقوام الأخرى، فدخلت معلومات سائر الملل وعلومها أيضاً حظيرة الإسلام، ثم وجدت الإسرائيليات المحرّفة منقذاً إلى خزائن خيال العرب، فأسألت مجرىً إلى تلك الخزائن بإسلام عدد من علماء أهل الكتاب كـ"وهب وكعب" فامتزجت الإسرائيليات بالأفكار الصافية. فضلاً عن ذلك وجدت الاحترام والتقدير، لأن الذين اهتموا من علماء أهل الكتاب قد تكاملوا بشرف الإسلام ونالوا به مكانةً فائقةً... لذا غدت معلوماتهم الملققة كأنها مقبولةٌ ومسلّمٌ بها، فلم تُردّ، بل وجدت آذاناً صاغية لها من دون تنقيد، وذلك لعدم مصادمتها بأصول الإسلام ولأنها كانت تُروى

كحكايات لا أهمية لها.. ولكن يا للأسف! قُبلت تلك الحكايات بعد فترة من الزمن كأنها حقائق وأصبحت سبباً لكثير من الشبهات والشكوك.

إذ إن هذه الإسرائيليات قد تكون مرجعاً لبعض إيماءات الكتاب والسنة، ومصدراً لبعض مفاهيمهما- بوجود علاقة- إلا أنها لا تكون معنىً للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة. بل لو صحّت ربما تكون أفراداً من معاني ما يصدّق عليه مفهوم الآية والحديث. ولكن المقتونين بالظاهر (8) الذين لم يجدوا- بسوء اختيارهم- مصدراً غيره، ولم يتحرّوا عنه، فسروا قسماً من الآيات والأحاديث بتطبيق الإسرائيليات عليهما. والحال أن الذي يفسّر القرآن ليس إلا القرآن والحديث الصحيح، وإلا فلا يُفسّر القرآن بالإنجيل والتوراة المنسوخة أحكامهما والمحرفة قصصهما.

نعم، إن المعنى شيءٌ وما يصدّق عليه المعنى شيءٌ آخر. غير أنه أقيم ما يمكن أن يكون مصداقاً لشيءٍ مقام المعنى، فاختلف كثيرٌ من الإمكانيات والاحتمالات مع الوقائع.

ثم لما تُرجمت الفلسفة اليونانية في عصر المأمون، لضمّها إلى الفكر الإسلامي، تلك الفلسفة الناشئة من منبع كثير من الأساطير والخرافات، حملت معها شيئاً من العفونات، وتداخلت في أفكار العرب الصافية، فشوّشت الأفكار إلى حدٍّ ما، وفتحت طريقاً من التحقيق إلى التقليد، كما أنها صرفتّهم عن الاستنباط- بقرائهم الفطرية من معدن ماء حياة الإسلام- إلى الافتقار بالتلمذ على تلك الفلسفة المانعة للكمال.

نعم، فكما أن العلماء المحققين دونوا قواعد علوم العربية، عندما فسدت- باختلاط الأعاجم- حفاظاً على سلامة ملكة الكلام المضرى؛ كذلك حاول قسمٌ من علماء الإسلام الناقدين فرز الفلسفة وتمييز الإسرائيليات لما دخلنا دائرة الإسلام.

ولكن يا للأسف! لم يوقّفوا كلياً، فلم يبق الأمر عند حدّه، إذ لما صرّفت الهمّة إلى

(8) ترد في ثنايا الكتاب اصطلاحات مشابهة لهذا، فتارة: الظاهريون، وأخرى: أهل الظاهر، وأخرى: المغرمون بالظاهر.. الخ. والمقصود: أولئك الذين يولون أهمية لظاهر الشيء دون حقيقته، ولا يمكنهم درك حقيقة الشيء، أو لا يعرفونها معرفة جيدة، أو يتوقفون في ظاهر الشيء أو النص دون تأويله وتوجيهه.

تفسير القرآن الكريم، طَبَّقَ عددٌ من الظاهريين منقولَه على بعض الإسرائيليات، وَوَقَّفُوا بين قسم من معقولِه والفلسفَة المذكورة، لِمَا رَأَوْا من شموله على المنقول والمعقول. وكذا الحديث النبوي، فبدلاً من أن تُستخرج المقاصد من عين الكتاب والسنة استنبط طائفةً مطابقةً وعلاقةً بين بعض نقلياتهما الصادقة وبعض الإسرائيليات المحرّفة، وبين عقلياتهما الحقيقية وهذه الفلسفَة الموهومة المموّهة، ظناً منهم أن هذه المطابقة والمشابهة تفسيران لمعاني الكتاب والسنة وبيانٌ لمقاصدهما!

كلا.. ثم كلا! لأن مصداق الكتاب المبين إعجازُه. والقرآن يفسر بعضُه بعضاً، ومعناه فيه، وصدقُه ذُرٌّ مثله لا قشر. وحتى لو فُرض أن القصد من إظهار هذه المطابقة هو تزكيةُ ذلك الشاهد الصادق، فهو عبثٌ أيضاً، إذ القرآن المبين أسمى وأغنى من أن يفتقر إلى تزكية العقل والنقل اللذين ألقيا إليه المقاليد، لأنه إن لم يزرگهما فشهادتهما لا تُسمع. نعم، يجب البحث عن الثريا في السماء لا في الأرض. فابحث عن معاني القرآن في أصدافه، لا في جيبك الحاوي على أخلاط، فإنك لن تجد شيئاً، وحتى لو وجدت فالقرآن يرفضه، إذ لا يحمل طغراءً البلاغة.

ومن المقرر: أن المعنى هو ما صبَّته الألفاظ في الصماخ نافذاً في الذهن، منتشراً منه إلى الوجدان، مفتحاً منه أراهيرُ الأفكار. وإلا فليس هو ما تسرَّب في خيالك من احتمالاتٍ لكثرة توغل أمورٍ أخرى، أو ما سرقتَه وملأت جيبك من أباطيل الفلسفة وأساطير الحكايات، ثم أخفيتَه في معاطف الآيات والأحاديث ثم أظهرته ممسكاً به في يدك تبرزه وتنادي: "هذا هو المعنى، هلموا لأخذه" فيأتيك الجواب: يا هذا! إن المعنى الذي استخرجته مزيف، عليه علامةُ التقليد، يردُّه نقاد الحقيقة، وسلطانُ الإعجاز يطرد من ضرب سكتَه، وحكيمةُ البلاغة يسجن وهمك في خيالك بشكوى الآية عليك، لما تعرضت إلى نظامها ونظام الحديث. وطالبُ الحقيقة لا يقبله منك حتماً، إذ يقول لك: إن معنى الآية درّ وهذا مدرّ ومفهوم الحديث مُهَج (9) وهذا همج.

مثل للتوير: من أمثال الأكراد الأدبية أن رجلاً اسمه "علو" كان يسرق العسل، فأشير

9 (مهج: دم القلب، الروح).

عليه بأن ستظهر سرقتك وينكشف أمرُك. فجمع الزنابير في كواره، لأجل الخداع والتمويه، فكان يسرق العسل ويدّخره في الكواره، وإذا ما سأله أحد يقول: هذا العسل صنعته نحلي، مهندسُ العسل. ثم يحدث الزنابير بلغة مشتركة بينهما " فَرُزْ وَه هُنْكَفِينُ ز مِنْ "أي عليكم الدوي والطينين ومني العسل!

فيا أيها المؤول بالتشهي والهوى، لا تتسلّ بهذا التشبيه، فهذا ضربٌ للمثل. إذ المعنى الذي أوردته ليس عسلاً بل سمّاً، فإن تلك الألفاظ- القرآنية والنبوية- ليست نحلاً بل كالملائكة توحى أرواح الحقائق إلى القلب والوجدان لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.. إن الحديث النبوي معدن الحياة، ومُلهم الحقائق.

نحصل مما سبق: أن الإفراط والتفريط كلاهما مضران، وربما التفريط أكثر ضرراً إلا أن الإفراط أكثر ذنباً، لأنه يسبب التفريط.

نعم، لقد فُتِح بابُ السماح بالإفراط، فاختلطت الأشياءُ المزيفة بتلك الحقائق الرفيعة. ولما شاهد أهل التفريط والنقد غيرُ المنصفين هذه المزيّفات بين تلك الحقائق التي لا تقدّر بثمن، ذعروا واشمأزوا، وظنوها كلّها مزيفة تافهة ملوثة، ظلماً وإجحافاً.. كلا وحاش لله...

ثرى لو وجدت نقودٌ مزيّفة في كنز، أُدخلت إليه من الخارج، أو لو شوهت تفاحٌ فاسد سقط إلى بستان من غيره، أمِن الحق والإنصاف عدُّ الكنز كلّهُ مزيّفاً، أو البستان كلّهُ فاسداً، ومن ثم تركهما لأنهما ملوثان معيوبان مشوبان؟!!

خاتمة :

أقصد من هذه المقدمة: أن الأفكار العامة تريد تفسيراً للقرآن الكريم.

نعم، إن لكل زمان حكمه، والزمان كذلك مفسّر. أما الأحوال والأحداث فهي كشافه. وإن الذي يستطيع أن يكون أستاذاً على الأفكار العامة هو الأفكار العلمية العامة أيضاً. فبناءً على هذا واستناداً إليه أريد تشكيل مجلس شورى علمي، منتخِب من العلماء المحققين، كل منهم متخصصٌ في علم، ليقوموا بتأليف تفسير للقرآن الكريم بالشورى بينهم، تحت رياسة الزمان الذي هو مفسرٌ عظيم، ويجمعوا المحاسن المتفرقة في التفاسير،

ويهدّبوها ويذهّبوها.

وهذا الأمر مشروط بأن تكون الشورى مهيمنة في كل شيء، والأفكار العامة مراقبة، وحجية الإجماع حجة عليه.

المقدمة الرابعة

الشهرة تملك الإنسان ما لا يملك.

إن من سجايا البشر إسناد الشيء الغريب أو الثمين إلى من اشتهر بجنسه، لإظهاره أصيلاً، أي لأجل أن يروج كلامه ويزيّنه أو لئلا يكذب أو لأغراض أخرى يُحيل نتائج أفكار أمةٍ أو محاسن أطوارها إلى شخص ما- ظلماً وعدواناً -ويشاهد صدورها عنه !بينما ذلك الشخص نفسه من شأنه ردّ تلك الهدية المهداة له ظلماً وتعسفاً؛ إذ لو عُرض على شهير -في صنعة جميلة أو خصلة راقية -أمرٌ، وقيل له- بغير حق " :-إن هذا من صنع يدك- " مثلاً -فإنه يردّه حتماً ويتبرأ منه ويشمئز، قائلاً حاش لله؛ ذلك لأن نظره النافذ في ما وراء الحُسن الظاهر يبصر إخلال ذلك الأمر بجمال تلك الصنعة الناشئ من تناسقها وانتظامها. فبناءً على هذه السجية، واستناداً إلى القاعدة المشهورة " :إذا ثبت الشيء ثبت بلوازمه " يضطر الناس إلى إسناد قوة عظيمة وعظمة فائقة وذكاء خارق ..وأمثالها من لوازم خوارق العادات إلى ذلك الشخص الشهير، ليوائم ما في خيالهم، وليمكن له أن يكون مرجعاً ومصدراً لجميع ما ينسب إليه من أمور خارقة .فيتجسم ذلك الشخص في أذهانهم أعجوبةً من أعاجيب الخلق .

فإن شئت فانظر إلى صورة" رستم بن زال "المعنوية، الذي نما في خيال العجم، ترى العجب العجاب .فإنه لما اشتهر بالشجاعة اغتصبَ مفاخر الإيرانيين وأغار عليها بقوة الشهرة، وبحكم الاستبداد الذي لم يتخلص منه الإيرانيون قط .وهكذا ضُحمت تلك الشخصية واستُعظمت في الخيالات .

ولما كان الكذب يردفه كذبٌ ويسوق إليه، استلزمت هذه الشجاعةُ الخارقة للعادة، عمراً خارقاً، وقامة خارقة، وما يكتنفهما من لوازمهما ...!حتى تجسم ذلك الخيال في الذهن

وهو يصرخ " أنا نوع منحصر في شخص"، لا من أبناء البشر بل ككائن خرافي يدور في حكايات الناس ويتقدم الخرافات فاتحاً الطريق إلى أمثاله.

يا من يريد رؤية الحقيقة مجردة! أنعم النظر في هذه المقدمة؛ لأن باب الخرافات يفتح من هذا الموضوع، وباب التحقيق " العلمي " ينسدّ به، زد على ذلك ففي هذه الأرض القاحلة الجرداء يضيع على الإنسان أخذ العبرة من القصة، ويفوئته البناء على أسس المتقدمين كما يمليه الترقّي، ولا يتجرأ على التصرف في ميراث الأسلاف ولا الزيادة عليه.

فإن شئت فقل للخواجة نصر الدين (*) الشهير بـ"جحا الرومي" : "أهذه الأقوال الغربية كلّها لك؟ فسيكون جوابه" : هذه الأقوال تملأ المجلدات، وتحتاج إلى عمر مديد، وأقوالي كلها ليست من نوادر الكَلِم، فأنا عالم من العلماء تسعني زكاة ما نسبوا إليّ من أقوال. أما الباقي فأرفضه وأردّه لأنها تقلب ظرافتي إلى التصنع."

فيا هذا! من هذا العرق تنبت الخرافات والموضوعات، ومنه تنفزع، وهو الذي يزيل قوة الصدق.

خاتمة

إن إحساناً يزيد على الإحسان الإلهي ليس بإحسان.

إن حبة من حقيقة تفضل بيدراً من الخيالات.

الاطمئنان والقناعة بالإحسان الإلهي في التوصيف فرض.

يجب ألا يخل بنظام المجتمع من كان داخلاً فيه .

أصل الشيء تبينه ثمّته . شرف الشيء في ذاته لا في نسله.

إذا اختلطت في بضاعة بضاعةً أخرى، فإنها تنقص من قيمة الأولى وإن كانت الثانية

قيّمة ونفيسة، بل تسبب حجزها.

والآن، بناءً على هذه النقاط، أقول:

إن إسناد قسم من الأحاديث الموضوعية إلى " ابن عباس " رضي الله عنه وأمثاله من

الصحابة الكرام، لأجل الترغيب أو الترهيب، إثارة للعوام وحضاً لهم، إنما هو جهل

عظيم.

نعم، إن الحق مستغني عن هذا، والحقيقة غنية عنه؛ فنورُهما كافيان لإنارة القلوب .
تسعدنا الأحاديث الصحيحة المفسّرة للحقيقة للقرآن الكريم، ونثق بها ونطمئن إلى التواريخ
الصحيحة الموزونة بميزان المنطق.

المقدمة الخامسة

إذا وقع المجاز من يد العلم إلى يد الجهل ينقلب إلى حقيقة، ويفتح الباب للخرافات (10).
فالمجازات والتشبيهات إذا ما اقتطقتهما يسأُرُ الجهل المظلم من يمين العلم المنور، أو
استمرتا وطال عمرُهما، انقلبتا إلى " حقيقة " مستقرّعة من الطراوة والنداوة، فتصير سراياً
خادعاً بعدما كانت سراياً زلالاً، وتصبح عجوزاً شمطاء بعدما كانت فاتنة حسناء .
نعم، إن شعلة الحقيقة إنما تتلمع من المجاز بشفافيته. ولكن بتحوّله إلى حقيقة يُصبح
كثيفاً قائماً يحجب الحقيقة الأصلية. فهذا التحول قانون فطري، فإن أردت شاهداً عليه
فراجع أسرار تجدد اللغات وتغيراتها، والاشتراك والترادف في الأمور. أنصت إليها جيداً
تسمع حتماً أن كثيراً من الكلمات أو الحكايات أو الخيالات أو المعاني التي كان السلف
ينذوقونها، لم توافق الرغباتِ الشابّة لدى الخُلف، لأنها غدت عجوزاً لا زينة لها. لذا
أصبحت سبباً لدفعهم إلى ميل التجدد والرغبة في الإيجاد، والجرأة على التغيير .
هذه القاعدة جارية في اللغات مثلما هي جارية في الخيالات والمعاني والحكايات .
ولهذا لا ينبغي الحكم على أي شيء بظاهره؛ إذ من شأن المحقق :

سبر غور الموضوع .. والتجرد من المؤثرات الزمانية .. والغوص في أعماق
الماضي .. ووزن الأمور بموازين المنطق .. ووجدان منبع كل شيء ومصدره.

ومما أطلعني على هذه الحقيقة ودلّني عليها هو حدوث خسوف القمر زمن صباي، إذ
سألتُ والدتي عنه، فأجابت: لقد ابتلع الثعبانُ القمرَ. فقلت: بَلِّمِ يشاهد القمر؟ قالت: إن
ثعابين السماء شبه شفاقة .

فانظر كيف تحول التشبيه إلى حقيقة! فحجبت حقيقة الحال، إذ شبه أهلُ الفلك تقاطع
مائل القمر بمنطقة البروج في الرأس والذنب بثعبانين أو تئنينين؛ حيث إن القمر أو الشمس

10 (فصلت هذه المسألة في اللعة الرابعة عشرة .

إذا أتى أحدهما إلى الرأس والآخر إلى الذنب وتوسطتهما الأرض، يخسف القمر.
يا من لا يسأم من كلامي المختلط هذا! أنعم النظر أيضاً في هذه المقدمة وانظر إليها
بدقة متناهية، فكثيرٌ جداً من الخرافات والخلافات، إنما تنشأ من هذا الأصل. فينبغي
الاسترشاد بالمنطق والبلاغة.

خاتمة:

يجب أن يكون للمعنى الحقيقي ختمٌ خاص وعلامة واضحة متميزة، والمشخص لتلك
العلامة هو الحُسن المجرد الناشئ من موازنة مقاصد الشريعة.

أما جواز المجاز فيجب أن يكون على وفق شروط البلاغة وقواعدها، وإلا فرؤية
المجاز حقيقةً والحقيقة مجازاً، أو إراءتهما هكذا، إمدادٌ لسيطرة الجهل ليس إلا.

إن ميل التفريط من شأنه حمل كل شيء على الظاهر.. حتى لينتهي الأمر تدريجياً إلى
نشوء مذهب الظاهرية مع الأسف. وإن حبَّ الإفراط من شأنه النظر إلى كل شيء بنظر
المجاز، حتى لينتهي الأمر تدريجياً إلى نشوء مذهب الباطنية الباطل. فكما أن الأول مضر
فالثاني أكثر ضرراً منه بدرجات.

والذي يبين الحدَّ الأوسط ويحدّ من الإفراط والتفريط إنما هو فلسفة الشريعة مع
البلاغة، والحكمة مع المنطق.

نعم، أقول: (الحكمة) الفلسفة (لأنها خير كثير مع تضمنها الشر، إلا أنه شرٌّ جزئي).
ومن الأصول المسلّمة أنه يلزم اختيار أهون الشرّين، إذ ترك ما فيه خيرٌ كثير لأجل شرٍّ
جزئي فيه يعني القيام بشر كثير.

نعم، إن الحكمة القديمة) الفلسفة القديمة (خيرها قليل، خرافاتها كثيرة، حتى نهى
السلف- إلى حد ما -عنها، حيث الأذهان كانت غير مستعدة، والأفكار مقيدة بالتقليد،
والجهل مستول على العوام. بينما الفلسفة الحاضرة فخيرها كثير- من جهة المادة -بالنسبة
للقدّيمة، وكذبها وباطلها قليل. والأفكار حرة في الوقت الحاضر، والمعرفة مسيطرة على
الجميع. وفي الحقيقة، لا بد أن يكون لكل زمان حكمه.

المقدمة السادسة

إن كل ما يردُ في التفسير- مثلاً -لا يلزم أن يكون منه، فالعلم يمدّ بعضه بعضاً. فما ينبغي التحكّم) في الرأي(؛ إذ من المسلّمات: أن الماهر في مهنة الهندسة، ربما يكون عامياً وطفيلياً في مهنة أخرى كالطب، ودخيلاً فيها...ومن القواعد الأصولية: أنه لا يعدّ من الفقهاء مَنْ لم يكن فقيهاً، وإن كان مجتهداً في أصول الفقه، لأنه عامي بالنسبة إليهم... وكذلك من الحقائق التاريخية: أن الشخص الواحد لا يستطيع أن يتخصص في علوم كثيرة؛ إلا من كان فذاً، فيستطيع أن يتخصص في أربعة أو خمسة من العلوم، ويكون صاحب ملكة فيها.

فمن ادّعى الكلّ فاتّه الكل؛ لأن لكل علم صورةً حقيقية، وبالتخصص تتمثل صورته الحقيقية؛ إذ المتخصص في علم إن لم يجعل سائر معلوماته متممة وممدّة له، تمثلت من معلوماته الهزيلة صورة عجيبة.

لطيفة افتراضية للتوضيح: لو افترض مجيء مصوّر إلى هذه الأرض من عالم آخر لم يكن قد شاهد صورة كاملة للإنسان ولا غير إنسان من الأحياء، وربما رأى عضواً من أعضاء كل منها... فإذا أراد هذا المصور تصوير إنسان، مما شاهد منه من يد ورجل وعين وأذن ونصف الوجه وأنف وعمامة وأمثالها، أو أراد تصوير حيوان مما صادف نظره من ذيل حصان وعنق جمل ورأس أسد، فالمشاهدون يتهمون المصور في عمله لأن عدم وجود تناسق وانسجام وامتزاج بين الأعضاء يحول دون وجود كائن حي كهذا وسيفولون: إن شروط الحياة لا تسمح لمثل هذه الأعاجيب.

فهذه القاعدة نفسها تجري في العلوم..والعلاج هو اتخاذ المرء أحد العلوم أساساً وأصلاً، وجعل سائر معلوماته حوضاً تخزن فيه.

ومن العادات المستمرة أن علوماً كثيرة تتزاحم في كتاب واحد، فبسبب تعانقها وتجاوبها بامداد بعضها بعضاً وإنتاج بعضها بعضاً، يحصل تشابك إلى حد كبير، بحيث لا تكون نسبة مسائل العلم الذي أُلّف الكتاب فيه إلا زكاة محتواه. فالغفلة عن هذا السرّ تؤدي بالظاهري أو الغوغائي المغالط إلى أن يقول محتجاً به: "الشریعة هي هذه، وهذا هو التفسير"!! إذا ما يرى مسألة ذُكرت استطراداً في تفسير أو كتاب فقه. وإن كان صديقاً

يقول: "مَنْ لم يَقْبَلْ بهذا فليس بمسلم!" وإن كان عدواً يقول محتجاً به": الشريعة أو التفسير خطأ "حاشَ لله.

أيها المُفْرَطُونَ والمُفْرَطُونَ! إن التفسير والشريعة شيءٌ وما أُلّفَ فيهما من كتب شيءٍ آخر، فالكتاب يسعُ الكثيرَ. ففي حانوت الكتاب أشياء تافهة غير الجواهر النادرة . فإن استطعت أن تفهم هذا، تتجُّ من التردد .فانتبه! فكما لا تُشْتَرَى لوازم البيت المتنوعة من صناع واحد فقط، بل يجب مراجعة المختص في صنعة كل حاجة من الحاجات؛ كذلك لا بد من توفيق الأعمال والحركات مع ذلك القانون الشامخ بالكمالات (قانون الفطرة .(ألا يُشاهد أنّ من انكسرت ساعته، إذا راجع خياطاً لخياطتها فلا يقابل إلا بالهزء والاستخفاف؟

إشارة: إن أساس هذه المقدمة هو: أن الامتثال والطاعة لقانون التكامل والرقى للصانع الجليل- الجاري في الكون على وفق تقسيم الأعمال -فرضٌ وواجب، إلا أن الطاعة لإشارته ورضاه سبحانه الكامنين في ذلك القانون لم يوفَّ حقَّهما .علماً أن يد عناية الحكمة الإلهية- التي تقتضي قاعدة تقسيم الأعمال -قد أودعت في ماهية البشر استعدادات وميولاً، لأداء العلوم والصناعات التي هي في حكم فرض الكفاية لشريعة الخَلْقَة(السنن الكونية). فمع وجود هذا الأمر المعنوي لأدائهما، أضْعنا بسوء تصرفنا الشوق- الممد للميل، المنبعث من ذلك الاستعداد -وأطفأنا جذوته بهذا الحرص الكاذب، وبهذه الرغبة في التفوق التي هي رأسُ الرياء! فلا شك أنّ جزء العاصي جهنم، فغَدِّبنا بجهنم الجهل، لأننا لم نتمثل أوامر الشريعة الفطرية التي هي قانونُ الخَلْقَة ..وما ينجينا من هذا العذاب إلا العمل على وفق قانون" تقسيم الأعمال"؛ فقد دخل أسلافنا جنان العلوم بالعمل على وفق تقسيم الأعمال.

خاتمة:

كما لا يكفي مجرد دخول غير المسلم المسجدَ لاعتناقه الإسلام، كذلك دخول مسألة من مسائل الفلسفة أو الجغرافية أو التاريخ وأمثالها في كتب التفسير أو الفقه، لا يجعل تلك المسألة من التفسير أو الشريعة قطعاً.

ثم إن حُكْمَ مفسِّرٍ أو فقيه- بشرط التخصص -يُعدّ حجة في التفسير فقط أو في الفقه فحسب. وإلاّ فهو ليس بحجة في الأمور التي دخلت جُلسَةً في كتب التفسير أو الفقه، لأنه يمكن أن يكون دخيلاً في تلك الأمور. ولا عتاب على الناقل. ومن كان حجةً في علم وناقلاً في علوم أخرى، فاتخاذ قوله فيها حجة أو التمسك بقوله فيها من قبيل الدعوى ما هو إلاّ إعراضٌ عن القانون الإلهي المستند إلى تقسيم المحاسن وتوزيع المساعي .

ثم إنه مسلمٌ منطقياً: أن الحكم يقتضي تصور " الموضوع " و "المحمول (11)" بوجهٍ ما فقط، أما سائر التفاصيل والشروح فليس من ذلك العلم، وإنما من مسائل علم آخر.

ومن المقرر أنه: لا يدل " العام " على " الخاص " بأيّ من الدلالات الثلاث الخاصة (12).
فمثلاً: إن أعظم مجافاة للمنطق النظرُ إلى تأويل الآية الكريمة ﴿بَيْنَ الصَّدَقَيْنِ﴾ (الكهف:96) في تفسير البيضاوي، نظرةٌ جازمة أنه: بين جبال أرمينيا وأذربيجان. إذ هو- أساساً- ناقل. فضلاً عن أن تعيينه ليس مدلول القرآن، فلا يعدّ من التفسير. لأن ذلك التأويل تشريحٌ مستند إلى علم آخر لقيده واحد من قيود الآية الكريمة. وكذلك ظلمٌ وإجحاف بحق ذلك المفسر الجليل وبرسوخ قدمه في العلم في تفسيره المذكور اتخاذُ أمثال هذه النقاط الضعيفة فيه ذريعةً لبحث الشبهات حوله. فحقائق التفسير الأصلية والشريعة واضحة جلية، وهي تتلأأ كالنجوم. فما الذي يدفع عاجزاً مثلي على الجرأة غير ما في تلك الحقائق من وضوح وقوة.

فادّعي وأقول: إذا دُقّق النظر في كل حقيقة من الحقائق الأساسية في التفسير والفقه، يشاهد أنها نابعة من الحقيقة، موزونة بميزان الحكمة، وتمضى إلى الحق وهي حقٌ. فالشبهات الواردة- مهما كانت -ناشئةٌ من أذهان مهذارٍ ثم اختلطت بتلك الحقائق. فمن

11 (مثال: الإنسان ناطق. فالإنسان هنا موضوع والناطق محمول. فوصف الناطق قد حمل على الإنسان .

12 (وهي دلالة المطابقة والتضمن والالتزام، لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى ما يلزمه في الذهن بالالتزام؛ كالإنسان، فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى قابل العلم بالالتزام). التعريفات.

كانت لديه شبهة حول حقائق التفسير الأصلية، فهذا ميدان التحدي، فليبرز إلى الميدان.

المقدمة السابعة

المبالغة تشوّش الأمور وتبليها.

لأن من سجايا البشر مزج الخيال بالحقيقة بميل إلى الاستزادة في الكلام فيما التذّب، والرغبة في إطلاق الكلام جزافاً فيما يصف، والانجذاب إلى المبالغة فيما يحكى . وبهذه السجية السيئة يكون الإحسان كالإفساد، ومن حيث لا يعلم يتولد النقصان من حيث يزيد، وينجم الفساد من حيث يُصلح، وينشأ الذم من حيث يمدح، ويتولد القبح من حيث يحسن .. وذلك لإخلاله- من حيث لا يشعر -بالحُسن الناشئ من الانسجام والموازنة) في المقاصد).

فكما أن الاستزادة من دواء شاف قلبُ له إلى داء؛ كذلك المبالغون في الترغيب والترهيب، المستغني عنهما الحق؛ كجعل الغيبة كالقتل، أو إظهار التبول وقوفاً بدرجة الزنا، أو التصديق بدرهم مكافئاً لحجة... وأمثالها من الكلمات غير الموزونة التي يُطلقها المبالغون... إنما يستخفون بالزنا والقتل ويهونون شأن الحج.

فبناءً على هذا لا بد أن يكون الواعظ حكيماً، وذا دراية بالمحاکمات العقلية.

نعم، إن الوعاظ الذين لا يملكون موازين، ويطلقون كلامهم جزافاً، قد سببوا حُجَبَ كثير من حقائق الدين النيرة.

فمثلاً: الزيادة التي زيدت في معجزة انشقاق القمر الباهرة بالمبالغة في الكلام، وهي أن القمر قد نزل من السماء ودخل تحت إبط الرسول ﷺ ثم رجع إلى السماء... هذه الزيادة، جعلت تلك المعجزة الباهرة كالشمس، مخفية كنجم السهي، وجعلت ذلك البرهان للنبوة الذي هو كالقمر مخسوفاً، وفتحت أبواب حجج تافهة للمنكرين.

حاصل الكلام: يجب على كل محبٍ للدين وعاشقٍ للحقيقة: الاطمئنان بقيمة كل شيء وعدم إطلاق الكلام جزافاً وعدم التجاوز؛ إذ المبالغة افتراء على القدرة الإلهية، وهي فقدان الثقة بالكمال والحسن في العالم واستخفاف بهما والذين ألجأ الإمام الغزالي إلى

القول " ليس في الإمكان أبدع مما كان(13). "

أيها السيد المخاطب ! قد يؤدي التمثيلُ أيضاً ما يؤديه البرهانُ من عمل؛

فكما أن لكل من الألماس والذهب والفضة والرصاص والحديد قيمتها الخاصة، وخاصيتها الخاصة بها، وهذه الخواص تختلف، والقيم تتفاوت... كذلك مقاصد الدين تتفاوت من حيث القيمة والأدلة. فإن كان موضع أحدها الخيال، فموضع الآخر الوجدان والآخر في سر الأسرار. إن من يعطي جوهرة أو ليرة ذهبية في موضع فلس أو عشر بارات، يُحَجَّر عليه لسفهه، ويُمنع من التصرف في أمواله. وإذا انعكست القضية فلا يُسمع إلا كلمات الاستهزاء والاستخفاف؛ إذ بدلاً من أن يكون تاجراً صار محتالاً يُسَخَّر منه. كذلك الأمر في من لا يميز الحقائق الدينية ولا يعطي لكل منها ما يستحقه من حق واعتبار، ولا يعرف سكة الشريعة وعلامتها في كل حكم. كلُّ حُكْمٍ شبيهٌ بجزء من ترس يدور على محوره لمعمل عظيم. فالذين لا يميزون يعرقلون تلك الحركة، مثلهم في هذا كمثل جاهل شاهد ترساً صغيراً لطيفاً في ماكنة جسيمة، وحاول الإصلاح وتغيير ذلك الوضع المتناسق. ولكن لعدم رؤيته الانسجام الحاصل بين حركة الترس الصغير والماكنة الكبيرة وجهله بعلم المكاثن، فضلاً عن غرور النفس الذي يغريه ويخدعه بنظره السطحي؛ تراه يخلُ بنظام المعمل من حيث لا يشعر ويكون وبالاً على نفسه.

زبدة الكلام: إن الشارع سبحانه وتعالى قد وضع سكته وختمه المعتمد على كل حكم من أحكام الشرع. ولا بد من قراءة تلك السكة والختم. فذلك الحكم مستغن عن كل شيء سوى قيمته وسكته. فهو في غنى عن تزيين وتصرف الذين يلهثون وراء المبالغين والمغالين والمنمقين للفظ. وليعلم هؤلاء الذين يطلقون الكلام جزافاً، كم يكونون ممقوتين في نظر الحقيقة في نصحهم الآخرين. فمثلاً: لم يكتف أحدهم بالزجر الشرعي لتنفير الناس عن المسكرات فقال كلاماً أمام جمع غفير من الناس أخرجل من كتابته، وقد شطبتة بعد كتابته.

¹³ (انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين 4/258؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء 19/337؛ الشعراني، الطبقات الكبرى 2/105؛ المناوي، فيض القدير 2/224، 4/495.

فيا هذا !إنك بكلامك هذا تعادي الشريعة !وحتى إن كنتَ صديقاً فلا تكون إلا صديقاً
أحمق، وأضرّ على الدين من عدوه.

خاتمة:

أيها الظالمون الذين يحاولون جرحَ الإسلام ونقده من بعيد، من الخارج !زنوا الأمور
بالمحاكمة العقلية. ولا تتخدعوا ولا تكتفوا بالنظر السطحي؛ فهؤلاء الذين أصبحوا سبباً
لأعدائكم الواهية- في نقد الإسلام -يسمّون بلسان الشريعة" علماء السوء ".فانظروا إلى
ما وراء الحجاب الذي وّده عدم موازنتهم الأمور، وتعلّفهم الشديد بالظاهر، سترون أن
كل حقيقة من حقائق الإسلام برهان نير كالنجم الساطع، يتلأأ عليه نقشُ الأزل والأبد.

نعم، إن الذي نزل من الكلام الأزلّي يمضي إلى الأبد والخلود. ولكن- يا للأسف -يلقي
أحدُهم ذنوبه على الآخرين ليبرئ نفسه، وما ذلك إلا من حبه لها وانحيازها إليها ومن
عجزه وأنانيته وغروره. وهكذا يُسند كلامه الذي يحتمل الخطأ أو فعله القابل للخطأ إلى
شخص معروف، أو إلى كتاب موثوق، بل حتى أحياناً إلى الدين، وغالباً إلى الحديث
الشريف، وفي نهاية المطاف إلى القدر الإلهي، وما يريد بهذا إلا تبرئة نفسه .

حاش لله ثم حاش لله !فلا يردُ الظلامُ من النور. وحتى لو ستر النجوم المشاهدة في
مرآته لا يستطيع ستر نجوم السماء، بل هو العاجز عن الرؤية والإبصار.

أيها السيد المعترض !إنه ظلم فاضح جعلُ الشبهات الناشئة من سوء فهم الإسلام،
والأحوال المضطربة الناشئة من مخالفة الشريعة، ذريعةً لتلويث الإسلام...وما هذا إلا
كالعدو الذي يتذرع لأي سبب كان للانتقام والثأر، أو مثل الطفل الذي يروم البكاء لأتفه
سبب. إذ إن كل صفة من صفات المسلم لا يلزم أن تكون ناشئة من الإسلام.

المقدمة الثامنة

تمهيد:

لا تَمَلَّ من هذه المقدمة الطويلة الآتية، لأن ختامها في منتهى الأهمية، فضلاً عن أنها تزِيل

اليأس- المٌبِيد لكل كمال -وتبعث الحياة في الأمل- الذي هو جوهر كل سعادة وخميرتها -وتبشّر بأن المستقبل سيكون لنا والماضي لغيرنا ..رضينا بالقسمة، وها هو ذا موضوعها:
عقد موازنة بين أبناء الماضي والمستقبل، فالمدارس العليا لا تُقرأ فيها الألقاب، ومهما عظمت ماهية العلم فإن صورةً تدريسها غيرُ ماهيتها⁽¹⁴⁾.
نعم، إن الماضي مدرسةُ الأحاسيس والمشاعر المادية، بينما المستقبلُ هو مدرسة الأفكار... فهما ليسا على طراز واحد.

وأقصد من أبناء الماضي أولاً: القرون الأولى والوسطى لما قبل القرن العاشر لغير المسلمين. أما الأمة الإسلامية فهي خير أمة في القرون الثلاث الأولى، وأمةٌ فاضلة عامةٌ إلى القرن الخامس، وما بعده حتى القرن الثاني عشر أعبر عنه بالماضي. أما المستقبل فأعدّه ما بعد القرن الثاني عشر.

وبعد هذا فمن المعلوم أن الغالب على تدبير شؤون الإنسان، إما العقل أو البصر، وبتعبير آخر: إما الأفكار أو الأحاسيس المادية. أو إما الحق أو القوة. أو إما الحكمة أو الحكومة. أو إما الميول القلبية أو التمايلات العقلية. أو إما الهوى أو الهدى.

وعلى هذا نشاهد أن أخلاق أبناء الماضي الحاملة شيئاً من الصفاء، وأحاسيسهم الخالصة إلى درجة، قد استخدمت أفكارهم غير المنورة وسيطرت عليها، فبرزت الشخصيات وسادت الاختلافات...بينما أفكارُ أبناء المستقبل المنورَةُ- إلى حد -قد تغلبت على أحاسيسهم المظلمة بالهوى والشهوة وسخّرتها لأمرها، فتحققت أن السيادة تكون للحقوق العامة، فتجلّت الإنسانية إلى حد ما. وهذا يبشّر بأن الإسلام الذي هو الإنسانية الكبرى سيسطع كالشمس في رابعة النهار في سماء المستقبل وعلى جنان آسيا.

ولما كانت الأحاسيسُ المادية والميول والرغبات والقوة التي أنشأت الأغراضَ النفسانية والخصوماتِ وميلَ التفوق على الآخرين مسيطرةً على أودية الماضي كان الإقناع الخطابي كافيّاً لإرشاد أهل ذلك الزمان، لأن تصوير المدعى وتزيينه وتهويله

¹⁴ (لعل المقصود أن طريقة تقديم العلم تختلف باختلاف الأزمان، فما يتعلمه المبتدئون غير ما يتعلمه الواصلون إلى المراحل العليا، وما عرفه أبناء الماضي غير ما ينبغي أن يعرفه أبناء الحاضر والمستقبل .

وتأنيسه إلى الخيال يداعب الأحاسيس ويؤثر في الميول والرغبات، فكان هذا يسد مسدّ البرهان. بيد أن قياس أنفسنا عليهم يعني التحرك إلى الخلف وإقحاماً لنا في زوايا ذلك الزمان؛ إذ لكل زمان حكمه... نحن نطلب الدليل، ولا ننخدع بتصوير المدعى وتزيينه .

ولما كان مصدرُ تبحّر حقائق الحكمة في صحراء الوقت الحاضر والباعث بالسحاب الممطر إلى جبال المستقبل، هو الأفكار والعقل والحق والحكمة والتي وأدت حديثاً ميلَ التحري عن الحقيقة، وعشوق الحق، وترجيح المنفعة العامة على الخاصة، وظهور رغبات إنسانية؛ لذا لا يثبت المدعى بغير البراهين القاطعة... فنحن أبناء الحال الحاضرة والمرشّحين للمستقبل لا يشبع أذهاننا تصوير المدعى وتزيينه بل نطلب البرهان .

فلنذكر قليلاً من حسنات وسيئات الماضي والمستقبل اللذين هما في حكم سلطانين.

ففي ديار الماضي كان السائد في الأغلب هو: القوة، والهوى، والطباع، والميول، والأحاسيس... لذا فإن إحدى سيئاته أنه كان هناك في كل أمر من أموره- ولو بصورة عامة- تحكّم واستبداد وظهورُ محبة شخص على حساب خصومة آخر.. وغلبة خصومة مسلك الآخرين على محبة مسلكه.. ومداخلة الالتزام والتعصب.. والانحياز المانع عن كشف الحقيقة.

حاصل الكلام: لما كانت الميول متفاوتةً فإن تدخل الشعور بالانحياز في كل شيء،

ونشوء التبليل بالاختلافات جعل الحقيقة تهرب وتخفي.

ثم إن من سيئات استبداد الأحاسيس، تأسس المسالك والمذاهب غالباً على التعصب وتضليل الآخرين، أو على السفسطة.. بينما هذه الثلاثة مضمومة في نظر الشرع، منافيةٌ للأخوة الإسلامية، مفرقةٌ للانتساب الجنسي (الإنساني)، مخالفةٌ للتعاون الفطري لدرجة أن أحد هؤلاء يضطر في النهاية إلى تبديل مذهبه ومسلكه دفعةً، مصداقاً لإجماع الناس وتواترهم تاركاً التعصب والسفسطة. بينما إذا ما عمل ابتداءً بالحق بدلاً من التعصب، وبالبرهان بدلاً من السفسطة، وبالتوفيق والتطبيق بدلاً من تضليل الآخرين، وطبق الشورى، فلا يمكن أن يبدل مذهبه ومسلكه الحق ولو بجزء منهما حتى لو اتفقت الدنيا عليه.

ولما كان المهيمُنُ هو الحق والبرهان والعقل والشورى في خير القرون وعصور السلف الصالح، لم يكُ للشكوك والشبهات موضع. كذلك نرى أنه بفضل انتشار العلوم في الوقت الحاضر وهيمنتها بصورة عامة- وفي المستقبل هيمنةً تامة إن شاء الله -سيكون المهيمُنُ هو الحق بدلاً من القوة، والبرهانُ بدلاً من التعصب والفسفسطة، والحميةُ بدلاً من الأحاسيس المادية، والعقلُ بدلاً من الطبع، والهدى بدلاً من الهوى، كما كان الحال في القرون الأولى والثانية والثالثة وحتى إلى القرن الخامس عامة. أما بعد القرن الخامس إلى الآن فقد غلبت القوةُ الحقَّ.

ومن محاسن سلطان الأفكار أنْ تخلّصت شمسُ الإسلام مما كان يحجبها من غيوم الأوهام والخيالات، بل أخذت كلُّ حقيقة منها بنشر نورها، حتى المتعنفون في مستتقع الإلحاد أخذوا يستفيدون من ذلك النور .

ومن محاسن مشاورة الأفكار تأسُّسُ المعتقدات والمسالك على البراهين القاطعة، وربطُ الحقائق بالحق الثابت الممد للكمالات كلها، مما يؤدي إلى عدم تمويه الأفكار وخذاعها بالباس الباطل لباس الحق!

أيها الإخوة المسلمون!

إن الوضع الحاضر يبشرنا بلسان الحال أن مضمون: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (الإسراء 81: قد أشرأب بعنقه ويشير بيده إلى المستقبل منادياً بأعلى صوته:

إن الحاكم على الدهر وعلى طبائع البشر إلى يوم القيامة هو " حقيقة الإسلام " التي هي تجلّي العدالة الأزلية في عالم الكون، والتي هي الإنسانية الكبرى. وما محاسن المدنية التي هي الإنسانية الصغرى إلاّ مقدمتها! ألا يشاهد أنه قد خفف تلاحقُ الأفكار وتنوّرها عن كاهل حقائق الإسلام طبقاتِ تراب الأوهام والخيالات. وهذا يبين أن ستتكشف تماماً تلك الحقائق التي هي نجومُ سماء الهداية وستتلاأ وتسطع على رغم أنوف الأعداء.

وإذا سئت فاذهب إلى المستقبل وادخل فيه وشاهد كيف يهذر وينهزم في ميدان الحقائق -التي تحكمها وترعاها الحكمة -من يتحرى التوحيد في التثليث فيما لو بارز المتمسكين بالعقيدة الحقّة، المتقلدين سيف البرهان، تلك العقيدة التي يرضاها التوحيد الخالص،

والاعتقاد الكامل، والعقل السليم.

أقسم بالقرآن العظيم ذي الأسلوب الحكيم، أنه ما ألقى النصارى وأمثالهم في وديان الضلالة نافخاً فيهم الهوى إلاّ عزّل العقل وطرّد البرهان وتقليد الرهبان..

وما جعل الإسلام يتجلى دوماً، وتتكشف حقائقه وتنبسط بنسبة انبساط أفكار البشر إلاّ تأسسه على الحقيقة وتقلّده البرهان ومشاورته العقل واعتلاؤه عرش الحقيقة ومطابقتها دساتير الحكمة المتسلسلة من الأزلى إلى الأبد ومحاكاته لها.

ألاّ يشاهد كيف يحيل القرآن الكريم في فواتح أكثر الآيات وخواتمها البشر إلى مراجعة الوجدان واستشارة العقل بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ و﴿فَانظُرُوا﴾ و﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ و﴿تَذَكَّرُونَ﴾ و﴿تَنْفَكَّرُوا﴾ و﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ و﴿يَعْمَلُونَ﴾ و﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ و﴿يَعْلَمُونَ﴾ و﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

وأنا أقول أيضاً: فاعتبروا يا أولى الأبواب.

خاتمة:

فيا أولى الأبواب! انفذوا من الظاهر إلى الحقيقة فهي تنتظركم، وإذا ما شاهدتموها فلا تؤذوها. هكذا ينبغي، وهذا هو الألزم.

المقدمة التاسعة

لقد تحققت لدى العقول السليمة:

أن الخير هو الأصل في العالم، أما الشرّ فهو تبعي، فالخير كلّى والشر جزئي. إذ يشاهد أنه قد تكوّن - وما زال يتكون - علم خاص لكل نوع من أنواع العالم؛ والعلم عبارة عن قواعد كلية. فإذا كانت الكلية قاعدة، فهي إذن كثافة عن حسن الانتظام في ذلك النوع. أي إن كل علم من العلوم شاهد صادق على حسن الانتظام.

نعم، الكلية دليل على الانتظام، لأن مالا انتظام فيه لا كلية لحكمه، بل يكون هزيباً

لكثرة استثناءاته. والذي يزكّي هذا الشهود الاستقراء التام⁽¹⁵⁾ بنظر الحكمة. إلا أنه أحياناً لا يُرى الانتظام، لسعة دائرته عن أفق النظر، فلا يمكن الإحاطة به ولا تصوّره، وعندئذٍ يصعب أن يبين النظام نفسه .

وبناءً على ما سبق: فقد ثبت بشهادة العلوم جميعها، وبتصديق الاستقراء التام الناشئ من نظر الحكمة: أن الحسنَ والخير والحق والكمال، هو المقصودُ بالذات والغالبُ المطلق في خلق العالم. أما الشرّ والقبح والباطل، فهي أمور تبعية ومغلوّبة ومغمورة، وحتى لو كانت لها الصولةُ فهي صولةٌ مؤقتة.

وقد ثبت أيضاً: أن أكرم الخلق بنو آدم؛ تشهد له استعداداته ومهاراته ... وأن أشرف بني آدم هم المسلمون الصادقون، وهم أهلُ الحق والحقيقة، تشهد لهم حقائق الإسلام، كما ستصّدقهم وقائع المستقبل.

وثبت أيضاً: أن أكمل الكلّ هو محمد، تشهد له معجزاته وأخلاقه السامية، كما يصدّقه علماء البشر المحققون، بل يسلمّ له أعداؤه، وعليهم أن يسلموا. فإذا هذه الثلاثة هكذا، أيقندر نوع البشر بشقاوته على جرح شهادة تلك العلوم، ونقض الاستقراء التام، والتمرد على مشيئة ربه؟.. كلا.. لا يقندر ولن يقندر.

أقسم باسم الرحمن الرحيم العادل الحكيم، أن البشرية لن تستطيع أن تهضم بسهولة وسلاماً، الشرّ والقبح والباطل، ولن تسمح لها الحكمةُ الإلهية. لأن من يتعدى على حقوق الكائنات العامة لا يُعفى عنه، ولا يُسمح بعدم إنزال العقاب عليه.

نعم، إن تغلب الشر طوال ألوف السنين، لا يؤدي إلا إلى مغلوّبية مطلقة لألف سنة في الأقل، محصورة في الدنيا... أما في الآخرة فسيحكم الخيرُ على الشرّ بالإعدام الأبدي! وإلا- لو لم يكن الأمر هكذا- فإن سائر الأنواع والأجناس المنظمة المكتملة المنقادة للأوامر الإلهية المنتظمة، لا يقبلون بين ظهرانيهم هذا الإنسان الشقي الكنود، بل يسقطون حقّ وجوده بينهم، وينفونه إلى ماوى العدم والظلمات، ويطردونه من وظيفة الخلق الفطرية .

15 (الاستقراء التام: الحكم على الكلي بما يوجد في جزئياته جميعها أو في بعض أجزائه .
(التعريفات).

لأن غلبة الشر على الخير تستلزم عبثية القابليات والميول المودعة في استعدادات البشر ليسود العالم وينال السعادة الأبدية في الآخرة، والحال أن العبث مناقض للاستقرار التام، كما أنه منافٍ لحكمة الصانع الحكيم، ومخالفٌ لحكم النبي الصادق الأمين. p. وسيصفي المستقبلُ قسماً من هذه الدعاوى، أما تصفيئُها النهائية فستشاهد في الآخرة، ذلك لأن المستقبل هو ميدان تغلب الحسن والحق النوعي والعمومي، بغض النظر عن الأشخاص. فإن متناً، فأمتنا باقية.. لا نرضى بالظهور والنصر لأربعين سنة بل نريد ألفاً من السنين في الأقل.

أما ميدانُ تغلب الحسن والحق والخير والكمال الشخصي والعام، والجزئي والكلي، ومحكمته الكبرى التي تجازى فيها البشر - كسائر إخوانه من الكائنات المنقادة - ويكافأ بما يوافق وينسجم مع استعداداته، فهو الدار الآخرة؛ إذ يتجلى فيها الحق والعدالة المحضة. نعم، إن هذه الدنيا الضيقة لا تسع ولا تلائم نموّ وتزاهر ما أودع في جوهر البشر من استعدادات غير محدودة وميول ورغبات مخلوقة للأبد. لذا يُبعث إلى عالم آخر كي تُربى وتكمل تلك الميول والاستعدادات.

إن جوهر الإنسان جليل، وماهيته رفيعة، وجنابته كذلك عظيمة، وطاعته وانقياده مهمة. فهو لا يشبه سائر الكائنات، لذا لا يمكن أن لا ينتظم مع الكائنات ولا ينقاد للأوامر. نعم، إن المرشح للأبد عظيم، لن يُترك سدى، ولا يكون عبثاً، ولا يُحكم عليه بالفناء المطلق، ولا يهرب إلى العدم الصرف.. بل جهنمٌ فاغرةٌ فاها، والجنة قد فتحت ذراعها اللطيفتين لاحتضانه.

خاتمة:

إن مستقبل الإسلام وآسيا باهرٌ وفي غاية السطوع واللمعان، كما يتراءى من بعيد. لأن هناك أربعاً أو خمساً من القوى، تتفق - بما لا يمكن مقاومتها - على سيادة الإسلام المهيمين أولاً وآخرأ على آسيا:

القوة الأولى: قوة الإسلام الحقيقية المدعمة بالمعرفة والمدنية.

القوة الثانية: الحاجة المجهّزة بتوافر الوسائل وتكمل المبادئ والأسباب .

القوة الثالثة: المنافسة والغبطة والغیظ المضمر، هي أمور تهیئ الصحوة العامة

النائسة من رؤية آسيا في منتهى السفالة وغيرها في منتهى الرفاه.

القوة الرابعة: استعداد الفطرة المجہز بتوحيد الكلمة، الذي هو دستور الموحدین ..

وبدماثة الخلق والاعتدال، الذي هو خاصة الوضع الحاضر .. وبتنوير الأذهان، الذي هو

ضیاء الزمان .. وبتلاحق الأفكار، الذي هو قانون المدنية .. وبسلامة الفطرة، التي هي

لازمة البداوة .. وبالخفة والإقدام، وهما ثمرة الضرورة.

القوة الخامسة: الرغبة في التحضر والتمدن والنزوع إلى التجدد والتقدم المادي- الذي

يتوقف عليه إعلاء كلمة الله في هذا الوقت -التي يأمر بها الإسلام، ويدفع إليها الزمان،

ويلجئ إليها الفقر الشديد، والأملُ الباعث للحياة بموت اليأس القاتل لكل رغبة.

والذي يدعم هذه القوى ويُدّمها: تغلب مساوي المدنية على محاسنها، تلك المساوي

التي بثت الفوضى في الأجانب وأرهقت الحضارات وشيبتها .. ثم عدم كفاية السعي

للسفاهة) أي عدم سدّه لمتطلباته(، ولهذا سببان:

الأول: فسح المجال للسفاهة وتلبية شهوات النفس، بعدم جعل الدين والفضيلة دستوراً

للمدينة .

الثاني: التباين الاجتماعي الرهيب في الحياة المعاشية، الناشئ من فقدان التراحم الناجم

من حب الشهوات ومجافة الدين.

نعم، إن هذا الإلحاد ومجافة الدين قد سبب فوضى في المدنية الأوروبية، وقَلَبها رأساً

على عقب، بحيث وأد كثيراً من المنظمات الفوضوية وهيئات الإفساد والإضلال .فلو لم

يُلجأ إلى حقيقة الشريعة الغراء، ولم يتحصن بذلك الحبل المتين ولم يوضع سدٌّ تجاه هذه

المنظمات الفوضوية كسد ذي القرنين، فسُدّمر تلك المنظمات عالمٌ مدنيّتهم وتقضي

عليها، كما يهددونها حالياً.

تُرى لو صارت الزكاة التي هي مسألة واحدة من ألف من مسائل حقيقة الإسلام،

دستور المدنية وأساس التعاون فيها، ألا تكون دواءً ناجعاً وترياقاً شافياً للتباين الفظيع في

الحياة المعاشية، الذي هو جُحر الحيات والسّم الزعاف والبلاء المدمر؟

بلى! سيكون الدواء الناجع الساري المفعول أبداً.

وإذا قيل: لِمَ لا يكون السبب الذي أدّى إلى تغلب أوروبا إلى الآن سبباً لاستمراره؟

فالجواب: طالِغُ مقدمة هذا الكتاب، ثم أدم النظر في هذا :

كان سبب رقيّها هو: التآني في أخذ كل شيء أو تركه.. والصلابة في الأمر، التي هي من شأن برودة بلادهم.. ونمو الفكر والمعرفة والتوجه إلى الصناعة لكثرة السكان وضيق المكان والمسكن.. والتعاون والتتبع الحاصلان من وجود الوسائط المساعدة كالبحر والمعادن وأمثالها..

أما الآن فقد تطورت وسائل النقل إلى درجة كبيرة بحيث أصبح العالم كالمدينة الواحدة، وغدا أهله في مداولتهم الأمور كأنهم في مجلس واحد، بحكم التقدم في وسائل المخابرات والمطبوعات .

نحصل من هذا: أننا سنلحق بهم، بل نسبقهم، إنْ حالفنا التوفيق الإلهي، لأن حملهم ثقيل وحملنا خفيف .

خاتمة الخاتمة: إن ما يفتح حظ آسيا وسعد الإسلام هو الشورى والحرية، المشروطتان بتربية الشريعة الغراء⁽¹⁶⁾.

تنبيه: إن الأمور التي تسمى بمحاسن المدنية ما هي إلا مسائل شرعية حُوِّلَتْ إلى شكل آخر.

المقدمة العاشرة

لا يؤخذ المتكلمُ فيما يتكلم من كلام، بكل ما يرد إلى ذهن السامع؛ لأن المفاهيم والمعاني- سوى ما سيق له الكلام- هي في عُهدة المتكلم بالإرادة، فإن لم يُرِدْها لا يعاتب،

16 (يا إخوة النور! إن حزب القرآن الذين خاطبهم الأستاذ الحبيب في ذلك الوقت هم الآن طلاب النور. فانتبهوا! إن ما في هذه الصفحات يخاطبنا نحن بالذات، فاجعلوا وسائل العلم والمدنية في خدمة الإسلام، وأعلنوا حضارة الإسلام للعالم أجمع). مصطفى صغور)

إلا أنه ضامن حتماً بالعرض والقصد .

وقد تقرر في علم البيان: أن الصدق والكذب يعقبان قصد المتكلم ورضه، فالتبعية والمواخذة في المقصود وفيما سبق له الكلام على المتكلم. أما الذنب والخلل في مستتبعات الكلام- أي في تلويحاته وتلميحاته -وفي وسائله وأسلوب عرضه- أي في صور المعاني وطرز الإفادة والمعاني الأولى -فليس على المتكلم، بل على العرف والعادة والقبول العام؛ إذ يُحترَم العرف والقبول العام لأجل التفهيم. ثم إذا كان الكلام حكايةً، فالخلل والخطأ يعودان إلى المحكي عنه .

نعم، لا يؤاخذ المتكلم في الصور والمستتبعات؛ إذ تناولهما ليس لِحِني الثمرات وإنما للتسلق منهما إلى أغصان مقاصد أعلى. فإن شئت فتأمل في الكنايات؛ فمثلاً: عندما يقال: طويلُ النجاد كثيرُ الرماد، فالكلام صادق إن كان الشخص طويل القامة سخي الطبع ولو لم يكن له سيف ولا رماد.

وإن شئت فأدم النظر في المثال والأمثال الافتراضية ترى أن تلك الأمثال لها- بالشهرة في مداولة الأفكار والعقول -قيمةٌ وقوة، حتى إنها تستعد للقيام بمهمة السفارة بينها. بل إن أصدق مؤلف وأعلم حكيم كصاحب المثنوي جلال الدين الرومي (*) وسعدي الشيرازي (*) يَستَخدمان ذلك المثل الافتراضي، ولم يريا مشاحةً وبأساً في استعماله.

فإذا تنوّر لك هذا السر، فاقنّبس منه واذهب إلى زوايا القصص والحكايات، وقس فإن ما يجري في الجزء قد يجري في الكل أيضاً.

تنبيه: سترد قاعدة في "المقالة الثالثة" حول المشكلات القرآنية ومتشابهاته، ولكن

لاقتضاء المقام نذكر هنا نبذة منها:

إن المقصود الأهم من الكتاب الحكيم هو إرشاد الجمهور الذين يمثلون أكثرية الناس، لأن خواص الناس يمكنهم أن يستفيدوا من مسلك العوام، بينما العوام لا يستطيعون فهم ما يخاطب به الخواص حقّ الفهم، علماً أن معظم الجمهور هم عوام الناس، والعوام لا يقتدرون على مشاهدة الحقائق المحضة وإدراك المجردات الصرفة متجردين عن مألوفاتهم ومخيلاتهم. فالذي يضمن رؤيتهم ويحقق إدراكهم، إلباس المجردات وإكساءها زي مألوفاتهم، تأنيساً لأذهانهم، كي يروا المجردات ويعرفوها بمشاهدتها خلف صور خيالية.

ولما كان الأمر هكذا، تلبس الحقيقة المحضة بألوفاتهم. ولكن يجب ألا يقصر النظر في الصورة ولا ينحصر فيها. وبناءً على هذا :

فإن ما في أساليب اللغة العربية من مراعاة الأفهام ومماثاة الأذهان، قد جرت في القرآن الحكيم المعجز البيان، والتي تُعبّر عنها بـ"التنزيلات الإلهية إلى عقول البشر".
فمثلاً: قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الأعراف (7) و﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح (10):
و﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ الفجر (22) وأمثالها من الآيات الكريمة .

وأيضاً ﴿وَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِئَةٍ﴾ الكهف (86) و﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ يس (38) ونظائرهما من الآيات... كلها روافد لهذا الأسلوب.. (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ).
خاتمة:

إن إغلاق الكلام المعقّد وإشكاله ينشأ إما من ركة اللفظ وضعف الأسلوب، فهذا لا يدنو من القرآن المبين.. أو من دقة المعنى، وعمقه، وجودته، وعدم مألوفيته، وندرته، حتى لكان المعنى يتدلل على الفهم ويُبهم تجاهه، ليثير الشوق، طالباً للاهتمام والمكانة... فمشكلات القرآن من هذا القبيل.
تنبية: إن لكل آية ظهراً وبطناً، ولكل منها حدّ ومطلّع، ولكل منهما شجون وغصون .

كما ورد حديث شريف بهذا المعنى (17) والشاهد الصادق عليه: العلوم الإسلامية.
فلكلّ مرتبة من هذه المراتب درجاتها وقيمتها ومقامها، لا تنزاحم هذه المراتب، وإنما تشتبك فينشأ الاشتباه، ولا بد من التمييز، إذ كما لو مُرّجت دائرة الأسباب بدائرة الاعتقاد تتولد البطالة والكسل تحت اسم التوكل، أو ينتج مذهب الاعتزال باسم مراعاة الأسباب،

17 " () أنزل القرآن على سبعة أحرف " رواه أحمد والترمذي عن أبي رضي الله عنه وأحمد عن حذيفة، وهو عند الطبراني من حديث ابن مسعود بزيادة.. وفي رواية أخرى عنده : لكل حرف منها ظهر وبطن ولكل حرف حدّ ولكل حدّ مطلع). باختصار عن كشف الخفاء للعجلوني. (1/209) ولكل حدّ مطلع، أي: لكل حدّ مصعد يصعد إليه من معرفة علمه. وفي المثل " الحديث ذو شجون " أي فنون وأغراض، وقيل: أي يدخل بعضه في بعض، أي: ذو شعب وامتسك بعضه ببعض.. وأصل الشجنة بالكسر والضم شعبة من غصن من غصون الشجرة). لسان العرب باختصار).

فإن المراتب والدوائر هذه إن لم تُفَرَز تنتج مثل هذه النتائج.

المقدمة الحادية عشرة

قد يتضمن الكلام الواحد أحكاماً عدة، فربما يحوي الصدَف الواحد كثيراً من الدرر .
والمقرَّر لدى أرباب العقول :أن القضية الواحدة تتضمن قضايا عدة؛ كل يثمر ثمرأً
مبايناً للآخر، كما نبع ونشأ من أصل مختلف ..فالعاجز عن التمييز يُجانب الحق ويعترب
عنه.

مثال ذلك :ورد في الحديث الشريف " :بعثتُ أنا والساعة كهاتين (18). "أي لا نبيَّ بعدي
إلى قيام الساعة ..فأياً كان المقصود من الحديث فهو حق.

فهذا الحديث الشريف يتضمن ثلاث قضايا:

أولها :أن هذا الكلام هو كلام النبي..p

هذه القضية هي نتيجة التواتر إن كان) أي إن كان الحديث متواتراً.)

ثانيتها :أن المعنى المراد من هذا الكلام حقٌ وصدق..

هذه القضية هي نتيجة للبرهان المستند إلى معجزاته p فلا يصدر عنه غير الصدق .
فينبغي الاتفاق في هاتين القضيتين، لأن مَنْ ينكر الأولى فهو كاذب مكابر، أما الذي ينكر
الثانية فهو ضال قد هوى في الظلمات.

القضية الثالثة :أن المراد من هذا الكلام هو هذا) أي الذي أسوقه ..(فها هو الدرّ
الموجود في هذا الصدَف.

هذه القضية هي نتيجة الاجتهاد، لا التشهي؛ إذ من المعلوم أن المجتهد ليس مكأفاً بتقليد
غيره من المجتهدين.

هذه القضية الثالثة هي منبع الاختلافات .وأصدق شاهد على ذلك هو ما نراه من

18 (البخاري، تفسير سورة النازعات 1 ، الطلاق 25 ، الرقاق 39 ؛ مسلم، الفتن 132 ؛
الترمذي، الفتن 39.

الأقوال المتضاربة) في مسألة واحدة.)

فالذي ينكر هذه القضية لا يكون مكابراً ولا ضالماً، ولا ينساق إلى الكفر، إن كان إنكاره نابعاً من الاجتهاد؛ إذ العام لا ينتفي بانتفاء الخاص، وكم من قطعي المتن ظني الدلالة.. فلا بد من الدخول إلى البيوت من أبوابها، فإن لكل باباً، ولكل قفل مفتاحاً .

خاتمة:

هذه القضايا الثلاث تجري في الآية جرياًتها في الحديث الشريف، حيث إنها قضايا عامة.. إلا أن الأولى منها فيها فرق دقيق.

وهكذا يتضمن الكلام أحكاماً كثيرة، إلا أنها أحكام خاصة، كل منها يختلف عن الآخر في الأصل مثلما يثمر ثمرة مباينة للآخر.

تنبيه: قد يجد من يريد أن يغالط في مثل هذه المقامات ذرائع تافهة وحججاً واهية

ناجمة من حب النفس:

كالتزام الطرف المخالف..

والتعصب الذميم ..

وحب الظهور ..

والشعور بالانحياز إلى جهة ..

وتسويغ الأوهام والخيالات بإسنادها إلى أصل ..

ورؤية الأمور الواهية قوية، لموافقتها رغباته الشخصية .

وإظهار كماله بتتقيص الآخرين والتهوين من شأنهم ..

وإبراز كونه صادقاً بتكذيب الآخرين ..

وبيان استقامته بإضلالهم ..

وغيرها من الأمور السافلة المنحطة!

وإلى الله المشتكى.

المقدمة الثانية عشرة

مَنْ لم يجد اللب ينهمك في القشر ..⁽¹⁹⁾ ومن لم يعرف الحقيقة يزلّ إلى الخيالات، ومن لم يرَ الصراط المستقيم يقع في الإفراط والتفريط، ومن لا يملك ميزاناً ولا موازنة له يخدع وينخدع كثيراً.

إن سبباً خادعاً للظاهريين هو: التباس علاقة القصة بالعبارة المرادة منها، واقتران المقدمة بالمقصود في الذهن، والاقتران الحاصل في الوجود الخارجي.
لاحظ هذه النقطة فإنك تحتاج إليها فيما بعد .

ثم إن أحد الأسباب المؤدّة للفوضى والموقعة في الاختلافات والموجدة للخرافات والمنتجة للمبالغات- بل أهم سبب لها - هو عدم القناعة والاطمئنان بما خُلق في العالم من حسن وعظمة وسمو . والذي يعني الاستخفاف بالنظام بذوق فاسد . حاشئ لله .

إن حسن الانتظام والعظمة والعلو المودعة في حقائق العالم، التي كلُّ منها أبهرُ معجزة من معجزات القدرة الإلهية في نظر العقل والحكمة، قد أبدعتها يدُ الحكمة الإلهية إبداعاً في غاية الروعة بحيث لو قورن بها ما يمرّ في خيال عشاق الخيال والمبالغين من حسن وكمال خارقين، لبقيت تلك الخيالات الخارقة اعتيادية جداً، ولبدت تلك السننُ الإلهية خارقةً حقاً، في غاية الحسن ومنتهى الكمال والعظمة . إلا أن الألفة- التي هي أخت الجهل المركب وأم النظر السطحي - هي التي عصبت عيون المبالغين .

ولا يفتح تلك العيون المعصوبة إلا أمرُ القرآن الكريم بالتدبّر والتأمل في الآفاق والأنفس المألوفتين .

نعم، إن نجوم القرآن الثاقبة هي التي تفتح الأبصار وترفع ظلام الجهل وظلمات النظرة العابرة . إذ تمزق الآيات البيّنات بيدها البيضاء حجاب الألفة والنظر السطحي وأستار التشبث بالظاهر المحسوس، فتوجّه العقول وترشدها إلى حقائق الآفاق والأنفس .

¹⁹ (كل عمل لا إخلاص فيه فهو قشر لا لب فيه) ..الفتح الرباني للشيخ الكيلاني،

ثم إن مما يولد الرغبة في المبالغة، حاجة الإنسان الفطرية إلى إخراج ميله من طور القوة إلى طور الفعل⁽²⁰⁾. إذ من ميوله: رؤية العجائب المحيرة وإراءتها، والرغبة في التجدد والإيجاد.

بناءً على هذا: لما عجز الإنسان بنظره السطحي أن يتذوق ما في جفان الكائنات وصحونها من غذاء روحي مغطى بغطاء الألفة، سئم من لعق الجفان ولحس الغطاء، ولم يُفده سوى عدم القناعة، والتلهف إلى خوارق العادات والرغبة في الخيالات، مما ولد لديه الرغبة في المبالغة للتجدد أو الترويج.. تلك المبالغة شبيهة بكرة الثلج المتدرجة من أعلى قمة الجبل، كلما تدرجت كثرت... فالكلام المتدرج أيضاً من ذروة الخيال إلى اللسان ومنه إلى لسان ولسان، تُشئت حقيقته الذاتية، إلا أنه يجمع حوله خيالات من كل لسان بميل المبالغة، فيكبر ويكبر حتى لا يسعه القلب بل الصماخ بل حتى الخيال، ثم يجيء النظر بالحق فيجرده من توابعه، ويُرجعه عارياً مجرداً إلى أصله، فيظهر سر ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

حكاية جرت في هذه الأيام تكون مثلاً على هذا:

إن أساس مسلكي منذ أيام صباي- ولا فخر -إزالة الشبهات التي تلوث حقائق الإسلام سواء بالإفراط أم بالتفريط، وصدق تلك الحقائق الأمامية. والشاهد على هذا تاريخ حياتي في كثير من حوادثه .

ففي هذه الأيام ذكرت مسألة بديهية كـ"كروية الأرض"، وطابقت عليها ما يوافقها ويتعلق بها من مسائل دينية، دفعا لاعتراضات الأعداء وإزالة لشبهات المحبين للدين. كما سيأتي مفصلاً في " المسائل " .

ثم ظهر المغرّمون بالظاهر المعتادون على الخيالات المهولة، وكان عقولهم لا تقبل هذه المسألة، إلا أن السبب الأساس غير هذا بلا شك، فتصرفوا تصرفات جنونية، كمن يريد أن يجعل النهار ليلاً بإغماض العين، أو يطفئ الشمس بالنفخ! وفي ظنهم كأن الذي يحكم بكروية الأرض يخالف كثيراً مسائل الدين. فتذرعوا بهذا وافترروا فرية كبيرة، ولم يبق الأمر

²⁰ ()طور القوة أي الكامن المستتر في الشيء. أما طور الفعل فهو الوضع المشاهد الظاهر .

في هذا الحد بل تجاوز إلى تضخيم الفرية حيث وجدوا لها جواً ملائماً في الأذهان المرتابة، بل ضخموها إلى حد كبير كَوَّوا بها كبد أهل الدين. وأتسوا أهل الحمية في رقي الإسلام .

ولكن كان هذا درساً عظيماً لي، إذ أيقظني إلى أن الصديق الجاهل يمكنه أن يضرَّ الدين بمثل ما يضرُّ به العدو، ولهذا فلقد كنتُ منذ بداية الكتاب أتوجَّه إلى حيث يكون العدو، أقطعُ بالسيف الألماسي الذي في اليد بخسَمهم حقَّ الإسلام ..أما الآن فلأجل تربية أمثال هؤلاء الأصدقاء، أضطر إلى أن لا أمس- بذلك السيف -إلاً قليلاً من خيالاتهم المفرطة التي يتلَهف لها العوام.

وعلى الرغم من أن أموراً شخصية كهذه لا تستوجب مثل هذه المباحث، فإن الأمر لم يعد أمراً شخصياً، بل أصبحت مسألة عامة تتعلق بحياة المدارس الدينية.

ألاً فليعلم أولئك الظاهريون أنهم عبثاً يحاولون ..فلقد تركونا حتى الآن في غيابة الجهل بهذَّرتهم وسفستَّتهم هذه التي يغرم بها العوام ويريدون أن يدعونا جاهلين، ليستغلوا جهلنا.

هيهات ! لا ..ولن يكون هذا ..ستُبعث الحياةُ في المدارس الدينية! والسلام.

ثم إنه مما يشوِّش أفكار الظاهريين، ويخلُّ بخيالاتهم، اعتقادُهم أن دلائل صدق الأنبياء عليهم السلام محصورةٌ ضمن خوارق العادات، واعتبارهم أن جميع أحوال رسولنا الكريم p وحركاته- أو معظمها -لا بد أن تكون خارقة. وهذا ما لا يسمح به الواقع، لذا لا يستقيم ولا يصلح لهم ما يتخيلون؛ إذ إن اعتقاداً كهذا غفلةٌ عظيمة عن سر الحكمة الإلهية في الوجود، وعن تسليم الأنبياء عليهم السلام مقاليد الانقياد إلى قوانين الله الجارية في العالم. نعم، إن كلَّ حال من أحواله p وكلَّ حركة من حركاته دليل على صدقه، وتشهد على

تمسكه بالحق، مع أنه يتبع السنن الإلهية وينقاد إليها) سينبِّه إلى هذا في المقالة الثالثة.)

ثم إن إظهار الخوارق ما هو إلا لتصديق النبوة، والتصديق يحصل على أكمل وجهٍ بمعجزاته الظاهرة، فإذا زادت عن الحاجة، فإما أن تكون عبثاً، أو منافية لسر التكليف- الذي هو امتحان في الأمور النظرية دون البديهيات أو ما يقرب منها حيث يتساوى الأدنى مع الأعلى -أو تكون مخالفة للتسليم والانقياد لجريان الحكمة. بينما الأنبياء عليهم السلام مكلفون بالعبودية والتسليم أكثر من أي أحد.

فيا طالب الحق، الناظر إلى كلماتي المشتتة!
 إن الميول المزروعة في ماهيتك ستنمو وتفتح الأزاهير بشمس الحقيقة التي تجري
 وهي ساكنة في المقدمات الاثنتي عشرة المذكورة.
 خاتمة:

مَنْ يدّعي أنه سيّد) من أهل البيت (وهو ليس منهم، ومَنْ ينكر انتسابه إليهم وهو سيد،
 كلاهما مُذنب. فالدخول في السادة والخروج منهم كما أنه حرام، كذلك النقصان والزيادة
 في القرآن الكريم والحديث الشريف ممنوع، بل الزيادة أضرُّ لإفسادها النظام وفتحها أبواباً
 لمرور الأوهام؛ لأن الجهل ربما يكون عذراً للنقصان، بينما الزيادة لا تكون إلاّ بالعلم،
 والعالم لا يُعَدَّر، فكما أن هذا هكذا، فالوصل والفصل في الدين لا يجوز أيضاً، بل إن
 إدخال زيف الحكايات وخبث الإسرائيليات وأباطيل التشبيهات في ألماس العقيدة وجوهر
 الشريعة ودُرر الأحكام إنما هو حطُّ لقيمتها وتغييرٌ لطالبيها من متحرّي الحقيقة، ودفعهم
 للندامة.

خاتمة الخاتمة: إن ترك المستعد لما هو أهلٌ للقيام به، وتشبّثه بما ليس أهلاً له،
 عصيانٌ كبير وخرق فاضح لطاعة الشريعة الكونية) شريعة الخلق(؛ إذ من شأن هذه
 الشريعة انتشارُ استعداد الإنسان ونفوذُ قابليته في الصنعة، واحترامُ مقاييس الصنعة
 ومحبتها، وامتثالُ نواميسها والتمثلُ بها. وخلاصة الكلام: إن شأن هذه الشريعة الفناء في
 الصنعة.

وإذ وظيفة الخلق هذه، فإن الإنسان بمخالفته هذه الشريعة يغيّر الصورة اللائقة
 بالصنعة ويخل بنواميسها، ويشوّه صورة الصنعة غير الطبيعية- التي تشبث بالقيام بها -
 بميله الكامن للصنعة الأخرى لعدم الامتزاج بين الميل والصنعة، فيختلط الحابل بالنابل.
 وبناءً على هذا، فإن كثيراً جداً من الناس يمضي بميل السيادة والأمرية والتفوق على
 الآخرين، فيجعل العلم المشوّق المرشد الناصح اللطيف وسيلةً قسراً وإكراه لاستبداده
 وتفوقه، فبدلاً من أن يخدم العلم يستخدمه. وعلى هذا فقد دخلت الوظائف بيد من ليسوا لها

أهلاً، ولاسيما الوظائف في المدارس الدينية، فألت إلى الاندراست نتبجة هذا الأمر.
والعلاج الوحيد لهذا: تنظيتم المدرسين الذين هم في حكم العاملين في دائرة واحدة، في
دوائر كثيرة كما هو الحال في الجامعة، كلُّ في مجال اختصاصه، ليذهب كلُّ واحدٍ بسوق
إنسانيته، وبتوجهه نحو حقه، ينفذ قاعدة تقسيم الأعمال بميله الفطري امتثالاً للأمر
المعنوي للحكمة الأزلية.

تنبيه: إن السبب المهم الذي أدى إلى تدني علوم المدارس الدينية، وصرّفها عن
مجراها الطبيعي هو أن العلوم الألية⁽²¹⁾ لما أدرجت في عداد العلوم المقصودة، أصاب
الإهمال العلوم العالية، فسيطر على الأذهان حلُّ العبارة العربية التي لباسها) لفظها (في
حكم معناها، وظلَّ العلم الذي هو أصل القصد تبعياً. زد على ذلك، أن الكتب التي أصبحت
في سلسلة التحصيل العلمي رسمية، وعباراتها متداولة إلى حد ما. هذه الكتب حصرت
الأوقات والأفكار في نفسها ولم تُفسح المجال للخروج منها.

* * *

يا أبا الوجدان!

كأنّي بك قد اشتقت إلى رؤية ماهية الكتب الثلاثة التي ستترتب على هذه المقدمات ...
صبراً! سأذكر لك موضوعاً يمثّل مُجمل ما فيه، أو بتعبير آخر يمثّل صورتها
المصغرة أو خريطتها المختصرة. ولكني سأبادر بتقديم تسع مسائل مما في تلك الكتب،
على أمل أن أفضل الموضوع تفصيلاً عقب المقالة الثالثة إن شاء الله ووفّق الربُّ الكريم .
فها هو ذا الموضوع!

سأعرج إلى علوم السماوات بسير روحاني، بالوسائل التي يريها القرآن الكريم وبقوة
الفلسفة الصائبة، لأنظر من هناك ونشاهد :

أن الكرة الأرضية عبارة عن كرة ضخمة تديرها يدُ القدرة للصانع الحكيم، ونرى
بعين الحكمة أنه يقذفها كحجر المقلاع، إلى أن يشتتها، ليبدّلها إلى أفضل منها. ثم تندلى

21 (العلوم الألية: كالنحو والصرف والمنطق وأمثالها من العلوم التي تكون وسيلة لفهم
العلوم العالية التي هي كالتفسير والحديث والفقه وأمثالها من العلوم .

ونتدرج من جو السماء حتى ننزل إلى مهدنا، الأرض التي بسطها وهياها الخالقُ الرحمن لراحتنا.. ثم ننظر بإنعام إلى الإنسان، كيف أنه يرمي بمهده بعد تجاوزه مرحلة الطفولة، فإنه يُرسل إلى قصور السعادة الأبدية كذلك بتخريب الأرض.

وبعد أن نُديم التأمل في هذا، ندخل ميدان الماضي بالسير الروحاني الذي لا يقيدُه زمانٌ ولا مكان ونحاور أبناء جنسنا، أبناء الماضي بأموج البرقيات التاريخية، ونتعلم العبر والأحداث التي وقعت في تلك الزوايا الألفية، ونصنع منها قطاراً للأفكار. ثم نرجع عائدين ونزور أبناء جنسنا ونتوجه إلى مشرق المستقبل لنرى- ونرى الآخرين -فجرَ سعادته الصادق الذي يتراءى من بعيد. ثم نركب قطار " الرقي والتقدم " وسفينة" السعي "المسماة بالتوفيق، حاملين في أيدينا مصباح البرهان وندخل معه " الزمان "الذي يبدو مُظلم البداية، إلا أن وراءه سطوعاً، لكي نصافح أبناء المستقبل ونهنئهم بسعادتهم التي يرفلون فيها. وهكذا ففي هذه الصورة الفوطوغرافية المصغرة تتدرج صورةٌ جميلة، ستظهر لك محرراً.

والآن.. في هذه الأرض تنبت أشجارُ الكتب المذكورة وتُسقى بجداول المقالات الثلاث. أيها الأخ! قبل أن أخذ بيدك وأوصلك إلى خزينة الحقائق، أبادر إلى سرد بضع مسائل وعدتُك إياها، لأدفع بها غشاوة الخيالات عن بصر بصيرتك، تلك الخيالات التي صارت كالغول تضع أيديها على عينك فتغمضها، وتدفع صدرك وتخوفك.. وإن أرتك شيئاً فالنور نارٌ والدرّ مدّرٌ. فاحذرهما.

واعلم أن أعظم منشأ يولد شبهاتك، مسائل تتعلق :

بكروية الأرض.. ثم الثور والحوت.. وجبل قاف..وسد ذي القرنين..وأوتادية الجبال.. ووجود جهنم تحت الأرض..والآيات الكريمة: ﴿ذَٰحَاہَا﴾ و﴿سُطْحَتْ﴾ و﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ و﴿وَيُنزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾النور (43:وأمثالها من المسائل .
سأبين لك حقيقتها كي تسدّ عيون الأعداء وتفتح أبصار الأصدقاء.

وها أنذا أستهل بـ:

المسألة الأولى

من المعلوم لذهنكم المنصف: أن علماء الإسلام متفقون على كروية الأرض، ولو اتفاقاً سكوتياً. فإن كان لديك ريب فاذهب إلى "المقاصد" (22) و"المواقف" (23) تقف على المقصد وتطلع عليه، وترى أن "سعداً" (*) و"سيداً" (*) قد تناولا الكرة الأرضية، تناول الكرة الاعتيادية، ينظرون بمتعة إلى كل جانب منها. وإن استعصى لك ذلك الباب على الفتح، فادخل التفسير الواسع للإمام الرازي (*) الموسوم بـ"مفاتيح الغيب" (24) واجلس في حلقة تدريس ذلك الإمام الداهية وأنصت إلى درسه، فإن لم تطمئن بهذا ولم تتمكن من أن تستوعب كروية الأرض فاتبع "إبراهيم حقي" (*) واذهب إلى حجة الإسلام الإمام الغزالي واستفتّه قائلاً: هل في كروية الأرض مشاحة؟ فيقول لك حتماً: المشاحة إن لم تقبل بها " إذ قد بعث فتواه منذ عصره أنه من أنكر أمراً ثابتاً بالبرهان القطعي ككروية الأرض بحجة الحفاظ على الدين، فقد جنى على الدين جنايةً عظيمة؛ فهذا ليس وفاءً للإسلام بل خيانة له.

وإن كنت أمة لا تجد قراءة الفتوى، فاستمع إلى معاصرنا وأخينا في الفكر، السيد حسين الجسر (*) إنه يعنّف منكر الكروية ويقول بقوة الحق ودون تردد: "من كان ينكر كروية الأرض مستنداً إلى الدين في سبيل حمايته، فهو صديقٌ أحمق، أضُرُّ على الدين من العدو الألد."

فإن لم يُفوق فكرُك الباحث عن الحقيقة من رقدته، بهذا الصوت القوي ولم تستطع عينُك الانفتاح، فخذ بيد ابن همام (*) وفخر الإسلام (*) وأمثالهم واذهب إلى الإمام الشافعي (*)، واستفتّه في مسألة في الفقه: تؤدّي الفرائض الخمس في وقت واحد وهناك قوم لا وقت عشاء لهم أحياناً، كيف يصلون العشاء؟ وهناك قوم لا تغرب عليهم الشمس أياماً أو لا تطلع ليالي، كيف يصومون؟ واستفسره: كيف ينطبق تعريف الشرط الشرعي وهو ما يقارن كل ما سواه من الأركان، على شرطية استقبال القبلة في الصلاة؟ علماً أن

22 (انظر: التفتازاني، شرح المقاصد 3/177-189)

23 (انظر: الجرجاني، شرح المواقف 7/145-147)

24 (انظر: الرازي، مفاتيح الغيب 31/48)

المقارنة هي في القيام وحدَه وفي نصف القعود؟ فاطمئن أنه- أي الإمام الشافعي -يجيبك عن المسألة الأولى بكروية الدائرة المارة من الشرق والغرب، وعن المسألة الثانية والثالثة بتقوس الدائرة الممتدة من الجنوب إلى الشمال. أي يفتيك بما أعطاك البرهان العقلي . ويقول عن مسألة القبلة" :ما القبلةُ إلا عمودٌ نوراني قد نظّم السماوات إلى العرش وثَقَب طبقات كرة الأرض إلى الفرش(25).

فلو كُشف الغطاء لَصَافِح شعاعُ عينك القبلةَ نفسَهَا في كل حركة من حركات صلواتك. أيها الأخ !..لا قيمة لأوهامك العجيبة كي تَدْخُل في القلب، لأنك لم تجد لها موضعاً سوى عالم الخيال، فضلاً عن أنك لا تصدِّقه، بل لا تتمكن حتى من إقناع نفسك بها ..بيد أنك زغت ..فإن كان قلبُك المفتوح للخيالات والمفقل تجاه الحقيقة، لا يسع الكرة الأرضية التي هي أصغر بكثير مما تتخيلها، فوسِّعْ أُفُقَ نظرك ليتوسع ذهنُك، ثم شاهد سكان الأرض كمجلس واحد واسألهم، فإن صاحب البيت أدرى بما فيه .فإنهم يجيبونك بالمشاهدة والتواتر بلسان واحد:

"يا هذا إن كرتنا الأرضية التي هي مهدنا وقطارنا في فضاء العالم، ليست مجنونة فننشذ عن القاعدة الجارية والقانون الإلهي في الأجرام العلوية . "ويبرزون لك الخرائط دلائل مجسمة مفروشة أمامك .

إن شريعة الفطرة الإلهية المسماة بنظام خلق العالم، فَرَضَتْ على الأرض التي تسير سيرَ المرید المولوي العاشق (26) أن لا تشدَّ عن صف النجوم المقترية بالشمس . إذ قالت الأرض مع قرينتها السماءِ ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فصلت(11)، والطاعة في الجماعة أفضل وأحسن.

نحصل مما سبق: أن الله سبحانه وتعالى خلق الأرضَ كما يشاء واقتضتها حكمته، ولم

25 ()انظر: النووي، المجموع 3/49.

26 ()تشبيه لطيف بالمرید المنتسب إلى المولوية، الطريقة الصوفية المعروفة في تركيا، الذي يدور حول نفسه وفي حلقة الذكر بنشوة الذكر وجذبة التفكير انسجاماً مع حركة الموجودات .

يخلقها كما تشتهي خيالاتكم يا أهل الخيال، ولم يجعل عقولكم مهندسة الكائنات.
تنبيه: من الأمور المشيرة إلى ضعف العقيدة أو إلى الميل إلى مذهب السوفسطائي أو إلى طالب الإسلام حديثاً ولما يملكه.. هو الكلمة الحمقاء: "هذه الحقيقة منافية للدين" ! لأن الذي يجد احتمالاً لمنافاة ما هو ثابت بالبرهان القاطع مع الدين- الذي هو الحق والحقيقة - ويخاف من هذه المنافاة لا يخلو من، إما أنه قد اختفى في دماغه سوفسطائي يشوش له الأمور، أو استتر في قلبه موسوس يثير الشغب والفوضى، أو أصبح طالباً للدين مجدداً يريد أن يملكه بالتنقيد.

المسألة الثانية

لا يخفى أن "مسألة الثور والحوت" المشهورة دخيلة في الإسلام وطفيلية عليه، أسلمت مع روايتها. فإن شئت فراجع "المقدمة الثالثة" لترى من أي باب دخلت. أما نسبتها إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فانظر إلى مرآة "المقدمة الرابعة" ترى سرَّ إلحاقها به .

وبعد هذا فإن كونَ "الأرض على الثور والحوت" يروى فيه حديث⁽²⁷⁾:

أولاً: لا نسلم أنه حديث، لأن عليه علامة الإسرائيليات.

ثانياً: ولو سلمنا أنه حديث، فإنه أحادي، يفيد الظن لضعف الاتصال، فلا يدخل في العقيدة، إذ اليقين شرطٌ فيها.

ثالثاً: حتى لو كان متواتراً وقطعي المتن، فليس بقطعي الدلالة. فراجع المقدمة الحادية عشرة، وتأمل في المقدمة الخامسة لترى كيف استهوت الظاهريين الخيالات حتى حرفوا هذا الحديث عن محامله الصحيحة ووجهه الصائبة.
فالوجه الصحيحة له ثلاثة:

27 (انظر: الطبري، جامع البيان 1/153، 194، 21/72؛ الحاكم، المستدرک 4/636؛ ابن عبد البر، التمهيد 4/9؛ الهيثمي مجمع الزوائد) 8/131 نقلًا عن البزار. (وقد فصلت "اللمعة الرابعة عشرة" هذه المسألة.)

الوجه الأول:

فكما أن حَمَلَة العرش المسماة بـ: الثور، النسر، الإنسان " وغيرهم ملائكة، (28) كذلك هذا الثور والحوث مَلَكَانِ اثْنَانِ حَامِلَانِ لِلأَرْضِ. وإلَّا فإِن تَحْمِيلُ العَرْشِ العَظِيمِ عَلَى الملائكة، بينما الأرض على ثور عاجز- كالأرض -مناف لنظام العالم! ويرد في لسان الشريعة: أن لكل نوع مَلَكاً موكلاً خاصاً به يلائمه، وقد سمي ذلك المَلَكُ باسم ذلك النوع، بناءً على هذه العلاقة، وربما يتمثل بصورته في عالم الملائكة. وقد روي حديث بهذا المعنى، أن الشمس تغرب في كل مساء تحت العرش وتسجد عنده ثم تستأذن وتعود (29). نعم، إن الملك الموكَّل على الشمس اسمه الشمس ومثاله الشمس، وهو الذي يذهب ويؤوب.

ولدى الفلاسفة الإلهيين: أن لكل نوع ماهيةً مجرّدةً حية ناطقة تمد الأفراد. ويعبّر عنهم الشرع: مَلَكُ الجبال ومَلَكُ البحار ومَلَكُ الأمطار، إلّا أنه لا تأثير لهم تأثيراً حقيقياً إذ لا مؤثر في الكون إلّا الله.

أما الحكمة في وضع الأسباب الظاهرية، فهي في إظهار العزة والعظمة لئلا يرى النظر المتوجه إلى " دائرة الأسباب " مباشرة يد القدرة لأمر خسيصة ظاهرة من دون حجاب. أما في الملكوتية وفي حقيقة الأمر وهي " دائرة العقيدة"، فإن مباشرة يد القدرة بدون حجاب لكل شيء، يلائم العزة؛ إذ كل شيء في هذه الجهة سامٍ وعالٍ.. ذلك تقدير العزيز العليم.

الوجه الثاني:

إن الثور هو المثير للحرث وأهم واسطة لزراعة الأرض وعماريتها. أما الحوث (السلك) فهو مصدر عيش أهل السواحل، بل كثير من الناس. فإذا سأل أحد: بيم تقوم الدولة؟

28 (انظر: الطبري، التفسير 1/343؛ السيوطي، الدر المنثور 5/486؛ تفسير الخازن، 6/153.

29 (انظر: البخاري، بدء الخلق 4؛ مسلم، الإيمان 250؛ الترمذي، الفتن. 22.

فالجواب: على السيف والقلم .

أو إذا سأل: بِمَ تقوم المدنية؟

فالجواب: على المعرفة والصناعة والتجارة.

أو إذا سأل: بِمَ تدوم البشرية وتبقى؟

فالجواب: بالعلم والعمل.

كذلك أجاب سيدُ الكونين وفخرُ العالمين- ρ والله أعلم -بناءً على ما سبق ذلك السائل الذي لم يستعد ذهنه لدرك الحقائق- بدلالة المقدمة الثانية -وسأل عن شيء خارج نطاق وظيفته: الأرض على أي شيء؟ فأجابه رسولنا الكريم ρ بما يلزمه أصلاً: الأرضُ على الثور. أي إن عمارة الأرض لنوع البشر ومنيع الحياة لأهل القرى منهم، على الزراعة، والزراعة محمولةٌ على كاهل الثور. وإن معظم معيشة القسم الآخر من البشر، ومعظم مصادر تجارة أهل المدنية، في جوف السمك وعلى الحوت. حتى يصدق عليهم المثل السائر: كلُّ الصيد في جوف الفرا⁽³⁰⁾!

فهذا جواب لطيف حق، حتى لو كان مزاحاً فإنه ρ لا يقول إلا حقاً. ولو سلّم أن السائل سأل عن كيفية الخَلقة. فقد [تلقَى السامع بغير المترقب⁽³¹⁾] كما هو القاعدة في علم البيان، إذ تلقى الإجابة عن الضروري والمطلوب بأسلوب حكيم. ولم يجاوبه على وفق شهية السائل المريض الكاذبة. والآية الكريمة: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ) البقرة (189): براعة الاستهلال لهذه الحقيقة.

30 (من أمثال العرب، ضربه النبي ρ مثلاً لأبي سفيان حين قال له: أنت يا أبا سفيان! كما قيل: كل الصيد في جوف الفرا. والمثل يضرب في الواحد الذي يقوم مقام الكثير لعظمه) المستقصى من أمثال العرب، للزمخشري. (2/224)

وفي النهاية لابن الأثير 3/422 الفراء مهموز مقصور: حمار الوحش، وجمعه فراء. قال له ذلك بتأليفه على الإسلام، يعني: أنت في الصيد كحمار الوحش، كل الصيد دونه .
31 (هذه العبارة وأمثالها من الجمل والفقرات المحصورة بين قوسين مركنين [...] جاءت في النص التركي باللغة العربية .

الوجه الثالث :

إن الثور والحوت برجان مقدّران في مدار الأرض السنوي .فتلك البروج وإن كانت افتراضية موهومة، إلا أن السنن الإلهية الجارية في العالم والتي تنظّم وتربط الأجرام السماوية والمسماة لفظاً واصطلاحاً بالجازبية العامة، قد تمركزت في تلك البروج، لذا فالتعبير الفلكي " :الأرض على البروج " جائز .

هذا الوجه هو في نظر علم الفلك الحديث، لأن القديم قد افترض البروج في السماء، بينما الحديث افترضها في مدار الأرض، لذا يجوز هذا التأويل أهمية في نظر الفلك الحديث .
ثم إنه قد روي أن السؤال تَعَدَّد، فمرة أجاب" :على الحوت " وأخرى- بعد شهر - أجاب" :على الثور . "بمعنى أن خيوط القانون المذكور وأشعتها المنتشرة في كل جهة من جهات الفضاء الواسع غير المحدود، قد تجمعت وتمرکزت في برج الحوت، لذا انطلقت الكرة الأرضية من برج الدلو ومسكت بالقانون المتدلي من برج الحوت، وتعلقت ثمرةً يانعة على غصن من شجرة الخلقة ...أو إنها- أي الأرض -كالطير جثمت على برج الثور وبنيت عشها فيه.

وبعد ما عرفت هذا دقق النظر منصفاً:

إنه حسب مضمون " المقدمة الخامسة " ترى كيف تؤوّل تلك المسألة العجيبة المشهورة التي تدور بين أهل الخيال المولعين باختراع الغرائب بغير إسناد العبثية إلى الحكمة الأزلية، وبغير إحالة الإسراف إلى الصنعة الربانية، وبغير إخلال النظام البديع الذي هو برهان الصانع الجليل؟

ألا تتبأ وسحقاً وبعداً للجهل!!

المسألة الثالثة

جبل قاف

اعلم أن العلم بوجود شيء غير العلم بنوعيته وماهيته .فلا بد من التمييز بين هاتين

النقطتين. فكمن يقين الأصل تصرّف فيه الوهم حتى أخرجته من الإمكان إلى الامتناع ... فشاور فيه" المقدمة السابعة "تُجَبِّك بلسان فصيح.

نعم، وكمن من قطعي المتن تزاحمت الظنون في دلالاته، بل تحيرت الأفهام بالإجابة عن السؤال :ما المراد؟ فشقق صَدَفَ" المقدمة الحادية عشرة "تجد هذه الجوهرة.

تنبية: ولما كان هذا الأمر هكذا . فلا يشير من قطعي المتن إلى " قاف " إلا (ق) وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ). بينما يجوز أن يكون (ق) كـ (ص)، فليس هو في شرق الدنيا بل في غرب الفم . فيسقط الدليل من اليقين بهذا الاحتمال.

ثم إن دليلاً آخر بعدم وجود قطعي الدلالة غير هذا، قول أحد مجتهدي الشريعة وهو القرافي " :(*) لا أصل له (32) ."

أما نسبة كفيته المشهورة إلى ابن عباس رضي الله عنه، (33) فانظر في مرآة" المقدمة الرابعة "ليتمثل لك وجه نسبتها . علماً أن كلّ ما قاله ابن عباس كما لا يلزم أن يكون حديثاً، كذلك لا يلزم قبوله لكل ما نقله، لأن ابن عباس قد التفت قليلاً أيام شبابه إلى الإسرائيليات عن طريق الحكايات إظهاراً لبعض الحقائق.

وإذا قلت :إن لعلماء الصوفية تصويرات كثيرة حول" قاف " (34) ."

أقول جواباً :إن عالم المثال المشهور هو ميدان جولانهم، فكما نتجرد من ملابسنا، فهم يتجردون من أجسادهم ويشاهدون ذلك المعرض الحاوي للعجائب والغرائب بالسير الروحاني، فـ"قاف" منتمل في ذلك العالم كما يعرّفونه . إذ كما تتمثل السموات والنجوم في مرآة صغيرة، يتمثل أصغر الأشياء من عالم الشهادة- كالبذرة -شجرة ضخمة في عالم المثال بتأثير من تجسم المعاني . ولا يُخلط أحكام هذين العالمين قط . والمطلّع على لبّ كلام محي الدين بن عربي (*) يصدّق هذا.

32 () انظر :ابن حجر الهيتمي، تحفة المحتاج 1/427 ؛ الألويسي، روح البيان 26/171 ، 172 .
33 () انظر :ابن كثير، تفسير القرآن 4/222 ؛ السيوطي، الدرر المنتثرة 7/589 ؛ الشوكاني،

فتح القدير . 5/73

34 () انظر :ابن عربي، الفتوحات المكية، 5/109

أما ما اشتهر بين العوام ومَن هم مثلهم أن " قاف " جبل محيط بالأرض متعدد، ما بين كل اثنين منه مسافة خمسمائة سنة، ذروته تمس السماء ..إلى آخر خيالاتهم، فاقْتَبِسَ من " المقدمة الثالثة "التقويم هذه الخيالات، ثم ادخل في هذه الظلمات لعلك تجد زلال بلاغتها.

وإن أردت أن تعرف عقيدتي في هذه المسألة، فاعلم أنني أجزم بوجود " قاف " ولكن أحيل كَيْفِيَّتَهُ إلى ثبوت حديث صحيح متواتر؛ فإن ثبت الحديث في بيان كَيْفِيَّتِهِ أومن به على ما أراد النبي ﷺ الذي هو صدق وصحيح وحق، لا على ما تخيَّله الناس، لأنه قد يكون المفهوم غير المراد .وأما ما فهمناه من هذه المسألة فنعطيكه:

أولاً: إن جبل " قاف " هو سلسلة هيمالايا التي هي أم أعظم جبال " جامولار " التي هي سلسلة أحاطت بمعظم الشرق، والتي كانت حاجزة بين البدويين والمدنيين سابقاً، ويقال : إنه قد تشعب من عرق هذه السلسلة أكثر جبال الدنيا، ومن هذا الأصل نشأ الفكرُ المشهور بإحاطة " قاف " للدنيا.

ثانياً: إن عالم المثال برزخ بين عالمي الشهادة وعالم الغيب، فهو يشبه الأول صورةً والآخر معنىً، هذا المفهوم يحل ذلك المعنى واللغز .

فمن شاء أن يطلع قليلاً على هذا العالم (عالم المثال) فله أن ينظر إليه بنافذة الكشف الصادق، أو بمنفذ الرؤيا الصادقة، أو بمنظار المواد الشفافة، أو على الأقل بشاشة الخيال الخلفية؛ فهناك دلائل كثيرة جداً على وجود هذا العالم، عالم المثال وتجسُّم المعاني فيه .

وبناء على هذا يمكن أن يكون " قاف " الموجود في هذه الكرة الأرضية بذرة " قاف " ذي عجائب موجود في عالم المثال .

ثالثاً: إن ملك الله واسع لا ينحصر في هذه الكرة الفقيرة .وفضاء الله أوسع ودنيا الله أعظم من أن يضيق بـ"قاف" ذي عجائب .وليس خارجاً من الإمكان العقلي .إنه يناطح

برأسه كتف السماء- التي هي موج مكفوف -⁽³⁵⁾ رغم بُعد خمسمائة سنة من أيام الله عن كرتنا الأرضية، إذ يجوز أن يكون " قاف " شفافاً وغير مرئي كالسما .
رابعاً: لم لا يجوز أن يكون " قاف " سلسلة عظيمة تجلت في دائرة الأفق، مثلما أن اسم الأفق يكون مصدراً لـ" قاف " لأنه أينما نظر المرء تتراءى له دائرة من سلاسل جبلية كالدوائر المتداخلة، وهكذا بالتدرج والتعاقب يُثبت النظرُ ويبقى، مسلماً أمره إلى الخيال، حتى يتخيل الخيالُ دائرةً من سلاسل جبلية محيطة بالأرض تمس أطراف السماء فتشاهد متصلة بها بدلالة الكروية حتى لو كان البُعد خمسمائة سنة.

المسألة الرابعة

سد ذي القرنين

كما علمت أن العلم بوجود شيء غير العلم بماهيته وكيفيته.
وأن القضية الواحدة تتضمن أحكاماً كثيرة، منها ضرورية، ومنها نظرية مختلف فيها.
وأن المقلد المعاند إذا سأل أحداً عما رآه في كتاب- وإن كان محرفاً -على وجه الامتحان والتجربة وأجابه حتى عن معلومه الغائب عنه .فالجواب صحيح من جهتين:
إما أنه صحيح مباشرة، يطابق الواقع .أو بما يطابق معلومَ السائل المعانِدِ بالذات، أو بالتأويل .فكلا الوجهين صحيح .

فالجواب الواحد إذن يُرضي الواقع، لأنه حق، ويُقع السائل لأنه يقدر على تطبيقه على معلومه، وإن لم يكن مراداً .وفي الوقت نفسه لا يجرح شأنَ المقام، لأن فيه- أي في الجواب -عقدة الحياة التي تستمد منها مقاصدُ الكلام بواعثَ حياتها.
وهكذا جواب القرآن.

سنميّز بعد الآن الضروري من غير الضروري؛

35 (الترمذي، تفسير سورة الحديد 1 ؛ أحمد بن حنبل، المسند 2/370 ؛ الطبراني، المعجم الأوسط

ومن الأحكام الضرورية المفهومة في الجواب القرآني والتي لا تقبل الإنكار " :ذو القرنين (36)" وهو شخص مؤيد من عند الله، بنى سداً بين جبلين بإرشاده وتدبيره، دفعاً لفساد الظالمين والبدويين ..ويأجوج ومأجوج قبيلتان مفسدتان، وإن السد سيُدَمَّر حالما يأتي أمرُ الله ..الخ.

وعلى هذا القياس؛ فما دلّ عليه القرآن من أحكام، هو من ضروريات القرآن، أي إنه قطعيُّ الدلالة، ولا يمكن إنكارُ حرف منه، ولكن تفصيلات تلك المواضيع وكيفياتها ووجوهها وحدود ماهاياتها ليست قطعيةً الدلالة في القرآن، بل ثبت أنه لا يدل عليها حسب قاعدة: "لا يدل العام على الخاص بأيّ من الدلالات الثلاث"، وحسب دستور علم المنطق : "يكفي للحكم تصوّر وجه ما بين الموضوع والمحمول"، ولكن يمكن أن يقبلها القرآن. أي إن تلك التفصيلات هي من الأحكام النظرية محوّلةً إلى دلائل أخرى، فهي مظنة الاجتهاد، وفيها مجال للتأويل. والدليل على نظريتها) ظنيّتها (اختلاف العلماء.

ولكن يا للأسف، فإنه بتخيل لزوم مطابقة الجواب لتمام السؤال، ومن دون اهتمامٍ بخلل السؤال، أخذوا الأحكام الضرورية والنظرية للجواب بأجمعها من مصدر السائل ومنبت السؤال وأصبحوا مفسرين له، لا بل مؤولين لما يجوز أن يدلّ عليه الجواب، لا بل أظهروا أفراد المعنى معنى له، لا بل أولوا ما يجوز أن يصدّق عليه مع شيء من الإمكان مدلولاً مفهوماً له...فتلقاه الظاهريون بالقبول، والعلماء بالإصغاء دون تنقيد لعدم أهميته كالحكايات كما وضح في " المقدمة الثالثة ". ولكن لو قبل بتلك التفصيلات كما ورد في التوراة والإنجيل المحرّفين فإنها تخالف عصمة الأنبياء التي يعتقد بها أهل السنة والجماعة...الشاهد على هذا قصة لوط وداود عليهما السلام.

ولكن لما كان في الكيفية مجالاً للاجتهاد والتأويل، فأنا أقول وبالله التوفيق :
الاعتقاد الجازم بما أراد الله تعالى ورسوله ρ واجبٌ قطعاً، لأنه من ضروريات الدين، أما المراد ما هو؟ فاختلّف في تعيينه:

فدو القرنين- لا أقول إسكندر، لأن الاسم لا يسمح بذلك -قال بعض المفسرين في حقه :

إنه مَلَك، وقيل: مَلِك، وقيل: نبي، وقيل: ولي.. إلى آخر ما قيل.

وعلى كلِّ فهو مؤيِّدٌ من عند الله ومرشد لبناء سد الصين.

أما السدُّ، فقال بعضهم: إنه سد الصين، وقيل: غيره تحوّل جبلاً، وقيل: سد مخفي لا يطلع عليه، سنرّته انقلاباتٌ أحوال العالم.. وقيل.. وقيل..

وعلى كلِّ فهو ردم عظيم ودار جسيم بُني لدفع شر المفسدين.

أما يأجوج ومأجوج، فقيل: قبيلتان من ولد يافث، وقيل: المغول والمانجور، وقيل: أقوام شرقية شمالية، وقيل: طائفة من جماعة عظيمة من بني آدم يشيعون الفتنة والفوضى في الدنيا والمدنية. وقيل: مخلوقات لله تعالى آدميون أو غيرهم في ظهر الأرض أو في بطنها، يسببون فساد العالم عند قيام الساعة. أما جهة الاتفاق والأمر القاطع: فهما طائفتان من مخلوقات الله كانتا أهل غارة وفساد على الحضارة والمدنية كأجل القضاء عليها.

أما خراب السد؛ فقيل: عند القيامة، وقيل: قريب منها، وقيل: يخرب بحيث يعدّ أمارتها وإن كان بعيداً، وقيل: وقع الخراب ولكن لم يدك. وقيل، وقيل...

وعلى كلِّ؛ فانهدامه علامة على كهولة الأرض وشيب البشر.

فإن وازنت بين ما ذكر آنفاً وقارنته يمكنك أن تجوّز أن السدّ المذكور في القرآن هو سدّ الصين، الطويل بفراسخ، ومن عجائب الدنيا السبعة المشهورة، قد بُني بإرشاد مؤيِّدٍ من عند الله لصدّ شرور أهل البداوة عن أهل المدنية في ذلك الزمان.

نعم، فمن أولئك الهمج قبيلة "الهنون" الذين دمّروا أوروبا، و"المغول" الذين خربوا آسيا.

ثم إن خراب السد من علامات الساعة، ولاسيما دكّه غير خرابه. وإذا ما قال النبي p إنه من أشراط الساعة: "أنا والساعة كهاتين"⁽³⁷⁾ كيف يُستغرب كون خراب السد من علامات القيامة بعد خير القرون؟ ثم إن انهدام السد بالنسبة لعمر الأرض هو انقباض وجه

37 (البخاري، تفسير سورة النازعات 1، الطلاق 25، الرقاق 39؛ مسلم، الفتن 132؛

الترمذي، الفتن 39.

الأرض لشيبيها، بل كنسبة وقت الاصفرار إلى تمام النهار، حتى لو كانت القيامة بعيدةً بالوف من السنين .

كذلك فإن الفوضى والاضطراب الذي يولده يأجوج وماجوج هو في حكم حمى تصيب البشرية لهرمها.

وبعد هذا يفتح لك بابٌ لتأويل آخر من فاتحة" المقدمة الثانية عشرة "وهو :أن القرآن يقص القصص لأخذ العِبَر منها، وينتقي منها النقاط التي هي كالعقد الحياتية التي تناسب مقصداً من مقاصد القرآن ويربطها به ..فهما- أي القصة والعبرة -تتعانقان في الذهن والأسلوب وإن لم تتراء ناراها أو نوراها معاً ولم يحصل في الخارج سوية .ولما كانت القصة للعبرة فلا يلزمك تفصيلاتها ولا عليك كيف كانت .خذ حظك منها وامض إلى شأنك ..واستظهر من" المقدمة العاشرة "تري أن المجاز يفتح باباً للمجاز (تَعْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ))الكهف (86:تنعي على الظاهريين وتطردهم.

واعلم أن مفتاح حجة الله المتجلية في أساليب العرب هو البلاغة التي هي أصل الإعجاز والمؤسسة على الاستعارة والمجاز، لا ما يُلْتَقَطُ من خرزٍ - بالحدس الكاذب -من المشهورات وتختبئ في أصداف الآيات دون رضاها .فاستنشق خاتمة" المقدمة العاشرة " فإنها مسكٌ ودُقفا ففيها عسل.

ويجوز أن يكون السد وهو مجهول الكيفية في موضع آخر مجهول مستور عنا كسائر علامات الساعة، ويبقى إلى القيامة مجهولاً ببعض انقلاباته، وسينهدم في القيامة. إشارة:

معلوم أن المسكن يدوم أزيد من ساكنيه، وعمر القلعة أطول من عمر المتحصنين بها . فالسكنى والتحصن علة وجودها لا علة بقائها ودوامها .وحتى إن كانا كذلك فلا يقتضيان استمرارها ولا عدم خلوها .فليس من ضروريات دوام الشيء دوام الغرض المترتب عليه ..فكم من بناء يبني للسكنى أو للتحصن وهو خاوٍ وخالٍ.

ومن عدم فهم هذا السر فُتِح الطريق للأوهام.

تنبيه: إن القصد من هذا التفصيل فتحُ طريقٍ لتمييز وفرز التفسير عن التأويل ..

والقطعي عن الظني.. والوجود عن الكيفية.. والحكم عن التفصيلات الجانبية.. والمعنى عن أفراد المعنى.. والوقوع عن الإمكان.

المسألة الخامسة

إن ما اشتهر من أن " جهنم تحت الأرض"، (38) فنحن معاشر أهل السنة والجماعة لا نعيّن موضعها على القطع واليقين، ولكن " التحتية " هي الظاهرة (39).

وبناءً على هذا أقول وبالله التوفيق :

أولاً: إن كرتنا الأرضية ثمرة من ثمرات شجرة العالم العظيمة، عظمة شجرة طوبى، كما أثمرت سائر نجومها. فما تحت الثمرة يشمل تحت جميع أغصان تلك الشجرة. وبناء على هذا فـ" جهنم "تحت الأرض بين تلك الأغصان، فمُلك الله تعالى واسع، وشجرة الخليقة منتشرة، أينما كانت جهنم فلها موضع بينها ولا تقتضي مسافة تحتية طويلاً ولا اتصالاً بالأرض.

وفي نظر الحكمة الجديدة، أن النار مستوليةً على أكثر ما في الكون، وهذا يشفت عن أصل هذه النار وأساسها جهنم، ترافق الإنسان إلى الخلود وفي طريقه إلى الأبد، وستمرّق يوماً ما الستارُ، وتبرز إلى الميدان قائلة: تهيأوا!

وأودّ أن ألفت نظركم إلى هذه النقطة :

ثانياً: إن تحت الكرة وأسفلها هو مركزها وجوفها، فعلى هذا فإن الأرض حبلى ببذرة شجرة زقوم جهنم، ستلدها يوماً ما. بل الأرض الطائرة في الفضاء ستبيض شيئاً كهذا، حتى إن لم تكن جهنم بتمامها في تلك البيضة فإن رأسها أو أيّ عضو منها مطويةً فيها بحيث تتحد مع الدركات وسائر الأعضاء منها يوم القيامة وتبرز على أهل العصيان جهنم

38 (انظر: أحمد بن حنبل، المسند 2/370، 4/287؛ ابن أبي شيبة، المصنف 3/55؛ البيهقي،

شعب الإيمان 1/331، 1/357، 4/334؛ الحاكم، المستدرک 4/612.

39 (هذه المسألة فصلها السؤال الثالث من المکتوب الأول.)

مهولةً عجيبةً.

فيا هذا! الحسابُ والهندسةُ يمكنهما أن يأخذاك إلى موضع جهنم وإن لم تذهب أنت إليها؛ وذلك أن درجة الحرارة تتزايد درجة واحدة تقريباً في الأرض بكل ثلاثة وثلاثين متراً في باطن الأرض، بمعنى أن درجة الحرارة تكون في المركز ما يقرب من مئتي ألف درجة- في الأغلب -فنسبة هذه النار المركزية إلى درجة حرارتنا البالغة ألف درجة هي مئتا مرة. وهذه تُثبت نفس ما ورد في الحديث المشهور- ما معناه -من أن نار جهنم أشد من نارنا بمئتي مرة⁽⁴⁰⁾.

ثم إن قسماً من جهنم " زمهرير"،⁽⁴¹⁾ والزمهرير يحرق ببرودته؛ إذ قد ثبت في العلم الطبيعي أن الحرارة تصل إلى درجة تجعل الماء تليجاً، وتحرق بالبرودة، حيث تمص الحرارة مصاً. أي إن النار التي تشمل جميع المراتب قسم منها " زمهرير".
تنبيه: إن العالم الأخروي الأبدى لا يُفاس بمقياس هذه الدنيا الفانية، ولا بسعتها، فاستعد سينجلي لك شيء من الآخرة في ختام" المقالة الثالثة".
إشارة: من السعادة الأخروية، من تلك الجنة الوارفة الظلال، تنفتح أمام نظر العقل ثمانية أبواب ونافتان وذلك:

- .. بشهادة الانتظام في جميع العلوم ..
- .. وإرشاد الاستقراء التام للحكمة ..
- .. وبرمز جوهر الإنسانية ..
- .. وبإيماء عدم تناهي ميول البشر ..
- .. وبتمليح القيامة النوعية المكررة في كثير من الأنواع، كالليل والنهار ..
- .. وبدلالة عدم العبثية ..

40 (انظر: البخاري، بدء الخلق؛ 10؛ مسلم، المساجد 187-180؛ الترمذي، الصلاة؛ 5؛ أبو داود، الصلاة؛ 5.

41 (انظر: البخاري، المواقيت؛ 9، بدء الخلق؛ 10؛ مسلم؛ 185؛ الترمذي، جهنم؛ 9؛ ابن ماجه، الزهد؛ 38؛ الدارمي، الرقاق؛ 119؛ أحمد بن حنبل، المسند؛ 2/276، 394، 503.

وبتلويح الحكمة الأزلية ..
وبإرشاد الرحمة الإلهية المطلقة ..
وبلسان النبي الصادق الفصيح ..
وبهداية القرآن المعجز البيان..

المسألة السادسة

إن الخاصية المميزة للتنزيل الإعجازُ، والإعجاز يتولد من ذروة البلاغة، والبلاغة مؤسسة على مزايا وخصائص، لاسيما الاستعارة والمجاز. فمن لم ينظر بمنظارهما لا يُفُزُ بمزاياها .. فكم في التنزيل من " تنزلات إلهية إلى عقول البشر " تُسِيلُ ينابيع العلوم في أساليب العرب تأنيساً للأذهان، والتي تعبّر عن مراعاة الأفهام واحترام الحسيات ومماشاة الأذهان.

ولما كان الأمر هكذا، فلا بد لأهل التفسير ألا يبخسوا حقَّ القرآن بتأويله بما لم تشهد به البلاغة.

ولقد تحقق أجلى من أية حقيقة كانت أن معاني القرآن الكريم حق، كما أن صور إفادته للمعاني بليغة ورفيعة. فمن لا يُرجع الجزئيات إلى ذلك المعدن ولا يُلحَقُها بذلك النبع يكن من المبخسين حقه. وسنبين مثلاً يلفت النظر:

﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ (النبا 7: يَلُوحُ بمجاز بديع- الله أعلم بمراده -إذ يجوز أن يكون المجاز المشار إليه يومئ إلى تصوّر كهذا:

أولاً: إن الكرة الأرضية الشبيهة بالسفينة والغواصة العائمة في بحر الفضاء الواسع قد حافظت على توازنها، وأرسيّت أثناء اشتباكها بالهواء في جوف المحيط الهوائي، بجبالها الشبيهة بالأعمدة والأوتاد. بمعنى أن الجبال في حكم الأعمدة والسارية لتلك السفينة .

ثانياً: إن الاهتزازات الناجمة من انقلابات الأرض الداخلية تهدأ وتسكن بالجبال؛ إذ هي كالمسامات للأرض. فمتى ما حصل فورانٌ وغضب في الجوف تنتفس الأرضُ بمنافذِ جبالها، فيسكن غضبها وتهدأ حدتها، أي إن استقرار الأرض وهدوءها بجبالها.

ثالثاً: إن عمودَ عمارة الأرض الإنسان، وحياة الإنسان متوقفة على محافظة منابعها من ماء وتراب وهواء، مع ضمان الاستفادة منها. والجبال هي التي تحقق ذلك بتضمينها لمخازن الماء وتصفيتها الهواء وتلطيفها الحرارة والبرودة، وهي سبب في تنقية الهواء، ومنبُع تراكم الغازات المضرة الداخلة فيه. وفي الوقت نفسه تترحم على التراب فتحفظه من التوحد والتعفن وتقيه من استيلاء البحر.

رابعاً: إن وجه المشابهة والمناسبة من حيث البلاغة هو:

لو فرضنا شخصاً ركب منطاد الخيال، فصعد إلى السماء بعيداً عن الأرض؛ فإذا نظر إلى سلسلة الجبال من هناك وتخيلَ الطبقة الترابية خيام البدو المفروشة على الأوتاد، والجبال المنفردة خيمة منصوبة على عماد.. أتراه قد خالف طبيعة الخيال؟ ولو تصورتَ وصورتَ لبدويّ تلك السلاسل الجبلية- مع المستقلة بذاتها -خيامَ قبائل الأعراب ضُربتَ في صحراء الأرض مع تخللها خياماً مفردة، لم تبعد عن أساليب العرب الخيالية.. أو لو تصورتَ أنك قد تجردت من هذا العالم المشيد، وبدأت تتأمل في الأرض التي هي مهد البشرية بمنظار الحكمة وفي السماء التي هي السقف المرفوع، وتخيلتَ بعد ذلك أن السماء المحددة بدائرة الأفق المماسة معها، كالفسطاط المضروب على الأرض، المرتبط بأوتاد الجبال، فإنك لا تُنْهَم في خيالك هذا.

سيرد مثال أو مثالان لهذا الأمر في ختام المسألة الثامنة.

المسألة السابعة

إن (دَحَاهَا) و(سُطِّحَتْ) و(فَرَسْنَاهَا) و(تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ) وما شابهها من الآيات المذكورة في القرآن الكريم، ينتشبت بها أهلُ الظاهر إرباكاً للأذهان، ونحن لسنا بحاجة إلى الدفاع، لأن المفسرين العظام قد كشفوا سرانراً ما في ضمائر هذه الآيات، ما فيه الكفاية، فلم تبق لنا حاجة. وقد أعطوا درساً للعبرة، وسطروا السطر الأساس لنحذو حذوهم.

ولكن بكوا قبلي فهيجوا لي البكاء وهيهات ذو رحم يرق لبكائي

إن إعلام المعلوم، لاسيما إن كان مشاهداً عبثاً، كما هو معلوم. أي لا بد من وجود نقطة غرابة تُخرجه من العبيثية .

فلو قيل: انظروا إلى الأرض كيف جعلناها مسطحة ومهداً مع كروبيتها، وقد نجت من تسلط البحار .. أو إذا قيل: انظروا كيف تجري الشمس لتنظيم معيشتكم مع استقرارها ... أو مثل: انظروا كيف تغرب الشمس في عين حمئة وهي بعيدة عنا ألوف السنين .. عند ذلك تخرج معاني الآيات من الكناية إلى الصراحة.
نعم، إن نقاط الغرابة هذه هي نكات بلاغية.

المسألة الثامنة

إن مما ورّط الظاهريين، بل السبب الأول الذي دفعهم إلى القلق والتردد، هو: التباس الإمكانيات بالوقوعات، (42) والخلط بينهما .

فيقولون مثلاً: إذا كان الشيء هكذا، فهو ممكن في القدرة الإلهية، وهو أدلّ على عظمته تعالى في عقولنا، فهو إذن واقع...!

هيهات! أيها المسكين! أين عقولكم من أن تكون مهندسة الكون؟ فأنتم عاجزون عن أن تحيطوا بالحسن الكلي بعقلكم الجزئي هذا! لو كان أنف بطول ذراع من ذهب ربما يستحسنه من حصر فيه النظر!

ثم إن الذي حيرهم، هو توهمهم منفاة الإمكان الذاتي لليقين العلمي، فيتقربون إلى مذهب " اللأدرية" (43) بتردهم وتشككهم في العلوم العادية اليقينية، بل لا يخجلون، إذ يلزم مسلكتهم هذا أن يتشكك الإنسان في أمور بديهية كوجود بحيرة" وأن "وجبل "سبحان"، لأن هذا ممكن في مسلكتهم، أي أن تنقلب بحيرة" وان "إلى دبس، وينقلب جبل

42 (الوقوعات: حصول الشيء ووجوده بعد أن كان معدوماً، ولا يلزم من إمكان وجود الشيء وجوده فعلاً، فشمس ثانية يمكن وجودها ولكنها غير موجودة.
43 (هو فرقة من السوفسطائيين يقولون: إن حقائق الأشياء لا تدرى هل أنها موجودة أو معدومة، ونحن لا ندري هل ندري أو لا ندري.

"سبحان" إلى غسل مغطى بالسكر! أو أنهما يذهبان إلى بحر العدم- كقسم من أصدقائنا الذين لم يرضوا بكروية الأرض فسافروا فزلت أقدامهم -بمعنى: يلزم عدم التصديق بالحال السابقة للبحيرة والجبل!

أيها المحرومون من المنطق! أين أنتم؟ تأملوا! فقد تقرر في علم المنطق: أن الوهميات التي في المحسوسات، من البديهيات (44). فإن أنكرتم هذه البداهة، فليس لي إلا أن أقدم لكم التعازي بدل النصائح بموت العلوم العادية، بينما السفسطة قد بعثت لديكم.

البلاء الرابع: الذي شوّس أهل الظاهر هو: التباس الإمكان الوهمي بالإمكان العقلي (45). علماً أن الإمكان الوهمي متولد من عرق التقليد، لا من أساس. وهو الذي يولد السفسطة، وحيث لا دليل له، يفتح في البديهيات طريقاً إلى الشك والاحتمال والظن، هذا الإمكان الوهمي غالباً ما ينتج من عدم المحاكمة العقلية، ومن ضعفٍ عصبي قلبي، ومن مرض عصبي عقلي، ومن عدم تصور الموضوع والمحمول. بينما الإمكان العقلي هو تردد في أمر لا يظفر بدليل قطعي على وجوده وعدمه ما لم يكن واجباً ولا ممتنعاً. فإن كان الإمكان ناشئاً عن دليل فهو مقبول وإلا فلا اعتبار له.

ومن أحكام الإمكان الوهمي هذا أن قسماً من المتشككين يقولون: ربما لا يكون الأمر على ما أظهره البرهان، لأن العقل لا يستطيع أن يدرك كل شيء. وعقلنا يعطي لنا هذا الاحتمال. نعم... لا.. بل الذي يعطيكم هذا الاحتمال هو شككم ووهمكم. لأن العقل من شأنه المضي على برهان.

44 (يعني بهذا أن من البديهي أن لا يحصل الوهم في المحسوسات لأن ما يُدرك بها يسمى علماً لا وهماً، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، أما السوفسطائيون فإنهم يجوّزون الوهم في المحسوسات ويقولون: إن حبة العنب إذا وضعت في ماءٍ داخل قارورة زجاجية فإنها تُرى كبيرة أكبر منها إذا كانت خارجها، فهذا وهمٌ حصل بالمبصرات. فيجابون بأن الحبة لم تتغير إنما عرض عليها الماء داخل القارورة فأصبحت تُرى هكذا، وإلا فهي لم تتغير). د. عبد الملك.

45 (الفرق بينهما هو أن الإمكان الوهمي قد يوجد وقد لا يوجد، بينما الإمكان العقلي لا يتخلف). د. عبد الملك.

صحيح أن العقل لا يتمكن أن يدرك ويوازن كل شيء، ولكن مثل هذه الماديات ولاسيما ما لا يفلت من البصر مهما كان صغيراً فإنه يزنه ويدركه. ولو لم تتمكن من دركه نكون في تلك المسألة غير مكلفين، كالأطفال ..

تنبيه: إن مخاطبي الفكري الذي أخاطبه بالظاهري وذي النظر السطحي والذي أفضحه وأعنفه وأوبّخه هو في غالب الأحوال عدو الدين ممن يبخس حقّه ولا يرى جمال الإسلام وينظر إليه من بعيد بنظر سطحي عابر .. ولكن أحياناً هو من أهل الإفراط والغلو ممن يفسد الدين من حيث يريد الإصلاح، وهم أصدقاء الدين الجاهلون.

البلاء الخامس: هو تحري الحقيقة في كل موضع من كل مجاز، مما أخذ بيد أهل التفريط والإفراط إلى الظلمات .. نعم، لا بد من وجود حبة من حقيقة لينمو وينشأ منها المجاز ويتسبل، أو إن الحقيقة هي الفتيلة التي تعطي الضوء، أما المجاز فهو زجاجها الذي يزيد ضياءه. نعم، المحبة في القلب، والعقل في الدماغ، وطلبهما في اليد والرّجل عبث.

البلاء السادس: هو قصر النظر على الظاهر، مما طمس على النظر، وسرّ البلاغة، فلا يتجاوزون إلى المجاز، مادامت الحقيقة ممكنة في العقل. وحتى لو صاروا إلى المجاز يمسون عن معناه.

وبناء على هذا فإن تفسير أو ترجمة الآيات والأحاديث لا يبينان حسن بلاغتهما. وكان لديهم أن قرينة المجاز امتناع الحقيقة عقلاً .. بينما القرينة المانعة كما يمكن أن تكون عقلاً يمكن أن تكون حساً وعادةً ومقاماً وبأشياء أخرى.

فإن شئت فادخل من الباب الواحد والعشرين بعد المنتين من "دلائل الإعجاز" تلك الجنة الفردوس، تر أن ذلك الداهية عبد القاهر الجرجاني(*) قد أخذ إلى جانبه أمثال هؤلاء المتعسفين يوبّخهم ويعنفهم.

البلاء السابع: هو حصرهم العرَض (46) كالحركة على الذاتي، (47) والأينية (48) مما نكّر

46 (العرض: هو الذي لا يبقى زمانين أو ما له تحيّر تابع لمحل، كالحركة والسكون

المعرّف ولزم إنكار الوصف الجاري على غير مَنْ هو له. وبهذا حادت شمس الحقيقة عن جريانها. أما نظر هؤلاء إلى أساليب العرب، كيف يقولون: صادقتنا الجبال، ثم فارقتنا .. تراءت لنا وبعدت عنا .. والبحر أيضاً ابتلع الشمس ... الخ. وكم يقلبون الخيال لأسرار بيانية كما في المفتاح للسكاكي، (*) وهذا لطافة بيانية مؤسسة على مغالطة وهمية، بسرّ الدوران (49).

وسأبين هنا مثالين مهمين لينسج على منوالهما: ﴿وَيُنزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ (النور 43: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾) يس. (38):

هاتان الأيتان الكريمتان جديرتان بالملاحظة والتدبير؛ لأن الجمود على الظاهر جحود بحق البلاغة، إذ الاستعارة البديعة في الآية الأولى تتوقد بحيث تذيب الجمود المتجمد، وتشق كالبرق ستر سحب الظاهر. أما البلاغة في الآية الثانية فهي مستقرة وقوية ولا معة بحيث تفق الشمس لمشاهدتها.

فالآية الأولى نظيرتها: ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ (الإنسان 16): التي تضمنت استعارةً بديعة مثلها، وذلك كما أن أواني الجنة ليست زجاجاً فهي ليست فضة كذلك، بل مباينة الزجاج للفضة قرينة الاستعارة البديعة. أي إن الزجاج بشفافيته والفضة ببياضها ولمعانها كأنهما نموذجان لتصوير أقداح الجنة، أرسلهما الرحمن إلى هذا العالم ليهيِّج الرغبة لدى المشتاقين إلى الجنة ممن يبذلون أنفسهم وأموالهم في طلبها.

ومثل هذا تماماً، تتقطر استعارةً بديعة من الآية الكريمة: ﴿مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾

أن موضع هذه الاستعارة مبنيٌّ على تصوّر التسابق والمحاكاة بين الأرض والسماء بحكم الخيال وهي كآلاتي:

والحمرة والصفرة في وجه الإنسان مثلاً.

47 (الذاتي: يراد به هنا ما له تحيّر مستقل بنفسه، أي يأخذ قدراً من الفراغ بنفسه.

48 (الأينية: يراد بها المكان والمحل، لأنه يُسأل عنه بـ"أين".

49 (لعله الدوران عند علماء الأصول، وهو: توقف المعلول على علته وجوداً وعدمًا، أي كلما وجدت العلة وجد المعلول وكلما انعدمت انعدم، والله أعلم). د. عبد الملك.)

كما أن الأرض تتزين بجبالها المتزملة بحلج الثلج والبرد أو تتعمم بها، وتتبرج بيساتينها، فالسماء كذلك تقابلها وتحاكيها فتتجمل متبرقةً بالسحاب المتقطع جبلاً وأطواداً وأودية وتتلون بألوان مختلفة مصورة لبساتين الأرض .

فلا خطأ إذن في التشبيه إن قيل أن تلك السحب المتقطعة شبيهة بالجبال أو بالسفن أو بقافلة الإبل أو بالبساتين والوديان، إذ يخيل- في نظر البلاغة -أن قطعات السحاب سيارة وسباحة في الجو كأن الرعد راعيها وحاديها، كلما هزّ عصا برقه على رؤوسهم في البحر المحيط الهوائي اهتزت تلك القطعات وارتجت وتراءت جبلاً كالعهن المنفوش، وكأن السماء تدعو ذرات بخار الماء بالرعد لتسلم السلاح والجنديّة ثم بأمر الاستراحة يذهب كلُّ إلى مكانه ويختفي .

وكثيراً ما لبس السحابُ زيَّ الجبال ويتشكل بهيكله ويتلون ببياض البرد والثلج ويتكيف بالرطوبة والبرودة .ولهذا فبين الجبال والسحب مجاورة وصدّاقة، فاستحق- في نظر البلاغة -أن يتبادلا ويستعيرا لوازمهما، فيعبّر عن السحاب بالجبل مع تناسي التشبيه .

وفي مواضع من القرآن تظهر هذه الأخوة والتبادل؛ إذ قد يظهر هذا في زيّ ذلك وذلك في زي ذلك وفي بريقه ..ومن منازل التنزيل مصافحةُ الجبال والسحب، مثلما هناك معانقةٌ ومصافحةٌ مشهودة على صحيفة كتاب العالم، إذ نرى السحابَ موضوعاً على جبل وكأنَّ الجبلَ مرسىً لسفن السحاب .

الآية الثانية: ﴿وَالسَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾

نعم، إن كلمة تجري تشير إلى أسلوب بياني كما أن كلمة ﴿لِمُسْتَقَرٍّ﴾ تلوح إلى حقيقة . بمعنى أنه يجوز أن يكون الأسلوب البياني المشار إليه بـ﴿تجري﴾ هو الآتي:

إن الشمس كسفينة مدرّعة مصنوعة من دُوب الذهب تجري وتسيح في بحر السماء الأثيري- المعبر عنه بموج مكفوف -⁽⁵⁰⁾ وهي وإن أرسيت في مستقرها إلا أن ذلك الذهب

50 () انظر: الترمذي، تفسير سورة الحديد1 ؛ أحمد بن حنبل، المسند2/370 ؛ الطبراني، المعجم الأوسط.6/15

الذائب يجري في ذلك البحر العظيم، بحر السماء .ولكن ذلك الجريان إنما هو بالنظر الحسي الذي يُراعى لأجل التفهيم، فهو جريان تَبَعِي وعرضي .إلا أن للشمس جريانيين حقيقيين؛ ولا بد أن يكون لها جريانٌ، لأن المقصد- من الآية -بيانُ الانتظام ...وحسب أساليب العرب وفي نظر النظام إن كان الجريان ذاتياً أو تبعياً فالأمر سواء .

ثانياً :إن الشمس في مستقرّها وعلى محورها متحركةٌ، لذا فإن أجزاءها التي هي من ذوب الذهب تجري أيضاً، هذه الحركة الحقيقية هي حبةٌ من تلك الحركة المجازية المذكورة بل هي محرّكها.

ثالثاً :إنه من مقتضى الحكمة أن جريان الشمس وجنودها التي هي سياراتها في فضاء العالم في جريان مشاهد، لأن القدرة الإلهية قد جعلت كل شيء حياً ومتحركاً ولم تجعل شيئاً محكوماً عليه بالسكون المطلق، ولم تسمح الرحمة الإلهية أن يتقيد أي شيء كان بالعطالة المطلقة التي هي أخت الموت وابنة عم العدم .لذا فالشمس أيضاً طليقةٌ بشرط إطاعتها للقانون الإلهي، فلها الحرية في الجريان، ولكن بشرط ألاّ تتدخل في حرية غيرها . إن الشمس سلطان الفضاء وهي المتمثلة للأمر الإلهي، والمنقّدة للمشيئة الإلهية في كل حركاتها .

نعم، إن جريان الشمس كما يكون على سبيل الحقيقة يمكن أن يكون على سبيل المجاز أيضاً، وكما أن جريان الشمس حقيقي وذاتي يمكن أن يكون عَرَضياً وحسبياً أيضاً .والمناز على المجاز كلمةٌ (تَجْرِي) والملوَح للعقدة الحياتية لفظ (لِمُسْتَقَرِّ لَهَا).

نحصل مما سبق :أن المقصد الإلهي في هذه الآية الكريمة إبرازُ النظام والانتظام، فالنظام ساطع كالشمس، وبناء على قاعدة" :بِكُلِّ العسلِ ولا تسل "فإن الحركة المنتجة للنظام سواء كانت من الشمس أو من دوران الأرض، أيما كانت، فلنا مضطرين إلى تحرّي السبب الأصلي لأنه لا يخلّ بالقصد الأساس في ذكر الآية .شبيهه ذلك :الألف مثلاً في" قال"، تحصل بها الخفة، فأياً كان أصل الألف، فالخفة حاصلة والألف ألف، حتى لو كان أصلها قافاً بدل الواو ..

إشارة :فمع هذه التصويرات فإن الجمود البارد والتعصب على الظاهر ينافي حرارة

البلاغة ولطافتها كما أنه يجرح ويخالف استحسان العقل الشاهد على الحكمة الإلهية التي هي أساس نظام العالم الشاهد على الصانع.

وذلك: إذا استقبلت مثلاً جبل " سبحان " من بُعد فراسخ، وأردت أن يتبدل وضعه بالنسبة لجهاتك الأربع، أو تشاهده في كل جهة من جهاتك. فبدلاً من أن تتخطى خطوات يسيرة نحوه، تُكَلِّفُ جبلاً ضخماً ذلك الجرم العظيم أن يأتي إليك من جهاتك الأربع وقطعه دائرة عظيمة تحار في تصوّرها. فهذا المثل العجيب للإسراف والعبثية واختيار الطريق الأطول وترك الأقصر، أعدّه جنائياً على نظام العالم.

والآن انظر بنظر الحقيقة المنصفة إلى هذا التعصب البارد، كيف يعارض حقيقةً باهرة ثابتة بشهادة الاستقراء التام. تلك الحقيقة هي:

لا إسراف ولا عبث في الخلقة، والحكمة الأزلية لا تترك الطريق القصير المستقيم، ولا تختار الطريق الطويل المتعسف، لذا فلم لا يجوز أن يكون الاستقراء التام قرينة المجاز؟ وما المانع الذي يُتصور؟

تنبيه: إن شئت فادخل المقدمات، واجعل المقدمة الأولى هي الصغرى والمقدمة الثالثة هي الكبرى لتنتج لك: أن الذي يشوّش أذهان الظاهريين، انجذابهم إلى الفلسفة اليونانية، حتى نظروا إليها نظر المسلمات في فهم الآيات.. ومما يضحك التكلّي: أن بعضاً فهموا من كلام من هو أجلّ من أن لا يميّز جوهر الحقيقة عن زخارف الفلسفة، قوله بالكردية "عناصر جهان ز وانن ملك" أي: أن الملائكة أجسام نورانية مخلوقة من عناصر، لا كما يزعمه الفلاسفة من أنهم مجردون عن المادة. فهموا من هذا الكلام ومن هذا التصريح أن العناصر أربعة وهي من الإسلام!

فيا للعجب! إن كونها أربعة، وكونها بسيطة هي من اصطلاحات الفلاسفة، ومن أسس العلوم الطبيعية الملوثة، ولا علاقة لها أصلاً بأصول الإسلام. بل هي قضية يُحكم عليها بظاهر المشاهدة.

نعم، إن كل ما يمسّ الدين لا يلزم أن يكون من الدين، فإن قبول كل مادة تمتزج مع الإسلام أنها من عناصر الإسلام يعني الجهل بخواص عنصر الإسلام نفسه، لأن العناصر

الأربعة الأساسية للإسلام، وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس، لا تولد مثل هذه المواد ولا ترُكَّبها.

حاصل الكلام: أن تلك العناصر .. هي عناصر، وهي بسيطة، وهي أربعة، وهي من مستنقع الفلسفة، وليست من معدن الشريعة الخالص، ولكن لدخول أخطاء الفلسفة في لسان سلفنا، وجدوا محملاً صحيحاً لها. لأن السلف عندما قالوا أربعة فهي ظاهراً أربعة، أو هي حقيقة أربعة، وهي التي تولد الأجسام العضوية: مولد الماء والحموضة والأزوت والكربون. وإن كنت حراً في تفكيرك فانظر إلى شر هذه الفلسفة، كيف ألقّت الأذهان إلى السفالة والأسر. فمرحى للفلسفة الجديدة المتحررة التي قضت على تلك الفلسفة اليونانية المستبدة قضاءً مبرماً .

تَحَقَّقْ إذن مما سبق: أن مفتاحَ دلائل إعجاز الآيات وكشافت أسرار البلاغة، هو في معدن البلاغة العربية، وليس في مصنع الفلسفة اليونانية .

أيها الأخ !لما كان الاهتمام واللهفة في كشف الأسرار أبْلَغنا هذا المقام .وجعلناك تصحّبنا ونفلق فكري، ونشعر بما تعانيه من أتعاب ...فالآن نطوّف بك في ميادين عنصر البلاغة ومفتاح الإعجاز في المقالة الثانية .

وياك أن ينفرك إغلاق أسلوبها، وظاهر مسانئها المهلهل؛ لأن دقة معانيها هي التي أغلقتها، وجمال معانيها بذاتها هو الذي جعلها مستغنية عن الزينة الظاهرية.

نعم، إن صدقَ المستغنية المتعجبة، إنعام النظر، ومنازلها سويداء القلب .فما خلعتُ عليها من ملابس يخالف طراز هذا العصر، ذلك لأنني قد ترعرعت في الجبال، وهي مدرسة شرقي الأناضول فلم أتعلّم الخياطة الحديثة!

ثم إن أسلوب بيان الشخص يمثل شخصيته .وأنا كما ترون وتسمعون :مَعَمَّى، مُشكِل الحل .

تم...تم...

المقالة الثانية

عنصر البلاغة

هذه المقالة تبيّن بضع مسائل تتعلق بروح البلاغة

الطيبات لله والصلوات على نبيه

المسألة الأولى

يخبرنا التاريخ بأسفٍ بالغٍ أنه لما انجذب الأعاجم بجاذبة سلطنة العرب فسَدَ بالاختلاط مَلَكَةُ الكلامِ المُضري، التي هي أساسُ بلاغة القرآن؛ إذ لما تعاطى الأعاجمُ والدُخلاء صنعةَ البلاغة العربية حوّلوا الذوقَ البلاغي من مجراه الطبيعي للفكر، وهو نظمُ المعاني، إلى صنعة اللفظ.

وذلك أن المجرى الطبيعي لأنهار الأفكار والمشاعر والأحاسيس إنما هو نظم المعاني.. ونظمُ المعاني هو الذي يشيّد بقوانين المنطق.. وأسلوبُ المنطق متوجّه إلى الحقائق المتسلسلة.. والفكرُ الواصل إلى الحقائق هو الذي ينفذ في دقائق الماهيات ونسبها.. ودقائق الماهيات ونسبها هي الروابط للنظام الأكمل في العالم.. والنظامُ الأكمل هو المندمج فيه الحسنُ المجرد الذي هو منبع كل حسن.. والحسن المجردُ هو روضةُ أزاهير البلاغة التي تسمى لطائفَ ومزايا.. وتلك الجنةُ المزهرة ودقائق الماهيات ونسبها هي التي تجول فيها بلابلٌ عاشقةٌ للأزاهير المسماة بالشعراء والبلغاء وعشاقِ الفطرة.. ونغماتُ تلك البلايل يمدّها صدئٌ روحاني هو نظم المعاني.

ولكن لما حاول الدُخلاء والأعاجم الدخولَ في صفوف الأديباء، فلتت الأمرُ. لأن مزاج الأمة مثلما أنه منشأ أحاسيسها ومشاعرها، فإن لسانها القومي يعبر عن تلك المشاعر ويعكس تلك الأحاسيس. وحيث إن أمزجة الأمة مختلفةٌ، فاستعداد البلاغة في ألسنتها متفاوت أيضاً، ولا سيما اللغة العربية الفصحى المبنية على قواعد النحو.

وبناء على هذا فإنّ نظمَ اللفظ- الذي هو أرض قاحلة جرداء لا تصلح لأن تكون مسيّلاً لجريان الأفكار ومَنبئاً لأزاهير البلاغة -اعترض مجرى البلاغة الطبيعي، وهو نظمُ المعنى فشَوّش البلاغة.

وحيث إن المبتدئين ومن لا مهارة لهم أحوج من غيرهم إلى ترتيب اللفظ وتحسينه وتحصيل المعاني اللغوية- بسوء اختيارهم أو بسوق الحاجة -فقد صرفوا جُلَّ اهتمامهم إلى اللفظ ورغبوا فيما هو أسهلُ مجرئٍ وأظهرُ للنظر العابر وأنسُ للعوام وأولى بأن ينجذبوا إليه وينفعلوا به ويجمعوا حوله، لذا انجذبوا إلى تنميق الألفاظ صارفين أذهانهم عن تنسيق المعاني والتغلغل فيها، تلك المعاني التي كلما قطعت بها مفازة تراءت صحارى شاسعة

باهرة منها .. وهكذا سار الأمر بهم حتى افتترقت أذهانهم فداروا حيث دار اللفظ بعد تصور المعاني، بل حتى غلب اللفظ المعنى وسخره لنفسه، فاتسعت المسافة بين طبيعة البلاغة - وهي كون اللفظ خادماً للمعنى - وصنعة العاشقين للفظ.

فإن شئت فادخل في " مقامات الحريري " فإنه مع جلالة قدره في الأدب، فقد استهواه حبُّ اللفظ وبذلك أخلَّ بأدبه الرفيع، فأصبح قدوة للمغرمين باللفظ، حتى خصص الجرجاني - ذلك العملاق - ثلث كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة دواءً لعلاج هذا الداء.

نعم، إن حب اللفظ داء، ولكن لا يعرف أنه داء! تنبيه: كما أن حب اللفظ مرضٌ، كذلك حب التصوير (الفي)، وحب الأسلوب، وحب التشبيه، وحب الخيال، وحب القافية مرض مثله. بل ستكون هذه الأمراض بالإفراط أمراضاً مزمنة في المستقبل، كما تبدو البوادر من الآن. حتى يُضحَى بالمعنى في سبيل ذلك الحب، بل بدأ كثير من الأدباء بإساءة الأدب والأخلاق لأجل نادرة ظريفة، أو لإتمام قافية رنانة.

نعم، اللفظ يُزَيِّن ولكن إذا اقتضته طبيعة المعنى وحاجته ..
وصورة المعنى تُعظَّم وتعطى لها مهابةً ولكن إذا أذن بها المعنى ...
والأسلوب يُنَوِّر ويلمِّع ولكن إذا ساعده استعداد المقصود ...
والتشبيه يلطِّف ويجمِّل ولكن إذا تأسس على علاقة المقصود وارتضى به المطلوب ...
والخيال يُنشِط ويسِيح ولكن إذا لم يؤلِّم الحقيقة، ولم يثقل عليها، وأن يكون مثلاً للحقيقة متسنبلاً عليها.

المسألة الثانية

إن حياة الكلام ونموه: بتجسّم المعاني وبنفخ الروح في الجمادات. وذلك بإلقاء الحوار فيما بينها بالسحر البياني الحاصل بقوة الخيال؛ المبنية على المغالطة الوهمية، المؤسسة على الدوران - أي ظن أحد الشئيين علّة للآخر في الوجود والعدم كما هو الاعتقاد العرفي - ... فالسحر البياني إذا تجلّى في الكلام بَعَثَ الحياة في الجمادات كالساحر، ويوقع بينها محاورة قد تنجرّ إلى المحبة أو المخاصمة، فيجسّم المعاني ويحييها ويدرج فيها الحرارة

الغريزية.

فإذا شئت فادخل في البيت الصاخب:

يُناجيني الإخلاف من تحت مَطْلِهِ فتختصم الآمال واليأس في صدري(51)

أي: إن خلف الوعد يحاورني من تحت ستار المماطلة في الحق، ويقول: لا تتدع .
فتتخاصم الآمال واليأس ويهدآن منزل صدري المتزلزل.

فترى كيف مثل الشاعر الساحر المحاربة والمخاصمة بتجسيمه الأمل واليأس وبعثه الحياة فيهما، وجعلهما في صراع مع مثير الفتن: إخلاف الوعد، حتى جعل البيت كأنه مشهد سينمائي يتراءى أمام عقلك .نعم، إن هذا السحر البياني نوع من التنويم.

أو استمع إلى شكوى الأرض وعشقها إلى المطر في هذا البيت:

تشكى الأرض غَيْبته إليه وترشفت ماءه رشفت الرضاب(52)

يضع أمام خيالك حالة قيس وليلى، فالأرض قيس ومعشوقها السحاب ليلى !

تنبيه: إن الذي جمل هذا الشعر هو مشابهة ما فيه من الخيال إلى حد ما بالحقيقة؛ إذ الأرض تُحدث صوتاً وأزيزاً إذا تأخر عنها المطر فتمص ماءه مصاً. والذي يشاهد عنها هذه الحالة ينتقل خياله إلى تأخر المطر وشدة حاجة الأرض إليه، وبسر الدوران المعلوم ويتصرف الوهم يُفرغ الخيال نفسه في صورة عشق وحوار بينهما.
إشارة: لا بد في كل خيال من نواة من حقيقة، مثل هذه النوية.

المسألة الثالثة

إن حلل الكلام أو جماله وصورته: بأسلوبه، أي بقالب الكلام؛ إذ الأسلوب يتنور ويتشرب ويتشكل باتخاذة تلاحق قطعات الاستعارة التمثيلية، المتركة من الصور، الحاصلة بخصوصيات من تمايلات الخيال، المتولدة بسبب تلقح الصنعة) البيانية (أو

⁵¹ (الابن المعتز) دلائل الإعجاز (61) وفي ديوان ابن المعتز: تُجاذبني الأطراف بالوصل والقلى..ص.226

⁵² (أبي الطيب المتنبي في ديوانه. 1/263)

المباشرة أو التوغل أو دقة الملاحظة. فالأسلوب بهذا قالب الكلام كما هو معدن جماله ومصنع حلله الفاخرة. فكأن المتكلم ينادي بإرادته- التي تنبه العقل -فيوقظ المعاني الراقدة في زوايا القلب المظلمة، فتخرج حفاةً عراةً وتدخل الخيال الذي هو محل الصور، فتلبس (المعاني) ما تجده من صور في خزينة الخيال تلك، فتخرج بعلمة مهما قلت، حتى قد تلفت على رأسها مندبلاً أو تخرج لابسة نعلًا، أو تخرج بأزرار أو بكلمة تدل على أنها تربت هناك.

فإذا أنعمت النظر في أسلوب الكلام- الكلام الطبيعي الفطري -ترى المتكلم في مرآة الأسلوب، حتى كأن نفسه في أنفاسه ونبراته، وماهيته في نفثاته، وصنعتة ومزاجه ممتازان في كلامه، فلو تخيلت الأمر هكذا لما عوتبت في مذهب الخياليين.

فإن كان في خيالك مرض من الشك في هذا، فزر مستشفى قصيدة" بردة المديح"، وانظر كيف كتب الحكيم البوصيري (*)وصفته الطبية باستفراغ الدمع وحمية الندم:

وَاسْتَفْرَغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ مِنَ المَحَارِمِ وَالزَّمِّ جُمِيَّةَ النَّدَمِ

وإن اشتبهت شرب زلال المعنى من زجاج الحقيقة- أي الأسلوب -وترى امتزاجهما فاذهب إلى الخمار واسأله :

ما الكلام البليغ؟ فسيقول لك بدافع من صنعتة: الكلام البليغ ما طبخته مراحل العلم وبقي في دنان الحكمة وصفته مصفاة الفهم، فدار به الساقون الظرفاء، فشربته الأفكار، وتمشى فيه الأسرار، فاهتزت به الأحاسيس.

وإن لم يرق لك كلام هؤلاء السكاري، فاستمع إلى مهندس الماء، هدهد سليمان عليه السلام، في النبأ الذي أتى به من سبأ، كيف وصف الذي علم القرآن وأبدع السماوات والأرض، إذ يقول الهدهد: إنني رأيت قومًا لا يسجدون لله: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(النمل:25)فانظر، كيف اختار من بين الأوصاف الكمالية ما يشير إلى هندسة الهدهد.

إشارة: مرادي بالأسلوب: قالب الكلام وصورته، وآخرون يقولون غير هذا.

وفائدته البلاغية: التحام تفاريق القصة وقطعها المشتتة، لتهنئ القصة كلها بتحريك

جزء منها حسب القاعدة": إذا ثبت الشيء ثبت بلوازمه"؛ إذ لو وضع المتكلم بيد السامع طرفاً من الأسلوب فالمخاطب يمكن أن يرى تمامه بنفسه ولو مع شيء من الظلمة. فانظر أينما كان لفظ" بارز "فانه كالنافذة تريك ميدان الحرب.

نعم، هناك كثير من أمثال هذه الكلمات لو قيل إنها مَشاهد سينما الخيال فلا حرج. تنبيه: إن مراتب الأسلوب متفاوتة جداً؛ بعضها أرق من النسيم إذا سرى في السَّحر، وبعضها أخفى من دسائس دهاة الحرب في هذا الزمان، لا يشمه إلا ذوو الدهاء، كاستشمام الزمخشري (*) من الآية الكريمة ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ يس (78: أسلوب مَنْ يبرز إلى الميدان!

نعم، إن العاصي لله إنما يبارز خالقه ويحاربه معنىً.

المسألة الرابعة

إن قوة الكلام وقدرته: أن تتجاوب قيوده، وتتعاون كفاءته، ويمد كلُّ بقدره مشيراً إلى الغرض الأصلي ويضع إصبعه على المقصد. فيكون مثلاً ومصدراً لدستور:

عِبَارَاتُنَا سَنَىٰ وَحُسْنُكَ وَاجِدْ وَكُلُّ إِلَىٰ ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ (53)

وكان القيود مسيل ووديان، والمقاصد حوض في وسطها يستمد منها. حاصل الكلام: يلزم التجاوب والتعاون والاستمداد، لئلا تنتشوش صورة الغرض المرتسمة على شبكة الذهن والملتقطعة بنظر العقل.

إشارة: ينشأ التناسب ويتولد الحسن ويلمع الجمال بنشوء الانتظام من هذه النقطة. فتأمل في كلام رب العزة ﴿وَلَئِنْ مَسَّنَّهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ (54) الأنبياء (46: المسوقة للتهويل، وتخويف الإنسان، وتعريفه بعجزه وضعفه. فبناءً على القاعدة البيانية: ينعكس

53 (ل) ينسب إلى قائله: انظر تفسير الألوسي 8/417؛ البحر المديد لابن عجيبة 4/113؛ البرهان للزركشي. 2/160
54 (و) ﴿وَلَئِنْ مَسَّنَّهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ الأنبياء (46):

الضد من الضد " ترى الآية الكريمة تُبين تأثير القليل من العذاب بقصد التهويل والتخويف، فكل طَرَف من الكلام يُمدّ المقصد- وهو التقليل - عن جهته وذلك ب :

التشكيك والتخفيف في لفظ " إنْ. "

والمسّ وحده دون الإصابة في " مسّت . "

والتقليل والتحقير في مادة " نحةً " وصيغتها وتنكيرها.

والتبعيض في " من. "

والتهوين في " عذاب " بدلاً من نكال.

وإيماء الرحمة في " ربك. "

كل ذلك يهول العذاب ويعظمه بإراءة القليل، إذ إنْ كان قليله هكذا فكيف بعظيمه ..

نسأل الله العافية!

تنبيه : هذا نموذج نسوقه لك، إن قدرت فقس عليه؛ فإن جميع الآيات القرآنية يتلألأ عليها هذا الانتظام والتناسب والحسن. ولكن قد تتداخل المقاصد وتتسلسل، وتصبح توابع، كل منها مقارنة مع الأخرى دون اختلاط. فلا بد من الحذر والانتباه، لأن النظرة العابرة كثيراً ما تزلّ في هذه المواضع.

المسألة الخامسة

إن أصل الكلام وصورة تركيبه يفيد المقصد نفسه، كما أن غناه وثروته وسعته هو في بيان لوازم الغرض وتوابعه وهزّه بتلميحات مستتبعاته وإشارات الأساليب؛ إذ التلميح أو الإشارة أساس مهم يهزّ عطف الخيالات الساكنة ويستنتق جوانبها الساكنة، فيهيّج الاستحسان في أقصى زوايا القلب.

نعم، إن التلميح أو الإشارة إنما هو لمشاهدة أطراف الطريق ومطالعتها، وليس للقصد والطلب والتصرف، بمعنى أن المتكلم لا يكون مسؤولاً فيه.

فإن أحببت فادخل في هذه الأبيات لترى ما يستحق المشاهدة :

فانظر إلى شعرات لحية الشيخ الذي اعتلى فرسه وأراد أن يعرض فتوته تجاه حسناء،
تجد فيها مفاتيح بلاغة كثيرة..

فدونك الأبواب افتحها:

قالتُ كبرتَ وشببتُ قلتُ لها هذا غبارُ وقايع الدهر (55)

وأيضاً:

ولا يروّ عك إيماض القتير به فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب (56)
أي لا يخوّفك ابيضاض شعرات فإن نور العقل والأدب قد سالا من الدماغ إلى اللحية.
وأيضاً:

وعينكُ قد نامتُ بليلٍ شبيبيةٍ فلم تنتبه إلا بصبح مشيب

وأيضاً:

وكأنما لطم الصباح جبينه فاقتص منه وخاض في أحشائه (57)
يصف الشاعر فرسه فيريد: أن غرّته إنما هي أثر من لطفة الصباح على جبينه،
وتحجيله إنما هو من خوض قوائمه الأربع في أحشاء الصباح.

وأيضاً:

كأن قلبي وشاحاها إذا خطرثُ وفلّبتها فُلّبها في الصمت والخرس (58)

أي يتحرك قلب الشاعر كوشاح في خصر المعشوق، بينما قلبها في سكون وصمت
كسوارها. فلئن اشتاق قلبي إلى ذلك الزند القوي والخصر النحيف فإن قلبها مستغن عني ...
فالشاعر جمع في البيت الواحد الحسن والعشق والاستغناء والاستيقاق .

⁵⁵ (قول ابن المعتز) أسرار البلاغة. (322)

⁵⁶ (وفي رواية الديوان: فلا يورقك إيماض القتير... والقتير: الشيب. والبيت للطائي الكبير
يمدح الحسن بن سهل.

⁵⁷ (قاله ابن نباتة السعدي في وصف فرس أهداه إياه سيف الدولة). انظر الديوان 1/273
وأسرار البلاغة. (325)

⁵⁸ (للشاعر صريع الغواني) ت 208 هـ/823م (مسلم بن الوليد الأنصاري؛ انظر: العاملي،
الكشكول، 159. وأسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر. 1/45.

وأيضاً :

وألقى بصحراء الغبيط بعاغه نزولَ اليماني ذي العياب المحمل⁽⁵⁹⁾
أي إن السيل القادم من المطر، ألقى بضاعته كالتاجر اليماني في صحراء الغبيط،
فأخذت الأزاهير تتلون بتلك الأخلاط التجارية الممزوجة بالأصباغ والألوان وتلبس الحلل
الزاهية حتى تحمر رؤوسها، مثلما لو نزل تاجر في قرية مساءً واشترى منه أهلها
بضاعته المتلونة المتنوعة، يخرج في الصباح كلٌّ من بيته في زينة وجمال وحتى راعي
القوم يعصب رأسه بعصابة حمراء .

وأيضاً:

غَارَ الوفاءُ وفاض الغدرُ وانفرجتْ مسافةُ الخلف بين القول والعمل⁽⁶⁰⁾
فإن شئت فالتفتْ إلى ما قبل هذه المقالة، تجد أمثلة كثيرة حول هذه المسألة .
منها" :إن مفتاح دلائل إعجاز الآيات وكشاف أسرار بلاغتها، البلاغة العربية لا
الفلسفة اليونانية ."

أو راجع الإشارة التي هي في خاتمة المسألة الأولى من المقالة الأولى، فإن فيها" :إن
شريعة الخليفة أو الشريعة الفطرية قد قرّضت على الأرض المجذوبة السائحة ألا تشذ عن
صف النجوم المقتدية بالشمس."
نعم، إن الأرض مع قرينتها (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) فصلت (11: والطاعة في الجماعة أفضل.
فتأمل الآن في هذه الأمثلة، فإن كل مثال يُريك من أمامه ومن خلفه مقاماتٍ، بحيث
تبرز مقامات أخرى خلفها.

⁵⁹ (صحراء الغبيط: الحزن، وهي أرض بني يربوع بعاغه ثقله، وما معه من متاع .
والمعنى :أرسل السحاب ماءه وقلبه كهذا التاجر اليماني حين ألقى متاعه في الأرض
ونشر ثيابه، فكان بعضها أحمر وبعضها أصفر وبعضها أخضر، كذلك ما أخرج المطر
من النبات والزهر فألوانه مختلفة كاختلاف ألوان الثياب اليمانية) شرح القصائد السبع
الطوال الجاهليات لابن الأنباري .تحقيق: عبد السلام هارون - دار المعارف ص(108
⁶⁰ (في ديوان الطغرائي: غاض الوفاء ...الخ) الغيث المسجم في شرح لامية العجم 2/343
شرح صلاح الصفدي، دار الكتب العلمية بيروت.(1975)

المسألة السادسة

إن ثمرات الكلام هي: المعاني المتولدة في صور متعددة والمتفجرة في طبقات متفاوتة. فكما هو معلوم لدى الكيميائيين: إن الذهب عند استحصاله، يمرر في أنابيب معامِل متعددة ويرسب ترسبات مختلفة في طبقات متفاوتة ويشكل بأشكال متنوعة. وفي الختام يحصل على قسم من الذهب. كذلك الكلام الذي هو خريطة مختصرة أخذت من صورة المعاني المتفاوتة، فالمفاهيم المتفاوتة تتشكل صوراً كالآتي:

إنه باهتزاز قسم من أحاسيس القلب بتأثيرات خارجية تتولد الميول، ويتكوّن معانٍ هوائية منها وتعلّقها بنظر العقل توجّه العقل إلى نفسها.. ثم بتكاتف قسم من ذلك المعنى البخاري يبقى قسم من الميول والتصورات معلقة.. ثم بتقطر قسم آخر يرغب فيه العقل.. ثم القسم المانع يتحصل منه ويُصَلَّب، فيضمه العقل ضمن الكلام.. ثم ذلك المتصلب لأنه يتجلى ويتمثل برسم خاص به، يُظهره العقل بكلام خاص حسب قامته المخصوصة.

بمعنى أن المتشخص من المعنى يأخذه العقل ضمن صورة خاصة للكلام. وما لم يصلّب يسلمه ليد الفحوى، وما لم يتحصل يحمله على إشارات الكلام وكيفياته، وما لم يتقطر يحيله إلى مستتبعات الكلام، وما لم يتبخر يربطه باهتزازات الأسلوب وأطوار المتكلم التي ترافق الكلام.

ومن هذا النبع ينفجر مسمى "الاسم"، ومعنى "الفاعل"، ومدلول "الحرف" ومظروف "النظم"، ومفهوم "الهيئة"، ومرموز "الكيفية"، ومشار "المستتبعات" ومحرك "الأطوار المشايعة للخطاب" ومقصود "الدال بالعبارة" ومدلول "الدال بالإشارة" والمفهوم القياسي لـ "الدال بالفحوى" والمعنى الضروري لـ "الدال بالاعتضاء" وأمثالها من المفاهيم كل منها ينعقد في طبقة من طبقات هذه السلسلة.

فإن اشتقت فتطلع في وجدانك تشاهد هذه المراتب، وذلك إذا ما ألقى محبوبك شعاع حسنه وبريقه من نافذة العين إلى الوجدان؛ فذلك العشق المسمى بالنار الموقدة، يحرق مباشرة الحسيات ويلهبها، فتتهيج الآمال والميول، فتتقب تلك الآمال مباشرة سقت ذلك الخيال الذي في الطبقة العليا، ويستغيث فتسعى إلى تلك الآمال الخيالات الممسكة بيدها

محاسنَ المحبوب أو المشبعة بمحاسن غيرها، فتهاجم معاً وتتطلق من تلك الخيالات إلى اللسان وتستتردف ميل زلال الوصال، وتضع على يمينها آلام الفراق، وتضع في يسارها التعظيم والتأدب والاشتياق، وتضع أمامها محاسن المحبوب المقتضي للعطف والترحم، فتتشر تحية ثنائها، وتنظم قلاند مدحها، المتجلية من الكل بوصف الفضائل المستجلب لزال الوصال، المطفئ للنار الموقدة على الأفتدة. فانظر كم من المعاني ترفع رأسها من غير الطبقات التي تعرفها.

فإن لم تخف فانظر إلى وجدان كل من ابن الفارض وأبي الطيب المنبر أكثر من عيونهما، وتأمل في ترجمان الوجدان في:

غرسْتُ باللحظ ورداً فوق وجنتها حقٌ لطرفي أن يجني الذي غرسا(61)

وأيضاً:

فللعين والأحشاء أول هل أتى تلا عائدي الآسي وثالث تبت(62)

وأيضاً:

صدُّ حمى ظمئي أملك لماذا وهوأك قلبي صار منه جُذاذاً(63)

وأيضاً:

حشاي على جمر ذكي من الغضا وعيناي في روض من الحُسن ترتع(64)

فشاهد واستمع كيف أن عيونهم تتجول في جنة وسعيرُ وجدانهم تُعذِّب.

ولقد بيّن الشعراء خيالات رقيقة جداً بالإشارة إلى محاسن المحبوب، وبالرمز إلى

⁶¹ (وفي رواية ديوان لابن الفارض: غرست باللحظ ورداً فوق وجنته... ص 177 دار صادر، بيروت.

⁶² (أول هل أتى: أراد به سورة من القرآن الكريم أولها) هل أتى (...تلا: من التلاوة، والقراءة. وثالث تبت: أراد بها ثالث لفظة من سورة) تبت يدا أبي لهب (...وهي: أبو لهب. يريد الشاعر: أنه أصبح كأنه لم يكن شيئاً مذكوراً، وصارت أحشأوه تكني بأبي لهب، لشدة اشتغالها بنار الوجد) ص 42 من الديوان.

⁶³ (الصد: الإعراض. حمى: منع. أملك: سمره شفتيك. وهوأك: أي قسماً بهواك. منه: أي من صدك. جذاذاً: قطعاً).

⁶⁴ (وفي رواية ديوان المتنبي: حشاي على جمر ذكي من الهوى...

استغناؤه، وبالإيماء إلى التألم من فراقه، وبالتصريح بالشوق إليه، وبالتلويح بطلب الوصال، وبالنص على الحسن الجالب للعطف ..مع ما يحرك الحسيات من أطوار. إشارة: كما يلزم في نظام أية دولة كانت، أن يكون أجر الموظف حسب وظيفته وبمقدار خدماته وعلى وفق قابليته واستعداده، كذلك يلزم تقسيم العناية وتوزيع الاهتمام توزيعاً عادلاً، بحيث تأخذ كلُّ معنى من المعاني المتزاحمة في مثل هذه المراتب المتفاوتة نصيبه وحظه بنسبة قربه من مركز الغرض الكلي الذي سيق له الكلام، وبنسبة خدمته للمقصود الأساس، وذلك ليحصل بتلك المعادلة: الانتظام، ومن الانتظام: التناسب، ومن التناسب: حسن الوفاق، ومن حسن الوفاق: حُسْنُ المعاشرة، ومن حسن المعاشرة: ميزان التعديل لكمال الكلام. وبخلاف هذا فإن مَنْ هو خادم وظيفَةً وصبي طبعاً إذا دخل في مراتب كبيرة يتكبر فيفسد التناسب ويشوش المعاشرة. أي يلزم أخذ استعداد قيود الكلام بنظر الاعتبار.

نعم، يجب أن يرفع مقام كل شيء بقدر استعداده؛ إذ العين والأنف وما شابههما من الأعضاء مهما كانت جميلة فإنها تنشوه إذا جاوزت الحد ولو كانت ذهباً. تنبيه: قد يذهب جندي بسيط إلى مواضع من العدو لاستكشاف مالا يقدر عليه المشير، أو يؤدي تلميذ صغير من العمل ما لا يؤديه عالم كبير، إذ الكبير لا يلزم أن يكون كبيراً في كل أمر، بل كلُّ كبيرٍ في صنعته. وكذلك قد يترأس معنى صغيرٌ بين تلك المعاني المتزاحمة، فيأخذ قيمةً أعلى، لأن وظيفته ذات أهمية كما سنبينها .

والذي يشير إلى تلك المعاني المتزاحمة، والمنارُ على قيمتها عدمُ صلاحية صريح الحكم المنصوص ولازمه القريب لسفارة الكلام وسوق الخطاب وإرسال اللفظ لأجله؛ إما لكونه بديهياً معلوماً مشهوداً ..أو خفيفاً وضعيفاً لا يُهتم به في الغرض الأساس ..أو لفقدان من يتقبله ويستمتع إليه ..أو لا يوافق حال المتكلم ولا يفي بداعي الرغبة في التكلم ..أو لا يمتزج ولا يقبل الامتزاج مع شرف المخاطب ومنزلته ..أو يبدو غريباً في مقام الكلام وتوابع المستتبعات ..أو ليس له استعداد للحفاظ على الغرض وتهيئة لوازمه .

بمعنى: أن كل مقام يستمع إلى سبب واحد من بين هذه الأسباب. ولكن لو اتحدت
عموماً ترفع الكلام إلى أعلى طبقة.
خاتمة:

هناك معان معلقة، ليس لها شكل مخصوص ولا وطن معين. فهي كالمقتش الذي يمكنه
الدخول إلى أية دائرة كانت، وبعضها يقلد لفظاً خاصاً بها. هذه المعاني المعلقة قسم منها
معان حرفية هوائية، قد تستتر في كلمة، أو يتشربها كلام أو تتداخل في جملة أو قصة،
فإن عصرت تقطر ذلك المعنى كالروح فيها كما في معاني "التحسر" و"الاشتياق"
و"التمدح" و"التأسف" وغير ذلك.

المسألة السابعة

إن العقدة الحياتية للبلاغة، أو بتعبير آخر "فلسفة البيان" أو "حكمة الشعر" هي التمثل
بنواميس الحقائق الخارجية ومقاييسها. أي تمكين قوانين الحقائق الخارجية في المعنويات
والأحوال الشاعرة من حيث القياس التمثيلي وبطريق الدوران وبتصرف الوهم. أي أن
البلغ يتمثل أشعة الحقائق المنعكسة من الخارج كالمرآة وكأنه يقلد الخلقة ويحاكي الطبيعة
بصنعة الخيالية وبنقش كلامه.

نعم، لو لم تكن في الكلام حقيقة، ففي الأقل لا بد فيه من شبيه للحقيقة وما يستمد من
نظامها والتسنبل على نواتها. ولكن لكل حبة سنبلها الخاص فلا تتسنبل الحنطة شجرة.
فإن لم تؤخذ فلسفة البيان بنظر الاعتبار، فالبلاغة تكون كالخرافة لا تعني السامع غير
الحيرة.

إشارة: إن للنحو فلسفته كما للبيان فلسفته. هذه الفلسفة تبين حكمة الواضع وهي
مؤسسة على المناسبات المشهودة المشحونة بها كتب النحو؛ فمثلاً: لا يدخل عاملان على
معمول واحد. وإن لفظ "هل" ما إن يرى الفعل إلا ويطلب الوصال بلا صبر، وإن الفاعل
قوي، والقوي يضم الضمة لنفسه. فهذه وأمثالها نظائر القوانين الجارية في الكائنات وفي
الخارج.

تنبيه: إن هذه المناسبات النحوية والصرفية- التي هي حكمة الواضع -وإن كانت لا تبلغ درجة فلسفة البيان إلا أن لها قيمة رفيعة جداً. فمثلاً: تتحول العلوم النقلية الثابتة بالاستقراء إلى صور العلوم العقلية.

المسألة الثامنة

إن تَلْقِيح المعاني البيانية وتبادل مواضعها وانقلاباتها، إنما هو: بتشرب معنى الكلمة الحقيقي بغرض الكلام أو جذبته بمعنى من المعاني المعلقة إلى جوفه، وحالاً يدخل فيه يرجع المعنى إلى الحقيقة والأساس التي هي صاحب البيت. أما المعنى الذي هو صاحب اللفظ الأصلي فيرجع إلى صورة حياتية تمدّه، وتستمد من المستتبعات. هذا هو السر في وجود معان عدة لكلمة واحدة ومنه ينبع التلقيح والتبادل والانقلاب.

فمن لم يفهم هذه النقطة فاتته بلاغة عظيمة.

إشارة: وكمن شيء يُرْكَب عليه فيستحق لفظ "على"، ولكن ما إن يكون ظرفاً، فإنه يستدعي لفظ "في" كـ: "تجري في البحر.." أو "آلة فتستلزم لفظ" باء "كـ": "صعدت السطح بالسلم"، ولكن لكونها مكاناً أو مركوباً تقتضي أيضاً "في" و"على.." أو يكون غاية فيطلب "الى" و"حتى" ولكن لكونه علّة وظرفاً يناسبه "اللام" و"في" كـ: "كِرْوَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا". فقس.

تنبيه: قدّم ضمن هذه المعاني المتداخلة وصرّح ما كان أمسّ غرضك وأقرب رُحماً إلى القصد، وشيّع الباقي وضمّنه. وإلا كان المعنى عرياناً عاطلاً من حلّة البيان.

المسألة التاسعة

إن أعلى مراتب الكلام وكماله الذي يُعجز الإرادة الجزئية والتصور البسيط للإنسان هو: تضمن الكلام واستعداده بتعدد المقاصد المتداخلة المتسلسلة، وبتسلسل المطالب المرتبطة المتناسلة، وباجتماع الأصول المولدة لنتيجة واحدة، وباستنباط الفروع الكثيرة المولدة لثمرات متباينة .

وذلك: أن الذي يعطي الكلام عظمة وسعةً هو: أن المقاصد القادمة من أبعد هدف وأعلاه- وهو مقصد المقاصد -يرتبط بعضها ببعض، ويكمل أحدها نقصان الآخر، ويؤدي الواحد منها حق جاره، حتى كأن وَضَعَ هذا في موضعه يمكّن الآخر في مكانه، ويقرّ الآخر في مستقره .. وهكذا كلُّ يأخذ محله الملائم له؛ فتنصب تلك المقاصد في قَصْرِ الكلام المشيد بملاحظةٍ نسَبَ يمين هذا وشماله وكل جهاته، وكأن المتكلم استعار عقولاً إلى عقله للتعاون، وغدا كلُّ مقصد من تلك المقاصد جزءاً تشترك فيه التصاوير المتداخلة، بمثل ما إذا وَضَعَ رسام نقطةً سوداء في صور متداخلة، فإنها تكون عين هذا ومنخر ذلك وفم هذا وشامة ذلك .. وهكذا ففي الكلام الرفيع نقاط أمثال هذه..

النقطة الثانية:

إن المطالب تتسلسل وتتناسل بسر القياس المركب المتشعب حتى كأن المتكلم يشير إلى شجرة النسب لبقاء المطالب وتناسلها.

مثلاً: العالم جميل، فصانعه إذاً حكيم، لا يخلق عبثاً، ولا يسرف في شيء، ولا يهمل الاستعدادات والقابليات، أي سيكمل الانتظام دوماً. أي لا يسلط على الإنسان الهجران الأبدي والعدم الذي يمحي الكمالات ويقتل الأمل .. فلا بد إذاً من سعادة أبدية.

وأفضل مثال لهذا: الجهة الثالثة من الفرق بين الإنسان والحيوان من مباحث النبوة في مقدمة الشهادة الثانية من المقالة الثالثة.

النقطة الثالثة:

إن الذي يجعل النتيجة الواحدة تولد نتائج متعاقبة هو: جمع الأصول المتعددة وذكرها، لأن لكل أصل من الأصول، إن لم يكن له ارتباط بالذات وقصدٌ بالنتيجة الرفيعة، ففي الأقل يهزها ويكشفها إلى حد ما فكأن الكلام يشير بتباين الأصول- التي هي مظاهر ومرايا -وبوحدة النتيجة والمتجلي، إلى تجرد المقصد وسموه، واتصال قوته الحياتية بحقيقة الحياة الكلية، حياة العالم المسماة بالدوران العمومي .

فالمقصد الأول من المقاصد الثلاثة التي في ختام المقالة الثالثة مثال لهذا؛ وكذلك الإشارة والإرشاد والتنبيه ومسلك المحاكمة العقلية التي في المسألة الرابعة من المقالة

الثالثة مثال جيد لهذا أيضاً ..

[فانظر إلى كلام الرحمن الذي علم القرآن .فبأي آيات ربك لا تتجلى هذه الحقيقة؟
فويل حينئذٍ للظاهريين الذين يحملون ما لا يفهمون على التكرار.]
النقطة الرابعة:

هي إفراغ الكلام إفراغاً تاماً، ومنحه استعداداً كاملاً، بحيث يتضمن بذورَ كثير من الفروع، ويكون مصدر كثير من الأحكام، ويصبح دليلاً على وجوه عديدة ومعاني مختلفة. وكأن الكلام بتضمنه هذا الاستعداد يلوح إلى ما فيه من قوة للنمو، ويبين كثرة غلته ومحصوله. إذ يجمع في المسألة تلك الفروع والوجوه ليوافق بين مزاياه ومحاسنها، ويسوق كل فرع إلى غرض، ويعين كل وجه في وظيفة] :فانظر إلى قصة موسى فإنها أجدى من تفاريق العصا،⁽⁶⁵⁾أخذها القرآن بيده البيضاء، فخرت سحره البيان ساجدين لبلاغته.]

أيها الأخ!

إن الخيال البلاغي الموجود في هذه المسألة يرسم لك- بمثل هذه الأساليب -شجرة حقيقة عظيمة، عروفتها الجسيمة متشابكة، وعقدتها الطويلة متناسقة، وأغصانها المتشعبة متعانقة، وثمراتها وفواكهها متنوعة. فتأمل في المسألة السادسة فهي مثال لهذه المسألة وإن كانت مشوشة.

تنبيه واعتذار: أيها الأخ!

اعلم يقيناً أن هذه المقالة تبدو لك غامضةً مغلقةً، ولكن ما الحيلة فإن شأن المقدمة الإجمال والإيجاز. وسيتجلى لك الأمر في الكتب الثلاثة.

المسألة العاشرة

إن سلاسة الكلام، بعدم التشابك، وعدم الطفر من حس إلى آخر، مع تقليد الطبيعة

⁶⁵ ("إنك خير من تفاريق العصا"، مثل يُضرب فيمن نفعه أعظم من نفع غيره) مجمع الأمثال للميداني.)

وتمثل الخارجيات، والسداد إلى مسيل الغرض، وتميّز المقصد والمستقر، كالاتي:
إن الوثوب من حسن إلى آخر قبل أن يتم الأول، ومن بعد ذلك مزجه مع الآخر يخل
بالسلاسة ويغيرها، فيلزم التدرج في المعاني المتسلسلة والحذر من الاشتباك العشوائي
بدون نظام.
وينبغي أيضاً مساوفة الطبيعة والتلذذ عليها بصنعة المتكلم الخيالية، كي تنعكس
قوانينها في صنعته.

وكذا يجب محاكاة تصوراته مع الخارجيات ومشاكلتها معها، بحيث إذا تجسمت
تصورات المتكلم في الخارج- هاربة من الدماغ- فلا يردّه الخارج ولا يستلحقها إلى
المتكلم، ولا ينكر نَسبها إليه. بل يقول: هي أنا، أو كأنها أنا أو هي من صليبي.
وكذا يجب السداد وعدم التمايل يميناً وشمالاً، للحيلولة دون التفرق في مسيل الغرض
والتشتت في مجرى القصد، وذلك لئلا تهون الجوانب من الغرض بتشرب قوته، بل تمدّه
الجوانب- كالحوض- بما تتضمنه من الطراوة واللطافة.
ويلزم أيضاً- لسلامة السلاسة- تميّز مستقر القصد، وتعيّن ملتقى الغرض .

المسألة الحادية عشرة

إن سلامة البيان وصحته: إثبات الحكم بلوازمه ومبادئه وبآلات دفاعه، كالاتي :
يجب عدم الإخلال بلوازم الحكم، وعدم إفساد راحته، مع رعايته، والرجوع إلى مبادئه
لاستمداد الحياة .. وذلك بالتقلد بقيود الإجابة عن كل سؤال مقدر في ردّ الأوهام ودفع
الشبهات ..

أي إن الكلام شجرة مثمرة نضدت فيها أشواكها لحمايتها من اجتناء ثمراتها والتجني
عليها. فكأن الكلام نتيجة لكثير من المناظرات والمناقشات وزبدة كثير من المحاكمات
العقلية. فلا يسترق منه السمع شياطين الأوهام ولا يسعهم النظر إليه نظرة سوء، لأن
المتكلم قد أحاط بجهات كلامه الستّ وشيّد حوله سوراً، أي جهّزه بتقييد الموضوع أو

المحمول أو بالتوصيف أو بجهة أخرى دفاعاً عن كل سؤال مقدر ووضعها في نقاط يتوقع هجوم الأوهام منها .

وإن شئت مثلاً لهذا، فهذا الكتاب كله مثال طويل له، ولاسيما المقالة الثالثة فهي مثاله الساطع.

المسألة الثانية عشرة

إن سلامة الكلام وملاسته واعتدال مزاجه: بتقسيم العناية وتوزيع خلع الأساليب حسب ما يستحقه كل قيد، فإن كان الكلام حكاية، فيجب على المتكلم فرض نفسه في موضع المحكي عنه، إذ لا بد من الحلول في المحكي عنه والنزول ضعيفاً إلى قلبه والتكلم بلسانه لدى تصوير أفكاره وحسياته. وإذا تصرف في ماله فيجب العدالة في تقسيم الرعاية والاهتمام- الدالين على القيمة والمكانة -بأخذ كل قيدٍ للكلام واستعداده ورتبته بنظر الاعتبار، وإلباس الأساليب على قامة استعداد كل قيد، حتى يتطلى المقصد بما يناسبه من أسلوب، إذ أسس الأساليب ثلاثة:

الأول: الأسلوب المجرد، كالأسلوب السلس للسيد الشريف الجرجاني (*) ونصير الدين الطوسي (*).

الثاني: الأسلوب المزين، كالأسلوب الباهر الساطع لعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

الثالث: الأسلوب العالي، كبعض الكلام المهيب للسكاكي والزمخشري وابن سينا (*) أو بعض الفقرات العربية لهذا الكتاب، ولاسيما في المقالة الثالثة، فهي تبدو مشوشة إلا أنها تحوي فقرات رصينة، ذلك لأن علو الموضوع قد أفرغ هذا الكتاب في أسلوب عالٍ وما صنعتي أنا إلا جزئية فيه.

الخلاصة: إن كنت في بحث الإلهيات وتصوير الأصول، فعليك بالأسلوب العالي، ففيه الشدة والقوة والهيبة، بل عليك ألا تغادر هذا الأسلوب.

وإن كنت في بحث الخطاب والإقناع، فعليك بالأسلوب المزين ذي الحلي والحلل

والترغيب والترهيب؛ لا تدع هذا الأسلوب ما استطعت، بشرط ألا يداخله التصنع والتظاهر، وما يثير العوام.

وإن كنت في المعاملات والمحاورات وفي العلوم الآلية، فعليك بالأسلوب المجرد وحده فهو الذي يحقق وفاء الموضوع واختصار البحث وسلامة القصد ويجري على وفق السليقة، حتى إنه يبين جماله الذاتي بسلاسته.

خاتمة هذه المسألة:

اعلم أن قناعة الكلام واستغناؤه وعصبيته، أن لا تمدّ عينيك إلى أسلوب خارج المقصد؛ فإذا أردت أن تفصل أسلوباً على قامة معنى من المعاني، فالمعنى نفسه والمقام والصنعة والقصة والصفة يعينك بتفاريق لوازمها وتوابعها، فتخيظ من تلك التفاريق لباس أسلوبك. فلا تمد نظرك إلى الخارج إلا مضطراً .

أو بتعبير آخر قاطع أموال الأجنب، فهو أساس مهم للحيلولة دون تبعثر ثروة البلاد . فمقاطعة الأجنب تزيد قوة الكلام، أي إن المعنى والمقام والصنعة يفيد الكلام بدلالته الوضعية، إذ كما يُظهر الكلام المعنى بدلالته الوضعية، فمثل هذا الأسلوب يشير بطبيعته إلى المعنى.

وإن شئت مثلاً فانظر في المسألة التاسعة إلى :

[فانظر إلى كلام الرحمن الذي علم القرآن، فبأي آيات ربك لا تتجلى هذه الحقيقة؟ فويل حينئذ للظاهرين الذين يحملون ما لا يفهمون على التكرار [وفيها أيضاً]: فانظر إلى قصة موسى، فإنها أجدى من تفاريق العصا، أخذها القرآن بيده البيضاء فخرت سحرة البيان ساجدين لبلاغته .]

وإن شئت فانظر إلى ديباجة كتب العلوم الآلية، فإن ما فيها من براعة الاستهلال- وإن لم يكن بلاغتها دقيقة ولطيفة -براعة استهلال لهذه الحقيقة.

وأيضاً ففي ديباجة هذا الكتاب أمثلة: إذ أظهر النبي الكريم معجزة لنبوته ..وفي ديباجة المقالة الثالثة: قد بُينت جملتنا كلمة الشهادة، كل منها شاهدة على الأخرى ..وكذا قيل في المقدمة السابعة لأولئك الذين قالوا بنزول القمر إلى الأرض بعد انشقاقه: لقد أصبحت سبباً

لخسف معجزة القمر الظاهر كالشمس الساطعة برهاناً على النبوة وجعلتم تلك المعجزة
الظاهرة مخفية كنجم السهي!

وقياساً على هذا تجد أمثلة كثيرة لهذه الحقيقة، لأن مسلك هذا الكتاب مقاطعة أموال
الخارج، وعدم الأخذ منها إلا للضرورة كما هو حالي أنا بل مقاطعتها في المسائل
والأمثلة والأساليب، لكن ربما يرد توافق في الخواطر إذ الحقيقة واحدة، فمن أي باب
دخلت عليها تجدها تجاهك.
خاتمة:

لقد قيل: انظر إلى القول دون القائل! ولكني أقول: انظر إلى من قال؟ ولمن قال؟ وفيم
قال؟ ولم قال؟ إذ يلزم مراعاة هذه الأمور كمراعاة القول نفسه في نظر البلاغة بل هذا هو
الألزم.

إشارة: اعلم أن شرطاً مهماً لمزايا علم المعاني وفن البيان- من حيث البلاغة- هو:
القصد والعمد، بنصب الأمارات والإشارات الدالة على جهة الغرض، فلا تقام للعفوية
وزنٌ.

أما شرط علم البديع والمحسنات اللفظية فهو عدم القصد، والعفوية، أو القرب من
طبيعة المعنى الشبيهة بالعفوية.

تلويح: لا يخفى أن شأن الآلات التي تنقب السطح نافذة إلى الحقيقة، وتدل على الطبيعة
والحقيقة الخارجية، وتربط الحكم الذهني بالقانون الخارجي، بل أنفذ تلك الآلات هي " إن "

التحقيقية. نعم، إن " إن " بناءً على خاصيته هذه استعملت كثيراً في القرآن الكريم.

أيها الأخ!

إن القوانين اللطيفة التي تضمها هذه المقالة لا تورطك في مغالطة، لتبرئها ونفورها
عن هذه الأساليب الخسنة الواهية! فلا يذهب بك الظن إلى القول: لو كانت هذه القوانين
صالحة وصائبة لكانت تلقن واضعها درساً قوياً في البلاغة فكانت تلبس أساليب جميلة،
بينما الذي وضعها أمي وأساليبه متهرئة..

دع عنك هذا الظن، لأنه لا يلزم لكل علم أن يكون كل عالم ماهراً فيه. فضلاً عن أن

القوة المركزية الجاذبة أقوى من القوة الدافعة، ولأن للأذن قرابة مع الدماغ وصلّة رحيم مع العقل، بينما القلب الذي هو منبع الكلام ومعدنه بعيد عن اللسان وغريب عنه. وكثيراً ما لا يفهم اللسانُ فهماً تاماً لغة القلب، وبخاصة إن كان القلب يئن في غور المسائل وفي أعماق بعيدة كغيابة الجب فلا يسمعه اللسان، وكيف يترجمه؟

وحاصل الكلام: الفهم أسهل من الإفهام والسلام
اعتذار:

أيها الأخ الصابر الجلد! ويا من يرافقتني في هذه المسالك الضيقة المظلمة! لا أحسبك إلا متفرجاً حائراً في هذه المقالة الثانية، ولم تك مستمعاً لأنك لم تفهمها، ولك الحق في ذلك؛ إذ المسائل عميقة جداً، وجداولها طويلة جداً. بينما العبارات غامضة مختصرة. ولغتي التركيبية مشوشة وقاصرة ووقتي ضيق، وأنا أكتب باستعجال، وصحتي معتلة؛ فأنا مصاب بالزكام. ففي مثل هذه الأحوال لا يصدر إلا مثل هذه الؤريقات..

[والعذر عند كرام الناس مقبول.]

أيها الأخ!

امزج عنصرَ الحقيقة (القوة الكبرى) (وعنصر البلاغة) القوة الصغرى (وأمر في المزيج الحدس الصادق الذي هو كشعاع الكهرباء، لينتج لك عنصرَ العقيدة المضيئة، وليمنح ذهنك استعداداً لفهمها.

سنبحث عن عنصر العقيدة في المقالة الثالثة.

فأشرع وأقول: نحو(66)

* * *

المقالة الثالثة

عنصر العقيدة

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله

هذه الكلمة السامية أساس الإسلام.. وأتورُ راياته وأعلاها التي ترفرف على الكائنات طراً.

نعم، إن الإيمان الذي هو عهدنا بالميثاق الأزلي قد اندرج في هذا الكلام المقدس. وإن الإسلام الذي هو الماء الباعث على الحياة، قد نبع من عين حياة هذه الكلمة. فهذه الكلمة ميثاق أزلي، سلّم بيد المبشّرين بالفوز بالسعادة الأبدية والمعنيين بها، من بين البشرية المرشحة للخلود.

نعم، إن هذه الكلمة منهاج رباني.. وترجمانٌ بليغ لأوامره تعالى، تنتور به اللطيفة الربانية الموضوعية على نافذة قلب الإنسان المطلّ على عوالم الغيوب.

هذه الكلمة منهاج أزلي، ينطق به اللسان، المبلّغ الأمين عن الإيمان بالله الحكيم ..

وخطاب فصيح ينشده الوجدان المليء بالأسرار تجاه الكائنات.
 إن كلمتي الشهادة كل منها شاهد صادق على الأخرى؛ فالألوهية برهان "لِمِّي" للنبوة
 ومحمد μ بذاته ولسانه برهان "إِنِّي" للألوهية⁽⁶⁷⁾.
 إن حقائق العقائد الإسلامية بجميع تفرعاتها صريحة ومبرهنة في مظانها من الكتب،
 وهي في متناول اليد. ولكن لما كان إيضاح الظاهر يومئ إلى تجهيل المخاطب أو خفاء
 الظاهر، فلا أبيض من عناصر العقيدة سوى ثلاثة أو أربعة منها، وأحيل بقيتها إلى كتب
 فحول العلماء، فقد أوفوها حقها.

مقدمة المقصد الأول

من المعلوم لدى المدققين أن مقاصد القرآن أربعة: إثبات الصانع الواحد، النبوة،
 الحشر الجسماني، العدل.

فالمقصد الأول يخص الدلائل على الصانع الجليل، ومحمد μ أحد براهينه.

هذا، وإن وجود الصانع ووحدانيته أجل وأظهر وأغنى من أن يحتاج إلى إثبات،
 ولا سيما لدى مخاطبة المسلمين، لذا وجهت كلامي هذا إلى الأجانب، وبخاصة اليابانيين؛
 إذ قد سألوا في السابق مجموعة من الأسئلة، فأجبتهم عنها في حينه، وأدرج هنا قسماً من
 تلك الأجوبة .

منها: [ما الدليل الواضح على وجود الإله، الذي تدعوننا إليه؟ والخلق من أي شيء؟
 أمن العدم أو المادة أو ذاته؟ إلى آخر أسئلتهم المرددة.]

أرجو المعذرة عن الغموض الذي يكتنف كلامي، إذ لا يمكن حصر معرفة الله التي لا

⁶⁷ () البرهان الإني واللمِّي: فالإنِّي- بتشديد النون -مصدر صناعي مأخوذ من "إن" المشبهة
 بالفعل التي تدل على الثبوت والوجود. أما اللَمِّي، فهو مصدر صناعي مأخوذ من كلمة
 "لِم" (العلية. وفي) التعريفات للجرجاني: (الاستدلال من العلة إلى المعلول برهان لَمِّي،
 ومن المعلول إلى العلة برهان إِنِّي).

حدود لها في مثل هذا الكلام المحدد.

إن القصد من الكلام الآتي: انجلاء الحقيقة في المجموع، بإظهار طريق المحاكمة العقلية وعقد الموازنات، لأن تحزّي النتيجة بتمامها في كل جزء من أجزاء المجموع ستّر للحقيقة بالأوهام والشكوك، بسبب من جزئية الذهن وسيطرة قوة الوهم.

إن الذي يحجب ظهور الحقيقة الرغبة في المعارضة .. والتزام جانب المعارض .. وإعذار المرء نفسه بالتزامه لها .. وإرجاع أوهامه إلى أصل موثوق .. وتتبع الهفوات والعيوب .. والتحجج بحجج واهية صيبانية .. وأمثالها من الأمور .
فإن استطعت أن تجرد نفسك منها، فقد وفيت بشرطي، فاستمع إذن بقلب شهيد:

المقصد الأول

إن كل ذرة من ذرات الكائنات، بينما هي مترددة في إمكانات واحتمالات غير محدودة، بذاتها وصفاتها وسائر وجوها، إذا بها تسلك مسلكاً معيناً، وتتجه وجهةً مخصّصة، فتنتج مصالح وفوائد تتحير منها الألباب، مما تدل على وجوب وجوده سبحانه، وتشهد شهادة صادقة عليه، وفي الوقت نفسه تزيد سطوع الإيمان المودع في اللطيفة الربانية للإنسان الممتلئة لنموذج عوالم الغيب.

نعم، كما أن كل ذرة من ذرات الكون تدل على الخالق الكريم بذاتها وبوجودها المنفرد، وبصفتها، وخواصها؛ فإنها تدل عليه دلالات أكثر: بمحافظتها على موازنة القوانين العامة الجارية في الكون، إذ تنتج في كل نسبة مصالح متباينة، وفي كل مقام منه فوائد جليّة، لكونها جزءاً من مركبات متداخلة متصاعدة في أجزاء الكون الواسع؛ وذلك من حيث الإمكانات والاحتمالات التي تسلكها في كل مرتبة، حتى إنها تستقرئ دلائل الوجود فيها .. لذا غدت الدلائل على وجوده سبحانه أكثر بكثير من الذرات نفسها.

فإذا قلت: لِمَ إذن لا يراه كل فرد بعقله؟

الجواب :لكمال ظهوره جلّ وعلا.

نعم، إن هناك أجراماً مادية لا تُرى من شدة ظهورها- كالشمس -فكيف بالصانع الجليل المنزّه عن المادة!

تَأْمَلْ سَطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا مِنْ الْمَلَأِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسُولٌ (68)

تأمل في صحائف العالم بعين الحكمة، فانظر كيف سطرّ البارئ المصوّر في تلك الأبعاد الشاسعة سلسلة الحوادث، وأنعم النظر في تلك الرسائل الآتية من المملأ الأعلى كي ترفعك إلى أعلى عليي اليقين.

إن وجدان الإنسان لا ينسى الله قط، لِمَا عُرِزَ فِيهِ مِنْ "نَقْطَتِي الْإِسْتِمَادِ وَالِاسْتِنَادِ" بل حتى لو عَطَّلَ الدماغُ أعماله، فالوجدانُ لا يَنْسَى؛ لأنه منهمكٌ بتلك الوظيفتين المهمتين؛ كالآتي:

إن قلب الإنسان مثلما يَنْشُرُ الحَيَاةَ إِلَى أَرْجَاءِ الجسد، فالعقدة الحياتية في الوجدان- وهي معرفة الله -تنشر الحياة إلى آمال الإنسان وميوله المتشعبة في مواهبه واستعداداته غير المحدودة، كلُّ بما يلائمه، فتقطر فيها اللذة والنشوة، وتزيدها قيمةً وترفعها شأنًا، بل تبسطها وتصلقها. هذه هي نقطة الاستمداد.

ثم إن معرفة الله نقطة استناد وحيدة للإنسان، تجاه تقلبات الحياة ودوّاماتها، وتزاحم المصايب وتوالي النكبات؛ إذ لو لم يعتقد الإنسان بالخالق الحكيم الذي أمره كلُّه حكمةً ونظام، وأسند الأمور والحوادث إلى المصادفات العمياء، وركن إليها وإلى ما يملكه من قوة هزيلة لا تقاوم شيئاً، فسينتابه الفزع والرعب وينهار من هول ما يحيط به من بلايا، وسيشعر بحالات أليمة تُذكّر بعذاب جهنم.. وهذا ما لا يتفق وكمال روح الإنسان المكرّم، إذ يستلزم سقوطه إلى هاوية الذلّ والمهانة، مما ينافي روح النظام المتقن القائم في الكون كله... وهذه هي نقطة الاستناد..

نعم، لا ملجأ إلا بمعرفة الله!

68 (لرجل نحوي مشهور يُعرف بركن الدين بن القوّبع) ت 738 هـ) - (قول على قول 11/157 للكرمي).

إنّ فالوجدان يطلّ على الحقائق بذاتها من هاتين النافذتين، فيرى هيمنة النظام على العالم كله، والخالقُ الكريم ينشر نور معرفته ويبيثها في وجدان كل إنسان من هاتين النافذتين..فمهما أطبق العقلُ جفنه، ومهما أغمض عينه، فالفطرة تراه وعيونُ الوجدان مفتحة دائماً، والقلب نافذة مفتوحة.

تنبيه: إن أصول العروج إلى عرش الكمالات- وهو معرفة الله جلّ جلاله -أربعة:

أولها: منهاج علماء الصوفية، المؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشرافي.

ثانيها: طريق علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان.

هذان الأصلان وإن تشعبا من القرآن الكريم، إلا أن فكرَ البشر قد أفرغهما في صور أخرى فأصبحتا طويلة وذات مشاكل.

ثالثها: مسلك الفلاسفة.

هذه الثلاثة ليست مصنوعةً من الشبهات والأوهام.

رابعها: المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة

والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبنى الإنسان.

ونحن قد اخترنا هذا الطريق .وهو نوعان:

الأول: دليل العناية

إن جميع الآيات الكريمة التي تعدد منافع الأشياء، تومئ إلى هذا الدليل وتنظّم هذا

البرهان .

وزبدة هذا الدليل: رعايةُ المصالح والحكم في نظام العالم الأكمل، مما يُثبت قصد

الصانع وحكمته وينفي وهمّ المصادفة.

مقدمة

على الرغم من أن كل إنسان لا يستطيع أن يستقري استقراءً تاماً رعاية المصالح

والانتظام في العالم ولا يمكنه أن يحيط بها، فقد تشكل- بتلاحق الأفكار في البشرية عامة -

علمٌ يخص كل نوع من أنواع الكائنات، ذلك العلم ناشئ من القواعد الكلية المطردة في

الكون، وما زالت العقول تكشف عن علوم أخرى ..وحيث إن الحكم لا يجري بكنيته في ما

لا نظام فيه، فكلية القاعدة إذن دليل على حسن انتظام النوع.. فبناء على كلية القاعدة هذه غدا كل علم من علوم الأكوان برهاناً على النظام الأكمل في العالم بالاستقراء التام.

نعم، إن إظهار المصالح المتعلقة بسلسلة الموجودات بوساطة العلوم، وبيان فوائد الثمرات المتدلية منها، وإبراز الحكم والفوائد المنتشرة ضمن تلافيف انقلابات الأحوال.. يشهد شهادة صادقة على قصد الصانع الحكيم، ويشير إليه، ويطرد شياطين الأوهام كالنجم الثاقب.

إشارة: إذا جردت نفسك من حجاب الألفة التي هي سبب الجهل المركب، والتي تنشئ لدى الإنسان النظرَ السطحي العابر.. وأفرغت نفسك من محاولة إلزام الخصم، بعدم الانصياع إلى الحق ليس إلا، تلك المحاولة التي تُلحّح الأوهام والشكوك وتسد الطريق إلى العقل.. ونظرت إلى حيوان صغير لا يرى إلا بالمجهر، ورأيت ما تشف تلك الماكنة الصغيرة الدقيقة، الماكنة الإلهية البديعة، عن وجود منتظم متناسق فيه، فلا تستطيع أن تُقع نفسك وتطمئنّها، بأن هذه الآلات الدقيقة ناشئة من مصنع الأسباب الطبيعية الجامدة التي لا شعور لها ولا حدّ لمجالها ولا أولوية لإمكاناتها، إلا إذا استطعت رفع المحالات الناشئة من اجتماع الضدين، أي وجود القوة الجاذبة والدافعة في تلك الذرة التي لا تتجزأ.. فإن كانت نفسك تجد احتمالاً في هذه المحالات، فسيُرفع اسمك من سجل الإنسانية!

ولكن يجوز أن يكون الجذب والدفع والحركة التي هي أساس كل شيء- كما يظنون - أسماءً وعناوينَ قوانينِ الله الجارية في الكون. ولكن بشرط ألا تتحول القوانين إلى طبيعة فاعلة، وألا تخرج من كونها أمراً ذهنياً إلى أمر خارجي مُشاهد، وألا تتحول من كونها شيئاً اعتبارياً إلى حقيقة ملموسة، ولا من كونها آلة تتأثر إلى مؤثر حقيقي.

﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ الملك (3: كلا! فالمُبصر لا يرى نقصاً، إلا إن كان

أعمى البصر والبصيرة، أو مصاباً بقصر النظر!

فإن شئت فراجع القرآن الكريم، تجد دليل العناية بأكمل وجه في وجوه الممكنات، لأن القرآن الكريم الذي يأمر بالتفكير في الكون، يعدد أيضاً الفوائد ويذكر بالنعيم الإلهية.. فتلك الآيات الجليلة مظاهر لهذا البرهان، برهان العناية.

استمبكتُ بما ذكرناه، فإنه إجمالٌ، أما التفصيل فنفسره في الكتب الثلاثة التي عقدنا العزم على كتابتها لبحث علم السماء والأرض والإنسان، كمنهج تفسير في الآفاق والأنفس، إن شاء الله ووفق. وعندها تجد هذا البرهان بوضوح تام.

الدليل القرآني الثاني: دليل الاختراع

وخلصته: أن الله تعالى قد أعطى كلَّ فرد، وكل نوع، وجوداً خاصاً، هو منشأ آثاره المخصوصة، ومنبع كمالاته اللانقطة. فلا نوع يتسلسل إلى الأزل، لأنه من الممكنات. فضلاً عن أن حدوث قسم منها مشاهد، وقسم آخر يراه العقل بنظر الحكمة. إن انقلاب الحقائق محالٌ، وسلسلة النوع المتوسط لا تدوم، أما تحوّل الأصناف فهو غير انقلاب الحقائق.

ولما كان لكل نوع آدمٌ وجدٌ أكبر، فالوهم الباطل الناشئ من التناسل في سلسلة كل نوع لا يسري إلى أولئك الأدميين والأجداد الأوائل؛ إذ إن الفلسفة وعلم الجيولوجيا وعلم الحيوان والنبات، تشهد أن الأنواع التي يزيد عددها على متني ألف نوع، كلُّ منها له مبدأ وأصل معين، وجدٌ أكبر، بمثابة آدم لذلك النوع، وكل مبدأ منها قد حدث حدوثاً مستقلاً عن غيره. وكل فرد من هذه الأنواع الوفيرة كأنه ماكنة بديعة عجيبة تبهر الأفهام، فلا يمكن أن تكون القوانين الموهومة الاعتبارية والأسباب الطبيعية العمياء الجاهلة، موجدةً لهذه السلاسل العجيبة من الأفراد والأنواع، بل هي عاجزةٌ عجزاً تاماً عن إيجادها.. أي إن كل فرد، وكل نوع، يُعلن بذاته أنه صادر صدوراً مستقلاً عن يد القدرة الإلهية الحكيمة.

نعم، إن الصانع الجليل قد ختم في جبهة كل شيء ختم الحدوث والإمكان.

إن قبول احتمال تشكّل الأنواع من أزلية المادة وحركة الذرات العشوائية وغيرها من الأمور الباطلة، إنما هو لمجرد إقناع النفس بشيء آخر غير الإيمان بالله، ولا ينشأ هذا الاحتمال إلا من عدم الإدراك، ومن فساد الفكر، بالنظر السطحي العابر. ولكن ما إن قصد الإنسان وتوجّه بالذات إلى إقناع نفسه، فإنه سيقف على محالية الفكرة ويُعدها عن المنطق والعقل. ولو اعتقدها فلا يعتقددها إلا اضطراراً بالتغافل عن الخالق سبحانه.

إن الإنسان- المكرّم من حيث جوهر إنسانيته -يبحث دوماً عن الحق، ويتحرى الحقيقة

دائماً، وينشد السعادة على الدوام. ولكن أثناء بحثه عن الحق يعثر على الباطل والضلال دون أن يشعر، وأثناء تنقيبه عن الحقيقة يقع الباطل على رأسه بلا اختيار منه، أي كلما خاب في الحصول على الحق ويئس من وجدان الحقيقة قَبْل- مضطراً -أمراً محالاً وغير معقول، يقبله بالنظر السطحي والتبعي، مع أنه يعرف يقيناً بفطرته الأصلية ووجدانه وفكره أنه محال.

خذ هذه الحقيقة بنظر الاعتبار وضعها نصب العين:

إن ما يتوهمونه من أزلية المادة والحركة، من جراء تغافلهم عن نظام العالم.. وما يتخيلونه من مصادفةٍ عشواءٍ في الصنعة البديعة التي تبهر العقول.. وما يعتقدونه من تأثير حقيقي للأسباب الجامدة، رغم شهادة جميع الحُكَم على عدم تأثيرها.. وما يغالطون به أنفسهم ويتسلّون به من إسناد كل شيء إلى الطبيعة الموهومة المتخيلة المتجسمة، بسبب استمرار إغواء الوهم.. تردّه فطرتهم وترفض هذه المحالات والأوهام.

ولكن متى ما توجه الإنسان إلى الحق يقصده، تعرض له على جانبي الطريق هذه الأوهام، من دون دعوة منه ولا طلب. فمن سدّد النظر إلى غرضه وتَصَبَّ هدفه أمام عينه، نظر إلى الأوهام الباطلة نظَرَ العابر السطحي، من دون أن ينفذ إلى باطنها المليء باللوثات؛ وإذا ما توجّه إليها شارباً لها يراها لا تستحق حتى الالتفات إليها فكيف بالشراء! بل يشمئز وجدائه منها ويستحيلها عقله ويمجّها قلبه، إلا أن يشاغب، وتستقرّه السفسطة؛ فيقبل في كل ذرة عقل الحكماء وسياسة الحكام! كي تتشاور كلُّ ذرة وتتجاوز مع أخواتها على الاتفاق والانتظام. فهذا المسلك- وهذا شأنه -لا يقبله حتى الحيوان! ولكن ما الحيلة فإن لازم البيئة من المسلك نفسه، وهذا المسلك لا يصوّر إلا بهذه الصورة.

نعم، إن شأن الباطل هو أنه إذا نظر إليه الإنسان نظَرَ التبعي العابر يُعْطَى له صحة الاحتمال، بينما إذا أنعم النظر فيه يُرفع ذلك الاحتمال ويُدفع.

إن ما يسمونه بالمادة لا تتجرد عن الصورة المتغيرة ولا عن الحركة الحادثة الزائلة، أي إن حدوثها محقق. فبما ترى إن من يضيق عقله عن إدراك أزلية الله سبحانه- وهي صفة لازمة ضرورية للذات الجلية- كيف يتسع عقله لأزلية المادة التي تنافي الأزلية

منافاة مطلقة..حفاً إن هذا شفاء عجاب .حتى يندم الإنسان على إنسانيته كما فكر في هؤلاء الذين يحيلون هذه المصنوعات البديعة إلى المصادفة العمياء وحركة الذرات ويستغربون صدورَها عن الصانع الجليل المتصف بجميع الصفات الكمالية.

إن القوى والصور الحاصلة من حركة الذرات- كما يدعون -لا تتشكل المباشرة الجوهرية للأنواع، بسبب عَرَضِيَّتِها، فالعَرَض لا يكون جوهرأً قط .بمعنى أن فصول هذه الأنواع والخواص المميزة لعموم الأعراض إنما هي مختَرَعٌ من العدم الصِّرف .والتناسلُ في التسلسل إنما هو الشرائط الاعتيادية.

فهذا إجمالاً دليل الاختراع وإن شئت تفصيله بوضوح فادخل جنان القرآن الكريم، فإنه مامن رطب ولا يابس إلا وتفتح في كتاب مبین زهرة زاهية أو برعماً لطيفاً.
فإن شاء الله تعالى، ووفقتي، وسمح الأجل، سأعرض اللألى التي تزین هذا البرهان مستخرجاً إياها من أصداف أَلْفاظ القرآن.

إذا قلت: ما هذه الطبيعة والقوانين والقوى التي يُسألون بها أنفسهم؟
فالجواب: أن الطبيعة هي شريعة إلهية فطرية، أوقعت نظاماً دقيقاً بين أفعالٍ وعناصرٍ وأعضاءٍ جسد الخليفة المسمى بعالم الشهادة، هذه الشريعة الفطرية هي التي تُسمى بالطبيعة والمطبعة الإلهية.

نعم، إن الطبيعة هي محصَّلةٌ وخلاصةٌ مجموع القوانين الاعتيادية الجارية في الكون .
أما ما يسمونه بـ"القوى" فكلُّ منها حُكم من أحكام هذه الشريعة .أما القوانين فكل منها عبارة عن مسألة من مسائلها، ولكن لاستمرار أحكام هذه الشريعة واطِّراد مسائلها، وتهيؤ النفوس التي ترى الخيال حقيقةً وثريها هكذا، تَسَلِّطُ الخيالَ وضيقُ الفهم، فتجسمت الطبيعة حتى أصبحت موجوداً خارجياً وتَنَزَّلَتْ من الخيال إلى المثال .وكم للوهم من حيل تروجُ.
لا يَنقَعُ العقل ولا ينجذب الفكر ولا يأنس نظراً الحقيقة إلى كون آثار القدرة- التي تتحير منها العقول -صادرةً من صنعة هذه الطبيعة الشبيهة بالمطبعة، أو من أمور يسمونها قوى عامة .علماً أنها تفتقر إلى قابلية لتكون مصدرأً أو علَّةً لوجود هذه الكائنات .فليس إذن إلا التغافلُ عن الله الحكيم وإلا الاضطرارُ المتولد من إجازات الانتظام الجاري في الكون فيتخيلون الطبيعة مصدرأً، وهي ليست إلا مسطراً، وما محاولة إنتاج الملزوم الأخص من

اللازم الأعم إلا قياس عقيم . وهذا القياس العقيم فَتَحَ الطرقَ الكثيرة إلى أودية الضلالة والحيرة.

إن الشريعة- والقانون -هي نظام الأفعال الاختيارية، فمع كثرة المخالفات والخرقات، يتصور كثير من الجهلة كأن الشريعة حاكم روحاني، ويتصورون النظام كأنه سلطان معنوي، فيتخيلون أن لهما تأثيراً.

فالبديوي الذي لم يرَ الحضارة، إذا ما شاهد حركات الجنود في طابور، حركة مطردة وأطواراً منسقة وأحوالاً مرتبطة، ظن أن هؤلاء الأفراد العديدين أو الهيئة العسكرية مرتبب بعضهم ببعض بحبل معنوي !

أو أن شخصاً عامياً أو ذا طبع شاعري، تراه يتصور النظام الذي يربط الناس بعضهم ببعض موجوداً معنوياً، أو يتصور أن الشريعة خليفة روحانية، وهكذا يُغالي من يتصور الشريعة الفطرية الإلهية المتعلقة بأحوال الكائنات، أنها الطبيعة، تلك الشريعة التي لم تحرق إلا تكريماً للأنبياء وتصديقاً للأولياء إذ هي مستمرة دائمة . فكيف لا تتجسم الأوهام على هذا النمط من التصورات؟

كما أن استماع الإنسان وتكلمه وملاحظته وتفكره جزئية تتعلق بشيء فشيء على سبيل التعاقب، كذلك همته جزئية لا تشتغل بالأشياء إلا على سبيل التناوب؛ فبوساطة التعاقب يتعلق بشيء فحسب وينشغل به.

ثم إن قيمة الإنسان بنسبة ماهيته، وماهيته بدرجة همته، وهمته بمقدار أهمية المقصد الذي يشتغل به.

ثم إن الإنسان إلى أي شيء توجّه يفنى فيه، وينحبس عليه، وكأنه يكون مصداقاً : "الفناء في المقصد" فبناء على هذه النقطة ترى الناس- في عرفهم -لا يُسندون شيئاً خسيساً وأمرأً جزئياً إلى شخص عظيم، بل إلى الوسائل، ظناً منهم أن الاشتغال بالأمر الخسيس لا يناسب وقاره، وهو يربأ بنفسه عنه، ولا يسع الأمرُ الحقيقير همته العظيمة، ولا يوازن الأمر الخفيف مع همته العظيمة.

ثم إن من شأن الإنسان إذا تفكر في شيء، أن يتحرى مقاييسه وأسسها في نفسه، وإن لم يجدها فقيما حوله وفي أبناء جنسه، حتى إنه إذا تفكر في واجب الوجود المنزه عن الشبه

بالممكنات، تُلجئه قوته الواهمة إلى أن يجعل هذا الوهم السيئ المذكور دستوراً، والقياس الخادع منظاراً، مع أن الصانع جلّ جلاله لا يُنظر إليه من هذه النقطة، إذ لا انحصار لقدرته، لأن قدرته وعلمه وإرادته جلّ جلاله كضياء الشمس- والله المثل الأعلى -شاملة لكل شيء، وعمامة لكل أمر؛ فكما تتعلق بأعظم شيء تتعلق بأصغره وأخسّه. فمقياس عظمته تعالى وميزان كماله سبحانه مجموع آثاره، لا كل جزء منه، إذ لا يصلح أن يكون مقياساً.

وهكذا فقياس واجب الوجود بالممكنات قياسٌ مع الفارق، ومن الخطأ المحض المحاكمة العقلية بالوهم الباطل المذكور.

فبناء على هذا الخطأ المشين للأدب، وتسلب الوهم الباطل، اعتقد الطبيعيون تأثير الأسباب تأثيراً حقيقياً، وادّعى المعتزلة أن الحيوان خالقٌ لأفعاله الاختيارية، ونفى الفلاسفة علم الله بالجزئيات، وقال المجوس: إن للشر خالقاً غيره تعالى؛ إذ ظنوا وتوهّموا أن الله تعالى بعظمته وكبريائه وتنزّهه، كيف يتنزل إلى الاشتغال بمثل هذه الأمور الجزئية الخسيسة. فتنبأ لعقولهم التي حبست نفسها أسيرة في هذا الوهم الباطل.

أيها الأخ! إن هذا الوهم إن لم يرد من جهة الاعتقاد، فقد يستحوذ على المؤمنين من حيث الوسوسة.

فإن قلت: إن دليل الاختراع هو إعطاء الوجود، وإعطاء الوجود يصاحب إعدام الموجود، بينما عقولنا لا تستوعب ظهور الوجود من العدم الصّرف، وانقلاب الوجود المحض إلى العدم المحض.

فالجواب: بيا هذا! إن ما تستصعبونه وتستغربونه في تصوركم هذه المسألة، هو النتيجة الوخيمة لقياس خادع مضلّ، إذ تقيسون الإيجاد والإبداع الإلهي بكسب العبد وصنّعه، والعبد عاجز عن إماتة ذرة وإحيائها، وليس له إلاّ الصنعة والكسب في الأمور الاعتبارية والتركيبية.

نعم، إن هذا القياس خداع لا ينجو الإنسان منه.

وحاصل الكلام: لمّا لم ير الإنسان في الكائنات قدرةً وقوةً تملكها الممكنات إلى درجة

تتمكن بها الإيجادَ من العدم المحض، وبِنَى حُكْمَه على مشاهداته وأنشأه منها، إذ نظر إلى الآثار الإلهية من جهة الممكنات، بينما عليه أن ينظر إليها من جهة القدرة الإلهية الثابتة بآثارها المحيرة للألباب... فتراه يفرض الصانعَ الجليل في قوة وقدرة العباد الذين لا تأثير لهم إلا في الأمور الاعتبارية. أي في قوة موهومة. فينظر إلى المسألة من هذه الزاوية، مع أنه يجب عليه أن ينظر إليها من جانب القدرة التامة للواجب الوجود.

إشارة: إذا أخذت آثارُ أحد من الناس بنظر الاعتبار في محاكمة عقلية، يجب أخذ خاصته أيضاً. ولكن لأنه لم تؤخذ هذه القاعدة في هذه المسألة، فقد نُظر إليها من خلال عجز العبد تحت ستار القياس التمثيلي لقدرة الممكنات. بينما نرى في تكوين العالم أن الله سبحانه وتعالى يخلق قسماً من الممكنات بالإبداع- أي بدون مادة -وقسماً آخر بالاختراع - أي ينشئه من المادة - وهكذا بث في الوجود هذه الآثار المعجزة الباهرة، وأظهرَ قدرته المطلقة بجلاء.

فالإنسان إذا صرف نظره عن هذا، ورأى الغائب بصورة الشاهد بقياس خادع أو وَضَعَ أبناء جنسه في المحاكمة العقلية، أي لو نظر إلى واجب الوجود من هذه الزاوية المحددة، تَوَهَّم أن كثيراً من الأمور المعقولة التي يستصوبها العقل السليم غير معقولة. فلو صرفنا النظر عن المخترعات، فإن القوانين العجيبة للضوء- وهو نور عين العالم وأنور المصنوعات -ونواميسه البديعة المصغرة في بصر الإنسان في ترسيماتها على شبكيته التي أعيا العقولَ حلها .. أقول: إذا قيست هذه التي تُعدّ بعيدة عن العقل بكمال القدرة الإلهية لراها الإنسان مأنوسة مألوفة وبين أهداب عين العقل وبصره.

وكما أن النظريات تُستنتج من الضروريات، كذلك ضروريات آثار الله وصنعتة دليل -وأي دليل -على مخفيات صنعتة. وكلاهما معاً يثبت هذه المسألة.

فهل يمكن أن يتصور العقل أدق وأعجب وأغرب من صنعة الله في نظام العالم، وأبعد من جنس الممكنات وقدرتها؟ لاشك لا يتصور، لأن الحكم والفوائد التي بينتها العلوم تشهد بالضرورة على قصد الصانع وصنعتة وحكمته، حتى اضطرت العقول إلى قبولها. وإلا فالعقل بمفرده لا يقبل أصغر حقيقة من هذه البديهيات.

نعم، إن الذي حمل الأرض ورفع السماوات بغير عمد وسخر الأجرام وأدخل الموجودات تحت نظام فلا يعصونه في أمره .كيف يُستغرب منه أن يحمل ما هو أخف وأسهل بدرجات لا تقدر.

نعم، إن الشك في قدرة من يرفع الجبل عن أن يرفع صخرة ليس إلا فسفطة .
الحاصل: كما أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، كذلك سطورُ كتاب العالم يفسر ما وراءه من إتقان وحكمة.

إذا قلت: يظهر من كلام قسم من المتصوفة معنى الاتصال والاتحاد والحلول؛ فيُتوهم من كلامهم وجودُ علاقة مع مذهب وحدة الوجود الذي يتبناه قسمٌ من الماديين.

الجواب: إن شطحات محققي الصوفية، التي هي من قبيل المتشابهات، لم يفهمها هؤلاء، إذ إن مسلّكهم المبني على الاستغراق وحصر النظر في الذات الإلهية والتجرّد من الممكنات قد ساقهم إلى أن يكونَ مطمُحٌ نظرهم رؤيةَ النتيجة ضمن الدليل، أي سلكوا مسلّك رؤية الصانع الجليل من خلال العالم .!فعبّروا عن جريان التجليات الإلهية في جداول الأكوان، وسرّيان الفيوضات الإلهية في ملكوتية الأشياء، ورؤية تجلي أسمائه وصفاته سبحانه في مرايا الموجودات ...عبّروا عن هذه الحقائق- لصيق الألفاظ-بالألوهية السارية والحياة السارية .هذه الحقائق لم يفهمها أولئك، إذ طبقوا شطحات المحققين الصوفيين على أوهام واهية ناشئة من سوء الفهم وفقر الاستعداد ..فسُحفاً وبعداً لعقولهم.

إن الأفكار المجردة للعلماء المحققين التي هي بسمو الثريا أبعدُ بكثيرٍ من أفكارٍ سافلةٍ للمقادين الماديين التي هي في دركات الثرى.

نعم، إن محاولة تطبيق هذين الفكرين، في هذا العصر، عصر الرقي، دليلٌ على إصابة العقل البشري بسكتة دماغية .وتنظرُ الإنسانية إلى هذا الأمر نظراً للأسف والأسى وتضطرُّ إلى أن تقول بلسان مواهبها وقابليتها للرقي والتحقيق العلمي]: كلا ..والله ..أين الثرى من الثريا، وأين الضياء من الظلمة الدامسة.]

إشارة: إن هؤلاء هم أصحاب " وحدة الشهود"، ولكن قد يعبرُ عنهم مجازاً بأهل " وحدة

الوجود"؛ حيث إن وحدة الوجود- على حقيقته -مسلكٌ باطل لقسم من الفلاسفة القدماء .
تنبيه: لقد قال رئيسٌ هؤلاء المتصوفة وكبيرهم: "من ادّعى الاتصال أو الاتحاد أو
الحلول، لم يشمّ من معرفة الله شيئاً...كيف يتصل أو يتحد الممكن بالواجب؟ بل أيّ قيمة
للممكن حتى يحل فيه الواجب، تعالى الله وتقدّس عما توهم المتوهمون."

نعم، يتجلى فيضٌ من فيوضات الله في الممكن .فمسلك هؤلاء لا علاقة له ولا مناسبة
فيه مع أولئك، ولا تماس بينهما قطعاً، لأن مسلك الماديين حصرُ النظر في المادة
والاستغراقُ فيها، حتى تجردت أفكارهم وتعزّت أذهانهم عن فهم الألوهية وابتعدوا عنه،
بل أعطوا المادة قيمةً وأهمية عظيمة حتى رأوا فيها كل شيء، بل وألج قسمٌ منهم في مسلك
دنيء حيث مزجوا الألوهية بالمادة .

أما أهل "وحدة الشهود- "وهم المحققون الصوفيون -فقد حصروا نظرهم في واجب
الوجود حتى لم يروا للممكنات قيمة، فقالوا: "هو الموجود."

الإنصاف للإنصاف أيها الناس! فالبُعد بين المذهبين بُعدُ الثرى عن الثريا .أقسم بالله
الذي خلق المادة بأنواعها وأشكالها، لا أرى في الدنيا أبشع وأخسّ وأنعى على صاحبه
بانحراف مزاج عقله من الرأى الأحق الذي ينتج التماسٌ بين هذين المسلكين.

تنوير:

لو افترض- مثلاً -أن الكرة الأرضية قد تشكلت من قطع زجاجية صغيرة جداً
ومختلفة الألوان، فلا شك أن كل قطعة ستستقيض من نور الشمس حسب تركيبها وجرمها
ولونها وشكلها.

فهذا الفيض الخيالي ليس الشمس بذاتها ولا ضياءها بعينه.

فلو نطقت ألوان الأزهار الزاهية المتجددة والتي هي تجليات ضياء الشمس وانعكاسات
ألوانه السبعة، لقال كل لون منها: إنَّ الشمس مثلي، أو إن الشمس تخصني أنا.

أَنْ خَيَّالَاتِي كِه دَامِ أَوْلِيَا سُنْتِ عَكْسِ مَهْرُويَانِ بُوسْتَنَانِ خُدَاسْتِ (69)

ولكن مشرب أهل وحدة الشهود هو: الصحو والتمييز والانتباه، بينما مشرب أهل وحدة الوجود هو: الفناء والسكر. والمشرب الصافي هو مشرب الصحو والتمييز .

"تَفَكَّرُوا فِي آيَةِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَقْدِرُوا (70) "

حَقِيقَةُ الْمَرْءِ لَيْسَ الْمَرْءُ يُدْرِكُهَا فَكَيْفَ كَيْفِيَّةُ الْحَبَّارِ ذِي الْقِدَمِ

هُوَ الَّذِي أَبْدَعَ الْأَشْيَاءَ وَأَنْشَأَهَا فَكَيْفَ يُدْرِكُهُ مُسْتَحْدَثُ النَّسَمِ (71)

تنبيه: هذه هي الدلائل الإجمالية لوجود الصانع، سترد تفاصيلها في الكتب الثلاثة .

إذا قلت: أريد بيان دلائل التوحيد ولو إجمالاً.

أقول: إن دلائل التوحيد أكثر بكثير من أن يضمها هذا الكتاب. وما تضمنته الآية الكريمة: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) الأنبياء (22: من برهان التمانع دليلٌ كافٍ، ومنار ساطع على هذا المنهاج.

نعم، الاستقلال خاصة ذاتية ولازم ضروري للألوهية.

إن تشابه آثار العالم، وتعانق أطرافه، وأخذ بعضه بيد بعض، وتكميل بعضه انتظام البعض الآخر، وتجاوب الجوانب، وتلبية بعض لسؤال بعض، ونظر الكل إلى نقطة واحدة، وحركة الكل بالانتظام على محور نظام واحد، تلوح بوحدانية الصانع بل تصرح بأن صانع هذه الماكنة الواحدة واحد. وتتلو على الكل:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ (72)

69 (أي) "إن الخيالات التي هي شراك الأولياء إنما هي مرآة عاكسة تعكس الوجوه النيرة في

حديقة الله. "والبيت لجلال الدين الرومي في مثنويه ج. 1/3

70 (الطبراني، المعجم الأوسط 6456؛ اللالكائي، السنة 1/119/1؛ البيهقي، شعب الإيمان

1/75 .

71 (ينسب إلى الإمام علي كرم الله وجهه، ديوان الإمام علي ص 185، بيروت.

72 (الأبي العناهيمية في ديوانه، وينسب إلى علي كرم الله وجهه، ونسبه ابن كثير في تفسيره

إلى ابن المعتز.

إن الأبعاد الشاسعة غير المتناهية للأفاق صحائف كتاب العالم
والآثار التي لا تعد سطورُ كائنات الدهر
لقد طبعت في لوح الطبيعة المحفوظ:
إن كل موجود لفظٌ مجسّم حكيم.

لا شك أن الشاعر الفاضل "تحسين" (*) لا يقصد بغير المتناهي وغير المعدود معناه
الحقيقي وإنما الأمر النسبي.

إشارة: إن الصانع الجليل متصف بجميع الأوصاف الكمالية، لأنه من المقرر أن ما في
المصنوع من فيض الكمال، مقتبسٌ من ظلّ تجلي كمال صانعه، فبالضرورة يوجد في
الصانع جلّ جلاله من الجمال والكمال والحسن ما هو أعلى بدرجات غير متناهية حتماً
من عموم ما في الكائنات من الحسن والكمال والجلال؛ إذ الإحسان فرغٌ لثروة المُحسن
ودليل عليها، والإيجاد، لوجود المُوجد، والإيجابُ لوجوب الموجب، والتحسين لحسن
المحسن المناسب له.

وكذلك إن الصانع منزّه عن جميع النقائص، لأنها تنشأ من عدم استعداد ماهيات
الماديات، وهو تعالى مجرّدٌ عن الماديات، ومقدّس عن لوازم وأوصافٍ نشأت من إمكان
ماهيات الكائنات، وهو سبحانه واجب الوجود ليس كمثلته شيء جلّ جلاله.

مقدمة:

إن قلت: لقد ذُكر في الديباجة أن الكلمة الثانية من كلمتي الشهادة شاهدةٌ على الأولى
ومشهود عليها .

الجواب: نعم، إن أقوى منهج من بين المناهج المؤدية إلى معرفة الله، كعبية الكمالات،
وأكثرها استقامة، هو المحجة البيضاء التي سلكها صاحبُ المدينة المنورة .p ذلك المنهج
الذي ترجمه لسائنه الصادق المبارك العاكس كالمرآة لما في قلبه الشريف، الذي هو
كمشكاة مطلّة على عوالم الغيب .فهو p روح الهداية، وأصدقُ شاهدٍ حيٍّ وأفصح برهان
ناطق وأقطع حجة على الصانع الجليل؛ إذ من حيث الخليفة، ذاته برهان باهر، ومن حيث

الحقيقة لسائنه شاهد صادق.

نعم، إن محمداً ρ حجة قاطعة على وجوده تعالى وعلى النبوة وعلى الحشر وعلى الحق وعلى الحقيقة. كما سيأتي تفصيله.

تنبيه: لا يلزم الدور؛ لأن صدقه ثابتٌ بأدلة لا تتوقف على أدلة الصانع.

تمهيد: إن رسولنا الكريم ρ برهان على وجوده تعالى، لهذا يجب إثبات صدق هذا

البرهان، ونتاجه وصحته صورةً ومادةً، نُخو:

المقصد الثاني

اللهم صل على سيدنا محمد الذي دل على وجوب وجودك...

أما بعد:

فيا عاشق الحقيقة! إن كنت تتحرى الحقائق بمطالعة وجداني أنا، فطهر قلبك. تلك اللطيفة الربانية -من الصدا، أي الرغبة في المعارضة والخلاف.. والتزام طرف المخالف والمعارض.. وإعذار النفس بإرجاع أوهاملك إلى أصل لتحقيقها.. وطلب رؤية نتيجة المجموع في كل فرد، الذي يضعف بانفراده عن حمل النتيجة، فيجلب لك استعداداً سيئاً لردّ النتيجة.. والتطلع بطبيعة الصبيان، وسجية الأعداء، أي التشبث بحجج واهية.. وتقمص طبيعة المشتري الذي يتحرى العيوب والنقائص.. وأمثالها من الأمور.

فاصلُ تلك المرأة وطهرها منها، ثم أبدأ بالموازنة والمقابلة واجعل الشعلة الجوّالة الناتجة من امتزاج أكثر الأمارات قرينةً منوّرة على أقلها، كي تتنور هذا القليل من أوهاملك المظلمة ويندفع.

ثم استمع بقلب شهيد وبإنصاف وروية، ولا تعترض حتى يبلغ الكلام أجله، فإنه إلى الختام جملة واحدة، حكمٌ واحد، ومن بعد ذلك إن بقي لك ما تقول فاذكره.

استمع إلى ما أقول فإني أبدأ بالأصغر: برهان النبوة مطلقاً، ثم الأكبر: نبوة محمد. ρ

اعلم أن حكمة الصانع الجليل ..وعدم العبثية في أفعاله ..ومراعاته النظام في أقل ما في العالم ..وعدم إهماله أحسن ما فيه ..وضرورة حاجة البشرية إلى مرشد ..كُلُّ ذلك يستلزم قطعاً النبوة في نوع البشر .

إن قلت :لم أفهم هذا الإجمال، يرجى التفصيل :

أقول :اسمع، فإنك تشاهد أن النبوة المطلقة التي هي بمثابة معدن نظام البشرية المادي والمعنوي، ومركز انتظام أحوال كثير من الأنواع التي ضمتها تحت تصرفها قوة العقل .. هذه النبوة المطلقة برهانها رُقِيَّ الإنسان على الحيوانية في ثلاث نقاط:

النقطة الأولى:

إدراك الإنسان وكشفه عن الترتيب في الأشياء، الناشئ من العلل المترتبة المتسلسلة في الخلقه ..وقابليته العلمية والتركيبية، ومعرفته الحاصلة من تحليله مركبات بذور كمالات الإنسانية إلى بسيطات، وإرجاعها إلى أصلها ..وقدرته على محاكاة الطبيعة، ومساوقة نواميس الله الجارية في الكون بصنعتة ومهارته، بالسر الكامن في القاعدة : "بداية الفكر نهاية العمل، نهاية الفكر بداية العمل".

فالإنسان الذي هذه قابليته، يدرك قصور نظره في صنعتة، وزحمة الأوهام عليه، وافتقاره في جبلته الإنسانية ..مما يدلُّه على حاجته الماسة إلى نبي مرشد، يحافظ على موازنة النظام المتقن في العالم.

النقطة الثانية:

هي استعداد الإنسان غير المتناهي، وأماله ورغباته غير المحصورة، وأفكاره وتصورات غير المحدودة، وقوته الشهوية والغضبية غير المحددة.

فترى الإنسان يتأسف ويتأفف ويقول :ليت كذا وكذا، حتى لو مُنح ملايين السنين من العمر وتمتّع بلذائذ الدنيا وحكم حكماً نافذاً في كل شيء ..وذلك بحكم اللاتناهية المغرورة في استعداده، فكأن عدم الرضا هذا يرمز ويشير إلى أن الإنسان مرشح للأبد، ومخلوق للسعادة الأبدية .كي يتمكن من تحويل استعداده غير المحصور من طور القوة إلى طور

الفعل في عالم غير متناهٍ وغير محدود بحدود، وأوسع بكثير من عالمه هذا.

إن عدم العبثية، وثبوت حقائق الأشياء تومئان إلى أن هذه الدنيا الدنيئة الضيقة المحصورة، وتَرَاحَمَ كثير من الأعراض فيها والتي لا تخلو من التحاسد والاضطراب، لا تسعُ كمالات الإنسانية، بل تحتاج تلك الكمالات إلى عالم أرحب لا تَرَاحَمَ فيه، كي يتسنبل استعدادُ البشر وينمو نمواً كاملاً، فيكون منسجماً مع نظام العالم بانتظام أحوال كمالاته.

ولقد أومئ إلى الحشر استطراداً، وسيُبرهن بالبرهان القاطع في موضعه. ولكن الذي أريد قوله هو:

إن استعداد الإنسان مسدّدٌ نحو الأبد. فإن شئت فتأمل في جوهر الإنسانية، وقيمة ناطقيته، ومقتضى استعداده، ثم انظر إلى الخيال الذي هو أصغر خادم لجوهر الإنسانية، واذهب إليه وقل: أيها الخيال السيد، أبشر فسيوهب لك عمرٌ يزيد على ملايين السنين مع سلطنة الدنيا وما فيها.. ولكن عاقبتك الفناء والعدم وعدم العودة إلى الحياة، ثم انظر كيف يقابلك الخيال؟ أبالبشارة والسرور أم بالحسرة والندامة؟

بل إن جوهر الإنسانية سيئٌ في أعماق الوجدان " آه.. واحسرتاه.. على فقدان السعادة الأبدية.. "وسيعتف الخيال ويزجره" :يا هذا لا ترضَ بهذه الدنيا الفانية."

فيا أيها الأخ!

إن كانت سلطنة الدنيا الفانية لا تُشبع خادمَ سلطان الإنسانية أو شاعرَه أو صنّاعَه أو مصوِّره- وهو الخيال -ولا تُرضيه، فكيف تشبعه وهو السيد الذي يعمل بين يديه الكثيرون من أمثال ذلك الخادم؟

نعم، إنها لا تشبعه، ولن تشبعه إلا السعادة الأبدية المكونة في صدَف الحشر الجسماني.

النقطة الثالثة :

هي اعتدالُ مزاج الإنسان، ولطافة طبعه، وميلُه إلى الزينة، أي ميله الفطري إلى العيش اللائق بالإنسانية.

نعم، إن الإنسان لا يعيش عيشَ الحيوانات، ولا يسعه ذلك؛ فهو محتاجٌ لتحصيل

حاجاته في مأكله وملبسه ومسكنه إلى تلطيفها وإتقانها بصنائع جمّة لا يقدر هو بانفراده عليها كلها، ولهذا احتاج إلى الامتزاج مع أبناء جنسه، ليتشاركوا فيتعاونوا، ثم يتبادلوا ثمرات سعيهم. ولكن لتجاوز قوى الإنسانية على الآخرين- بسر عدم التحديد-تحتاج الجماعة إلى العدالة في تبادل ثمرات السعي..ثم لأن عقل كل واحد لا يكفي في درك العدالة، احتاج النوع إلى وضع قوانين كلية..ثم لمحافظة تأثيرها ودوامها، لا بد من مقنن يجريها..ثم لإدامة حاكمية ذلك المقنن في الظاهر والباطن يحتاج إلى امتياز وتفوق- مادة ومعنى-ويحتاج أيضاً إلى دليل على قوة المناسبة بينه وبين مالك الملك صاحب العالم..ثم لتأسيس إطاعة الأوامر وتأمين اجتناب النواهي يحتاج إلى إدامة تصوّر عظمة الصانع وصاحب الملك في الأذهان..ثم لإدامة التصور ورسوخ العقائد يحتاج إلى مذكّر مكرّر وعمل متجدد، وما المذكّر المكرّر إلا العبادة...وهذه العبادة تُوجّه الأفكار إلى الصانع الحكيم، وهذا التوجه يؤسس الانقياد، والانقياد هو للإيصال إلى النظام الأكمل والارتباط به، وهذا النظام الأكمل يتولد من سر الحكمة، وسر الحكمة يشهد عليها إتقان الصنع وعدم العبثية.

فإذا علمت هذه الجهات الثلاث من تمايز الإنسان عن سائر الحيوانات أنتج لك بالضرورة: أن النبوة المطلقة في نوع البشر قطبٌ بل مركزٌ ومحور تدور عليه أحوال البشر وذلك كالآتي:

دقق النظر في الجهة الأولى :

إنه لما لم يكفِ ميلُ الإنسان الطبيعي وسوقُ إنسانيته، وقصرُ نظره، واختلاطُ الأوهام في طريق عقله..احتاج البشر أشد الحاجة إلى مرشد ومعلم..فذلك المرشد هو النبي.p
ثم تدبر في الجهة الثانية:

إن اللاتناهيّة المغرورة في الإنسان، وميله إلى التجاوز في طبيعته، وعدم تحدد قواه، وعدم انضباط أماله...هذه اللاتناهيّة في الميول والأمال لا يسعها قانونُ البشر الذي لا ينطبق على قامته استعداداته النامية كثمرة لميله إلى الترقّي الذي هو غصنٌ من شجرة ميل الاستكمال في العالم.

فعدم كفاية هذا القانون البشري الحاصل نتيجة تلاحق الأفكار والتجارب التدريجية،

لإنماء بذور ثمرة استعدادات الإنسان، جعل الإنسان يحتاج إلى شريعة إلهية حية خالدة تحقق له سعادة الدارين معاً مادةً ومعنىً، وتتوسع حسب قامة استعداداته ونموها... فالذي أتى بالشريعة هو النبي. p

إذا قلت: إننا نشاهد أن أحوال الملحدون أو ذوي الأديان المنحرفة تجري على وفق العدالة والانتظام.

الجواب: إن تلك العدالة والانتظام إنما نشأ بتذكير أهل الدين وإرشاداتهم؛ فأسس العدالة والفضيلة شيدها الأنبياء عليهم السلام، أي إن الأنبياء هم الذين أرسوا تلك القواعد والأسس، ثم أخذ هؤلاء بالفضيلة وعملوا بها ما عملوا، زد على ذلك فإن نظامهم- وكذا سعادتهم -ليس دائماً بل مؤقتاً، فهو إن كان قائماً ويستقيم من جهة فهو منحرفٌ ومائلٌ من جهات كثيرة، أي مهما يبذُ منتظماً في صورته ومادته ولفظه ومعاشه فإنه في سيرته ومعناه وروجه فاسدٌ ومختل.

أيها الأخ! الآن بدأ دورُ الجهة الثالثة... تفكر جيداً في الآتي:

إن الإفراط والتفريط في الأخلاق يفسدان الاستعدادات والمواهب، وهذا الإفساد ينتج العبثية، وهذه العبثية مناقضٌ للحكمة الإلهية المهيمنة برعاية المصالح والحكم حتى على أصغر شيء في العالم.

إن ما يقال من "مَلَكَة معرفة الحقوق" أي الإحساس إحساساً مادياً بضرر كل ما هو فاسد، وكذا ما يقال من "مَلَكَة رعاية الحقوق" الحاصلة من تنبيه الأفكار العامة وبث الوعي فيها. هذان الأمران يجعلهما الملحدون بديلاً عن الشريعة الإلهية. إن تصوّرهم هذا واستغناءهم عن الشريعة توهمٌ باطل ليس إلا؛ لأنه لم يظهر لحد الآن شيء من هذا الأمر في الدنيا وقد هرمت، بل حتى مقدماته! وإنما صحَّ العكس، إذ كلما رقت المحاسن رقت المساوي أيضاً وتزينت بأرغاب زبيٍّ وأخدعه .

نعم، إن نواميس الحكمة لا تستغني عن دساتير الحكومة، كما تحتاج البشرية أشد الحاجة إلى قوانين الشريعة والفضيلة الحاكمة على الوجدان .

وهكذا فملَكَة تعديل الأخلاق الموهومة لا تكفي للمحافظة على القوى الثلاث في

الحكمة والعفة والشجاعة... لذا فالإنسان بالضرورة محتاج إلى نبي يمسك بميزان العدالة الإلهية النافذة والمؤثرة في الوجدان والطبائع .

إشارة :لقد ظهر أُلوف الأنبياء عليهم السلام وأعلنوا النبوة وأثبتوا نبوتهم بمعجزاتهم التي تربو على الأُلوف .فجميعُ أولئك الأنبياء الكرام يعلنون بمعجزاتهم بلسان واحد وجودَ النبوة المطلقة في نوع البشر ...

فهي برهان قاطع على النبوة المطلقة، صغرى البراهين .وهذا ما يسمى بالتواتر بالمعنى أو سُمّوه ما شئتم من الأسماء، فهو دليل قوى.
تنبيه :إن جهة الوحدة لهذه المحاكمات العقلية هي:

أنه إذا أخذت العلوم جميعها ونُظر إلى ما كشفته بقواعدها الكلية من اتّساق وانتظام .. ودُقّق النظرُ في أفعالٍ واهية وأمر ضعيفة تترايط وتتصل بخميرة تجمع مصالحها الجزئية المتفرقة، تلك هي اللذة أو المحبة أو أمر آخر أودّعته العناية الإلهية في تلك الأفعال والأمر كما في المأكل والمنكح ..وإذا عُلِمَ عدمُ العينية الثابتُ بشهادة الحكمة، وعدمُ الإهمال...فإن النتيجة الحاصلة بالاستقراء التام هي:

أن النبوة التي هي قطب المصالح الكلية ومحورها ومعدنُ حياتها ضروريةٌ لنوع البشر .فلو لم تكن النبوة لهلك النوع البشري .إذ كأنه أُلقي من عالم منظم إلى عالم مختل، فيخل بالقوانين الجارية العامة ..

تنبيه :أيها الأخ !فلو قبل هذا الفرضُ فكيف تُجابه الإنسانيةُ سائرَ المخلوقات في العالم؟ ..إذا انتقش في ذهنك صغرى براهين الصانع، فتهيأ لندخل إلى مبحثٍ كبرى براهينه وهو نبوة محمد. p

إشارة وإرشاد :البرهان الأكبر صادقٌ .فإذا ما طالعت آثار الأنبياء المنقوشة في صحيفة العبر في العالم، واستمعت إلى أحوالهم الجارية بلسان التاريخ واستطعت أن تجرّد الحقيقة- أي جهة الوحدة -من تأثير صور الزمان والمكان ..تري أن أموراً دفعت البشرية إلى تسميتهم بالأنبياء هي:

أن حقوقَ الله وحقوقَ العباد التي هي ضياء العناية الإلهية وشعلة المحاسن المجردة، قد اتخذها الأنبياء عليهم السلام دستورَ حركتهم ..

ومعاملةَ الأنبياء مع أمهم ..

وتلقي الأم لهم ..

وتركهم منافعهم الشخصية لأجل دعوتهم ..

وأمرأً أخرى غيرها دفعت البشرية إلى إطلاق النبوة عليهم.

أما الأسس التي هي مدار النبوة فهي تظهر بأكمل وجهٍ وأظهره فيه p ، إذ هو أستاذُ أبناء البشر في سن كمال البشر، ومنبع العلوم العالية في مدرسة جزيرة العرب ومعلمها.

بمعنى أنه بالاستقراء التام ولاسيما في النوع الواحد، ولاسيما بتأييد القياس الأولوي، وبإعانة القياس الخفي المبني على الانتظام المطرد تنتج نبوة محمد p .

وبتجريد الخصوصيات المسماة بتتقيح المناط، فإن جميع الأنبياء عليهم السلام، يشهدون بلسان معجزاتهم على صدق محمد p البرهان الباهر على وجود الصانع الجليل.

اعتذار:

إني لا أورد كلامي في جمل قصيرة، فتكونُ غامضة مع شيء من الإغلاق، إذ لما كانت هذه الحقائق قد مدت جذورها في كل جهة فإن المسألة تطول، لذا لا أريد تجزئة صورة المسألة والإخلال بها وإيلام الحقيقة. وإنما أريد إحاطة الحقيقة بسور دائري حولها، كي تنحصر الحقيقة ولا تفلت، فإن لم أستطع مسكها فليمسكها غيري. وإن أعذرتوني فيها ونعمت، وإلا فكلُّ حرٍّ فيما يراه، ولا سبيل إلى الإكراه.

براهين نبوة محمد p

مقدمة

إنَّ كلَّ حال من أحوالهم ، وكل حركة من حركاته دليلٌ على صدقه .

نعم، إن عدمَ التردد في كل حركة من حركاته، وعدمَ مبالاته بالمعترضين، وعدمَ تخوفه من المخالفين ..شاهدٌ على صدقه وجديته.

وإن إصابته روحَ الحقيقة في أوامره كلها تدل على أنه على الحق المبين .

نحصل من هذا :أنه في الوقت الذي هو مبرأ من التخوف والتردد والاضطراب وأمثالها من الأمور التي تومئ إلى الحيلة وعدم الثقة وفقدان الاطمئنان، تراه يلفت نظر أهلِ الدقة إلى كل فعل من أفعاله وإلى كل طور من أطواره ...يلفتهم بالمبدأ على صدقه وفي المنتهى على إصابته الحق؛ إذ يعمل في أخطر المواقع دون تخرج وبقوة اطمئنان بالغ، ومن بعد ذلك بلوغه الهدف في الختام بتأسيسه القواعد الحية المثمرة لسعادة الدارين، ولاسيما إذا لوحظ مجموع حركاته وامتزاجها، فالجدية وإصابته الحق تشعان كالشعلة الجواله، ويتجلى لعينك برهان نبوته من انعكاساتها وموازاتها.

إشارة :إن الزمان الماضي والزمان الحاضر- أي عصر السعادة النبويّ -والمستقبل يتضمنان براهين نيرة على النبوة، ويرددان بلسان واحد برهاناً ذاته م بأنه معدن الأخلاق العالية وداعي الصدق ودلائل النبوة .فهذه الأزمنة تدل وتعلن عن نبوته وتبينها حتى لمن فقدَ بصره، ولهذا سنطالع هذه الصحف الثلاث والمسالة العظمى من ذلك الكتاب ..وهي ذاته المباركة ، فنزوره ونبين مدعانا الذي هو البرهان الأكبر.

وبناء على هذه النقاط فمسالك النبوة أربعة .والخامسة منها مشهورة مستورة.

المسلك الأول للنبوة

يعني لا بد من معرفة أربع نكت لنز ذاته الشريفة:

إحداها :أنه" ليس الكحلُّ كالتكحلِّ (73)"أي لا يصل الصنعيُّ والتصنعيُّ- ولو كانا على أصل الوجه -مرتبةً الطبيعيِّ والفطريِّ ولا يقوم مقامه، بل تومئ فلتأث هينته العامة إلى

73 (لأنَّ جلمَكَ جلمٌ لا تكلفُهُ ليسَ التَّكحلُّ في العَيَّينِ كالكحلِّ) للمتنبى)

التصنع والتكلف.

ثانيتهما: أن الأخلاق العالية إنما تتصل بأرض الحقيقة بـ"الجديّة"، وأن إدامة حياتها وانتظام مجموعها إنما هي بـ"الصدق"، ومتى ما انقطعت عرى الصدق والجديّة منها صارت كهشيم تذروه الرياح.

ثالثتها: من القواعد وجود الميل وال جذب في الأمور المتناسبة، ووجود التدافع والتنافر في الأمور المتضادة، فكما أن هذه القاعدة جارية في الماديات، جارية أيضاً في الأخلاق والمعنويات.

رابعتها: "للكل حكمٌ ليس لكلٍ.." إن آثار محمد μ وسيرته المباركة وتاريخ حياته تشهد- مع تسليم أعدائه -بأنه لعلّ خلق عظيم، وأنه قد اجتمعت فيه الخصال العالية كافة. ومن شأن امتزاج كثرة من تلك الأخلاق وتجمّعها وإحاطتها، توليد عزة النفس، التي تولّد شرفاً ووقاراً يترفعان عن سفاسف الأمور، كترفع الملائكة وتنزههم عن الاختلاط بالشياطين... فالأخلاق السامية كذلك لا تسمح أصلاً بتداخل الحيلة والكذب بينها، بل تنتزه وتنتبرأ وترفع عنها، بحكمة التضاد فيما بينها .

ثم إن حياة هذه الأخلاق الرفيعة وروحها هي: الصدق وإصابة الحق... فهما يضيئان كالشعلة المنورة ويعلنان عنها.

أيها الأخ! ألا ترى أن الشخص المشتهر بالشجاعة وحدها يترفع عن الكذب، لنلا يخل بالمقام الذي تعطيه تلك الصنعة، فكيف إذا اجتمعت جميع الخصال الرفيعة؟ نعم، للكلِّ حكمٌ ليس لكلٍ.

نشاهد في الوقت الحاضر: أن المسافة بين الصدق والكذب لا تتجاوز الإصبع، فكلاهما يباعان في سوقٍ واحدة، ولكن لكل زمان حكمه، إذ لم يحدث قط في أي وقت مضى أن اتسعت الشقّة بين الصدق والكذب اتساعه الذي حدث في عصر السعادة النبوية. فقد انجلى الصدقُ ببهائه الحقيقي وبكمال الاحتشام والهيبة، واعتلى محمد μ الصادق الأمين أعلى عليي الصادقين، وأوقع انقلاباً عظيماً في العالم، فأظهر بُعدَ الصدق عن الكذب بُعد ما بين المشرق والمغرب. فراج سوقُ الصدق ومتاعه في ذلك القرن.

أما الكذب الشبيه بأشلاء الأموات والجثث، فقد ظهر قبَّه وسماجته، وتردَّى بمن تمسك به من أمثال مسيلمة الكذاب إلى أسفل سافلي الإنسانية فكسد سوفه ولم ترج بضاعته في ذلك القرن.

وهكذا فمِن طبائع العرب الاعتزاز والتفاخر، والرغبة في الرائج من المتاع... لذا تسارعوا وتسابقوا للتجمل بالصدق والبعد عن الكذب، ونشروا راية العدل على العالمين . ومِن هنا نشأت عدالة الصحابة عقلاً . إذا أنعم الإنسان النظر في السيرة والتاريخ والآثار، ودقق حاله ρ من الرابعة من عمره إلى الأربعين، مع أن شأن الشبابية وتوقد الحرارة الغريزية أن تظهر ما يخفى، وتلقى إلى الظاهر ما استتر في الطبيعة من الحيل والخداع، تراه ρ قد تدرج في سنه وعاشر باستقامة كاملة، ومتانة بالغة، وعفة تامة، مع اطراد وانتظام، وما أوما حالٌ من أحواله إلى خديعة، لاسيما في مقابلة المعاندين الأذكياء .

وبينما تراه ρ كذلك إذ تنظر إليه وهو على رأس أربعين سنة الذي من شأنه جعل الحالات ملكة والعادات طبيعة ثابتة لا تخالف، قد أوقع انقلاباً عظيماً في العالم ..فما هو إلا من الله.

فمن لم يصدّق أنه من الحق وعلى الحقيقة المحضة، فقد اختفى إذن في ذهنه سوفسطائي. ألا ترى أنه ρ كيف كان حاله في أمثال واقعة الغار الذي انقطع بحسب العادة أمل الخلاص، إذ يتصرف بكمال الوثوق وغاية الاطمئنان والجدية . كل ذلك شاهد كاف على نبوته وجديته ودليل قاطع على تمسكه بالحق.

المسلك الثاني

إن صحيفة الماضي برهان على نبوته، بملاحظة أربع نكت:

إحداها :أن من يأخذ أساسات علم وفن- أو في القصص -ويعرف روحه والعقد الحياتية فيه ويحسن استعمالها في مواضعها ثم يبني مدّعه عليها، فإن ذلك يدل على مهارته وحذاقته في ذلك العلم.

ثانيها :أيها الأخ !إن كنت عارفاً بطبيعة البشر، لا تر أحداً يتجاسر بسهولة على مخالفة وكذب ولو حقيراً، في قوم ولو قليلين، في دعوى ولو حقيرة، بحيثية ولو ضعيفة .

فكيف بمن له حيثية في غاية العظمة، وله دعوى في غاية الجلالة، ويعيش بين قوم في غاية الكثرة، ويقابله عناد في غاية الشدة، ومع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، إلا أنه يبحث في أمور لا يستقل فيها العقل وحده، ويظهرها بكمال الجدية، ويعلمها على رؤوس الأشهاد .. أفلا يدل هذا على صدقه؟

ثالثتها: إن كثيراً من العلوم المتعارفة عند المدنيين- بتعليم العادات والأحوال وتلقين الوقوعات والأفعال- مجهولة نظرياً عند البدويين. فلا بد لمن يحاكم محاكمة عقلية، ويتحرى حال البدويين أن يفرض نفسه في تلك البداية.

فإن شئت فراجع المقدمة الثانية، فقد أوضحت هذه النكتة.

رابعتها: لو ناظر أمي علماء علم، ثم بيّن رأيه في مسأله مصدقاً في مظان الاتفاق، ومصححاً في مطارح الاختلاف، يدلك ذلك على تفوقه، وأن علمه وهبي لا كسبي .

فبناء على هذه النكتة نقول:

إن الرسول الكريم p مع أميته، كأنه بالروح الجواله الطليقة طوى الزمانَ والمكان، فدخل في أعماق الماضي، وبيّن كالمشاهد لأحوال الأنبياء عليهم السلام، وشرح أسرارهم على رؤوس العالم، في دعوى عظيمة تجلب إليها أنظار الأذكىاء. وقد قص قصصهم بلا مبالاة ولا تردد وفي غاية الثقة والاطمئنان، وأخذَ العقدَ الحياتية فيها وأساساتها، مقدمةً لمدّعا مصدقاً فيما اتفقت عليه الكتب السالفة ومصححاً فيما اختلفت فيه. فثبت أن حاله هذه دليلٌ على نبوته.

إن مجموع دلائل نبوة الأنبياء عليهم السلام دليلٌ على صدقه p ، وجميع معجزاتهم معجزة معنوية له .

أيها الأخ !

قد يحلّ القسّم محلّ البرهان، لأنه يتضمن البرهان لذا]: والذي قصّ عليه القصص للخصص، وسير روحه في أعماق الماضي وفي شواهد المستقبل، فكشّف له الأسرار في زوايا الواقعات، إن نظره النقاد أدق من أن يُدلس عليه، ومسلكه الحق أغنى من أن يُدلس على الناس.]

نعم، إن الخيال لا يستطيع أن يظهر نفسه حقيقة لنور نظره ρ ، ومسلكه الحق أغنى من أن يدلس أو يغالط الناس.

المسلك الثالث

في بيان صحيفة الحال الحاضرة- أعني عصر السعادة النبوية-

فها هنا أيضاً أربع نكت؛ ونقطة لا بد من إنعام النظر فيها:

إحداها: أنك إذا تأملت في العالم ترى أنه قد يتعسر ويستشكل رفع عادة ولو حقيرة، في قوم ولو قليلين، أو خصلة ولو ضعيفة في طائفة ولو ذليلين، على ملك ولو عظيماً، بهمة ولو شديدة، في زمان مديد بزحمة كثيرة، فكيف أنت بمن لم يكن حاكماً، تثبث في زمان قليل بهمة جزئية بالنسبة إلى المفعول، وقلغ عادات ورفع أخلاقاً قد استقرت بتمام الرسوخ واستؤنس بها نهاية استئناس واستمرت غاية استمرار، فأرسي فجأة بدلها عادات وأخلاقاً تكلمت دفعةً في قلوب قوم في غاية الكثرة ولماؤفاتهم في نهاية التعصب، أفلا تراه خارقاً للعادات؟ فإن لم تصدق بهذا فسأورد اسمك في قائمة السوفسطائيين.

ثانيتها: هي أن الدولة شخصٌ معنوي، تشكّلها تدريجي- كنمو الطفل -وغلّبها للدول العتيقة- التي صارت أحكامها كالطبيعة الثابتة لمآنها متمهلة تدريجية أيضاً. أفلا يكون حينئذ من الخارق لعادة تشكّل الدول تشكيلٌ محمد ρ لحكومة عظيمة، في زمان قصير، وغلّبها للدول العظمى دفعة، مع إبقاء حاكميته لا على الظاهر فقط بل ظاهراً وباطناً ومادةً ومعنىً. فإن لم تستطع رؤية هذه الأمور الخارقة، فأنت في طائفة العميان!

ثالثتها: هي أنه يمكن بالقهر والجبر تحكّم ظاهري، وتسلّط سطحي، لكن الغلبة على الأفكار والتأثير بإلقاء حلاوته في الأرواح والتسلّط على الطبائع مع محافظة حاكميته على الوجدان دائماً لا يكون إلا من خوارق العادات. وليس إلا الخاصة الممتازة للنبوة. فإن لم تعرف هذه الحقيقة فأنت غريب عنها.

رابعتها: هي أن تدوير أفكار العموم وإرشادها بجيل الترهيب والترغيب، إنما يكون تأثيرها جزئياً سطحياً مؤقتاً يسدّ طريق المحاكمة العقلية في زمان. أما من نفذ في أعماق القلوب بإرشاده، وهيج دقائق الحسيات، وكشفت أكامم الاستعدادات، وأيقظ السجايا الكامنة،

وأظهر الخصال المستورة، وجعل جوهر إنسانيتهم فوّارة، وأبرز قيمة ناطقيتهم، فإنما هو مقتبسٌ من شعاع الحقيقة ومن الخوارق للعادة.

نعم، إن صقلّ القلوب وتطهّيرها من أمثال القساوة المتجسمة في وأد البنات، وجعل تلك القلوب ترق وتترحم حتى على النمل الصغير، إنما هو انقلاب عظيم. لاسيما لدى أولئك البدويين. بحيث إن أرباب البصائر يصدقونه حتماً، ويقولون إنه خارق للعادة لا يشملها قانون طبيعي.

فإن كنت ذا بصيرة تصدّق هذا بلا ريب.

والآن استمع إلى هذه "النقطة":

إن تاريخ العالم يشهد أن الداوي الفريد، هو الذي اقتدر على إنعاش استعداد عمومي، وإيقاظ خصلة عمومية، والتسبب لانكشاف حس عمومي، إذ من لم يوقظ هكذا حساً نائماً يكون سعيه هباءً منثوراً ومؤقتاً لا يدوم.

وهكذا فإن أعظم الدهاة قد وُقِّق لإيقاظ واحد أو اثنين أو ثلاث من هذه الحسيات العمومية: كحس الحرية، وكحس الحمية المليية، وحس المحبة. أفلا يكون إذن من الخوارق إيقاظ ألوف من الحسيات العالية المستورة النائمة، وجعلها دفعةً فوّارة منكشفة في قوم بدويين منتشرين في جزيرة العرب، تلك الصحراء الواسعة.

إن من لم يُدخل هذه النقطة في عقله، نتحدها بجزيرة العرب فهي ماثلة أمام عينه.. بعد ثلاثة عشر عاماً، وبعد ترقى البشر في مدارج التمدن. !فلينتخب المعاندون مئةً من أكمل الفلاسفة، وليسعوا مائة سنة، فهل يفعلون جزءاً من مئة جزء مما فعله النبي p بالنسبة إلى زمانه؟

إشارة: إن من أراد التوفيق يلزمه مضافةً مع عادات الله، ومعارفةً مع قوانين الفطرة، ومناسبةً مع روابط الهيئة الاجتماعية. وإلا أجابته الفطرة بعدم الموفقية جواب إسكات! أما النواميس العامة الجارية فتتخذ من يخالفها إلى صحراء العدم. تأمل في هذا، تر أن حقائق الشريعة التي هي قوانين دقيقة عميقة جارية في فطرة العالم، كم حافظت على موازنة قوانين الفطرة وروابط الاجتماعيات التي بدقتها لا تتراءى لعقول أولئك القوم!!

نعم، إن المحافظة على حقائق الشريعة، في هذه الأعصار المديدة، مع تلك المصادمات العظيمة بل انكشافها أكثر، يدل على أن مسلك الرسول الكريم ρ مؤسس على الحق الذي لا يزول.

إذا عرفت هذه النكت الأربع مع هذه النقطة، فاستمع بذهن متفتح واسع يملك قوة في المحاكمة العقلية ودقة في الملاحظة، إلى ما يأتي:

إن محمداً الهاشمي ρ مع أنه أمي لم يقرأ ولم يكتب، ومع عدم قوته الظاهرية، وعدم ميله إلى تحكم وسلطنة.. قد تشبث بقلبه- بوثوق واطمئنان في موقع في غاية الخطر وفي مقام مهم -بأمر عظيم، فغلب على الأفكار، وتحبب إلى الأرواح، وتسلبت على الطباع وقلع من أعماق قلوبهم العادات والأخلاق الوحشية المألوفة الراسخة المستمرة الكثيرة. ثم غرس في موضعها في غاية الإحكام والقوة - كأنها اختلطت بلحمهم ودمهم - أخلاقاً عالية وعادات حسنة.. وقد بدل قساوة قلوب قوم خامدين في زوايا الوحشة بحسيات رقيقة وأظهر جوهر إنسانيتهم، ثم أخرجهم من زوايا النسيان ورفق بهم إلى أوج المدنية وصيرهم معلمي عالمهم، وأسس لهم دولة عظيمة في زمن قليل. فأصبحت كالشعلة الجواله والنور النوار بل كعصا موسى تبتلع سائر الدول وتمحوها. فأظهر صدقه ونبوته وتمسكه بالحق إلى كل من لم تعم بصيرته.

فإن لم تر صدقه ذلك فسوف يشطب اسمك من سجل الإنسان!

المسلك الرابع

في مسألة صحيفة المستقبل، لاسيما مسألة الشريعة.

لا بد من ملاحظة أربع نكت فيها :

إحداها : أن شخصاً لا يكون متخصصاً، وصاحب ملكة، في أربعة علوم أو خمسة منها، إلا إذا كان خارقاً.

ثانيها : أن مسألة واحدة قد تتفاوت بصدورها عن متكلمين، إذ أحدهما لما نظر إلى مبدئها ومنتهاهها، ولاحظ ملاءمتها مع السياق والسباق، واستحضر مناسبتها مع أخواتها،

ورأى موضعاً مناسباً فأحسن استعمالها فيه، وتحرى أرضاً مُنبَتَةً فزرعها فيها.. مما دلّ كلامه على ماهريته وحذاقته.. أما الآخر فلأنه أهمل هذه النقاط، دلّ كلامه في المسألة على سطحيته وتقليده وجهله، علماً أن الكلام هو الكلام نفسه. فإن لم يميّز عقلك هذا فروحك تحس به.

ثالثتها: أن كثيراً من الكشوف التي كانت تُعدّ من الخوارق قبل عصرين، لو كانت في هذا العصر لعدّت من الأمور الاعتيادية، وذلك بسبب تكمل المبادئ والوسائل، حتى يلعبُ بها الصبيان كما ذكر في المقدمة الثانية.

استحضر هذا واجعله نُصب عينك، ثم ارجع بخيالك إلى ما قبل ثلاثة عشر قرناً وتجرد من التأثيرات الزمانية والمكانية، وانظر إلى الأمور في جزيرة العرب تر: إنساناً وحيداً لا خبرة سابقة له في أمور الأنظمة والمجتمع، ولم تُعنه أحوال زمانه وبيئته، إلا أنه أسس نظاماً، وأرسى عدالة، تلك هي الشريعة، التي هي خلاصة جميع قوانين العلوم وكأنها حصيلة تجارب كثيرة، بل لا يبلغ إدراكها الذكاء مهما توسع، تلك الشريعة متوجهة إلى الأزل، معلنة أنها آتية من الكلام الأزلي، ومحقة سعادة الدارين .

فإن أنصفت تجد أن هذا ليس في طوق بشر، في ذلك الزمان، بل خارج عن طوق النوع البشري قاطبة. إلا إذا أفسدت أوهام سينة بالتغلغل في الماديات طرف فطرتك المتوجهة نحو هذه الحقائق.

رابعتها: كما ذكر في المقدمة العاشرة وكما سيأتي في جواب نقطة الاعتراض كالاتي : إن الإرشاد إنما يكون نافعاً إذا كان على درجة استعداد أفكار الجمهور الأكثر، والجمهور باعتبار الكثرة الكاثرة منه عوام والعوام لا يقتدرون على رؤية الحقيقة عريانة، ولا يستأنسون بها إلا بلباس خيالهم المؤلف. فلهذا صورت الشريعة تلك الحقائق بمتشابهات وتشبيهات فابهمت وأطلقت في مسائل العلوم الكونية، التي يعتقد الجمهور بالحس الظاهري خلاف الواقع ضرورياً. وذلك لعدم انعقاد المبادي والوسائل.. ولكن مع ذلك أومأُ إلى الحقيقة بنصب أمارات.

تنبيه: إن الصدق يلعب في كل فعل وكل حال من أفعاله وأحواله. إلا أن هذا لا

يلزم أن تكون أفعاله وأحواله خارقة، لأن إظهار الخوارق والمعجزات لتصديق المدعى . وإن لم تكن إليه حاجة يكون الانقياد لقوانين عادات الله بالانسحاق للنواميس الجارية العامة.

أيها الأخ !إن هذا التنبيه من طائفة مقدمة المسلك الأول، إلا أنه بسبب النسيان ضاع في الطريق فدخل هاهنا.

تفطن لهذه النكت، ونحن ندخل النتيجة:

إن الديانة والشريعة الإسلامية المؤسسة على البرهان ملخصة من علوم وفنون تضمنت العقد الحياتية في جميع العلوم الأساسية، منها فن تهذيب الروح، وعلم رياضة القلب، وعلم تربية الوجدان، وفن تدبير الجسد، وعلم إدارة المنزل، وفن سياسة المدنية، وعلم أنظمة العالم، وفن الحقوق، وعلم المعاملات، وفن الآداب الاجتماعية، وكذا وكذا... فالشريعة فسرت وأوضحت في مواقع اللزوم ومطانّ الاحتياج، وفيما لا يلزم أو لم يستعد له الأذهان أو لم يساعد له الزمان، أجملتُ بخلاصة ووضعت أساساً، وأحالت الاستنباط منه وتفريعه ونشو نمائه على مشورة العقول. والحال أنه لا يوجد في شخص كل هذه العلوم، ولا تلتها بعد ثلاثة عشر عصاراً، في المواقع المتمدنة، ولا في الأذكياء . فمن زين وجدائه بالإنصاف يصدّق بأن حقيقة هذه الشريعة خارجة عن طاقة البشر دائماً ولاسيما في ذلك الزمان.

والفضل ما شهدت به الأعداء:

فهذا" كارلايل (*)"فيلسوف العالم الجديد، ينقل عن أحد حكماء الألمان وسياسييه، أنه قال بعد ما أنعم النظر في حقائق الإسلام " :إن كان الإسلام هكذا فيا ترى أيمن للمدينة الحاضرة أن تعيش ضمن إطار الإسلام؟ .فأجاب نفسه :نعم ".بل المحققون الآن يعيشون ضمن تلك الدائرة.

ثم قال كارلايل" :ما كاد يظهر الإسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية وكل ما لم يكن بحق فإنها حطبٌ ميت أكلته نارُ الإسلام فذهب."

نعم، إنه منذ ثلاثة عشر قرناً حافظ الإسلامُ على حقائقه رغم التحولات والانقلابات

والمصادمات بل كانت تلك مخففةً كاهله عما تساقط من تراب الأوهام والريوب.

نعم، إن الوجود والحال الحاضرة للعالم شاهد على هذا.

ولا بد من أخذ مقدمات المقالة الأولى بنظر الاعتبار.

إن قلت: إن معرفة خلاصةٍ وفذلكةٍ من كل علم ممكن لشخص .

الجواب: نعم، لا.. لأن الخلاصة بحسن الإصابة في موقعها المناسب واستعمالها في أرض منبته، مع أمور ونقاط ذُكرت سابقاً، تشف كالزجاجة عن ملكة تامة في ذلك العلم واطلاع تام فيه. فتكون الخلاصة في حكم العلم، ولا يمكن لشخص أمثال هذه .

إن كلاماً واحداً يصدر عن متكلمين اثنين، يدل- لبعض الأمور المذكورة غير

المسموعة -على جهل هذا، وحذافة ذلك.

يا أبا الوجدان! يا من يرافقتي بخياله من أول منازل هذا الكتاب! انظر بمنظار واسع ووازن الأمور وكوّن في خيالك مجلساً رفيعاً لإجراء محاكمات عقلية، واستحضّر ما تنتقيه من المقدمات الاثنتي عشرة، ثم شاور القواعد الآتية:

إن شخصاً لا يتخصص في علوم كثيرة... وإن كلاماً واحداً يتفاوت من شخصين.. وإن العلوم نتيجة تلاحق الأفكار وتتكمّل بمرور الزمن.. وإن البديهي في المستقبل قد يكون نظرياً في الماضي.. وإن معلوم المدني قد يكون مجهول البدوي.. وإن قياس حال الماضي على المستقبل قياس خادع مضل.. وإن بساطة أهل البادية والوبر لا تتحمل جيلٍ ودسائس أهل المدينة والمدر. نعم، إن الحيل ربما تتستر تحت حجاب المدنية.. وإن كثيراً من العلوم إنما يتحصل بتلقين العادات والوقوعات.. وإن نور نظر البشر لا ينفذ في المستقبل ولا يرى الكيفيات المخصوصة به.. وإن لقانون البشر عمراً طبيعياً ينقطع وينتهي كما ينتهي عمره.. وإن للمحيط الزماني والمكاني تأثيراً عظيماً في أحوال النفوس.. وإن كثيراً من الخوارق الماضية قد يكون اعتيادياً الآن بسبب تكمل المبادئ.. وإن الذكاء ولو كان خارقاً لا يكفي في كمال علم، فكيف في علوم عدة!

فيا أيها الأخ! شاور هذه القواعد، ثم جرد نفسك، وانزع عنك لباس الخيالات المحيطة

والأوهام الزمانية، ثم عُص من ساحل هذا العصر في بحر الزمان، حتى تخرج إلى جزيرة عصر السعادة النبوية..

فأول ما يتجلى لعينك أنك ترى :إنساناً وحيداً لا ناصر له ولا سلطان، يبارز العالم وحده، وقد حمل على كاهله حقيقةً أجلّ من كرة الأرض، وأخذ بيده شريعةً هي كافلةٌ لسعادة الناس كافة. وتلك الشريعة كأنها زبدة جميع العلوم الإلهية وخالصة الفنون الحقيقية. وتلك الشريعة ذات حياة- لا كاللباس بل كالجلد-تتوسع بنمو استعداد البشر وتثمر سعادة الدارين، وتنظّم أحوال نوع البشر كأنهم في مجلس واحد. فإن سألت قوانينها :من أين إلى أين؟ لقاتل بلسان إعجازها :نجيء من الكلام الأزلي، ونرافق فكر البشر لضمان سلامته ونتوجّه إلى الأبد. وبعد ما نقطع هذه الدنيا الفانية، تبقى معنوياتنا دليلاً وغذاءً روحياً للبشرية، مع أننا نفرقهم صورة.

خاتمة:

إن الشبهات والريوب منبعها ثلاثة أمور وهي:

أنك لو تجاهلت عن مقصد الشارع، وعن كون الإرشاد بنسبة استعداد الأفكار، واعترضت بمغالطة- هي وكر الأوهام السيئة -بأن القرآن الكريم الذي هو أساس الشريعة فيه ثلاث نقاط:

أولها :وجود المتشابهات والمشكلات في القرآن، وهذا مناف لإعجازه المؤسس على البلاغة، المبنية على ظهور البيان ووضوح الإفادة .

ثانيها :الإطلاق والإبهام في العلوم الكونية، مع أنه منافٍ لمسلك التعليم والإرشاد الذي هو المقصود الحقيقي للشريعة.

ثالثتها :إن قسماً من ظواهر القرآن أميل إلى خلاف الدليل العقلي، فيحتمل خلاف الواقع، وهو مخالف لطريق القرآن الذي هو التحقيق والهداية.

أيها الأخ !أقول وبالله التوفيق:

إن ما تتصورونه سبباً للنقص- في هذه النقاط الثلاث -ليس كذلك، بل هو أصدق شاهد على إعجاز القرآن.

أما الجواب عن الريب الأول: وقد رأيت هذا الجواب- ضمناً -مرتين:

علم أن الجمهور الأكثر هم عوام، والأقلُّ تابع للأكثر في نظر الشارع، لأن الخطاب المتوجه نحو العوام يستفيد منه الخواص ويأخذون حصتهم منه، ولو عكس لبقى العوام محرومين. وأن جمهور العوام لا يجردون أذهانهم عن المألوفات والتخيلات، فلا يقتدرون على درك الحقائق المجردة والمعقولات الصرفة إلا بمنظار متخيلاتهم وتصويرها بصورة مألوفاتهم. لكن بشرط أن لا يبقى نظرهم على الصورة نفسها حتى يلزم المحال، كالجسمية أو الجهة بل يمر نظرهم إلى الحقائق.

مثلاً: إن الجمهور إنما يتصورون حقيقة التصرف الإلهي في الكائنات بصورة تصرف السلطان الذي استوى على سرير السلطنة، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه(5)، وإذ كانت حسيات الجمهور في هذا المركز، فالذي يقتضيه منهج البلاغة ويستلزمه طريق الإرشاد، رعاية أفهامهم واحترام حسياتهم ومماشاة عقولهم ومراعاة أفكارهم. فهذه المنازل التي يُراعى فيها عقول البشر ويُحترم تسمى بـ"التنزلات الإلهية" فهذا التنزل لتأسيس أذهانهم. راجع المقدمة العاشرة.

فلهذا وضع صور المتشابهات التي تراعي الجمهور المقيدين بأحاسيسهم ومتخيلاتهم منظاراً على نظرهم لرؤية الحقائق المجردة. ولهذا فقد أكثر الناس في كلامهم من الاستعارات لتصور المعاني العميقة أو لتصوير المعاني المنفرقة، في صورة سهلة بسيطة، بمعنى أن هذه المتشابهات من أكثر أقسام الاستعارات غموضاً، إذ إنها صورٌ مثالية لأخفى الحقائق الغامضة، بمعنى أن الإشكال إنما هو من دقة المعنى وعمقه لا من إغلاق اللفظ وتعقيده.

فيا أيها المرتاب! انظر بإنصاف! ألا يكون من عين البلاغة- التي هي مطابقة مقتضى الحال تقريبٌ مثل هذه الحقائق العميقة البعيدة عن أفكار الناس ولاسيما العوام، تقريبها إلى أفهام العوام بطريق سهل واضح.. أهذا يطابق المعنى بوضوح تام أم الوهم الذي في ذهنك؟ كن أنت الحاكم في هذا.

أما الجواب عن الريب الثاني وقد مرّ تفصيله في المقدمة الثانية،

فاعلم أن في شجرة العالم ميلَ الاستكمال، وتشعَّبَ منه في الإنسان ميلُ الترقّي، وقد تشكلت العلوم- التي هي كدرجات سلّم الترقّي -من ثمرات ميل الترقّي بالتجارب الكثيرة وتلاحق الأفكار. هذه العلوم مترتبةٌ ومتعاونةٌ ومتسلسلةٌ، بحيث لا ينعقد المتأخر إلا بعد تشكّل المتقدم، ولا يكون المتقدم متقدماً للمؤخر إلا بعد صيرورته كالعلوم المتعارفة.

فبناء على هذا السر: فإن العلم الذي تولّد وظهر في هذا الزمان نتيجة تجارب كثيرة لو كان قبل عشرة عصور وحاول أحدٌ أن يفهمه للناس لشوّش عليهم وأوقعهم في السفسطة والمغلطة.

فمثلاً: لو قيل " انظروا إلى سكون الشمس وحركة الأرض واجتماع مليون حيوان في قطرة، لنتصروا عظمة الصانع!" ويرى جمهور العوام بسبب الحس الظاهري أو غلط الحس خلاف ما قيل لهم من البديهيات، إذن لانساقوا إلى التكذيب أو مغالطة نفوسهم، أو المكابرة تجاه شيء مخصوص، والحال أن تشويش الأذهان لاسيما في مقدار عشرة أعصر منافع لمنهاج الإرشاد.

تنبيه: إن أمثال هذه المسائل لا تُقاس بالنظريات التي تظهر في المستقبل، لأن الحس الظاهري لا يتعلّق بالأشياء التي تعود للمستقبل، لذا فاحتمال الجهتين وارد. لأنه ضمن دائرة الممكنات، فيمكن الاعتقاد والاطمئنان بها، فحقها الصريح التصريح بها، ولكن " ما نحن فيه "لما خرج من درجة الإمكان والاحتمال إلى درجة البدهاية أي إلى الجهل المرگب، فحقّه في نظر البلاغة الذي لا يمكن إنكاره هو: الإبهام والإطلاق، لئلا تتشوش الأذهان. ولكن مع ذلك لا بد من الرمز والإيماء أو التلويح إلى الحقيقة، وفتح الأبواب للأفكار ودعوتها للدخول كما عملت الشريعة الغراء. فبما هذا أمن الإنصاف وتحريّ الحقيقة أن تتوهم ما هو إرشادٌ محض وعينُ البلاغة ولب الهداية أنه منافع للإرشاد ومباين له. وأن تتخيل ما هو عينُ الكمال في البلاغة نقصاً فيها؟!.

فيا هذا أهكذا البلاغة في ذهنك السقيم: تكليف بتغليط الأذهان وتشويش الأفكار، وبما لا تهضمه العقول، لعدم ملاءمة المحيط وإعداد الزمان.. [كلا بل] كلّم الناس على قدر عقولهم (74)

74 (الحديث) أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم (العجلوني، كشف الخفاء 1/225)؛

دستور حكيم .فإن شئت فراجع المقدمات، ولاسيما المقدمة الأولى وتأمل فيها جيداً.

أما الجواب عن الريب الثالث :

وهو إماله بعض ظواهر الآيات إلى ماينافي الدلائل العقلية:

فتدبر في المقدمة الأولى، ثم استمع إلى أن المقصد الأصلي للشارع الحكيم من إرشاد الجمهور محصورٌ في إثبات الصانع الواحد والنبوة والحشر والعدالة. لذا فذكرُ الكائنات في القرآن إنما هو تبعية واستطراذي للاستدلال، أي الاستدلال بالنظام البديع في الصنعة- الظاهرة لأفهام الجمهور -على النَّظْم الحقيقي جل جلاله. والحال أن أثر الصنعة ونظامها يترأى في كل شيء .وكيف كان التشكل فلا علينا إذ لا يتعلق بالمقصد الأصلي.

تنبيه: من المقرر أن الدليل ينبغي أن يكون معلوماً قبل المدعى، لذا قد أميل ظواهر بعض النصوص لاتضاح الدليل واستنناس الأفكار بالمعتقدات الحسية للجمهور، لا ليدل عليها بل قد نصّب القرآنُ في تلافيف آياته أماراتٍ وقرائنٍ ليشير إلى ما في تلك الأصداف من جواهر وإلى ما في تلك الظواهر من حقائق لأهل التحقيق .

نعم، إن الكتاب المبين الذي هو كلام الله إنما يفسر بعضه بعضاً .أي إن بعض الآيات تُبين ما في ضمائر أخواتها .لذا قد تكون بعض الآيات قرينة لأخرى، فالمراد ليس المعنى الظاهري.

فلو قيل في مقام الاستدلال: تفكروا في سكون الشمس مع حركتها الظاهرية، وحركة الأرض اليومية والسنوية مع سكونها الظاهر، وتأملوا في غرائب الجاذبية العمومية بين النجوم، وانظروا إلى عجائب الكهرباء، وإلى غرائب الامتزاجات الكيماوية بين العناصر التي تزيد على السبعين لتعرفوا الصانع الجليل ..لكان الدليل- الذي هو الصنعة -أخفى وأغض من النتيجة التي هي الصانع .وما هذا إلا مناف لقاعدة الاستدلال، لذا أميلت بعض الظواهر وفق الأفكار، لأن هذا من قبيل مستتبع التراكيب ونوع من الكنايات، فلا تكون معانيها مدار صدق وكذب.

ألا ترى أن " قال "ألفه إن كان أصلها واواً أو قافاً لا يؤثر في شيء.

أيها الأخ !

أنصِفْ ! ألا تكون هذه النقط الثلاث دلائل واضحة على إعجاز القرآن الذي نزل لجميع الناس في جميع الأعصار .نعم،] والذي علّم القرآن المعجز، إن نظر البشير النذير وبصيرته النقادة أدقُّ وأجلُّ وأجلى وأنفذُ من أن يلتبس أو يشتبه عليه الحقيقة بالخيال، وإن مسلكه الحقُّ أغنى وأعلى وأنزه وأرفع من أن يُدَيَسَ أو يغالط على الناس.]

نعم، أتى للخيال أن يبين نفسه حقيقةً تجاه القرآن الذي يتفجر نوراً.
نعم، إن مسلك القرآن هو الحق نفسه، ومذهبه عينُ الصدق، والحقُّ أغنى من أن يدلّس أو يغالط الناس.

المسلك الخامس

هذا المسلك يخص الخوارق المعروفة المشهورة والمعجزات الظاهرة .
وكتبُ السيرة والتاريخ مشحونة بها .وقد أوفى العلماء الكرام حقّه من التدوين والتفسير فجزاهم الله خيراً، وقد أحلنا التفصيل على كتبهم لأن تعليم المعلوم عمل ضائع.
إن الخوارق الظاهرة وإن كان كلُّ فرد منها غير متواتر، ولكن جنسها، وكثيراً من أنواعها متواتر بالمعنى.

ثم إن هذه الخوارق على أنواع عدة:

منها :الإرهاصات المتنوعة وكأن ذلك العصر الذي وُلد فيه μ استفاد واستفاض منه فصار حساساً ذا كرامة فيبشّر بالإرهاصات، بقدم فخر العالم بحس قبل الوقوع.
ومنها :الإخبارات الغيبية الكثيرة حتى لكأن روحه المجرّد الطيّار μ مرّق قيّد الزمان المعين والمكان المشخّص فجال في جوانب الماضي والمستقبل، فقال لنا ما شاهدته في كل ناحية منهما وبينه لنا.

ومنها :الخوارق الحسية التي أظهرها وقت التحدي والدعوى وقد بلغ هذا النوع إلى ما

يقرب الألف .بمعنى أن مجموع هذا النوع متواتر بالمعنى وإن كان أفراده آحادياً .
ومنها :نبعان الماء من أصابعه المباركة، وكأنه يصوّر تصويراً حسيّاً فورانَ زلالِ
الهداية الباعث للأرواح من لسانه الذي هو منبع الهداية ينبعان الماء الباعث على الحياة
من يده المباركة التي هي معدن السخاء .
ومنها :تكلم الشجر والحجر والحيوان، وكأن الحياة المعنوية في هدايته p قد سرت إلى
الجمادات والحيوانات فأنطقتها .
ومنها :انشقاق القمر، وكأن القمر الذي يمثل قلب السماء قد انشق اشتياقاً إليه بإشارة
من إصبعه المبارك علّه يجد علاقة مع قلبه الشريف.p
إن انشقاق القمر ثابت بنص الآية الكريمة، وهو متواتر بالمعنى حتى إن (وَإِنشَقَّ
القَمَرُ)القمر (1: هذه الآية الكريمة لم يتصرف في معناها من أنكر القرآن أيضاً، ولم يؤوّل
ويحوّل معناها إلاّ لاحتمال ضعيف .
إن اختلاف المطالع ووجود السحاب وعدم التردد للسماء كما في هذا الزمان، ولكون
الانشقاق في وقت الغفلة، ولحدوثه في الليل ولكونه أنياً، لا يلزم أن يراه كلُّ الناس أو
أكثرهم .
ثم إنه قد ثبت في الروايات أنه قد رآه كثيرٌ من القوافل الذين كان مطلعهم ذلك المطلع .
ثم إن أعظم هذه المعجزات وأكبرها وأولها هو القران الكريم المبرهن إعجازُه
بجهات سبع، أشير إليها سابقاً ... وهكذا .وأحيلُ سائر المعجزات إلى الكتب المعتمدة .
خاتمة:

أيها الأفاضل المطالعون لكلامي، أرجو أن تتأملوا في مجموع كلامي، أي المسالك
الخمسة، بفكر واسع ونظر حاد وبصيرة ذات موازنة وتجعلوه ضمن سُورٍ محيط به .
واجعلوا نبوة محمد p في مركزها ثم انظروا إليها كالعساكر المتنوعة المصطفة حول
السلطان، وذلك لكي يتمكن سائر الجوانب من رفع الأوهام المهاجمة من الأطراف .
وهكذا فجواباً عن سؤال اليابانيين :ما الدليل الواضح على وجود الإله الذي تدعوننا

إليه؟

أقول :إنه محمد.ρ

إشارة وإرشاد وتنبية :لما توجه نوعُ البشر نحو المستقبل سأل فنُّ الحكمة المرسلُ من قبل الكائنات، ومن جانب حكومة الخلقه مستنطقاً :يا بني آدم !من أين؟ والى أين؟ ما تصنعون؟ من سلطانكم؟ من أين مبدؤكم وإلى أين المصير؟ فبينما المحاوره، إذ قام سيد نوع البشر محمد ρ وخطيبهم ومرشدهم :أيها السائل نحن معاشر الموجودات أتينا بأمر السلطان الأزلي، مأمورين ضمن دائرة القدرة الإلهية، وقد ألبسنا واجبُ الوجود المتصفُ بجميع صفات الكمال، وهو الحاكم الأزلي، حلَّة الوجود هذه، ومنحنًا استعداداً هو رأسمال السعادة ..ونحن معاشر البشر ننشغل الآن بتهيئة أسباب تلك السعادة الأبدية ..ونحن على جناح السفر، من طريق الحشر إلى السعادة الأبدية .فيا أيتها الحكمة اشهدي وقولي مثلما ترين، ولا تخلطي الأمور بالسفسطة.

المقصد الثالث

وهو الحشر الجسماني

نعم، إن الخلق بدونه عبث، بل لا يكون .فالحشر حقٌ وصدق، وأوضح

براهينه محمد.ρ

المقدمة

لقد أوضح القرآن الكريم الحشرَ الجسماني إيضاحاً جلياً لم يدع مجالاً لدخول أية شبهة كانت .ونحن هنا نشير إلى قسم من مقاصده ومواقفه، معتمدين على براهين القرآن للقيام بشيء من تفسير جزئي للحشر الجسماني.

المقصد الأول

إن في الكائنات نظاماً أكمل.. وإن في الخلقة حكماً تامة.. وإن لا عبثية في العالم.. ولا إسراف في الفطرة.. والاستقراء التام الثابت بجميع العلوم.. والقيامُ النوعية المكررة في كثير من الأنواع كالיום والسنة.. وجوهراً استعداد البشر.. وعدمُ تناهي آمال الإنسان.. ورحمةُ الرحمن الرحيم.. ولسانُ الرسول الصادق الأمين.. وبيانُ القرآن المعجز.. كل ذلك شهودٌ صدقٍ وبراهينٌ حقٍ وحقيقةٌ على الحشر الجسماني.

موقف وإشارة :

1- لو لم تتجرّ الكائنات إلى السعادة الأبدية لصار ذلك النظام صورةً زائفة خادعة واهية، ولذهب جميعُ المعنويات والروابط والنسب في النظام هباءً منثوراً. بمعنى أن الذي جعله نظاماً هو السعادة الأبدية.

2- إن الحكمة الإلهية التي هي مثال العناية الأزلية تعلن السعادة الأبدية، لأنها مجهزة برعاية المصالح والحكم في الكائنات، لأنه لو لم تكن السعادة الأبدية للزم إنكار هذه الحكم والفوائد التي أجبرتنا البدهة على الإقرار بها.

3- إن عدم العبثية الثابت بشهادة العقل والحكمة والاستقراء، يشير إلى السعادة الأبدية في الحشر الجسماني، بل يدل عليها، لأن العدم الصرف يحيل كل شيء إلى عبث .

4- إن عدم الإسراف في الفطرة، الثابت بشهادة علم منافع الأعضاء ولاسيما في العالم الأصغر) الإنسان (يدل على عدم الإسراف في الاستعدادات المعنوية للإنسان وآماله وأفكاره وميوله. وهذا يعني أنه مرشح للسعادة الأبدية.

5- نعم، لولا السعادة الأبدية لتقلصت كلُّ المعنويات وضمّرت وذهبت هباءً منثوراً. فبما للعجب، إن كان الاهتمام والعناية بغلاف جوهر الروح- وهو الجسد - إلى هذه الدرجة، حتى يحافظ عليه من وصول الغبار إليه، فكيف تكون العناية بجوهر الروح نفسه؟ وكيف يُمحي ويُفنى إذن؟ كلا... بل العناية بالجسد إنما هي لأجل تلك الروح.

6- إن النظام المتقن الثابت بالاستقراء التام الذي أنشأ العلوم كافة- كما ذكر سابقاً - يدل على السعادة الأبدية، إذ الذي ينجي الانتظام من الفساد والإخلال، والذي يجعله متوجهاً

إلى العمر الأبدي والتكامل هو السعادة الأبدية ضمن الحشر الجسماني.

7- كما أن الساعة الاعتيادية التي فيها دوالب مختلفة دوارة متحركة ومحركة للأميال

العادة للثواني والدقائق والساعات والأيام، تخبر كل منها عن التي تليها، كذلك اليوم والسنة وعمر الإنسان ودوران الدنيا شبيهة بتلك الساعة كلُّ منها مقدمة للأخرى. فمجيء الصبح بعد كل ليلة، والربيع بعد كل شتاء يخبر عن أن بعد الموت قيامة أيضاً.

نعم، إن شخص الإنسان كنوع غيره، إذ نور الفكر أعطى لأمال البشر وروحه وسعةً وانبساطاً بدرجةٍ لو ابتلع الأزمان كلها لم يشبع، بينما ماهية أفراد سائر الأنواع وقيمتها ونظرها وكمالها ولدانها وأمالها جزئية وشخصية ومحدودة ومحصورة وأنيّة، في الوقت الذي ماهية البشر عالية كلية سرمدية... فالقيامات النوعية المكررة الحاصلة في اليوم واللييلة ترمز وتشير إلى القيامة الشخصية في الإنسانية بل تشهد لها.

8- إن تصورات البشر وأفكاره التي لا تنتهي، المتولدة من أماله غير المنتهية، الحاصلة من ميوله غير المضبوطة، الناشئة من قابلياته غير المحدودة، المستترة في استعداداته غير المحصورة، المزروعة في جوهر روحه الذي كرمه الله تعالى، كل منها يشير في ما وراء الحشر الجسماني بإصبع الشهادة إلى السعادة الأبدية وتمد نظرها إليه.

9- نعم، إن رحمة الرحمن الرحيم والصانع الحكيم تبشر بقدم السعادة الأبدية، إذ بها تصير الرحمة رحمة والنعمة نعمة، وتنجيها من كونها نقمة وتخلص الكائنات من نياحات الفراق. لأنه لو لم تجئ السعادة الأبدية وهي روح النعم، لتحول جميع النعم نقماً وللزم المكابرة في إنكار الرحمة الثابتة بشهادة عموم الكائنات بالبداهة وبالضرورة.

فيا أيها الأخ! انظر إلى أطف آثار الرحمة الإلهية، أعني المحبة والشفقة والعشق، ثم تأمل في الفراق الأبدي والهجران اللأيزاليّ. كيف تتحول تلك المحبة إلى مصيبة كبرى؟! أي إن الهجران الأبدي لا يعادل المحبة ولا يوازئها. فالسعادة الأبدية ستصع ذلك الفراق الأبدي وتلقيه إلى العدم والفناء.

10- لسان الرسول الكريم μ الثابت نبوته الميرهن عليها بالمسالك الخمسة السابقة،

هذا اللسان المبارك مفتاح السعادة الأبدية المكنوزة في الحشر الجسماني.

11- نعم، إن القرآن الكريم الذي أثبت إعجازه بسبعة وجوه خلال ثلاثة عشر عسراً

كشاف للحشر الجسماني ومفتاحه.

المقصد الثاني

سوف يُفسر آيتين تبيّنان الحشر وتشيران إليه .

نحو: بسم الله الرحمن الرحيم

* * *

يقول الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي المؤلف، في مستهل الشعاع التاسع من

كليات رسائل النور التي أَلَّفها بعد ثلاثين سنة:

"إنه لعناية ربانية لطيفة أَنْ كَتَبَ" سعيد القديم "قبل ثلاثين سنة في ختام مؤلّفه

"محاكمات" الذي كتبه مقدمة لتفسير "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" ما

يأتي): المقصد الثاني: سوف يفسّر آيتين تبيّنان الحشر وتشيران إليه. (ولكنه ابتداءً

بـ نحو) بسم الله الرحمن الرحيم (وتوقف ولم تتح له الكتابة. فألف شكر وشكر

للخالق الكريم وبعده دلائل الحشر وأماراته أَنْ وفقني لبيان ذلك التفسير بعد

ثلاثين سنة."

وَرِثَانَةُ

على سلم المنطق

حاشية الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي
على متن " السلم المنورق للشيخ عبدالرحمن الأخصري "

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

مع شرح أخيه عبد المجيد النورسي

إيضاح

على كل حال فقد كتبْتُ هذا الأثر.. لأجل تعويد الأذهان على الدقة في الملاحظة

والإنعام في النظر.

وحيث إنه قد أُلّف ..فلْيُنشر ..وليلاحظ في الأقل المباحثُ المبدوءة بـ"اعلم."

سعيد

ملاحظة :

قام السيد الفاضل محمد زاهد الملازكردي بتصحيح هذه الرسالة وطبعها لأول مرة في مطبعة بركات بدمشق وذلك في محرم الحرام سنة1387 هـ .فضلاً عن قيامه بترجمة ونشر عدد من مجموعات رسائل النور .فجزاه الله خيراً كثيراً.

وقد أعدتُ النظر في هذه الطبعة من الرسالة وقابلتها مع طبعتها الأولى من غير شرح، ولم أغيّر منها سوى ما يستوجهه التنسيق والتنظيم، فوضعت حاشية الأستاذ النورسي في أعلى الصفحة عقب متن الناظم وجعلت شرح أخيه الملا عبدالمجيد في أسفل الصفحة.

وأملّي في الله عظيم أن يقبض من علمائنا المتبحرين في علم المنطق من يقدر هذه الرسالة والتي تليها) تعليقات (حق قدرهما ويستجلي ما غمض فيهما من نفائس علم المنطق لتكونا رسالتين يستفيد منهما الخواص والعوام معاً غير قاصرتين على الخواص من العلماء.

واسم الرسالة" قزل إيجاز "قد يثير القارئ الكريم فهو اسم مركب من التركية والعربية أو على الأقل الكلمة تركي التركيب .فكلمة" قَزَل "تعني بالعربية :العرج الشديد، (أسوأ العَرَج وأشده (أي :إن اسم الرسالة يعني :الإيجاز الشديد العرج .

أما إذا اعتبرنا اسم الرسالة اسماً تركيبياً فهو يعني :الإيجاز المتقد، الإيجاز الأحمر إلى حدّ الجمرة.

إحسان قاسم الصالحي

"مقدمة الملا عبدالمجيد النورسي"

أشكر على حمدي لواحد أحد ليس له ثان . كما أثنى موحداً لمن له كل يوم شأن،
وأصلي كما أسلم على مَنْ لَمَّا كان في ذاته محموداً كان اسمه محمداً، وعلى آله وصحبه
من بعد .

وبعد:

فاعلم أي بعدما نجوت من بين تلاطم أمواج البلديات من مخالاب سباع المصيبات،
ساقني القدر على رأس ألفين إلا خمسين سنة إلى ولاية مولانا جلال الدين الرومي
وسكنت في جواره بعيداً عن الأستاذ؛ لا هو يراني ولا أنا أراه إلا في غفلات النوم
والرقاد، إلى أن قضى الأستاذ نحبه وارتحل إلى دار السعادة شهيداً، وبقيت أنا في
الحسرات غريباً ووحيداً.

فأدى بي الوحشة إلى الوحدة وترك التماس بالناس، وترجيح التوحش على الاستئناس .
ولم أجد لأزيل به كربتي ويكون تسلياً في وحدتي شيئاً إلا الاشتغال بتحشية" قزل إيجاز "
وشرح ما فيه من الألغاز، رجاء أن يشتغل به البال عما فيه من شدة الحال.

فبعدهما أردت أن أكسر صخور ألفاظه بفأس فكري، أبي وامتنع ذلك الفكر الكليل عن
أمري؛ فصرت كلما أضربها بذلك الفأس نبا ذلك الفأس من الصخرة إلى الرأس . فبقيت
حائراً ذا يأس في يأس . فأغلظت على الفكر شدة الأمر، وأجبرته بعد الفر إلى الكر . مشوقاً
له قائلاً " هَا بَابًا هَا " فاستحيى عن غلظة الأمر . فاجتهد كل يوم من الصبح إلى العصر،
إلى أن صار مظهراً للتحسين والتقدير، بعدما كان معروضاً للتحقير والتكدير .

فشكرت سعيه وقبلت عنده . لكن لكهولته عَجَزَ عن قلع بعض الصخور، مع أن بعض
ما فصل وحصل ما كان بريئاً من الخطأ والقصور .

فأحلت فض ما بقي باكرة من مواضع عديدة وإصلاح ما وقع من الخطأ والغلط إلى
ذوي الأذهان الثاقبة من شبان الاستقبال .

عبدالمجيد

بلدة" قونية "

1385هـ- 1965 م

بسم [1] الله [2] الرحمن [3] الرحيم

[1]الباء للمصاحبة لا للاستعانة، لأن الكسب تابع للخلق، والمصدر شرط للحصول بالمصدر⁽⁷⁵⁾.

[2]مستجمع لجميع الصفات الكمالية. للزوم البين⁽⁷⁶⁾.

[3]هذا مقام التنبيه لا الامتنان، فتكون صنعة التدلي في التعديد امتناناً صنعة الترقى تنبيهاً⁽⁷⁷⁾.

⁽⁷⁵⁾ ()الباء للمصاحبة لا للاستعانة (إذ يلزم حينئذ أن يكون العبد أصيلاً في الفعل، والخالق مُعيناً وتابعاً له في الفعل، والحال أن العبد ليس إلا مصدرأ للكسب. والحاصل بالمصدر أي المكسوب ليس إلا بخلق الخالق. فالكسب- أي كسب العبد -ليس إلا مقارناً ومصاحباً وشرطاً في حصول ذلك الفعل، بخلق الخالق. فالعبد تابع، أي وكسبه شرط لا أصيل. كما هو رأي أهل الاعتزال من كون العبد خالقاً في فعله.

فالمناسب في باء البسمة المصاحبة، إذ ليس فيها ما في الاستعانة من ذلك الإيهام، لأنها تدل بمادتها وجوهرها على أن المستعين أصيل، والمستعان منه تابع، بخلاف لفظة المصاحبة، إذ ليس فيها تلك الدلالة فلا احتمال لذلك الإيهام.

قد ظهر من هذا أن انتشار كون الباء للاستعانة في تأليف بعض أهل السنة إنما ترشح عن الغفلة من هذا المذهب، أي الاعتزال.

⁽⁷⁶⁾ ()للزوم البين (أي البين بالمعنى الأخص بين الذات والصفات. وهو الانتقال بمجرد تصور الملزوم إلى اللازم. ومنه إلى الزوم بينهما. فلفظة الجلال دالة على الذات بالمطابقة وعلى الصفات بالالتزام فمن ذكر لفظ الجلال كان ذاكرةً لجميع صفات الكمال.

⁽⁷⁷⁾ () هذا مقام التنبيه (حاصله: أن الرحمن إشارة إلى عظام النعم، والرحيم إلى صغارها. فالانتقال من الأعظم إلى الأصغر ليس بمناسب، لأنه من صنعة التدلي. وهي ليست مقبولة إلا في مقام تعديد النعم للامتنان. والمقام هنا ليس لتعديدها للامتنان. فأشار بتقديم

الحمد [1] لله الذي [2] قد أخرجنا [3] نتائج الفكر [4] لأرباب الحجا

وحط [5] عنهم من سماء العقل كل حجاب من سحاب الجهل

[1]كتصور العلة الغائية(78).

[2]وصف ليكون ثوابه أكثر، إذ الواجب أكثر ثواباً(79).

[3]أي ترتب النتيجة على المقدمات عادي، لا استعدادي ولا تولدي(80).

[4]أخص هذه النعمة ليبرع مستهلته لبراعة الاستهلال. كأن المعنى إذا مر في خزانة

الخيال ما وجد ما يلبس إلا صورة صنعته(81).

[5]الأولى قشع للسحاب أو كشف للحجاب وإلا فالإبل ينص ثليله تحّت" :حط عنهم(82)."

حتى بدت لهم شمس [1] المعرفة رأوا مخدراتها [2] منكشفة

[1]التشبيه قياس والمقيس عليه حقه الوجود وما لهم إلا شمس. إلا أن الخيال الماضي

حقيقة الآن. أو لأن السماء تلد من بطن كل ليلة شمساً(83).

الرحمن إلى أن هذا المقام مقام التنبيه، لدفع غفلة السامع عن النعم الصغار.

فالتدلي هنا يُعدّ من الترقّي. على أن الغفلة عن النعم الصغار أقوى احتمالاً فلا إشكال.

(78)كتصور العلة الغائية (أي إن ذكر الحمد في أوائل التأليفات إشارة إلى أن المقصد والغاية منها الحمد والطاعة لله تعالى.

(79)وصف (أي بنعمة الإخراج ليكون حامداً على النعمة فيكثر ثوابه، إذ الحمد على النعمة لازم وثواب اللازم أكثر.

(80) (أي ترتب النتيجة (إشارة إلى أن الأولى ذكر الترتب بدل الإخراج، لأن حصول النتيجة من المقدمات "عادي" كخروج الماء بالحفريات لا" استعدادي" كخروج الثمرة من الشجرة، ولا" تولدي" كالولد من الإنسان. فالمناسب تبديل الإخراج بالترتب.

(81) (لبراعة الاستهلال (أي ليُعلم في أول التأليف نوع ما يُذكر فيه من المسائل.

(82) (هذه مناقشة لفظية بين الأستاذين. حاصلها: أن الحط مستعمل للأبال ولا إبل هنا. فالأولى

تبديل الحط بالقشع، نظراً إلى لفظ السماء، أو بالكشف لمناسبته للفظ الحجاب. وإلا

فالسامع يتحرى الإبل الناصب عنقه القاعد تحت" حط". "ولا إبل هنا فيقع في اليأس.

(83) (التشبيه قياس (أي تشبيه المسائل بالشموس قياسها عليها، فيلزم من ذلك القياس وجودُ

[2] هذا التلون والاندماج في الأسلوب، يردد الذهن بين أن يتصور الرأس سماء تتلألاً
نيراتها في مطالعها وبين أن يتصورها قصراً تنتشر مخدراته من بروجيه. إلا أن في
جنان الجنان رقيبات لشموس العقل وأزاهيرها من نجومه⁽⁸⁴⁾.
نحمده [1] جل على الإنعام بنعمة الإيمان والإسلام

[1] كرهه للإثبات بعد الثبوت، والإنشاء بعد الخبر، والعمل بعد العلم. ولم يتكلم وحده، لأنه
وإن كان واحداً ليس وحده. بل معه طوائف أعضائه وقبائل أجزائه وجماعات ذراته نوات
الوظائف والحياة. فلتضمين الحمد معنى الشكر العرفي الجامع تكلم مع الغير⁽⁸⁵⁾.
اعلم

أيها الناظر لا بأس عليك أن تتلقى هذا المبحث مستقلاً برأسه، لا شرحاً لهذه الجملة.
فإن المناسبة ضعيفة لأن اليراع اجتذب اللجام من يدي فهرول حيث شاء). سعيد).

المقيس عليه وتعدده والحال أنه هنا واحد. فأجاب قائلاً "إن الخيال الماضي" أي الشمس
الأفلة الماضية في الزمان الماضي، المجتمعة بالتخيل في خزينة الخيال، كالحقيقة
الموجودة. أو إن الشمس المستقبلية الموجودة في بطن السماء نظراً إلى أنها تلد كل يوم
واحدة والشموس كالموجودة الآن فلا إشكال.

⁽⁸⁴⁾ (هذا التلون والاندماج (أي التفنن في العبارة بتشبيه المسائل تارة بالشموس وأخرى
بالمخدرات). يردد الذهن (أي مع استحسانه وتقديره إلى أن يتصور الرأس سماء مرة
وقصراً مرة أخرى. ينتشر من ذلك النيراث ومن هذا المخدرات مباحيا بهما.
(إلا أن في جنان الجنان (يعنى كما أن المسائل شبهت بالشموس والمخدرات الرأسية لزم
أيضاً تشبيهها بالأزاهير القلبية. إذ أزاهير القلوب رقيبات لشموس العقول في الفضل
والشرف.

فالتشبيه بواحدة دون الأخرى جاعل لذلك الأسلوب غير محبوب لذوي القلوب.
⁽⁸⁵⁾ (1) كرهه.. الخ (حاصله: أن الحمد المذكور أولاً لاسمية الجملة هناك، كانت دالة على
ثبوت الحمد والإخبار عنه والعلم به فكره ثانياً بالجملة الفعلية لتدل على الإثبات
والإنشاء والعمل، وليكون الناظم الحامد بالذات مثبِتاً منشِئاً حامداً، أي متكلماً ومصدراً
للحمد بالفعل.

(لأنه واحد ليس وحده (أي لأنه وإن كان منفرداً في حد ذاته، لكنه ليس منفرداً في فعل
الحمد، بل معه طوائف كثيرة من أعضائه وأجزائه وذراته.
(تكلم مع الغير (إشارة إلى أن الحمد هنا متضمن وعبارة عن الشكر العرفي الذي هو
عبارة عن صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه إلى ما خلق له.

إن الشخص مع أن روحه واحد، جسمه جماعة. بل جماعاتٌ من ذوات الحياة، حتى إن كل حبيرة من حجيرات حيوان برأسه ذات خمس قوى حساسات .

فالشخص كصورة) يس (كُتِبَ فيه سورة) يس (وشدة الحياة وقواها تتزايد بتصاغر الجرم معكوساً. إن شئت وَاَزُنْ بين حواس الإنسان وبين حواس حُويْنَة) أي ميقروسقوبية (تَرَّ عجباً. إذ ذلك الحيوان الصغير مع أنه لا يُرى إلا بعد تكبير جسمه ألف دفعة يَرى رأسَ إصبعه ويسمع صوت رقيقه، وقس سائر حواسه وقواه. وأين للإنسان أن يرى إصبع ذلك الحيوان أو يسمع صوته. فبنسبة تصاغر المادة تشتد الحياة وتحد وتحتد وترق وتروق.

فهذا الحال يدل حدسا على أن الأصل الحاكم والمبدأ النافذ والمخلوق الأول هو الروح والحياة والقوة. وما المادة إلا تصلبها أو زيدها .

فكما يُستخدم روحٌ واحد جماعاتٍ من الماديات الحيوانية، جاز أن يستخدم روحٌ آخر أصغر الماديات. وإليه يستند فقط. فكما أن نواة في عالم التراب شيء صغير مع أنها في عالم الهواء نخلة عظيمة، كذلك تلك المادة الصغيرة ذات الحياة في عالم الشهادة تكون متنسبة في عالم المثال والمعنى، بسبب استناد الروح إليها⁽⁸⁶⁾.

مَنْ خصنا [1] بخير من قد أرسلنا [2] وخير [3] من خاض المقامات العلا

[1] لأن المضاف إلى المعرفة معرفةً بجهةٍ والمنسوب إلى الشريف يتشرف⁽⁸⁷⁾.

[2] أي خير الخلق؛ لأنه خيار من خيار ست مرات⁽⁸⁸⁾.

⁸⁶ (أيها الناظر لا تقل لم هذا التطويل الغير المناسب للمقام، فإن القلم قد يطغى فليكن مسألة من) قزل إطناب (مسافرة في) قزل إيجاز (س)

⁸⁷ (لأن المضاف إلى المعرفة (أي لأننا قد خصصنا بالإضافة والانتساب إلى خير الرسل ذي الشهرة والمعرفة. والتخصيص بالإضافة إلى المعرفة وإن لم يكن معرفاً للنكرة حقيقة، لكن يقربها إلى المعرفة ويشرفها بها. نعم، لتلك الإضافة والانتساب صرنا خير أمة أخرجت للناس. والمنسوب إلى الشريف شريف.

⁸⁸ (ست مرات (أي إن الله تعالى اختار من المخلوقات ذوي الحياة، ومنهم بني آدم، ومنهم أولاد إسماعيل، ومنهم قريشاً، ومنهم بني هاشم، ومنهم محمداً عليه الصلاة والسلام هذا

[3] أي لأنه على خلق عظيم .عطف الدليل على المدلول.

محمد [1] سيد كل [2] مقتفى العربي [3] الهاشمي [4] المصطفى[5]
صلى [6] عليه الله مادام الحجا يخوض في [7] بحر المعاني لججا

[1] أي اسما ومسمى .الثاني سبب للأول، لكن بالأول⁽⁸⁹⁾.

[2] لأن كتابه جمع الجوامع لأنه متأخر .لأنه متقدم⁽⁹⁰⁾.

[3] وفي أبنائه الصدقُ والذكاء.

[4] وفي بيته الشهامةُ والسماحةُ والمنسوبُ منسوب إليه⁽⁹¹⁾.

[5] "كـ"قفًا" و "ارْجِعُونَ" مكرراً، مع انفراده بحذف لفظ" من . "فهو مشتق من خمسة أفعال وهي" اصطفى⁽⁹²⁾.

[6] صورة الماضي دلت على كمال الوثوق والشوق والحمل على المسؤول بلطف لأن رد الخبر أشد من رد الإنشاء⁽⁹³⁾.

مأل حديث" ما زلت خياراً من خيار".

⁽⁸⁹⁾ (أي أي اسماً ومسمى الثاني سبب الأول لكن بالأول (أي في ذاته خلق محمداً، وسمى به ليطباق الاسم المسمى .فالذاتي سبب للاسمي لكن بالأول .وهو مصدر كالقول من آل يؤول .بمعنى الرجوع .أي كونه كثير الحمد في الخلقة .سيرجع ويصير سبباً لكونه كثير الحمد من بعد.

⁽⁹⁰⁾ (لأن كتابه جمع الجوامع (أي لأن القرآن لكونه نَزَلَ متأخراً من الكتب السماوية جامعٌ لجميع ما فيها وكونه متقدماً عليها في الفضل والشرف تأخر عنها، لأن السلطان يمشي خلف الجنود.

⁽⁹¹⁾ (المنسوب منسوب إليه (أي الأمر بالعكس معنى لأن محمداً عليه الصلاة والسلام كما أنه منسوب إليه لكافة الخلق، منسوب إليه لهاشم أيضاً.

⁽⁹²⁾ (كقفا وارجعوني (يعني كما أن التثنية والجمع في هذين اللفظين راجعان إلى الفعل، لا إلى الفاعل .إذ المراد منهما قف قف .ارجع ارجع ارجع .كذلك إن الأفراد في) المصطفى (عائد إلى نائب الفاعل وليس راجعاً إلى الوصف لأنه في النية مكرر مجموع قد اشتق من (اصطفى (خمس مرات على ما أشار إليه حديث الاصطفاء.

⁽⁹³⁾ (صورة الماضي (يعني أن الطلب والسؤال بلفظ الماضي يجبر المسؤول على أن لا يكذب السائل ويحمله على أن يوفي بالمسؤول عنه بحيلة، لأن الماضي إخبار ورد

[7]تبطن" في " من "للدخول والخروج(94)

وآله وصحبه [1] ذوي الهدى [2] من شبهوا [3] بأنجم [4] في الاهتدا[5]

[1] اسم جمع صحابي. وتَدَكَّرهم بالصلاة حق علينا. لأنهم الوسائط بيننا وبينه(95).
[2] أي اكتسبوا الهدى كالمال، الحاصل بالمصدر المكسوب لهم. فإن الهدى هو الذي يحتذى عليه لا المصدر، لأنه كسب(96).

[3] أي بلسان من " أفصح من نطق بالضاد " بأنهم مكملون ومكملون .

[4] أي العشر السيارة فإن نورها مستفاد من الشمس(97).

[5] نتيجة التشبيه لا وجه الشبه لأنه لا بد أن يكون أظهر أو صافٍ المشبه به، والأظهر في الحديث النورانية وما يقاربها(98).

وبعدُ [1] فالمنطق [2] للجنان نسبه كالتحرف للسان

[1] اعلم أنه تأكيد وتشويق مبني على حب النفس المستلزم لحب صنعتها المقتضي لفنائها فيها، المؤدي إلى ظن انحصار الكمالات فيها. لزومية أو ادعائية؛ هكذا: أي شيء وُجد لزم بقائه لعدم العبيئية، وبقاؤه مستلزم للخفة لأنه جزؤها، والخفة مستلزمة لنتيجتها وهي الإنسان. ووجود الإنسان بسر الحكمة مستلزم لنتيجته، وهي كماله ومعرفة

الإخبار قبيل.

94 (تبطن" في " من "أي كما يدل على ذلك التبطن مادة الخوض، لأنه بالدخول، وهو يقتضي الخروج. من. مفعول تبطن.

95 (اسم جمع صحابي (وهو منسوب إلى صحاب، وهو مصدر كالذهاب. وليس الصحب بجمع لأن "فعل" ليس من أوزان الجموع. هو اسم لكل من رأى النبي أو النبي رآه ومات على الإيمان.

96 (أي اكتسبوا الهدى (مفعول الحاصل صفة له، المكسوب صفة للمصدر. يعني: المراد من الهدى هنا الحاصل بالمصدر، لا المعنى المصدري الذي هو الكسب.

97 (هي العشرة السيارة (وهي العطارد والزهرة والمريخ والمشتري والزحل والنبتون والأورانس والأرض والقمر و..

98 (نتيجة التشبيه لا وجه الشبه (يعني أن وجه الشبه النورانية على ما هو المتبادر من حديث "بأيهم اقتديتم اهتديتم".

الصانع، والوصول إلى الكمال مستلزم لإصابة العقل وسداده، وسداده مستلزم للمنطق المتصف بما ذكر. فمهما وجد شيء فالمنطق كذا⁽⁹⁹⁾.

[2] اعلم كما أن النحو سريعة الموجودات الطيارة اللسانية. الذين آدمهم الهابط من ذروة الخيال المسمى باللفظ موجود في فضاء اللسان، كذلك أن المنطق سريعة الموجودات الذهنية الساكنة في الجنان، أي اللطيفة الربانية، الذين آدمهم النازل من أعلى الدماغ المسمى بالمعنى موجود في الجنان. إن الأدم للأدم نسيب والشرع للشرع قريب. لأنهما كليهما وَضَعُ إلهي سائق لذوى العقول ممن في الجنان واللسان إلى الصراط المستقيم⁽¹⁰⁰⁾.

فيعصم [1] الأفكار [2] عن غي الخطأ وعن دقيق الفهم يكشف الغطا

فهاك [3] من أصوله قواعد تجمع من فنونه فوائد

⁽⁹⁹⁾ (لزومية أو ادعائية (خبر مبتدأ محذوف أي هذه شرطية لزومية الخ. وبقاؤه لازم للخلة (أي البقاء جزء للخلة لأن الوجود كما أنه مستلزم لها ولولاها لم يوجد الوجود، كذلك البقاء مستلزم للخلة ولولاها لم يكن البقاء. وأيضاً البقاء تكرر الوجود ودوامه. فالوجود والبقاء كلاهما مستلزمان للخلة، وجزآن لها. فالخلة عبارة عن الإيجاد والإبقاء معاً. فالإبقاء جزء لها كالوجود. والخلة مستلزمة لنتيجتها وهي الإنسان (نعم" لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك" يدل على أن الغاية من الخلة ونتيجتها الحياة، وذوو الحياة وأشرفهم الإنسان، فهو نتيجة الخلة. بما يذكر (أي في هذا الكتاب من القواعد. فمهما وجد فالمنطق كذا (هذه نتيجة لما أشار إليه الأستاذ من القياسات الكثيرة المطوية الغير المتعارفة.

⁽¹⁰⁰⁾ (كما أن النحو الخ (حاصله: أن النحو والمنطق باحثان عن اللفظ والمعنى. أما اللفظ: فهو "أدم"، أي كالأب للمسائل النحوية، محله الخيال ومقر فعاليته اللسان. وأما المعنى فهو "حواء" أي كالأُم للمسائل المنطقية مسكنه القلب. كل منهما خادم لتشريع القواعد لتمييز الصحيح عن الفاسد. فبينهما مكافأة تامة. فإذا وصلا إلى حد البلوغ يصعد المعنى من القلب إلى الخيال ويتزوج بما في خزينة الخيال من الألفاظ ما يشاء، ثم ينحدران إلى اللسان فيتولد ويتناسل من اجتماعهما القواعد، وتصير تلك القواعد سريعة مبيّنة للحلال والحرام والصحيح والفساد.

فتبين أن الإنسان ما هو إلا القلب واللسان كما قيل:

لسان الفتى نصفٌ ونصفُ فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

[1] أي إن راعي، وما دام لم تستخلف الطبيعة الصنعة. يشير إلى العلة الغائية ورسمه، وإلى جهة الحاجة وآليته⁽¹⁰¹⁾.

[2] الفكر هو الكشف لترتب العلل المتسلسلة في الخلقة للتقليد، فيحلل فيعلم، فيركب فيصنع. أي بتخريج السلسلة المنتاجة وتلقيحها⁽¹⁰²⁾.

([3] فهناك) جزء لما دلت عليه الفاء الجزائية. الجزء هو الوجوب اللازم للأمر عرفاً بإقامة الملزوم مقام اللازم. وإلا فالأمر إنشاء لا يلزم⁽¹⁰³⁾.

سميته [1] بالسلم [2] المنورق يرقى به سماء علم [3] المنطق

[1] أيها الناظم ! ليهنك القطوف الجواد الذي لا يثقل الحاذ في تسميته ترسم تمثيلي⁽¹⁰⁴⁾ .

⁽¹⁰¹⁾ (أي إن راعي (أي إن بنى صاحب الدليل ترتيبه على ما أمر به المنطق.

) ولم تستخلف الخ (أي ولم يكن تصنيعه للدليل تابعاً لطبيعته وسليقته في الصحة والاستقامة. أي حاصلها منها بحيث إن لم يكن صاحب الدليل مراعياً للقواعد أيضاً لم ينحرف دليله عن الصحة والاستقامة. وإن كانت سلامة دليله ناشئة عن سليقته لا عن القواعد لا يعد من المنطقيين.

⁽¹⁰²⁾ (الفكر هو الكشف (حاصله: أن الولد كما أنه نتيجة علة مترتبة في الخلقة كالجد والأب ولا بد لوجوده من تلك العلة، كذلك المعرف نتيجة علة مترتبة كالجنس البعيد والقريب والفصل لا بد لمعرفة من وجود هذه العلة وترتيبها. فالفكر مقلد الخلقة يحلل سلاسل العلل ويأخذ منها ما يناسب مطلوبه فيركب ويصنع ما يصنع.

(أي بتخريج السلسلة (أي بتحصيل المبادئ المناسبة للمطلوب وإدخال بعضها في بعض . كإدخال الحد الأصغر تحت الحد الأوسط وإدخاله تحت الحد الأكبر.

⁽¹⁰³⁾ (جزء لما دل (تقديره: إذا كان المنطق عاصماً فهناك، أي خذ من قواعده الخ... (الجزء هو الوجوب عرفاً (إشارة إلى ما يرد ما يرد وجه الورود أن "هاك" أمر، والأمر ليس بخبر، والجزء لا بد أن يكون خيراً حتى يكون ويصلح جزءاً للشرط. والأمر لكونه إنشاء لا يكون باقياً فكيف يكون لازماً.

وجه الرد أن الأمر مستلزم عرفاً للوجوب. فالأمر ملزوم والوجوب لازم. وقد أقيم الملزوم مقام اللازم.

(تقديره إذا كان المنطق عاصماً وجب الأخذ من قواعده (أي لزم لزوماً عرفياً كما يقال بين الناس: ينبغي أن تفعل كذا أو لا ينبغي.

⁽¹⁰⁴⁾ (ليهنك (مضارع هنا محذوف اللام بجزم اللام تبريك وتهنئة لقطوف الناظم). وفي

- [2] عَلمُ الشخص، لأن المصباح المتمثل في المرايا الكثيرة مع أنه أَلْفٌ واحدٌ (105).
- [3] المُرْسَمُ بمقوى النطق اللفظي، ومسدد النطق الإدراكي، ومكمل القوة النطقية. شُعَبَاتِ فَصَلُ الْإِنْسَانِ (106).

والله [1] أرجو أن يكون [2] خالصاً [3] لوجهه [4] الكريم ليس ناقصا

- [1] التقديم يقوى جناح" خالصا (107)."
- [2] لأن الإخلاص لا يكفي في حصول الخالصية، أو لعدم الأمن من دسائس النفس (108).
- [3] إذ لا مناص بالنص إلا في المستثنى الثالث في الحديث (109).
- [4] هذا من أساليب التنزيل التنزيلية، المبني على النورانية كالشمس، مثلاً وَجْهَهَا عَيْنُ ذَاتِهَا، كما أن ذاتها عين وجهها (110).

تسميته ترسم (إذ يستفاد من تسميته بالسلم تشبيهه به. ويستفاد من التشبيه جعل السلم الذي هو آلة للصعود إلى الفوق مثلاً للتأليف. والإيضاح بالأمثلة رسم كما أشير إليه آنفاً . فالمراد من الرسم التعريف مطلقاً لا الرسم الاصطلاحي.

(105) علم الشخص (كأنه قيل: إن أمثال هذه الأسماء لإطلاقها على كثيرين، كليات ذوات جزئيات. فأشار إلى الجواب، بأن الاسم إذا وضع بأوضاع متعددة لأشخاص لا يقتضي الكلية، لأن كلاً من أوضاعه لواحد لا لكثيرين. نعم، مع أن كون المصباح مرئياً في المرايا الكثيرة لا يخلّ وحدته لأنها صور لا ذوات.

(106) المرسم (صفة العلم. أي بهذا العلم يتقوى الإنسان في نطقه اللفظي، ويتسدد في نطقه الإدراكي، ويزداد في قوته العقلية. هذا إشارة إلى أن الناطق الذي هو فصل الإنسان متضمن لهذه النطوق الثلاثة. فالمرسم أي المعرف لا الرسم الاصطلاحي..

(107) التقديم يقوى (أي تقديم المفعول يفيد الحصر، وهو يردّ توجيه الرجاء إلى غيره تعالى فيحصل الخلوص به أيضاً فيتكرر الخلوص فيتقوى.

(108) لأن الإخلاص (أي الإخلاص مصدر من العبد، والخالصية أي الحاصل بالمصدر من الله تعالى. ولا لزوم بينهما. فليست الخالصية إلا فضلاً من الله تعالى، فالتقديم للتقوية لازم.

(109) إلا في المستثنى الثالث في الحديث (وهو: "هلك الناس إلا العالمون، هلك العالمون إلا العالمون، هلك العاملون إلا المخلصون."

(110) هذا (أي التعبير عن الله تعالى بإضافة الوجه إليه.

(من الأساليب الخ (أي من التعبيرات التي استعملها القرآن تنزلاً للتقريب إلى فهم البشر.

(كالشمس مثلاً (أي بلا تشبيه. أي إن الشمس كما أنها لكونها نورانية لا يفرق بين ذاتها

فصل في جواز الاشتغال به

والخلف [1] في جواز [2] الاشتغال به على ثلاثة أقوال

- [1] ما أعظم ضرر الإطلاق في مقام التقييد، والتعميم في مقام التخصيص! ومن هذا تتعدى الاجتهادات المتأخية⁽¹¹¹⁾.
- [2] سلب الضرورة الاختيارية⁽¹¹²⁾.

فابن الصلاح والنووي [1] حرماً وقال قوم [2] ينبغي [3] أن يُعلما [4]

- [1] أي لأدائه إلى ترك الواجب، أو لانجراره إلى الفاسد، أو لاختلاطه بالباطل، أو لانحراف المزاج الذي يأخذ من كل شيء سيئه. وإلا فتعصبُ بارد⁽¹¹³⁾.

ووجهها، بل كلاهما واحد.. كذلك وجه الله تعالى عين ذاته وذاته عين وجهه. فمتى أضيف الوجه إليه تعالى يُراد الذات. أي يكون الإضافة من قبيل إضافة المسمى إلى الاسم. فلا إشكال.

⁽¹¹¹⁾ (ما أعظم ضرر الإطلاق الخ (يعني أن جواز الاشتغال بالكلام مقيد بقيد الاستعداد، وخاص بذوي القريحة. فلو اعتبر هذا القيد لم يبق الخلاف والشقاق بين ذوي الاجتهادات؛ إذ لا يخفى أن عدم الجواز إنما هو بدون هذا القيد وجوازه معه. فمن عدم اعتبار هذا القيد هنا وقع بين ذوي الاجتهادات بالمخالفة ما وقع من العداوة.

⁽¹¹²⁾ (سلب الضرورة الخ (أي المراد بالجواز هنا عدم اللزوم العرفي المعبر عنه بالانبغاء بين الناس حينما يقول بعضهم لبعض: ينبغي أن يكون الأمر هكذا وهكذا، أي يلزم. ولا يخفى أن الضرورة الاختيارية إذا انسلبت بقي الجواز الاختياري العرفي فلا مانع للاشتغال به عرفاً.

⁽¹¹³⁾ (إن الأستاذ يشير إلى أسباب التحريم). أي لأدائه إلى ترك الواجب (أي إن لم يجعل مقدمة لعلم التوحيد) أو لانجراره إلى الفاسد (كجامع الحطب بالليل). أو لاختلاطه بالباطل (إذ المركب من الصحيح والباطل باطلٌ والاشتغال بالباطل حرام) أو لانحراف المزاج (أي انحراف فكره وذنه عن صوب الصحة).

- [2] عرف في الأول، لأنه نكرة أو معرفة. ونكر في الثاني لأنه معرف أو منكر (114).
- [3] أي ينطلب أي الانبغاء لزوم طبيعي لا عقلي أي فطرته مسخرة للعلم. فكما أن مقتضى الفطرة في أفعال الجامدات يوجه بالضرورة، كذلك مقتضاها في مضان الاختيار يوجه بالضرورة أيضاً، لكن من عالم الأمر (115).
- [4] لأنه مقدمة الواجب، ولأنه دليل ترك الشر، وإلا فتعصب الصنعة (116).

والقولة المشهورة الصحيحة [1] جوازه [2] لكامل القريحة [3]
 ممارس [4] السنة [5] والكتاب [6] ليهتدى [7] به إلى الصواب

- [1] لأن تلقى الأمة بالقبول أمانة تجرد الحقيقة.
- [2] أي "مندوب" لأنه مكملٌ.. مكروه "لأنه قد يشوش" ..مباح "لأن علم الشيء خير من جهله" ..فرض كفاية "لأنه المجهز" ..حرام "لغير المستعد، للمفهوم المخالف (117).

(114) عرف في الأول (أي القول القائل بالتحريم. حيث ذكره بالكنية والنسبة إلى العلم)، لأنه معرفة (بين الناس) ..أو نكرة (عند السامع فعرفه له) ..ونكر في الثاني (وهو القائل بالجواز) ..لأنه معرف (أي بالبيت الآتي) ..أو منكر (أي لأن السامع لا يعرفهم وليس طالباً لمعرفتهم).

(115) (أي ينطلب (من باب الانفعال أي طلب العلم الطبيعي لا يُطلب بقصد بل ينطلب بنفسه ..) إذ فطرته مسخرة للعلم (أي لا تنفك عن العلم. فكما أن مقتضاها في الجامدات يوجه بالضرورة مثل النار محرقة بالضرورة كذلك في مضان الاختيار يوجه بها مثل الإنسان عالم بالضرورة. أي بحسب الفطرة) ..لكن هذا من عالم الأمر (أي الأول من عالم الخلق إذ الماديات بالخلق وغيرها من عالم الأمر كالروح).

(116) (لأنه مقدمة الواجب (وهو التوحيد ورد الكفریات) .. ولأنه دليل ترك الشر (أي دليل على معرفة الشر، لأن من لم يشتغل بالكلام لا يفرق بين الأقوال السالمة والباطلة. فلزم الاشتغال به ليعرف الباطل ليتوقى منه؛ إذ لا يتحفظ ممن ومما لا يعرف. كما قال من قال: عرف الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

(117) (أي مندوب (إشارة إلى أنه يجتمع فيه الأحكام الشرعية).
 (لأنه المجهز (أي يجهز العقائد الحقّة. وتصفيتها في كل قطعة من فروض الكفاية.
 (للمفهوم المخالف (أي عكس كامل القريحة، بأن لم يكن له قريحة ولا كمالها.

[3] والمستعد أيضاً⁽¹¹⁸⁾.

اعلم أن من محاسن الخلقه والفقرة تقسيم المحاسن، ومنه انقسام المشارب، ومنه تفريق المساعي، ومنه امثال فروض الكفاية في الخلقه، ومنه تقسيم الأعمال .
نعم، بتركه نزرع أكثر من السلف ونستغل الأقل.

[4] أي مجهز بالمنطقين المنجيين

[5] أي السنة الصغرى بجوانبها الأربعة تفسير كبير لسنة الله الكبرى المنبثه في العالم الأصغر والأكبر⁽¹¹⁹⁾.

[6] أي ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ الذي هو تمثال سنة الله في الفطرة، التي لا تبديل لها ولا تحويل. أي المنطق الأعظم للإنسان الأكبر، الذي قوته المفكرة نوع العالم الأصغر وهو الإنسان.

[7] أي لنلا يزل الناظر لنفسه، ولا يضل الناظر لغيره. فإن الاستدلال للنفي غالب، دون الإثبات في العقائد⁽¹²⁰⁾.

فصل في أنواع العلم الحادث

إدراك [1] مفرد [2] تصوراً [3] علم ودرك [4] نسبة [5] بتصديق وسم

[1] للنفس في الإدراك فعل، يستتبع إضافة، تستلزم انفعالاً، يستولد كيفية، تستردف صورة. مع أنها علم معلوم أيضاً. والأول صفة. والثاني مظروف للذهن⁽¹²¹⁾.

⁽¹¹⁸⁾ () والمستعد أيضاً (عطف على كامل القريحة في المتن. أي من له استعداد بالقوة فقط
⁽¹¹⁹⁾ () السنة الصغرى (وهي السنة المحمدية التي جوانبها الأربعة عبارة عن الحديث القدسي والقولي والفعلي والتقريبي. وتلك السنة كشافة للسنة الكبرى المنتشرة بين أنواع ذوي الحياة وبين طبقات الكائنات من القوانين والارتباطات التي لا تبديل لها ولا تحويل.
⁽¹²⁰⁾ () فإن الاستدلال الخ (حاصله: أن الحق والصواب في المسائل أقل، وغير الصواب أكثر وأغلب. فإحتياج إلى الدلائل النافية لغير الصواب أكثر وأغلب من المثبتة للصواب.
⁽¹²¹⁾ () مع أنها علم معلوم أيضاً (أي الإدراك عبارة عن الصورة الحاصلة في الذهن فتلك

[2] أي ولو حكما بإجمالية النسبة.

[3] الإطلاق المستفاد من الإطلاق تقييد. أي التصور المطلق لا مطلق التصور (122).

[4] غَيْرٌ لمغايرة النوعين في التعلق لا في المتعلق فقط؛ فإن الأول كالحل، والثاني كالربط والعقد (123).

[5] أي دَرْكٌ أَنَّ النسبة واقعة مفصلة مستردف الإذعان. لا درك نسبة؛ فإنه شرط أو شرط. ولا درك وقوع النسبة؛ فإنه تابع (124).

وقدم الأول [1] عند الوضع لأنه [2] مقدم بالطبع [3]

[1] وإن كان متأخراً في النهاية، لأنه النتيجة؛ إذ التصديقات معرفة نسب الشيء. ونسبُ

الصورة من حيث ينتقش ويتصف بها الذهن تكون علماً وصفة. ومن حيث حصولها في الذهن تكون مطروفة للذهن ومعلومات لتعلق ذلك الانتقاش به. (122) أي التصور المطلق لا مطلق التصور (دفع لما يوهمه قول الناظم من عدم المطابقة بين التعريف والمعرف، إذ المتبادر من قوله) تصوراً علم (مطلق التصور أي سواء كان ذلك التصور مع الحكم أو لا. وهذا عام يشمل التصور مع الحكم أيضاً، لأن محل حصوله الذهن. وبهذا الاعتبار يكون المعرفة أعم من التعريف. وجه الدفع أن المعرفة هنا أعني) تصورا (لكونه غير مقيد بمقيد بالإطلاق، أي التصور المطلق. وهو خاص لا يشمل التصور مع الحكم. فالمعرف يساوي التعريف فلا إشكال. (123) غير لمغايرة الخ (أي بدل الإدراك بالدرك، لأن التصور والتصديق كما تغيرا في المتعلق لأنه في الأول المفرد وفي الثاني الحكم تَغَايَراً في التعلق أيضاً. لأن التعلق في الأول بطرفي القضية وفي الثاني بالنسبة بينهما. ولا يخفى أن وجود النسبة يتوقف على العقد والربط بين الطرفين، والأول يدل على الانفصال بين الطرفين وانحلالهما عن النسبة.

(124) أي درك أن النسبة واقعة (يعني أن الظاهر من هذا القول: أن الناظم ذاهب إلى مذهب القدماء من أن التصديق عندهم عبارة عن درك النسبة التامة الخبرية أي درك الثبوت بين الطرفين بناء على أن أجزاء القضية عندهم ثلاثة: الموضوع والمحمول وثبوت الثاني للأول. لكن عند المتأخرين عبارة عن درك وقوع الثبوت بينهما. فالأجزاء عندهم أربعة إن جعل الثبوت المسمى عندهم بـ"النسبة بين بين" شرطاً أي جزء أو ثلاثة إن جعل شرطاً.

وصَفَ الأستاذ ذلك الإدراك بالإذعان في سائر رسائله أي الاطمئنان القلبي إشارة إلى أن القائل "لكلمة التوحيد" من غير إذعان واطمئنان بمفهومها لا يفوز بحقيقة الإيمان.

الشيء رسم صورته⁽¹²⁵⁾.

[2] إذ ليس للجعل أن يعزل ما نصبه الخلق. وإن الصنعة تلميز الطبيعة، نورها مستفاد منها. وإن الاختيار متمم الفطرة مانع المانع ولا ينوب عنها⁽¹²⁶⁾.

[3] أي شرط أو جزء، ولا يجوز تقويم الشيء بالنقيضين، أو اشتراطه بنقيضه؛ لأن التصور ليس جنساً ولا ذاتياً للتصورات، بل عَرْضٌ عام كالمصطلحات لأفرادها⁽¹²⁷⁾.

والنظري [1] ما احتاج [2] للتأمل [3] وعكسه [4] هو [5] الضروري [6] الجلي

[1] أي منهما، أي الإدراك والدرك بمعنى المدرك، أي ماصدق عليه في زمان ما⁽¹²⁸⁾.

[2] أي بالعموم وإلا فالإلهام والتعليم والتصفية من طُرُقِهِ⁽¹²⁹⁾.

¹²⁵ (حاصله: أن التصديق لكونه يتوقف على تصور أجزاء القضية يكون التصور مقدماً عليه.

وكذا أن التصديق عبارة عن معرفة نسبة الموضوع إلى محمولاته، كنسبة زيد إلى الكاتب والشاعر وغيرهما وتلك النسبة رسم ناقص له وهو يفيد حصول صورته في الذهن، وما هذا إلا تصور. فالتصديق ينجر وينتهي إلى التصور. فالتصور نتيجة للتصديق متأخر عنهما.

¹²⁶ (إذ ليس للجعل (حاصله: أن التصور شرط أو جزء للتصديق وهما مقدمان على الكل، والمشروط طبعاً وفطرة. فليس للواضع أن يخالف مقتضى الخلقة باختياره عازلاً للفطرة، لأن الاختيار إنما هو تلميذ يتلو أستاذه ولا ينوب منابه. وإنما وظيفته دفع الموانع لإكمال الخلقة.

¹²⁷ (أي شرط أو جزء (دفع لما يقال: من أن التصور والتصديق ضدان أو نقيضان، فكيف يكون أحدهما جزءاً أو شرطاً للآخر؟

وحاصل الدفع: أن الشرط أو الجزء للتصديق إنما هو التصور الخاص لا التصور الذي هو عرض عام. وإنما يلزم ذلك لو كان ذاتياً للتصورات.

¹²⁸ (أي منهما (راجع للتصور والتصديق. لا مفسر بما بعده، لأنه غير مذكور.

(بمعنى المدرك (أول باسم المفعول ليصح الحمل. ولشمول التعريف لما يدرك بعدُ عمم الزمان بقوله) في زمان ما).

¹²⁹ (أي بالعموم (أي الدرب الكبير والطريق العام. وإلا فله طرق أخرى كالإلهام والتعليم والتصفية.

[3] أي استكشاف الرتب متحركاً لتحصيل المادة، مستردفاً لتجريد الذهن عن الغفلات، مستتبعاً لتحديق العقل نحو المعقولات، مستصحباً لملاحظة المعلوم لتحصيل المجهول، منتهياً إلى البسائط. ثم متحركاً لتحصيل الصورة، مستصحباً للتقطن، مستلزماً لترتيب الأمور، مولداً للمُرْتَبِيَّة الحاصلة بالمصدر". هذه الحقيقة مزقها العوام شذراً منذراً⁽¹³⁰⁾.

[4] أي لا منطقاً ولا لغة⁽¹³¹⁾.

" [5] هو "للجمع و" أل "للمنع أو للبداهة كوالدك العبد ..⁽¹³²⁾

[6] أي الذهني لا الخارجي مقابل الإمكان ..⁽¹³³⁾

وما به [1] إلى تصور [2] وصل [3] يدعى [4] بقول شارح [5] فلنبتهل

[1] هذا قول شارح للقول الشارح :

إن أدخلت في " ما " القاموس، وقسم من التقسيمات، وأكثر التفسيرات، وكل التمثيلات وجميع الأمثلة لم يمتلئ ...⁽¹³⁴⁾

⁽¹³⁰⁾ (أي استكشاف الرتب (حاصله أن للذهن لإحضار الدليل حركتين إحداهما أنه يدور في ساحة المعلومات والمعقولات يبحث عما يناسب لإثبات مدعاه، فإذا وجد تلك المقدمات المناسبة جمعها ويختم حركته الأولى للمادة. ثم يعود ثانياً لتحصيل الصورة، فيضع كلاً من المقدمات في موضعها مراعيًا للشرائط، فتتشكل الصورة أيضاً فيتم الدليل ويصل إلى المطلوب. .

⁽¹³¹⁾ (أي لا منطقاً ولا لغة (أي المراد من العكس هنا المعنى العرفي الذي هو عبارة عن الضدية فقوله) عكسه (أي ضده لا العكس المنطقي، الذي هو عبارة عن تبديل الطرفين، ولا اللغوي أي الانتقال من جهة إلى جهة مثل الانعكاس.

⁽¹³²⁾ (هو للجمع (أي للإشارة إلى جامعية التعريف، لأن) هو (يدل على حصر المعرف في التعريف) وال للمنع (أي للدلالة على كون التعريف مانعا عن الأغير لأنه للعهد الخارجي أو للبداهة كما أن) ال (في) والدك العبد (للبداهة).

⁽¹³³⁾ (أي الذهني (أي البديهي لأنه هو الضد للنظري. أما الخارجي فيمعنى الوجوب الذي هو مقابل وضد للإمكان..

⁽¹³⁴⁾ (إن دخلت في ما (يعني أن لـ) ما (بطنا لو أدخل فيه جميع ما ذكر- لكن من قسم

ما في الباء من السببية علة مُعَدَّة حضوراً ومُجَامِعة حصولاً .. (135)

أي ذاتاً أو صفة أو لازماً موضوعاً أو مفهوماً بنوعيه، أو مدلولاً بأنواعه، أو مراداً، أو ماهية حقيقية أو اعتبارية أو اصطلاحية مفصلاً أو مجملاً تاماً، أو ناقصاً بالعلل أو المعلومات أو بكليهما .. (136)

[2] أي متصوراً بوجه، فإن المجهول المطلق كما يمتنع الحكم عليه يمتنع تعريفه...

[3] مصدره نائب فاعل، ميزانه ومفهومه روح كل محمولاته وجنس عال لها. كما أن المعلوم أب لموضوعاته و" المعلوم موصل" أم مسائله ... (137)

[4] أي الدعاء. هذا آخر صورة انتهت إليها هذه النسبة مناد على اسمية التعريف لإحضار ذات وقول. أي مركب ولو ذهنياً. لأن البسائط لا تعرف بل تحدد حسداً .. (138)

[5] أي مستقرى مواطئ النشو، ومدارج الاستكمال، ومحلل يرد الشيء إلى أصله (139).

التصورات -لم يمتلئ ولم يشبع.

يعني أن كل ما في جوف) ما (مما ذكر تعريفات توصل إلى معرفات..

(135) ما في الباء من السببية (يدل على أن التعريف علة لإحضار المعرف، بحيث لولاه لم يحضر. وبعد الإحضار والحصول، علة مجامعة ومقارنة معه لا تنفك عنه للزوم بينهما. (136) أي ذاتاً أو صفة الخ (إن شئت إيضاح هذه الأقسام مع الأمثلة فراجع قبر الأستاذ رضي الله عنه وأرضاه) وهو في ربوة رفيعة من ربي ولاية إسبارطة مستور مجهول ممنوع عن الناس.!!!)

(137) أي مصدره نائب فاعل ميزانه (أي فعل الوصول على أنه من باب التضمين) ومفهومه (هو الوصول: حاصله: أن التعريف كالأب ملقح للمعرف. أي نافخ لروح الوصول في رحم المعرف. فالتعريف موضوع والمعرف محمول والوصول روح منفوخ منه في رحمه. فكل المسائل داخلة في) المعلوم موصل (أي المعلومات موصلة إلى المجهولات...)

(138) أي الدعاء (أي مصدره الدعاء بمعنى النداء أي يسمي وينادي..

(هذا (أي ندائه بالقول الشارح وتسميته به آخر صورة ينجر وينتهي إليها النسبة التضائفية بين العرف والمعرف، إذ بينهما تضائيف. أي التسمية إنما تتحقق بعد تمام الوصول لأن الاسم بعد تمام المسمى) .. هذا (مبتدأ) آخر (خبره الأول) مناد (خبره الثاني). أي يدل على أن التعريف اسم لِمَا كان مركباً من ذات وصفة ولو ذهنياً، كالناطق في الحد الناقص. إذ البسيط لا يعرف وإنما يعرف بالحدس أي الانتقال دفعة وفجأة من المعلوم إلى المجهول.. (139) أي) مستقرى (أي التعريف مفتش يبحث عما ينشأ ويحصل عنه المعرف من الأجناس

وما [1] لتصديق [2] به [3] تُوصَلَا [4] بحجة [5] يعرف [6] عند العقلا [7]

" [1] ما "موصوفة، أي تصديق، أي لا تصور. لأن النوعين غير متجانسين فلا يتوالدان وإن تلازما...

[2] كما تضمن اللام " إلى "تضمن" توصل" "تكلف". فالأول متعلق بالثاني، إذ هذا التصديق مدعى. والثاني بالأول، إذ هو نتيجة بأول وبالإطلاق أو التخيل أيضاً... (140)

[3] وبالجزئي على الجزئي، أو الجزئي على الكلي، أو بالكلي على الجزئي (141).

[4] زاد هنا وجرده في التصور للإشكال في الأشكال، والاشتباك في الدليل". ومصدر المجرد نائب فاعل المزيد "أي وصولاً لازماً إلى معلوم، أو مظنون لذات الدليل أو

والفصول والخواص والأعراض. وكذا محلل شارح يرّد المعرف إلى أصله. مثلاً: إن من يريد أن يعرف الإنسان يتحرى أولاً ما يتركب منه من الأجناس كالجوهر والجسم والناسخ والنامي والحيوان. ومن الفصول كالتقابل للأبعاد الثلاثة والنامي والحساس والناطق. ثم يجمعها ساتراً لها في بطن الحيوان الناطق فيتولد الإنسان.

¹⁴⁰ (كما تضمن) اللام (معنى) إلى (أي لأن الوصول يتعدى إلى) تضمن توصل معنى تكلف (لأن الوصول يحصل بالكلفة فناسب تضمين التوصل. فاللام في) لتصديق (له) معنيان: معناه الأصلي، ومعنى إلى). (فالأول أي إذا نظر إليه بالمعنى الأصلي) متعلق بالثاني (التكلف المتضمن للتوصل) إذ هذا التصديق (أي مدخول اللام) مدعى (وفي إثبات المدعى المجهول كلفة، فناسب تعلقه بالتكلف) والثاني (أي اللام بالمعنى الثاني) متعلق بالأول (أي التوصل المتضمن) إذ هو (أي التصديق المدخول للام) نتيجة بأول (أي سيؤول وسيرجع ويصير نتيجة. وفي نتائجها لا يوجد الكلفة فالمناسب تعلقه بالتوصل لا بالتكلف).

(وبالإطلاق أو التخيل أيضاً)، أي ذلك التصديق المدخول للام لكونه غير مقيد شامل للقسمين. أي ما كان مدعى وما كان نتيجة، وبالتخييل والتقدير أيضاً يمكن الشمول للقسمين.

¹⁴¹ (وبالجزئي على الجزئي (أي الوصول قد يكون بالجزئي على الجزئي، مثل: هذا زيد، وزيد ضاحك، فهذا ضاحك) وبالجزئي على الكلي (كما في الحدسيات، كالانتقال من بعض الأمارات إلى المطلوب الكلي) وبالكلي على الجزئي (مثل: كل إنسان حيوان وكل إنسان كاتب فيعوض الحيوان كاتب).

صورته أو موهوم أو متخيّل أو جهل مركب..(142)

[5]اعلم !

أنها نَسَابَة أنسالِ الحادّثات، وسرّادَة سلاسلِ مناسباتِ الكائنات، وتمثّل مجاري الحياة من جرثوم الحقيقة العظمى إلى الثمرات ..(143)

[6]مجاز من " يتحد " وهو من " يحمل " وهو من " يحدد " والمعرفة هي كيفية هذه النسبة، إشارة إلى استغناء هذه الدعوى عن الدليل...

[7]اللام عوض الصفة أي المنطقيين .لا الإضافة لأن " عاقلا " من ذي كذا(144).

واعلم !

إن الكل- كالإنسان مثلاً -في حكم مصدره، جزؤه مستتر تحت جزئه أو خلفه كالعين

(142) (زاد هنا قائلًا: " توصلَ " من المزيد) وجرّد هناك (قائلًا: " وصل " من الثلاثي) للإشكال في الأشكال (بكسر أول الأول وفتح في الثاني .يعني أن الإشكالات الواقعة في الأشكال والضروب والقياسات أجبرت على ترجيح المزيد على المجرّد إشارة إلى زيادة الكلفة هنا.

(ومصدر المجرّد نائب فاعل المزيد (يعني أن) توصلَ (لكونه بناء المجهول يقتضي نائب الفاعل ولا مفعولٌ يَنوبُ منابه لكونه غير متعد فأشار الأستاذ إلى أن مصدر المجرّد أعني "الوصول "نائب عن فاعله .

فمعنى توصل) وقع الوصول) (أي وصولاً (مفعول مطلق نوعي) لازماً (صفة للإشارة إلى اللزوم بين الدليل والنتيجة) إلى معلوم (متعلق بالوصول أي نتيجة ذات يقين) أو مظنون (أي من الظنّيات) لذات الدليل أو صورته (أي سبب الظنية ما وجد في الدليل أو صورته من موجبات الظن) أو موهوم (أي من الوهميات).

(143) (اعلم أنها نَسَابَة لأنسالِ ..الخ (الضمير عائد للحجة). نَسَابَة (صفة مبالغة من النسبة . بمعنى كثير المعرفة بالأنساب .و الأنسال جمع نسل بمعنى الذرية .أي الحجة الإلهية كأنها تاريخ جامع للحادّثات الكونية و عارف بتناسل بعضها عن بعض.

(وسرّادَة سلاسل (أي مركز اجتماع تلك السلاسل كأنها" سانترال "محل ومرابط لتلك السلاسل.

(144) (اللام (أي الألف واللام في العقلاء) عوض (أي بدل) عن الصفة (أي عقلاء منطقيين) لا الإضافة (أي عقلاء المنطق .لأن العاقل ليس باسم فاعل حتى يضاف إلى مفعوله) بل هو من ذي كذا (أي من باب ذي كذا .فالمعنى عند ذوي العقول من المنطقيين.

للمفتش والأذن للجاسوس والعقل للمنطقي⁽¹⁴⁵⁾.

أنواع الدلالات الوضعية

دلالة [1] اللفظ [2] على ما [3] وافقه [4] يدعونها [5] دلالة المطابقة [6]

[1] هذه هي الثانية من أحوال اللفظ الأربعة التي يقسمها اللفظ واللغة والمنطق والبيان والاستنباط الأصولي من الوضع والدلالة والاستعمال والفهم⁽¹⁴⁶⁾.

[2] اعلم!

ما أدق حكمة الله في اللفظ وما أعجب شأنه وما أطفه نقشاً! إن الرابط بين مأخذي جنس الإنسان وفصله هو النَّفسُ ذو الرأسين، الموظف بوظيفتين، صاحب الثمرتين، الموجه إلى القبلتين، المثمر أسافلُهُ لنار حياة الحيوان مع تصفية مائها، والمولد أعاليه لحركات نطق الناطق.

فبدخوله إلى عالم الغيب يصفى الدم الملوث بأنقاض الحجيرات المحللة، بسر امتزاج

¹⁴⁵ (واعلم) أن الكل كالإنسان (أي المركب من أجزاء كالعين والأذن وغيرهما إذا وقع) في حكم (أي فعل) مصدره (اسم مكان ضميره عائد للحكم، مبتدأ خبره) جزؤه (والضمير راجع للكل. والجملة صفة الحكم مثل) تجسس زيد (فإن التجسس يكون بالأذن. فالقاعدة في التعبير عن ذلك الحكم والفعل إما استتار الفاعل أي الكل في ذلك الجزء أو إضافة الكل إليه بواسطة) ذو (فيقال للشخص المنطقي" عاقل" أو ذو عقل لأن المنطق يصدر من العقل وللمفتش" عاين" أو ذو عين هكذا. وإلى هذا أشار بقوله) مستتر تحته أو خلفه (كالعين للمفتش والأذن للجاسوس والعقل للمنطقي.

¹⁴⁶ (التي انقسمها اللفظ واللغة الخ (إن قيل: المقسوم أربعة والمقسوم عليه خمسة فكيف يصح التقسيم؟ قلت، نعم، لكن التقسيم أيضاً على أربعة، إذ اللفظ خارج عن المقسوم عليه، إذ الوضع ناظر إلى اللغة والدلالة إلى المنطق والاستعمال للبيان والفهم للأصول. لكن لا تظن أن اللفظ بقي خارجاً عن التقسيم، بل هو كالألم لهذه الأربعة، تأخذ من حصة كل واحد، إذ بيده رأس حصة كل منها، حيث يقول اللغوي: وضع اللفظ لهذا المعنى، والمنطقي: دلالة اللفظ على هذا المعنى مطابقة وهكذا.. فاللفظ داخل في حصة كل. وبهذا الاعتبار تأخذ الأم من حصص الأولاد أربعا..

(مولد الحموضة الهوائي بكربونه (بسبب العشق الكيميو ي. فإذا يمتزج العنصران يتحد كل جزئين منهما. وإذا يتحدان يتحركان بحركة واحدة. فتبقى الحركة الأخرى معلقة باقية. فبسرّ" تحوّل الحركة حرارة والحرارة حركة "تنقلب تلك الحركة الباقية المعلقة حرارة غريزية، أعني نار حياة الحيوان. فبينما يخرج النّفس من عالم الغيب إلى عالم الشهادة تبعاً إذ يتداخل في المخارج متكيفا بالصوت، والصوت يتفرق على المقاطع متحوّلاً حروفاً" أجدى من تفاريق العصا. "بينما هي قطعاً صوت لا حراك لها. إذ صارت أجساماً لطيفة عجيبية النقوش، غريبة الأشكال، حاملة للأغراض والمقاصد، تتطاير مترنمة من أوكارها، مرسلّة إلى ما قدر لها صانعها الحكيم سفراء بين العقول. فاللفظ زبد الفكر، صورة التصور، بقاء التأمل، رمز الذهن. فبسبب الخفة والتعاقب وقلة المؤونة وعدم المزاحمة وعدم القرار ترجّح اللفظ لهذه النعمة العظمى: فما أجهل من يكذب أو يسرف بقيمة هذه النعمة!

" [3] أي المفرد "لأن دلالة المركب على جزء معناه مطابقة. واللفظ أمانة ورمز على ما في الذهن على مذهب، وعلى ما في الخارج على مذهب.. (147)

[4] أي مقدار قامات المعاني.. لا يشتكى قصر منها ولا طول (148).

[5] فيه ما مر في " يدعى "فإن نسبة الحكم لها صور متفاوتة واستحالات متسلسلة (149).

[6] وإن قارنها دلالة التضمن والالتزام بتسليم بقاء الضعيف مع القوي، ووجود الدلالة بدون الإرادة؛ لأن الحيثية مرادة في " مقول الإضافة "بسر أن الحكم على المشتق وما

(147) (أي المفرد (لأن اللام في اللفظ للعهد والإشارة إلى المفرد، فلا يرد على حصر التقسيم وجمعه دلالة المركب على جزئه مطابقة على ما سيجيء، فلا تبقى خارجة عن التقسيم وعن أقسام الدلالة، لأن المقصود من الوضع في الدلالة المطابعية ليس وضع اللفظ لعين المعنى بل ما كان للوضع فيه مدخل..

(148) (أي مقدار قامات (اقتباس من شعر الشاعر:

وألفاظ رفاق النسخ قدت على مقدار قامات المعاني

(149) (فإن نسبة الحكم (نعم، إن دلالة اللفظ على المعنى لها صور وعنوانات متخالفة كالنطاق والتضمن والالتزام، وانقلابات متسلسلة بتبدل المواضع والتراكيب. مثلاً: إن الناطق يكون تارة مدلولاً تضمينياً وتارة التزامياً وهكذا..

في معناه يدل على التقييد... (150)

وجزئه [1] تضمناً [2] وما [3] لزم فهو التزام إن بعقل [4] التزم [5]

[1] بمقدمتين: عقلية وعقلية. ببقية إرادة واحدة، لا مستقلة. وإلاً فمطابقة مجاز أو حقيقة قاصرة. ولا بإرادة مشتركة وإلاً فمجاز وحقيقة. وبالدخول في "جواب ما هو"، لا الوقوع في "طريق ما هو". "فما ذكر عند المنطقيين وإلاً فمطلق" (151).

[2] هذا والالتزام مصدران جعليان مشتقان من الدلالة التضمنية والالتزامية (152).

[3] أي خارج، وإلاً تداخل القسمان (153).

[4] أي عقلياً بيّنا أخصّ عند المنطقي. وإلاً فسواء عقلياً أو عادياً أو عرفياً أو شرعياً أو اصطلاحياً أو دائماً أو موقفاً لكلمة أو كلام أو قصة. أو اللزوم لتصور أو تصديق أو تخييل أو معنى من المعاني الحرفية التي لا وطن لها، تبعياً أو قصدياً (154).

(150) (لأن الحثية مرادة (علة لمقدر: كأنه قيل: بعد تسليم المقارنة والبقاء لا يصح ولا يخص التسمية بالمطابقة فأجاب: بأن الحثية مرادة والمجوز لإرادتها ترتب الحكم على المشتق كما هنا، أي من حيث وافقه..)

(151) (بمقدمتين (أي دلالة اللفظ على جزء المعنى ثابتة بمقدمتين نقلا وعقلا. أما نقلا: فلأن دلالة اللفظ على جزء المعنى ليست مهجورة، بل هي ثابتة عند العلماء ومعتبرة في الأحكام. وأما عقلا: فلأن وجود المركب إنما هو بوجود الأجزاء ولولاها لم يوجد، فاستلزامه لها ودلالته عليها ضرورية.

(وبالدخول في جواب ما هو (عطف على) ببقية (أشار به إلى لزوم تصور ذلك الجزء بالجزئية وإلاً لم تكف الدلالة تضمناً. وإنما يعلم ذلك التصور بصلاحيّة ذلك الجزء للدخول في جواب ما هو، لأن تعبير الدخول خاص بالأجزاء، والوقوع عام، فالحثية مرادة. أي من حيث هو جزء. وإلى هذا أشار بقوله) لا الوقوع في طريق.)

(152) (وهذا (أي التضمن) والالتزام مصدران (توجيه لما يقال: من أن التسمية بالتضمن والالتزام ليست بصحيحة إذ لا يجوز حملهما على الدلالة.

وجه التوجيه: أنهما مصدران جعليان أي مشتقان أي مشقوقان أي متغيران أي محرران من التضمنية والالتزامية. مثل "شمو من شمس الدين."

(153) (أي خارج (ليخرج الداخل من شمول) ما) (وإلاً تداخل القسمان (أي التضمن) والالتزام لأن الجزء الداخل لازم.

(154) (أي عقلياً بيّناً (هذه الأقسام المذكورة المتساوية عند غير المنطقي، إيضاحها بالأمثلة

[5] أي وإن كان ضدًا، إذ كثيراً ما يكون أقرب الأشياء إلى الشيء خطوراً ضدّه، لاسيما إذا انضاف إلى الضدية الإضافية. حتى قيل: إن النقيض نظير نقيضه⁽¹⁵⁵⁾.

فصل في مباحث الألفاظ

مستعمل [1] الألفاظ حيث يوجدُ إما مركب [2] وإما مفرد [3]

[1] مُسَوَّرُ كَلِيَّةٍ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ الْاسْتِغْرَاقُ الْمَكْسُوبُ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، لَوْصِفِيَّةُ الْمُضَافِ .
لأنه حملية. والسور " حيث " من حيث أنها شبيهة المنفصلة⁽¹⁵⁶⁾.

[2] المركب المركب مع " مع " مفرد ومع " من " مركب من...⁽¹⁵⁷⁾

[3] أي مع عدم اعتبار الغير لا اعتبار عدم الغير. أخره مع تقدمه لأن ما فيه من عدم حادث لا أصلي. إذ وضع الألفاظ لا ليفيد معانيها لتعيينها أولاً، بل ليفيد ما يعرضها

ليس في وسع) عبدالمجيد (الآن بل مدفون مع الأستاذ!)
⁽¹⁵⁵⁾ حتى قيل: إن النقيض نظير نقيضه (كالنور والظلمة، والليل والنهار، فإن تصور كلٍ يخطر الآخر بالبال.

⁽¹⁵⁶⁾ (مسور كلية هذه القضية (حاصله: أن تشكل هذا التقسيم في شكل قضية حملية كلية شبيهة بالمنفصلة. موضوعها) مستعمل،) محمولها المردد بين إما و أو .
كليتتها لمحافظة حصر التقسيم وجمعه. إذ لولاها لم يكن جامعا للأقسام .
وسورُها الاستغراق المستفاد من اللام في المضاف إليه، إذ لا يكتسب الاستغراق من الموضوع المضاف لأنه وصف لا أفراد له لذاته.

وشبهها بالمنفصلة في كون التردد بين جزئي المحمول لا بين قضيتين. ثم إن محمول هذه القضية الحملية لكونه بالمنفصلة لابد أن يكون كلية مسورة كالحملية أيضاً محافظة لحصر التقسيم لكن الاستغراق في الشرطيات باعتبار الأزمان والأوضاع. وسورُ هذه المنفصلة) حيث (فمعنى تلك القضية: كل لفظ مستعمل في كل زمان وعلى كل وضع إما مفرد أو مركب.

⁽¹⁵⁷⁾ (المركب المركب مع مع مفرد (لأن واحدا من جزئي المركب وقع بعد مع، ولم يبق فيه إلا جزء واحد فهو قبل ذكر ما وقع بعد" مع "مفرد). والمركب مع من مركب من (...لأن "من" بيان وتفسير لما قبله، فلو لم يلاحظ الجزآن في المركب قبل ذكر) من (يبقى المفسر بلا مفسر. فقبل ذكر) من (يلاحظ الجزآن فيه البتة، فهو مركب من أي) من (أجزائه.

بالتركيب. فالمركب مقدم. كما في دلائل الإعجاز⁽¹⁵⁸⁾.

فأول [1] ما [2] دل [3] جزئه [4] على [5]

جزء [6] لمعناه [7] بعكس [8] ما تلا

[1] من ديدنهم ترديف التقسيم القطعي بالعقلي للإثبات⁽¹⁵⁹⁾

[2] أي لفظ⁽¹⁶⁰⁾

[3] أي وأريدت⁽¹⁶¹⁾

[4] أي المرتب في السمع⁽¹⁶²⁾

[5] أي بالذات⁽¹⁶³⁾

[6] أي له وقع⁽¹⁶⁴⁾

[7] أي المعنى⁽¹⁶⁵⁾

[8] أي نقيضه...⁽¹⁶⁶⁾

⁽¹⁵⁸⁾ (أي مع عدم اعتبار الغير (أي وارداته. سواء كان الغير موجوداً أو لا يدخل عبد المجيد علماً) لا اعتبار عدم الغير (إذ حينئذ يخرج هذا الفقير عن التعريف) أخره مع تقدمه (أي على المركب لأنه جزؤه) لأن ما فيه من عدم حادث (لأن وجود عدم وجود دلالة الجزء في مفهوم المفرد، إنما وجد بعد وجودها في شيء آخر، أعني المركب. مع أن الوجودي مقدم على السلبي والأصلي على الحادث).

⁽¹⁵⁹⁾ (التقسيم القطعي بالعقلي (أي من عادة العلماء أنهم بعد التقسيم القطعي أي الثابت ثبوته في الواقع، يقسمون بالعقلي أيضاً للإثبات. أي ليحصل الثبوت في الذهن أيضاً

⁽¹⁶⁰⁾ (أي لفظ (جنس، وباقي القيود فصل، فغيره ليس بمفرد ولا مركب كالإشارات..

⁽¹⁶¹⁾ (أي وأريدت (أي إن دلت ولم تُردِّ مفرد كالحيوان الناطق علماً..

⁽¹⁶²⁾ (أي المرتب في السمع (فالفاعل الدال بمادته على الحدث وبهيئته على الزمان مفرد لا مركب...)

⁽¹⁶³⁾ (أي بالذات (فالدال بالواسطة ليس مركباً، كالإنسان الدال على قابل العلم بواسطة اللزوم.

⁽¹⁶⁴⁾ (ليس له وقع (أي تأثير وفائدة فلا عبرة بإرادة دلالة) زاء زيد (على يده مثلاً..

⁽¹⁶⁵⁾ (أي المعنى (كعبد المجيد فان مدلول جزئه ليس جزءاً للمعنى المقصود إذا كان علماً فليس مركباً..

اعلم أن لمفهوم المركب فرداً فرداً هو وجود جميع الأجزاء. وللمفرد أفراداً بعدد عدم الأعم. فالأخص، ثم الأخص إلى عدم الإرادة. وأخص الكل الأعم، إذ عدم الأخص أعم، فيعم أحداً وثلاثين عقلاً وستة واقعاً⁽¹⁶⁷⁾.

وهو على [1] قسمين أعني [2] المفردا [3] كلي [4] أو جزئي [5] حيث وجدا

" [1] على "حاملة ب" إلى "ظرفان لغوان. أي ينقسم إلى قسمين ويقوم واقفاً عليهما...⁽¹⁶⁸⁾

[2] كما أن " أي "المطابقي و" المراد "للالترامي- كذلك" أعني "وما يردفه للتضمني. إذ المذكور مركب⁽¹⁶⁹⁾.

⁽¹⁶⁶⁾ (أي نقيضه (أي لأن) دلّ (نقيض) ما دل (فالمفرد والمركب نقيضان مفهوما...
⁽¹⁶⁷⁾ (اعلم أن لمفهوم الخ (حاصله: أن للمركب فرداً فرداً أي أجزاء يحصل ويتشكل المركب باجتماعها فقط. وللمفرد أفراداً أي جزئيات وأقساماً حاصلة من نفي كل واحد من القيود المذكورة المشروطة لتشكل المركب. فبانعدام كل قيد مع بقاء الآخر فرضاً يحصل للمفرد قسم عقلاً. فإذا ضربنا القيود المنفية في المفرد في الستة المشروطة الموجودة في المركب -المذكورة آنفاً- يحصل للمفرد ستة وثلاثون قسماً عقلاً. ولكن القيد الأول- أعني اللفظ - خارج عن الضرب لكونه مقسماً للمفرد والمركب. فيبقى أحد وثلاثون قسماً. هذا عقلي. وأما الخارجي فستة: وإلى هذا أشار بقوله) بعدد عدم الأعم.. الخ. (نعم، بناء على أن كل قيد ذي قيد أخص من مطلقه، كالإنسان الكاتب مع الإنسان..

والحاصل: أنه كلما تزايد القيود تخصص. يعني يكون الثاني أخص من الأول، والثالث من الثاني، والرابع من الثالث، والخامس من الرابع، والسادس من الخامس. فالأخص من الكل الثالث؛ إذ لا أخص تحته. وهو مع كونه أخص الكل؛ بهذا الاعتبار يكون أعم الكل إذ لا أخص تحته فهو مطلق والمطلق أعم من المقيد

⁽¹⁶⁸⁾ (على حاملة ب" إلى). ("نعم، إن مجرور) على (أي) القسمين (بمادته وجوهره يقتضي تقدير) ينقسم (وهو إنما يتعدى ب" إلى "وبتثنيته المفيدة للحصر، إذ لا ثالث لهما يقتضي تقدير) ينحصر (أو ما يقوم مقامه. ففي بطن) على) (إلى).
(لغوان (أي سواء كان) على (أو) إلى (فهما ظرفان لغوان لا ظرف مستقر لتعلقهما بالأفعال الخاصة.

⁽¹⁶⁹⁾ (كما أن أي. (حاصله: أن المعنى المجهول إن كان المعنى الموضوع له يفسر ب) أي (وان كان جزؤه فب) عنى (وان كان لازمه فب) المراد..)
اختار الناظم التفسير ب) أعني (إشارة إلى أن الضمير في أول البيت أي في قوله) وهو

[3] لا مقابل المضاف والجملة والنسبة.

[4] منسوب إلى كله الذي هو جزئيه⁽¹⁷⁰⁾.

[5] منسوب إلى جزئه الذي هو كله. فالناقص زائد والزائد ناقص⁽¹⁷¹⁾.

فمفهمُ اشتراكِ [1] الكلِّي كأسد [2] وعكسه [3] الجزئي [4]

[1] اعلم

أن هذا الاشتراك اشتراك تمثيلي واتحاد وهمي، إذ الاشتراك والاتحاد بكليّ معنيهما غير متصوّر هنا، بل المراد تطابق النسب، كتساوي نقط المحيط لنقطة المركز، لو ذهبت إحداها إليها كانت إياها وبالعكس، أعني أن الكلّي لو خرج بالفرض من عالمه ودخل بابَ إحدى جزئياته- فبسرّ عدم العبثية -يفنى هو ويبقى ما في الجزئي من ظله فيتوهمّ الاتحاد.. وكذا لو تطاير بالفرض متصاعداً إحدى جزئياته من عالمها إلى مقام الكلي، فبالوصول إلى بابه يناديها": أنا زعيمكم هنا كما أنتم نوابي في مملكتكم". ثم ينظفي. فيتوهم الاشتراك، ولو ممتنعاً. إذ الفرض ممكن..⁽¹⁷²⁾

على قسمين (راجع إلى المذكور. وفيه المفرد والمركب. فلفظ) المذكور (المراد مركب والمفرد من أجزائه. فاختيار الناظم التفسير بأعني مناسب في موضعه. وإلى هذا أشار الأستاذ بقوله) إذ المذكور مركب (يعنى أن ضمير) هو (راجع إلى المذكور وهو مركب من المفرد والمركب...

⁽¹⁷⁰⁾ (منسوب إلى كله الذي هو جزئيه (الضمير للمنسوب؛ لأن الجزئي عبارة عن الكلّي والنشخصات، فالكلي جزء للجزئي والجزئي كل للكلّي، فالنسبة بينهما من قبيل نسبة الجزء إلى الكل..

⁽¹⁷¹⁾ (منسوب إلى جزئه الذي هو كله (لأن الكلّي داخل في حقيقة الجزئي، فالنسبة بينهما من قبيل نسبة الكل إلى جزئه. فالجزئي كل والكلّي جزء .

(فالناقص (أي الجزء المنسوب إليه الناقص بعدد حروفه من المنسوب) زائد (على المنسوب باعتبار كليته وشموله للغير. وكذا إن الزائد أي المنسوب الكثير الحروف من المنسوب إليه) ناقص (باعتبار تشخصه وعدم شموله للغير.

⁽¹⁷²⁾ (اعلم أن هذا الاشتراك (حاصله: أن الكلّي ظل ذهني للجزئيات الخارجية وهي مثالات له. فالنسبة بينهما كنسبة نقطة المركز إلى نقط المحيط. لكن إن ارتفع الجزئي من الخارج ودخل الذهن تنظفي تشخصاته وتنسلب عنه فيكون كليا. وكذا إن سقط الكلّي ووقع في

[2] أي من المبادئ التصورية. أي رسم ناقص ليطمئن قلوب الحواس لحكم العقل فيقرأ أو ما في المثال من آيته.. (173)

[3] أي لا يشترك بالإمكان اشتراك الوجود الظلي، لوجوداته الأصلية، الممثل عكسه بتخييل نقطة المركز مصباحا ونقاط المحيط زجاجات .. (174)

[4] ك- الله [جل جلاله :والجزئي كلي كما أن الفعل اسم .وافترق الجزئي والكلي الفرضي، بأن الأول فرض ممتنع والثاني فرض ممكن ..

فأولاً [1] للذات إن [2] فيها [3] اندرج [4]

فانسبه [5] أو [6] لعارض [7] إذا [8] خرج [9]

[1] أي الأولى "أولاً" إذ لا ثاني هنا، لأن الجزئي كما لا ينضبط أحوالاً لا يفيدنا كمالاً

الخارج ينضم إليه الشخصيات فيصير جزئياً.

ففي المنزلتين لا يُرى إلا واحد منهما فيتوهم بينهما الاشتراك والاتحاد..

(173) أي من المبادي (أي قسم من القول الشارح لأنه مثال والأمثلة رسوم ناقصة...

(174) أي لا يشترك بالإمكان .. الخ (أظن أن هذه القضية موجهة) والجهة (الإمكان و) لا نافية

لها و) اشتراك (منصوب إما بنزع الخافض- أي كاشتراك- أو على أنه مفعول مطلق نوعي .

حاصله: أن الجزئي لا يمكن أن يشترك ذلك النوع من الاشتراك كما كان في الكلي إذ

لاوجود له ظلياً لوجودات في الذهن أصلية في الخارج، بل الخارج مركز لوجوده الأصلي،

وهو مصباح في الخارج يرى في زجاجات الأذهان عكس الكلي ...

س :-ما الفرق بين الجزئي والكلي في فرض الأفراد حتى تفرض للكلي لا للجزئي؟

فأجاب المرحوم :بأن الفرض ممكن في الكلي ممتنع في الجزئي .مثلاً :إن) الله (علم للذات

لا يحد، إذ لا جنس له ولا فصل فليس له مفهوم حتى يفرض له الأفراد باعتبار المفهوم .

فالفرض فيه ممتنع .

وأما فرض الأفراد للجزئي الكلي (في) الجزئي كلي (فهو فرض ممكن؛ إذ له حد .وفي حده

جنس وفي جنسه عموم .فله مفهوم عام يمكن فرض قوله على كثيرين لا وجود لها .

(كما أن الفعل اسم (دفعٌ لما يقال :من أن الجزئي والكلي ضدان كيف يحمل أحدهما على

الأخر ..وجه الدفع :إن) حمل الكلي هنا ليس على الجزئي الفردي الخارجي، بل على

مفهوما .وهو أيضاً كلي من الكليات لكن من المعقولات الأولى .والكلي المحمول عليه في

المثال من المعقولات الثانية فلا إشكال .كما لا إشكال في حمل الاسم على الفعل؛ لأن

الاسم محمول على لفظ الفعل وهو اسم من الاسماء) كالاسم).

حكماً "لذات" كذات" يدك وأناك "فإن الماهية مطروفة الوجود. والذات هي مع إضافة الوجود. والحقيقة هي بشرط الوجود. والهوية هي مع الوجود... (175)

[2]فالتشكيك لخفاء الذاتية عكس العروض.

[3]أي في تفصيلها ذهنياً، للزوم الاتحاد في الخارج للحمل. واختلاف العبارات باختلاف الاعتبارات. أو في الخارج مأخذها. وقيل متعددة فيه، وصحة الحمل للاتحام... (176)

[4]أي لم يخرج.. (177)

[5]أي سمه ذاتياً. ولا يلزم شمول وجه النسبة- مناسبة التسمية- لكل الأفراد.. (178)

[6]للتقسيم لا للتخيير الذي يفيد الإنشاء فإنه إخبار.. (179)

(أي الأولى) أولاً (يعني: أن صنيع الناظم في هذه العبارة حيث اختار) أولاً (على) الأول) فذكر ذلك وترك هذا أحسن وأسلم. لأن لفظ الأول والثاني من الأضداد ومن المتضائفات، ذكر أحدهما يخيل الآخر. فلو ذكر الناظم لفظ الأول لبقى السامع- بحكم التضائيف الضدي - منتظراً إلى أن يذكر الثاني. (ولا) ثاني (هنا لأن أحوال الجزئي لا تنضب ولا فائدة لنا فيها. كذلك أحكامه لا تفيد كمالاً ولا فائدة، حتى يلزم ذكرها فيحتاج إلى ترديد) الأول) بالثاني(، فاختار) أولاً (تخليصاً للسامع عن الانتظار لأن المفهوم من) أولاً (الابتدائية لا أول الأعداد.

(لذات) كذات يدك وأناك. (أشار بهذين المثالين إلى أن) الذات (ينسب إليه أجزاء الماهية كالجنس وتامها كالنوع. وأن الذات كما يطلق على الكل يطلق على الجزء أيضاً. فاليد في المثال الأول لكونه جزءاً لتام ذي اليد مثال للجنس الذي هو جزء الماهية. ومرجع) أنا (الذي هو تمام ذي اليد مثال للنوع الذي هو تمام الماهية). وأناك (مركب إضافي على لغة "الأكراد" من ضميري المتكلم والمخاطب. عطف على) يدك (والمعنى أي كذاتك الذي تعبر عنه بـ" أنا "فمرجع" أنا "تمام جسد ذي اليد واليد جزؤه.

(فإن الماهية.. الخ (حاصله: أن الهوية والحقيقة والذات أعيان للماهية انقسمت هي إليها باختلاف الاعتبارات والحديثات، إذ الوجود لو اعتبر مع الماهية أي شرطاً فوهية. ولو اعتبر شرطاً فحقيقة، ولو اعتبر مع الإضافة فذات، لكن المضاف إليه غير داخل..

(176) (أي في تفصيلها (أي تحليل الماهية إلى أجزائها. وإنما ذلك في الذهن، ولولا الاتحاد في الخارج لما جاز الحمل بينهما.

(و)اختلاف العبارات (كالاتحاد والداخل وعدم الخروج) باختلاف الاعتبارات (ومن الاعتبارات مراعاة النظم والوزن..

(177) (أي لم يخرج (سواء كان جزء الماهية أو تمامها ليشمل النوع...)

(178) (ولا يلزم شمول وجه النسبة (فلا بأس لخروج النوع من وجهها..

[7] عَدَلَ عن عرض، إشارةً إلى الحمل .. (180)

[8] للظهور بالنسبة .. (181)

[9] فالنوع كالفصل خاصة الجنس وعارضه كما في المناسبات ... (182)

والكليات [1] خمسة [2] دون انتقاص

جنس [3] وفصل [4] عرض [5] نوع [6] وخاص [7]

[1] في التعريف استعظام . هي كأخواتها بينما هن معقولات ثانية، حرفية المعاني . وتبعيتها مرايا للمعقولات الأولى؛ إذ صارت طبائع اسمية يتطير من جوانبها ما يتوضع عليها، ويخرج ما كانت لابسة له، ويتولد منها من يدعى أنه أب لأبيه كما أن الكلي نوع الجنس الذي هو نوع الكلي وقس .. (183)

[2] أي أنتج أربعة تقسيمات، خمسة أقسام متقابلة إن اتحد المنسوب إليه . فإن تعدد فقد تجتمع في واحد وقد تتحد في نوع كالنوع الإضافي (184) .

(179) فإنه إخبار (إذ التقسيم واقع في الأزمنة الخالية . لكن الناظم أراد أن يخبر ويحكي عن ذلك الخير بلفظ الإنشاء .

(180) إشارة إلى الحمل (إذ العرض لا يحمل بل المحمول العارض .. وفيه ما فيه .. تأمل .

(181) (للظهور بالنسبة (أي ذكر أولاً) إن (الدال على الشك . وهنا) إذا (الدال على القطع إشارةً إلى أن كون التسمية بالعارض أظهر من التسمية بالذاتي في الجملة ..

(182) (فالنوع كالفصل (أي فعلى هذا لا يكون النوع ذاتياً، بل يكون خاصة للجنس وعارضه، أي غير شامل كما أن الفصل كذلك كما سيأتي ..

(183) (في التعريف استعظام (أي العظمة والحشمة تترشح من إيرادها بالجماعة) حرفية المعاني (أي مدلولاتها كمدلول الحرف غير مستقلة) وتبعيتها (أي تبعية المعاني أي معانيها تابعة وآله للغير) إذ (فجائية) اسمية (أي حقائق مستقلة كالاسم) يخرج ما كانت لابسة له (أولاً من العنوان الأول وتترزيا بعنوان آخر) يتولد منها الخ (مثلاً: إن الكلي بعدما كان نوعاً للجنس وابتناً له ولايساً لعنوان النوعية إذ يخرج من ذلك العنوان ويتلبس بعنوان الكلية ويصير أباً لمن كان أباً له ...

(184) (إن اتحد المنسوب إليه (أي إن لوحظ الكلي حين الانقسام باعتبار المفهوم فلاشك يكون الأقسام متقابلة) وإن تعدد (أي لوحظ الكلي في ضمن الأفراد) فقد تجتمع (الخمسة) في

- [3] أي الذاتي الأعم بسيطاً أو مركباً⁽¹⁸⁵⁾ .
 [4] أي الذاتي المميز قريباً أو بعيداً⁽¹⁸⁶⁾ .
 [5] أي الخارج العام مطلقاً أو مقيداً⁽¹⁸⁷⁾ .
 [6] أي الجواب التام حقيقاً أو إضافياً⁽¹⁸⁸⁾ .
 [7] أي الخارج المميز للجنس أو النوع ..

اعلم أن بينها مشاركات متنى وثلاث ورباع وخماس، ومباينات ومناسبات ككون الجنس عرضاً عاماً للفصل والفصل ..خاصة للجنس ..والنوع خاصتها .. ثم أعلم أن هذه المصطلحات لها- كأمثالها -حقائق اعتبارية لا وجود لأفرادها وإنما مناط الحكم النقط التي تتسبب عليها حدودها ...

وأول [1] ثلاثة بلا شطط جنس قريب [2] أو بعيد [3] أو وسط[4]

- [1] أي الأول أولى . وأوليته هنا لأنه أول في التعريف لأنه جزء المادة الأعراف لأنه أعم ولأوليته في الوجود لأنه كالمادة كالهولي...⁽¹⁸⁹⁾
 [2] أي يكون فذلكة سلسلة الأجناس والفصول غير الفصل القريب...⁽¹⁹⁰⁾

واحد (فلا تقابل بينها كالملون فإنه جنس للأسود والأبيض .ونوع للمكيف .وفصل للكثيف . وخاصة للجسم .وعرض عام للحيوان) .وقد تتحد (أي بعضها) في نوع كالنوع الإضافي (كالحيوان فإنه جنس لما تحته ونوع لما فوقه..⁽¹⁸⁵⁾
 (أي الذاتي الأعم (هو الجنس العالي كالجوهر والجسم المطلق)..⁽¹⁸⁶⁾
 (أي الذاتي المميز (أي الفصل القريب والبعيد...⁽¹⁸⁷⁾
 (أي الخارج العام (هو العرض المطلق عن اللزوم أو المقيد به.⁽¹⁸⁸⁾
 (أي الجواب التام (هو النوع عبر عنه بهذا لأنه جواب تام لسؤال " ما هو . "أما الجنس- ولو يقال في جواب ما هو -لكنه جواب ناقص...⁽¹⁸⁹⁾
 (أي الأول أولى (أما أوليته فلأن) أول (نكرة لا تكون مبتدأ إلا أن يكون تنوينه عوضاً عن) ها . (وأما أوليته فلأنه في التعريف أول، لأنه عبارة عن جزأين أولهما الجنس لأنه الأعم.⁽¹⁹⁰⁾
 (أي يكون فذلكة (أي خلاصة تحتوى على ما فوقه من الأجناس والفصول غير الفصل القريب، لأنه تحته فلا يكون أخذاً له في مفهومه..

- [3] أي المبدأ البسيط للسلسلة وهي العشرة المشهورة التي هي أوادم الموجودات (191) .
[4] أي كما أنه جنس نوع . وأيضاً النوع كالجنس (192).

فصل في نسبة الألفاظ للمعاني

ونسبة [1] الألفاظ [2] للمعاني [3] خمسة [4] أقسام [5] بلا نقصان

[1] اعلم أن اللسان كالإنسان عاش أدواراً وتحول أطواراً وترقى أعصاراً. فإن نظرت الآن إلى ما تبطن " الآن " من أطلال وأنقاض اللسان التي تفتت في سيل الزمان لرأيت منها تاريخ حياة اللسان ومنشأه. فالدور الذي نجم اللسان إلى الوجود، إنما هو دور حبات الحروف الضعيفة الانعقاد، المغمورة في الأصوات، الدال أكثرها بطبيعة المحاكاة. ثم يتلخص المعاني ارتقى إلى الهجاء. ثم بتكثر الأغراض تدرج إلى التركيبي " ولها آيات في الشرق ". ثم بتشعب المقاصد تصاعد إلى التصريفي. ثم بامتزاج الحسيات الرقيقة والأغراض اللطيفة تعارج إلى النحوي، وهو العربي الذي أخصر الاختصارات، الموجز المطنّب، القصير الطويل. ثم بسر قلب المجاز بالاستمرار حقيقة تَوَلَّدَ الاشتراك. وبحكمة نسيان المناسبة وانقلاب الصفة بالجمود تَوَلَّدَ الترادف ..وقس ..فالتناسب نتيجة التناسل ...

[2] أي اللفظ مع اللفظ واللفظ مع المعنى والمعنى مع الفرد ... (193)

(191) أي المبدأ البسيط (أي غير المركب من الجنس والفصل إذ لا حد له) للسلسلة (أي سلسلة الموجودات التي هي عبارة عن عشرة أصول تتدلى جرتها الأعلى من الجوهر والجسم المطلق والجسم النامي والحيوان والإنسان. فهذه خمسة ولو عد معها فصولها أعني الناطق والحساس والنامي وقابل الأبعاد الثلاثة لكانت تسعة. ولو زيد عليها الصنف لتمت عشرة كاملة. وهذه الأصول منشأ المخلوقات كما أن آدم أصل لذوى الحياة...
(192) نوع (أي إضافي بالنسبة إلى ما فوقه) وأيضاً النوع (أي الإضافي بالنظر إلى ما تحته...
(193) أي اللفظ مع اللفظ الخ (حاصله: أن الأقسام الخمسة الآتية حاصلة من نسبتين: إحداهما: نسبة اللفظ إلى اللفظ، يحصل من هذا الترادف والتشكك. والأخرى: نسبة اللفظ إلى المعنى، يحصل من هذا التواطؤ والاشتراك والتخالف. لكن الناظم احتبك في العبارة؛ بأن

- [3] والفرد معنى. فيه احتباك": ذكر في كل ما ترك في كل.. (194)"
- [4] أي باندرج التساوي في الترادف. والنقل والمجاز في الاشتراك (195).
- [5] أي الخمسة نتيجة خمسة، أو سبعة تقسيمات بالقياس المقسم.

تواطؤ [1] تشكك [2] تَخَالَفٌ [3] والاشتراك [4] عكسه [5] الترادف [6]

[1] أي تساوى الحصص ذاتا، وإن تفاوتت كمالاً وانكشافاً، إذ قانون تولد الاتحاد والامتزاج من الاختلاف تحكم. وكم من مترجم عن تأثره بين قائلنا:
وطالما كنا كغصنيّ بانٍ لكن نما وزدت في النقصان
ألم تر: نواتين توأمين إذ سعت" تا "انكشفت نخلة، وإن عصت" تي "انكشمت
نخرة... (196)

[2] أي التشكك مشكل بين المشتركين

اعلم أن التشكك مع امتناعه قد يتوهم فيما لبس نفسه، وألبست ماهيته هويته، ولايست ذاته صفته اسماً ورسماً كالبياض للثلج والعاج. وأما وجود الواجب والممكن فلا

حَدَفَ من الأولى آخرها ومن الثانية أولها. وتقدير العبارة هكذا: ونسبة الألفاظ للألفاظ ونسبة الألفاظ للمعاني. فترَك من الأول ثانيه ومن الثاني أوله.
(والمعنى مع الفرد (أي نسبة المعنى المطابقي إلى جزئه أو لازمه. يحصل من هذا قسمان آخران: التباعد والتلازم. بَرَكَ الناظم هذا لسبقه في الدلالة.
(194) والفرد معنى (أي جزء المعنى المطابقي أو لازمه من المعاني. فنسبته إلى أحدهما من نسبة المعنى إلى المعنى...)

(195) (أي باندرج التساوي الخ (وإلا يكون الأقسام سبعة والتقسيمات المنتجة لها أيضاً سبعة...)

(196) (أي تساوى الحصص (أي المراد من التواطؤ تساوي الأفراد ذاتا ومفهوما لا اتحادا في الكمال والانكشاف، لأن الاتحاد لا يمكن في الأفراد المتخالفة): ألا ترى (الشاعر كيف بين ويتأوه من نقصه وترقي رفيقه مع أنهما من نوع واحد .
وانظر إلى النواتات يكون بعضها نخلة وبعضها نخرة مع أن الأصل واحد. فالتواطؤ في الذات فقط. كالبياض للثلج -إذ لا يفرق بين ماهيته وهويته وذاته وصفته ومفهومه وأفراده فيقع التشكك في حمل البياض على الثلج إما على مفهومه أو على أفراده...)

يُشتركان إلا في العرض العام الذي هو الوجود الغير الذاتي للموجودات ...
[3] فيدخل غير التغيرات من التقابل والتضاد والتناقض والتضاييف والتنافي والتباين وعدم الملكة...

[4] أي المتولد في الأكثر بالاستمرار أو بتناسي سر التشبيه: ألم تر لو تخيلت وجه السماء جبهة ونصف وجه أفضس أعور أو أرمد لرأيت الشمس عينه الباصرة المبصرة. أو توهمت السماء أرضاً أو طوداً مظليين لأبصرت الشمس عينهما الجارية بماء الحياة وهو الضياء، وقس... (197)

[5] أي عكس عكسه المنعكس منتكسا أي " ذا " ينشعب عروفاً و " هذا " فروعاً (198).
[6] أي التساوي أمه. فكم من مشتق يتجمد.. (199)

واللفظ [1] إما [3] طلب [2] أو خبر [4] وأول ثلاثة [5] ستذكر [6]

[1] أي ذو النسبة التامة (200).

[2] اعلم أن ابن آدم لمحتاج في تنظيم أطنايه الممتدة إلى الكائنات وإصلاح روابطه المنتشرة إليها إلى إنشائيات تسد حاجاته الفطرية؛ فلتطمين تهوسه " يتمنى"، ولتسكين حرصه " يترجى"، ولتربية ميل الاستكمال فيه " يستفهم"، ولميل الاحتياج إلى التعاون " ينادي"، ولإظهار ارتباطه بالحق " يُقسم"، ولتأمين ميل المحاسن " يأمر"، ولتوطين

197 (فإن لفظ العين في تلك العبارة مشترك بين الجارية والباصرة قد نُسي علاقة التشبيه بين الجارية والباصرة فصار حقيقة...)

198 (أي عكس عكسه المنعكس منتكسا الخ (إذ في الاشتراك اللفظ واحد والمعنى متعدد . وفي الترادف بالعكس. فالترادف بالصعود من جهة المعنى إلى اللفظ يتفرع. والاشتراك بالنكوس والتسفل من اللفظ إلى المعنى يتعرق...)

199 (والتساوي أمه (أي الترادف قسم من التساوي ومتولد منه فكيف جعل قسماً آخر؟ فأجاب): فكم من مشتق يتجمد (أي يصير جامداً ويخرج عن الوصفية وينفرد عن أبيه وأمه مستقلاً برأسه...)

200 (أي ذو النسبة التامة (لأن الأقسام من المركبات التامة لا من المفردات ولا من التركيبات الناقصة...)

نفرة المساوي" ينهى"، ولسد الحاجات بتوسع المجال" يحل ويعقد"، وقس.. ثم لخاطر ميل جولان الروح في الأزمنة والأمكنة مع النفوذ في أسرار الكائنات" يخبر:"
الحاصل: أن لابن آدم وبنيت حواء علماً فعلياً يكون فكرهما مبدأ لخارجياتهما الاعتبارية. ومصورها" الإنشاء". وعلما انفعاليا يكون الخارج منشأ ذهنيتهما . وزعيمه" الخير."

[3] أي الحرف المنبث في غيره. وفي التنبيه والقسم طلب ما والمطلوب محال أو ممكن . عدم أو وجود. والوجود في الذهن أو في الخارج. وهو إما حقيقي أو اعتباري .. هذا .. (201)

[4] أي ما يمكن عقلا في المحصل أن يكذب بتخلف المدلول ويصدق بمطابقة المدلول للمعنى كما هو يصدق لأنه تصديق .. (202)

وسر الفرق بين الإخبار والإنشاء: أن الخارج في الأول لما كان كالعلة المجامعة لما في الذهن، فمتى جاء الذهني قابله إما بالوافق أو بالخلاف؛ وفي الثاني ما في الذهن كالعلة المعدة. فما دام لم يتم لا خارج له. وإذا جاء الخارج ذهب من حيث هو إنشاء ... [5] أي أو ثلاثة عشر.. (203)

[6] ما أقبح النظم المحوج في المختصر إلى المطول بلا طائل.

(201) أي الحرف المنبث في غيره (يعني أن) أما (هذه ليست للشرط بل هي حرف للترديد لا مدلول لها مستقلاً بل آلة للغير). وفي التنبيه والقسم طلب ما (أي نوع من الطلب . والمطلوب في الأول إيقاظ المخاطب وفي الثاني إثبات المدعى أو تأكيده مثلاً.

(202) (ويصدق بمطابقة المدلول للمعنى) حاصله: أن صدق القضية بمطابقة مدلول اللفظ للمعنى المراد. لكن هذه المطابقة لا تكفي وحدها لصدق القضية بل يلزم تطابق تلك المطابقة للواقع أيضاً كما قال الأستاذ) كما هو يصدق (أي يلزم أن يكون تلك المطابقة أيضاً صادقة أي مطابقة للواقع) لأنه تصديق (أي يصدق يعني هذه المطابقة مصدقة للمطابقة الأولى لولا هذه المطابقة لم تكف الأولى لصدق القضية.

(203) (أي أو ثلاثة عشر. نعم، قد زاد الأستاذ على ثلاثة الناظم عشرًا من الترجي والتمني .. الخ.

أمر [1] مع استعلا [2] وعكسه [3] دُعا [4]

وفي [5] التساوي [6] فالتَّماسُ [7] وقعا

[1] اعلم أنه يتفرع من الأمر- كالنهي- التهديدُ والتعجيزُ والتسخيرُ والتسويةُ والتمنيُ والتأديبُ والإرشادُ والامتنانُ والإكرامُ والامتهانُ والاحتقارُ والوجوبُ والحرمةُ والندبُ والكراهةُ والإباحةُ والتخييرُ والإيجادُ. وكذا التعجبُ وغيرها، وأمثالها من المعاني الهوائية التي يتشربها لفظ الأمر أو النهي والأمر باعتبار المقامات .

ثم إن الأمر للوجوب، لأن روح الأوامر (كن) وهو تامة للإيجاد. ويتضمن الناقصة أيضاً . أما الأوامر المتعلقة بأفعال المكلفين، فلإبقاء على الاختيار، استبدال الإيجاد بالإيجاب، لأنهما صنوان، والإيجابُ ينتج الوجوبَ في أمر الخالق دون الخلق، لجواز تخلف مطلوبهم عن طلبهم⁽²⁰⁴⁾.

[2] أي وإن لم يكن عالياً.

[3] أي الاستعلاء للغير). ولقد سفل من استعلى غيراً غير عال.

[4] ما أجهل من لم يخص بالدعاء من اختص بأمر الإيجاد.

[5] إذا عصرت" في "و"فا" تقطرت" إن "فلا إشكال⁽²⁰⁵⁾.

[6] أي من جهة ما به التساوي إذ قد يتساوى المتباينان⁽²⁰⁶⁾.

[7] أي يداً بيد لا برأس لا بنيل⁽²⁰⁷⁾.

⁽²⁰⁴⁾ (أما الأوامر المتعلقة الخ (دفع لما يرد على ما قال: من) أن روح الأوامر) كن (وهو تام بمعنى الإيجاد: (أنه لو كان بمعنى الإيجاد لزم أن يكون الأمر المتعلق بأفعال المكلفين أمراً إيجابياً. ويتضح من هذا) الجبر (والحال) لا جبر ولا تفويض .) وجه الدفع: أن ذلك الأمر استبدل في حق العبد بالإيجاب فهو أمر إيجابي، أي يتعلق الأمر بفعل العبد لها بالاختيار، لا إيجادي يتعلق بنفس الأفعال.

⁽²⁰⁵⁾ (إذا عصرت" في "وفا": (يعني بعدما تأملت في كون" الفاء" فصيحة وفي كون" في" ظرفية يتقطر من ذلك أن) إن (مع شرطه مقدر: تقديره إن كان التساوي فالتماس، فيخلص التركيب عن الأشكال.

⁽²⁰⁶⁾ (إذ المتساويان قد يتباينان (كالمؤمن والكافر في التجارة مثلا، فالأمر الصادر من أحدهما للآخر التماس من جهة التجارة.

فصل في بيان الكل والكلية والجزء والجزئية

الكل [1] حكمنا [2] على المجموع [3] ككل [4] ذاك [5] ليس ذا [6] وقوع

[1] اعلم أن في جملة العالم- بالاختلاط والارتباط- تركيباً متداخلاً متسلسلاً هو مصدر الآثار. وفي الكائنات من الكل نظاماً منبثاً العروق منتشر الفروع، هو مدار الأحكام. فما من كل إلا ويلمح بثمرة من ثمرات التركيب. وما من كلية إلا وهي تلوح بقانون من قوانين النظام... فتأمل !.

[1] وهو كالكلية دون الكلي تصديق والكلي شخص بالنسبة إلى الكلية(208).

[2] في الحمل تسامح(209).

[3] أي سواء لكل جزء نفس الحكم أيضاً، أو في جزء منه دخل فيه، أو في وجوده. أو لا(210).

[4] حديث بالمعنى. المشهور، لعموم السلب لتأخر النفي- ولسؤال ذي اليبدين "أم" رجح سلب العموم لتتزيه كلامه (p) عن توهم الكذب ولو سهواً في النسيان. ولأن "ليس كل" مثل "كل ليس" عند بعض(211).

(207) يبدأ بيد (لا يبعد أن يكون هذا القول إشارة إلى أن المأمور به شرعاً المصافحة باليد لا بالرأس كفعل اليهود. ولا بالذيل كما يفعله الراكعون الرافعون لأعجازهم والخافضون للرؤوس للتعظيم.

(208) (و) هو (راجع إلى الكل مع تعريفه المحمول عليه). كالكلية (أي كالقضية الكلية أي في حكمها) دون الكلي (أي ليس الكل هنا بكلي ذي جزئيات حتى يكون مع محموله قضية، بل المراد منه المفهوم كالإنسان في "الإنسان حيوان ناطق" فهو مع محموله قضية شخصية ذات) تصديق). (و الكل (أي بحسب مفهومه) شخص (أي جزئي) بالنسبة إلى الكلية (أي إذا قوبل بها...)

(209) (في الحمل تسامح (لأن الكل ليس نفس الحكم حتى يحمل عليه، والمتحد به إنما هو المجموع.

(210) (أي سواء (ثبت الحكم) لكل جزء أيضاً (كما في الحديث، على تقدير أن يكون السلب فيه عموم السلب) أو في جزء منه (كالحديث أيضاً على تقدير كون سلبه سلب العموم...)

(211) (حديث بالمعنى (أي لا باللفظ) المشهور (إن السلب في الحديث) لعموم السلب (وهو أعم من سلب العموم) لتأخر النفي (لأن) ليس (بعد) كل (لكن بالنظر لسؤال) ذي اليبدين- بأمر -)

[5] أي القصر والنسيان " ذا. ذاك وكذلك "كالمثل لا يتغيرن (212).

[6] أي عندي أو في ظني..

و [1] حيثما [2] لكل [3] فرد حكما فإنه [4] كلية قد علما

[1] اعلم أن القضية الكلية فذلكه قضايا ضمنية بعدد أفراد موضوعها. مثلا: كل ضاحك متعجب (إن) كلّ (أي كل فرد لا الكل المجموعي ولا المنطقي) ماصدق. (أي لا حقيقة ولا صفته) عليه الضاحك (بالفعل، لا بالامكان) الفرضي. (أي لا الخارجي فقط) من جزئياته. (أي لا مع مسماه) الإضافية. (أي لا الشخصية فقط) يتحد أو يشتمل لذاته. (أي لا لمفهومه) متعجب. (أي مفهومه لا ذاته. وإلا لم ينتج الشكل الأول بفقدان أيها كان.

[2] مما أفاض " ما "على" حيث "من العموم والشرط يفيض جامعية التعريف واستلزامه للمعرف... (213)

[3] أي على العنوان له ولو في " أل "والإضافة والموصول وغيره.. (214)

[4] إن " أن "أمانة كون مدخولها من الحقائق. وما تشربت من التحقيق جهة الإثبات، كما أن الضرورة جهة الثبوت .. (215)

رجح سلب العموم أي لا وقع لا ذا ولا ذاك. في النسيان (إشارة إلى أن السهو ما وقع من النبي) عليه الصلاة والسلام (إلا وقت النسيان...
(212) (ذا وذاك وكذلك هذه الكلمات الثلاث) كالمثل (أي مثل ضروب الأمثال لا يتغيرن. فلا يرد ما قيل: من أن المشار إليه هنا اثنان والمخاطبون كثيرون.
(213) (مما أفاض " ما "على" حيث ("يريد أن" حيث "متى لحق به" ما "الكافة يدخل في عداد الأسماء الشرطية ويفيد جامعية التعريف ويحافظ استلزامه للمعرف...
(214) (أي على العنوان له (أي حكم على مفهومه المشترك بين الأفراد). ولو في " أل " والإضافة الخ (أي ولو حصل الاستغراق منها..
(215) (إن" أن "أمانة (أي كما أن) أن (بالفتح تأكيد لمدخولها إن" إن "بالكسر تحقيق لمدخولها، أي لإثبات كونه حقاً فإن الجهة أي الضرورة للثبوت. وتحقيق" إن "للإثبات في الذهن...)

والحكم [1] للبعض [2] هو [3] الجزئية [4] والجزء [5] معرفته [6] جلية

[1] أي له، وكذا عنده وعنه. إلا أن البعض فيهما من الأوضاع .. (216)

[2] على نفسه أو ما يرادفه طراً أولاً وآخرأ، ركنأ أو قيدأ، اسماً أو حرفأ. وما يشابهه

معنى كذلك". ككم "والعهد الذهني في" أل "والإضافة والموصول... (217)

[3] و[هو] هو [هو رافع الموضوع إلى المحمول لينطبعاً أو يتحداً. وذات الموضوع في

المحمول، خرج للجمود. ورابطة تضمنت صورة القضية (218).

[4] منسوب إلى موضوعها أي العملية الجزئية. أما الحكم على الجزئي ولو اعتبارياً

كتمام الأفراد وجميع مراتب الأعداد فشخصية... (219)

(216) أي له وكذا عنده (الأول إشارة إلى العملية، والثاني إلى المتصلة، والثالث إلى المنفصلة. لكن الحكم في الأخيرين على الأوضاع والأزمة.

(217) على نفسه (أي نفس البعض كبعض الإنسان كاتب). أو ما يرادفه (أي يدل على ما دل عليه البعض من البعضية مثل طراً أولاً وآخرأ وركناً وقيدأ. فهؤلاء الكلمات وإن كانت دالة على البعضية لكن لا تستعمل في أسوار القضية إلا نادراً). وما يشابهه معنى كذلك (بأن كان بين المعنيين مشابهة لا ترادفت) ككم (أي الخبرية مثل "كم كتاباً قرأته" فإن الكتب المقرونة المخبر عنها بكم بعضٌ قليلاً أو كثيراً) والعهد الذهني في "أل" والإضافة والموصول (هذا الأخير عطف على العهد لا على) أل (إذ دلالاته على البعضية ليست لذاته بل بالصلة.

(218) وهو (أي لفظه. وله في القضية ثلاث وظائف:

إحداها: رفع الموضوع وجره إلى المحمول) لينطبعاً (إذا كان الثاني أعم) أو يتحداً (إذا كان مساوياً.

الوظيفة الثانية: أنه ذات الموضوع (أي راجع إلى ذات الموضوع أي لا إلى وصفه، ساكناً ومستتراً) في المحمول (لكن) خرج (من مسكنه كما هنا) للجمود (أي لكون المحمول جامداً.

الوظيفة الثالثة: أنه) رابطة (بين الطرفين يدل ويحافظ على صورة القضية كما يحافظ الطرفان مادتها.

(219) منسوب إلى موضوعها (العائد للجزئية. تقدير الكلام: العملية الجزئية هي الحكم للبعض. فالعملية موضوع والجزئية صفة لها، أي العملية المنسوبة إلى الجزء أي البعض). أما الحكم على الجزئي. (هذا مقابل للحكم على كل فرد وعلى البعض. أي الحكم على الجزئية شخصية) ولو (كان كونه جزئياً) اعتبارياً (أي فرضياً) كتمام الأفراد (فإنه جزئي فرضي) ومراتب الأعداد الخ (فإن العشرين وأمثاله ليس من الجموع. فالحكم عليه

[5] أما التصوري فظاهر. وأما التصديقي فإنما هو في ضمن الكل. وإلا ففي التصريح إما شخصية أو كلية أو طبيعية أو جزئية (220).

[6] أي الجزئية بالتفرع في ضمن الكل أي في ضمن التصوري. وأما التصديقي فتحقيقه تجلو بالقياس الغير المتعارف المستعمل في إدراج مسائل العلوم في تعريف العلوم. ك"يده" داخل فيه، وكله حسن فيده لها دخل في الحسن... (221)

فصل في المعارف

معرفة [1] على ثلاثة [2] قسم [3] حد [4] ورسمي [5] ولفظي [6] علم

اعلم أن في بحبوحة فطرة الإنسان احتياجاً ذا السنة ضمنية ذات خمسة أسئلة، يقابل بها الحوادث. وينعى بها الواقعات. وينادي بها الكائنات.. المشهور منها" ما "المولد للمبادئ التصويرية. و"لمه" المدون للمبادئ التصديقية في العلوم.. وتجيئها الحكمة بلسان الكائنات المفسر بعضها بعضاً- بالتعريفات -في مقابلة سؤال" ما . و"بالأدلة في جواب سؤال" لِمَه". [1] هو لتعريف الحدود الوسطى، لإدراج الجزئيات تحت الكليات، فيسرى إليها حكمها فتسهل الصغرى... (222)

شخصية...

(220) (أ) أما التصوري فظاهر (أي أما الحكم على الجزء الذي لا حكم فيه فظاهر أنه شخصية .) وأما التصديقي (أي الحكم على الجزء التصديقي الذي كان موضوعاً لمحمول" كيده حسن "فقد علم حكمه في ضمن الكل في قول الناظم": وحيثما لكل فرد ... " وإن لم تكن بمعرفته الضمنية فقد يكون شخصية" كعينه كحلاء . "أو كلية" ككل عين باصرة . "أو طبيعية" كالعين آلة للرؤية . "أو جزئية" كبعض العين شهلاء.. (221) (ب) بالتفرع (أي انكشفت معرفة الجزئية تبعاً في ضمن الكل). بالقياس الغير المتعارف .. وهو الذي لا يكون الحد الأوسط من الموضوعات والمحمولات، بل من متعلقاتها .. (المستعمل في أدراج الخ (مثلاً: هذه المسألة جزء من المنطق، والمنطق يبحث عن الإيصال، فهذه المسألة لها دخل في الإيصال..

(222) (ج) هو لتعريف الحدود الوسطى (أي القول الشارح لتعريف الأقسام الأربعة، أي الحدين والرسمين، أي يعرفهما للطالبيين، ليعلموا كيفية تحصيل تلك الأقسام وترتيبها بحيث يجمع تحتها الأفراد ويخرج الأغيار، فينتقلوا بواسطة ذلك الترتيب بسهولة إلى المعارف المجهولات. قوله) فتسهل الصغرى (إشارة إلى المقدمة الأولى من الدليل الذي هو

[2] اكتفى بما مرّ من التقسيم عن التعريف لأن بيان المصطلحات ليس من أساسي العلم بشيء. وأما التقسيم فمن المسائل.. ثم إنهم رجحوا "على" إلى "نظراً للمبدأ والتحصيل لا المحصل والتعليم. فإن استقراء الجزئيات والأقسام هو الذي يفيد ترتب المقسم على الأقسام⁽²²³⁾.

[3] تقسيم الكلي إلى الجزئيات محصل لحدود الأقسام، إن كان عقلياً. وأما تقسيم الكل إلى الأجزاء فالتحصيل ماهية المقسم في الخارج ...

[4] أي ما اشتمل على حدّي الشيء اللذين تضمنهما" من أين إلى أين "في النشر..⁽²²⁴⁾

[5] هو نظير "برهان الإنّ". كما أن الحد "برهان اللّم⁽²²⁵⁾".

[6] هو كالاسمي ناظر إلى الوضع، كما في "القاموس" وتعريفات المصطلحات..⁽²²⁶⁾

فالحد بالجنس [1] وفصلٍ وقعا [2]

والرسم [3] بالجنس [4] وخاصة [5] معا [6]

خلاصة" علم المنطق "وقد مر ..والمراد بقوله) الحدود الوسطى (أقسام التعريف..⁽²²³⁾ اكتفى بما مر الخ (يعنى تترك الناظم التعريف اكتفاء بما ذكر من التقسيم لأن التعريف من المصطلحات، وبيئتها ليس من أساسي العلم بشيء أي التصور والتصديق). ثم إنهم رجحوا "على" الخ (يعني إن نظر إلى أن الجزئيات والأقسام حصلت بالاستقراء. ثم وقع التقسيم على الموجودات الذهنية يترجح "على" إلى "لأن" على "يفيد ترتب المقسم على الأقسام الموجودة الحاضرة. وإن نظر إلى أن التقسيم وقع قبل الاستقراء فالأولى "إلى..."

(224) أي ما اشتمل على حدّي الشيء (أي أوله وآخره ومنشئيه ومنتهاه) في النشر (أي الشرح والفصل.. نعم، إذا فصل الحد مثلاً: ينفصل إلى الجنس والفصل. والجنس إشارة إلى المنشأ والمبدأ، والفصل إلى المنتهى والآخر.. فإذا سألت عن الإنسان: "من أين يُجاب: من الحيوانية و" إلى أين "يجاب: إلى الناطقية أي الإنسانية فالحد لاشتماله على الجواب لسؤال المبدأ والمنتهى سميّ حداً..."

(225) (هو نظير برهان الإنّ) أي الاستدلال من العلة إلى المعلول) برهان لمي. (ومن المعلول إلى العلة) إنّي (كالاستدلال بالنار على الدخان ليلاً. وبالعكس نهاراً. والتعريف بالحدّ يشبه الأول وبالرسم يشبه الثاني)...

(226) (ناظر إلى الوضع (أي لا إلى المعنى) كما في القاموس (أي كل ما في القاموس من بيان اللغات) وتعريفات المصطلحات (لأنها من التعريفات اللفظية التي هي كالاسامي)...

[1] أي فذلكة ماعدا الفصل القريب معه ولو تركباً . والفصل خاصية الشيء الجوهرية . والفصول العرفية مشيرة إليها بنفسها مفردة أو مركبة مفيدة لبسيط . والجنس كالهولي ، والفصل كالصورة ، وهما كالمادة . والترتيب كالصورة في الوجود الذهني .. عرف في الأول لأنه أعرف .. لأنه أعم .. فهو الأول .. وكرر في الثاني ، لأنه أخفى .. لأنه أخص ... (227)

[2] هو كحصل ووجد وثبت الحرفية . شأنه الاستقرار . ولكن لغي للنظم أو لأسلوب لطيف ، كأن الحد ثمرة .. (228)

[3] اللام للكمال .. (229)

[4] اللام عوض للصفة (230) .

[5] ولو مركبة من أعراض عامة . ولا دور ؛ لأن التعريف المفيد لانتقال طبيعة الفكر يتوقف على وجود الاختصاص في نفس الأمر ، لا على العلم بالاختصاص حتى يدور ؛ لأن الانتقال ليس باختياري ، وعلم العلم ليس لازماً (231) .

[6] إشارة إلى التفتن الذي هو مزج الأجزاء لتوليد الطلب : وكذلك في القياس ..

(227) أي فذلكة (أي الجنس القريب فذلكة وخلاصة لما فوّه من الأجناس العالية والمتوسطة ، مع فصولها البسيطة والمركبة" أي كفصل الحيوان فإنه مركب من جزئين الحساس والمتحرك بالإرادة " غير ما تحته كالناطق . والفصل الذي يميز الأنواع عبارة عن جوهر خاص في ذات النوع . والفصول الظاهرة أعراض مشيرة إلى ذلك الجوهر البسيط ...

(228) (هو كحصل الخ (يعني أن حصل وأمثاله من الأفعال العامة ليست بذات معان مستقلة بل معانيها حرفية لارتباط الكلمات بعضها مع بعض) . شأنه الاستقرار (يعني المناسب معنىً تبديل الوقوع بالاستقرار حتى يكون مستقراً لا لغواً لكن) لغي (ضرورة للنظم) أو لأسلوب (يعني أن الوقوع هنا بمعنى السقوط : فكانه إشارة إلى أن الحد كالثمرّة والمناسب للثمرّة الوقوع لا الاستقرار ..

(229) اللام للكمال (إشارة إلى الرسم التام لا الناقص .

(230) اللام عوض للصفة (أي جنس قريب .

(231) (ولا دور (وجه الدور : أن العلم بالتعريف موقوف على العلم بأجزائه . ومنها الخاصة ، والخاصة لا تعلم إلا بعد ذي الخاصة . وجه الدفع : أن العلم بالتعريف إنما يتوقف على وجود الاختصاص في نفس الأمر لا على علمه . وكذا إن الانتقال ليس باختياري حتى يتوقف على العلم بالاختصاص ..

وناقصُ [1] الحدِ بفصل [2] ومعا [3] جنس [4] بعيد لا قريب [5] وقعا

[1] أي المساوي ما صدقاً لا مفهوماً .. (232)

[2] أي المقوم للنوع، والمقسم للجنس، والمحصل لحصة الجنس في النوع. فإنْ تأول

بالمركب فذاك... وإلا فالتعريف حدسي .. (233)

[3] أي وبعدمه، أو بعده معاً .. (234)

[4] أي تمام المشترك بين النوع وبين بعض مشاركيه لا كله.

[5] أي لا .. ولا متوسط .. (235)

وناقصُ [1] الرسم بخاصة [2] فقط [3] أو مع جنس أبعد قد ارتبط [4]

[1] ولقد أفرزوا له أدنى المراتب. ولكنه قد حاز أعلاها لأنه أطول إخوانه باعاً- أي يدا -

وأوسعهم مجالاً وأعظمهم وكراً وأكثرهم لله ذكراً (236) ..

[2] أي شاملة أو لا، لازمة أو لا، حقيقية أو لا، بسيطة أو لا، محصلة ولو من المثال أو

التمثيل أو التقسيم أو التفسير وقس .. وهذا القسم من الرسم هو الملجأ في تعريف

(232) (أي المساوي ما صدقاً (أي أفرداً) لا مفهوماً (إشارة إلى أن الحد الناقص إذا كان

بالفصل البعيد أو بالفصلين البعيدين- عند من يجوز التعريف بالأعم -أعم من المعرف...)

(233) (فإن تأول بالمركب (أي الفصل القريب كالناطق مثلاً: إذا تأول بـ"ذات من ثبت له

النطق) "فذاك (طيب أي لا يرد على جامعية التعريف) وإلا (أي وإن أبقى على أفراد بلا

تأويل فالتعريف حدسي لا منطقي عند من فسر القول بالمركب في" القول الشارح."

(234) (أي وبعدمه أو بعده معاً (الأول راجع للجنس القريب. والثاني للبعيد. حاصله: أن الحد

الناقص إما بالفصل القريب بدون الجنس. أشار إلى هذا بقوله) وبعدمه (أي الجنس

كالناطق... وإما بالفصل مع الجنس البعيد أي بشرط وقوع الفصل بعد الجنس كما قال) أو

بعده معاً (فالمعنية بعدية كالجسم الناطق لا قبلية بأن يقال الناطق الجسم..)

(235) (أي لا .. ولا متوسط (أي لا أبعد ولا متوسط ليفترق عن الرسم الناقص.

(236) (وأكثرهم لله ذكراً (لأن توصيف الله تعالى بصفاته داخل في شمول هذا القسم من

التعريف..)

البسائط والأجناس العالية والفصول البسيطة وغيرهما اللاتي لا تحد. وإن حدث. أما الأشخاص فلا تحد ولا تحد- إلا العلوم والقرآن- فانهما يحدان بتنزيل أجزائهما بمنزلة الجزئيات(237).

[3] لو سكت لسقط(238) ..

[4] أي بنسبة تفيد المزج كالتوصيفي، لا الإضافي المفيد دخول الإضافة وخروج المضاف إليه.

وما بلفظي [1] لديهم [2] شهرا [4] تبديل [4] لفظ برديف [5] اشهرا

[1] هذه هي ثلاثة الأثافي. فخذ ما شئت منها من أقوال شراح المتون " أي (239) ..

[2] أي في صنعة المناطقة ..

[3] أي لأن الوضع والدلالة أقرب إلى اللفظ منهما إلى المعنى، عكس الفهم والاستعمال..(240)

[4] أي تعقيب .. هذا تعريف الصورة للتعريف، بمعنى المصدر..(241)

(237) (اللاتي لاتحد (إذ لا جنس لها .والحد لا بد له من جنس) وإن حدث (أي تكون حداً أو جزء حد للغير...)

(238) (لو سكت لسقط (لأن الرسم الناقص إما بالخاصة وحدها أو مع الجنس فلو كان سكت عن قيد) فقط (ولم يذكره لكان مطلقاً. والمطلق أعم يشمل القسم الثاني أيضاً فيكون ذكره سقوطاً عن الفائدة...)

(239) (ثلاثة الأثافي (شبه أقسام التعريف الثلاثة بالأحجار الثلاثة التي تسمى بالأثافي وتطبخ عليها الأطعمة) فخذ ما شئت (أي اطلب بيان أي قسم من قول أيّ شارح شئت.

(240) (لأن الوضع والدلالة الخ (إشارة إلى وجه تسمية هذا القسم باللفظي: حاصله: أن بين اللفظ والمعنى حالات: الوضع والدلالة والاستعمال والفهم. ومدار هذا القسم من التعريف الوضع والدلالة، وهما أقرب إلى اللفظ منهما إلى المعنى...)

(241) (أي تعقيب ..) يعني الأولى تبديل التبديل بالتعقيب لأن التعريف اللفظي ليس عبارة عن رفع لفظ وإقامة لفظ آخر مقامه. بل ترديف لفظ بأشهر منه مع بقائه في مقامه. ولفظ التبديل لا يفيد هذا المعنى ..

(هذا تعريف الصورة للتعريف (أي إن هذا التعريف يعلم صورة التعريف اللفظي لا مادته. فلفظ التعريف المضاف) بمعنى المصدر.)

[5] وإن تفاوتاً مطابقيّة، تضمينية، التزامية، إفراداً وتركيباً... (242)

وشرط [1] كل أن يرى [2] مطرداً [3] منعكساً [4] وظاهراً [5] لا أبعداً [6]

اعلم

أنه لما اقتضت العناية الإلهية ترقى البشر واستكمالها بالمسابقة والمجاهدة؛ لاجرم ما أخذت على أيدي سجاياه وما قيدت ميوله وما حددت أخلاقه. يل أطلقته يسرح أينما شاء... فتشعبت على البشر الطرقُ صحّةً وفساداً، قريباً وبعداً.. فإذا جرى ذوو السجايا السليمة إلى الحق رجعوا إلى بدئهم. فوضعوا تعميماً لمسلكهم في الطبقات السافلة على مضان الباطل والضلال، علاماتٍ للتحرز عن الباطل سموها شروطاً. وإذا امتاز المنطق بتكفل معالجة القوة العقلية وضع للفكر شروطاً - الجامع لها معلوم الصحة وفاقدها فاسد ومجهول الصحة.

[1] أي للتحقق أو الصحة - كما في الحد التام اتفاقاً- أو للعلم بالصحة - كما في غيره على المشهور (243).

[2] لأن ظهور العلم بالشرط شرط للعلم بالصحة .

[3] اعلم

أن أساس هذه الشروط المساواة صدقاً ومفهوماً، وعدم المساواة معرفة وجهالة.. ثم إن مرجع المساواة كليتان، هما مدار الجمع والمنع).. مطرداً (أي العدم عند العدم- اللزوم بعكس النقيض -" الحدُّ كلُّ المحدود "كبرى. لاندرج الجزئي تحت الكلي.. (244)

(242) (وإن تفاوتاً الخ (أي التعريف اللفظي ومعرفته بأن كان أحدهما مفرداً والآخر مركباً . ودلالة أحدهما على المعنى مطابقيّة والآخر تضمينية أو التزامية..

(243) (أي للتحقق (إذ الاطراد يدل على وجود التحقق وهو يستلزم وجود الصحة. فهو شرط إما للملزم أي التحقق. أو اللزوم أي الصحة: كما قال) للتحقق أو الصحة. (هذا في الحد التام لأنه المتكفل لبيان حقيقة المعرف. أما غيره فغير متكفل ببيانها فالاطراد فيه للعلم بالصحة فقط.

(244) (اعلم أن أساس الخ (حاصله: أن المعرف والتعريف لا بد أن يكونا متساويين ماصداً. وعلامة المساواة بينهما صدقٌ موجبين كليتين من الطرفين، لكن الكليتين في العملية

[4] أي الوجود عند الوجود - المدلول لـ " المحدودُ كلُّ الحد " المنعكس لغة بعكس

المستوى، المنعكس بعكس النقيض إلى الطرد ...

[5] إذ العلة متقدمة، والتقدم هنا بالظهور (245).

[6] أي ولا بنفسه ولا بالمضاييف بل بذات المضاييف (246).

ولا مساوياً [1] و [2] لا تجوزا [3] بلا قرينة بها تحرزا [4]

[1] أي كالمضاييف .فالمساواة صدقا كالتضاييف ذاتا .وهو معرفةٌ كهو مفهوما مانع (247) .

باعتبار الأفراد والحمل عليها .وفي الشرطيات باعتبار التحقق في الأزمان والأوضاع .
والتعريف مع المعرف لكونهما من التصورات تتعدد الكليتان بينهما باعتبار التحقق لا
باعتبار الحمل.

ثم إن مرجع المساواة الخ (حاصله: أن الحد لا يصح بالأخص ولا الأعم من المحدود بل
يلزم بينهما المساواة في الأفراد .وعلاوة تحققها بينهما صدق موجبتين كليتين من
الطرفين :إحدهما تدل على كون الحد) مطرداً (أي جامعاً لأفراد المحدود .عبر عنها بـ
(الحدُّ كلُّ المحدود (دالاً على عدم الأخصية والأعمية بينهما مع دلالته على الاطراد .
وفسرها) بالعدم عند العدم (أي جعل نقيض الحد موضوعاً ونقيض المحدود محمولاً :مثل
(كل لا ناطق لا إنسان (في تعريف الإنسان بالناطق حداً ناقصاً ..ولما كان التفسير غير دال
على جمع الأفراد بمنطوقه مع مخالفته للتعبير في ترتيب الطرفين- دَفَعَه توصيفاً باللازم
لـ) الحد كل المحدود : (يعني أن التفسير وإن لم يطابق التعبير لكنه لازم له .والدلالة على
اللازم معتبرة عند المنطقي ...وجّه اللزوم بينهما بقوله) كبرى (أي يجعل) الحد كل
المحدود (كبرى وكل جزئي داخل في موضوعه الذي هو) الحد (الكلي الشامل لجميع
الحدودات) صغرى (مثل) الحيوان الناطق حد، والحد كل المحدود، فهو كل المحدود ..
وهكذا أمثاله ..وبهذا يثبت اللزوم ..والجملة الثانية الدالة على عكس الحد أي دفعه للأغيار
(المحدود كل الحد .فسرها بـ) الوجود عند الوجود (أي وجود المحدود عند وجود الحد .
مثل) كل ناطق إنسان (المنعكس لغة إلى) كل إنسان ناطق (المنعكس بعكس نقيضه أي كل
لا ناطق لا إنسان) إلى الطرد (أي دفع الأغيار أي تحقق المعرف عند تحقق التعريف .هذا
هو المنع ..وقد أشار إلى هذا بقوله) المحدود كل الحد.

(245) إذ العلة متقدمة (أي التعريف علة للمعرف، وتقدمها إنما يعلم بالظهور معنى...

(246) (أي ولا بنفسه) (عطف على) بمفهومه (المقدر بعد قوله) لا أبعداً (أي لا بد أن يكون
التعريف غير بعيد عن الفهم لا بمفهومه ولا بذاته .وكذا إذا كانا من المتضاييفات لزم أن
يكون عنوان التعريف التضاييفي غير بعيد عن الفهم لا ذاته.

(247) (أي كالمضاييف (الكاف للتشبيه لا للتمثيل أي كما أن المساواة من جهة المعرفة بين

[2] لا تنتسرب" الواو "هذه اللآآت العءولفة (248).

[3] أفر الععارف وإلآ الفالعارف كالحقفة العرففة- كما أنه أبلع - عفن.

[4] فءءون المانعة باطل وءءون المعفة قفف (249).

ولا بما فءرف [1] بمءءوء ولا مشءرك عن القرفة [2] خلا

[1] أفر فءور صرفا أو ضمناً والءور ءسلسل بءركة الوضع (250).

[2] وهف فف المشءرك المعفة فقط. وفف الكنافة المنءقلة. وفف المعفة وفف المءاز المانعة.

وعنءهم [1] من جملة [2] المراءوء [3] أن ءءءل [4] الأحكام [5] فف الءوء

[1] اعلم أن المقصوء من العرففءاء ءصوفر موضوءاء الأحكام. فإءراءها ففها نظفر المصاءرة (251).

[2] أفر منها أفضاً ءكرُ الألفاء الغرففة الوءشفة، والءءوفلُ من عفر طائل. والطاءلُ ءوضفح أو ءءصفل ماهفة أو ءمففز (252).

العرفف والمعرف مانع فءل كءلك ءءصافف بفنهما مانع. لكن المساواة صءقا والءصافف ءااا لا مفهوما عفرُ مضر). وهف (أف المساواة) معرفة (أف من جهة المعرفة) كهو (أف كالعصافف) مفهوما (أف من جهة المفهوم...

(248) (لا ءءسرب الواو الخ (أف فءئل المعنى إن لم فكن فف ءلك المعطوفاء) لا (لأن ءرف العطف لا ءءضمن) لا (ولا ءففء ما أفاءه) اللآآء العءولفة (أف صاءرء كالءراء لمدءولاءها كالمءءولة المءمول..

(249) (فءءون المانعة (فءنى إن وءء فف العرفف مءاز فلاءء من وءوء قرفنه مانعة للمعنى الحقفف، وأءرى معفة للمعنى المراء؛ فأن لم فوءء المانعة فباطل أو المعفة قفف..

(250) (والءور ءسلسل بءركة الوضع (أف بفرض أن فءءرك وءع الواضع وفءكرر من أء الطرففن إلى الآخر مرة بعء أخرى رءاء أن فزول وفقف ءءوقف إلى عفر النهافة ففءقطع ءءسلسل...

(251) (فإءراءها ففها (أف الأحكام فف الءوء) نظفر المصاءرة (ءف فرفءبها الظالمون..

(252) (أف منها (أف من جملة المراءوء) والطاءل ءوضفح (أف إن كان ءءوفل ءءوضفح الألفاء الغرففة أو ءءصفل ءكم آخر فف العرفف أو ءمففز كل ءمففز فلفس ءاخلا ففما لا طائل..

[3] أي يرده نظام الصنعة.

[4] أي لا بد أن يكون في التعريف هبولى الأحكام، لا صورتها كالمزارعة أو النواة (253).
كما ينبغي تصوير الموضوع بوجه صالح قابل للمحمول ومفيد لا أقرب ولا أبعد. فتصور
الإنسان في " الإنسان حيوان " بالحيوانية لغو. وبالشيئية غير مفيد. ولا يضر عموم آلة
التصور، فإن المحمول يصلحه لنفسه.

[5] أي مطلقاً فيها وفي الرسوم الأحكام المطلوب إثباتها.

ولا يجوز [1] في الحدود [2] ذكر أو [3] وجائز [4] في الرسم [5] فادر مارووا

[1] أي في شريعة الصنعة الحاكية عن الطبيعة المانعة عن اجتماع المثلين وتعدد
الحقيقة.. (254)

[2] أي الحقيقة.. (255)

[3] أما التشكيكي فلضديته للتعريف. وأما ما يرى من " أو " التقسيمي، فالتقسيم ثم لتحديد
الأقسام..

[4] أي جاز ووقع...

[5] إذ قد يكون منقسم كذا خاصة... (256)

(253) أن يكون في التعريف هبولى: (المراد من الهبولى المادة كالجنس والفصل ومن
الصورة ترتيبها.

(كما ينبغي (مشبه به ل) لا بد (أي لا بد أن يكون الخ كما ينبغي الخ). ولا يضر عموم آلة
التصور (كتصور الإنسان في ذلك المثال بالجسمية...

(254) (أي المانعة عن اجتماع المثلين (أي الحد عبارة عن حقيقة الشيء. ولكل شيء حقيقة
واحدة لا تعدد فيها ولا تماثل. ويفهم من) أو (تعدد الحقيقة. ومن تعددها اجتماع المثلين،
وكلاهما باطل.

(255) (أي الحقيقة (أي المراد بالحد الحقيقة أي الماهية.

(256) (منقسم كذا (بأن يذكر شخص بخواصه ب) أو (مثل" هو الزراع أو الكاتب "وهذان
المذكوران ب) أو (خاصة للرجل أي إن لم يوجد موصوف بهما غيره، والتعريف
بالخاصة رسم.

فصل في القضايا وأحكامها

ما [1] احتمل [2] الصدق [3] لذاته [4] جَزَى [5] بينهم قضية وخبرا

اعلم أن في العالم اختلافاً وتغيراً ونظاماً شاملاً. فالاختلاف هو الذي أظهر الحقائق النسبية التي هي أكثر بكثير من الحقائق الحقيقية. والنسبة لها وقع عظيم قد التفت رعايتها بوجود شرور مغمورة. فلولا القبح لانتفى حسن المحاسن الكثيرة. ثم إن التغير هو الذي كثر تلك الحقائق النسبية، ثم النظام هو الذي سلسلها وفننها. وتمثيل تلك النسبيات هي القضايا الكونية التي هي تفاريق القضايا، التي هي "تفاصيل القدر الإلهي..."

ثم اعلم أيضاً أن غاية فكر البشر صيرورة النفس الناطقة خريطة معنوية للكائنات بارتسام حقائقها في النفس. ومعرفة كثير من الحقائق بالنسب. وهي قضايا. وهي نتائج. وهي بالدلائل. وهي بأجزائها. وهي بالتعاريف. وهي بأجزائها. وهي الكليات الخمس ..

[1] أي ملفوظ ومعقول .. (257)

[2] أي بسبب تمثاليته لما في نفس الأمر له خاصية قابلية المطابقة وعدمها. لكن بالمطابقة. وإلا فما من تصور إلا ويستلزم تصديقا أو تصديقات (258).

[3] أي دل على الصدق لفظاً وجاز الكذب عقلاً، بناء على تخلف المدلول (259).

(257) (ملفوظ ومعقول (أي القضية لكونها معقولة) معقول. (ولكونها لا تفاد إلا باللفظ) ملفوظ (ف) ما (ملفوظ ومعقول).

(258) (فما من تصور إلا ويستلزم الخ (نعم، تصورُ زيد مثلاً: عبارة عن حصول صورته في الذهن. ولا يخفى أن هذا يستلزم) صورته حاصله "و" هذه الصورة لزيد ("وغيرهما من التصديقات. فلو لم يشترط دلالة تلك الخاصية على المطابقة وعدمها بالمطابقة. بل كانت مرسلة لكانت شاملة لغيرها أيضاً ولكانت التصورات باعتبار ذلك الاستلزام داخله في شمول احتمال الصدق..

(259) (بناء على تخلف المدلول (إشارة إلى أن الكذب بفقدان المدلول لا بعدم المطابقة، إذ لا

[4] أي بالنظر إلى المحصل كـ " ج ب..(260)"

[5] مجاز عن " يسمى "مجاز عن" يعرف "مجاز عن" هو هو (261).

ثم القضايا عندهم [1] قسمان [2] شرطية [3] حملية [4] فالثاني [5]

[1] التقييد بأمثال هذا القيد لدفع المناقشة والتبري عن المسؤولية، إذ الاصطلاح لا يسأل عنه...

[2] وهما أساسان للاقترااني والاقتراانيات..

[3] وهي أو السلب عنه في المنفصلة. أو عنده في المتصلة اتفاقاً أولاً.. إلا أن المتصلة عند أكثر أهل العربية والشافعية حكمها في الجزاء، وهو العلة، والشرط قيد.. وعند الحنفية وأهل المنطق الحكم بين الجزاء والشرط.. ولقد تفرع وتشعب من هذا الاختلاف مسائل كثيرة: منها المشهورة كـ " إن تزوجت بك فأنت طالق.. وإن تملكث هذا فهو وقف " فهذا لغو عند الشافعية لوجود العلة حيث لا محل، دون الحنفية لأن العلة إذا انعقدت تصلح المحل. ومنها الاختلاف في المفهوم المخالف... (262)

[4] أي الثبوت والسلب له بالاتحاد أو الاشتمال (263).

[5] أي هو الأول.. (264)

واقع للكذب حتى يطابقه.

(260) أي بالنظر إلى المحصل (أي المفهوم مع قطع النظر عن الخارج والدليل والبداهة كـ ج ب (أي مثل ج ب في أن لا يقصد به إلا المفهوم.

(261) مجاز عن هو هو (أي القصد من التعريف الاتحاد بينه وبين المعرف بحمل المواطة.

(262) (وهي أو السلب الخ (أي الحكم بين الطرفين في المنفصلة بالبعد والانفصال. وفي المتصلة بالمقارنة والاتصال) اتفاقاً (أي اتفاقية بلا لزوم) أولاً (أي مع اللزوم بين الطرفين. وفي الحملية بالحمل والثبوت..

(263) (أي الثبوت والسلب له (الضمير للثبوت) بالاتحاد (إذا كانا متساويين) أو الاشتمال (إذا كان أحدهما أعم..

(264) (أي هو الأول (لأن الحملية لكونها جزء للشرطية حقها في البيان الأولية..

مقدمة في المحرّفات

اعلم أن أرجحية الإفادة والإعلام- لتصوير الشيء على ما هو عليه- حرّفت طبيعة المسائل عن قانونها.. فكّم من" شرطية" تجلت في لباس" الحملية". "و" ..حملية "تَرَيْتُ بزِيها. و" ..متصلة" احمرت تحت" المنفصلة". "و" ..كلية" استترت تحت" الجزئية". "و" .." موجبة" تبرّعت" بالسلب". "ورب قياس اندمج في" قضية". "و"القضية" اختفت في "صفة أو قيد بل حرف". "وكم" من المعاني الطيارة: توضع على أحد أغصان الكلام.. وكم من كلمة: تشربت طائفة من تلك المعاني ..

وتحقّقه: أن كل علم يبحث- أي بالحمل الثبوتي - عن الأعراض- أي الصفات التامة - الذاتية- أي اللازمة الشاملة الواجب الثبوت -للشيء - أعني الموضوع ..فكانت مسائل كل علم " قضايا حملية موجبة كلية ضرورية في الخارج نظرية في الذهن" .."فما ترى من" الشرطيات والسوالب والجزئيات والممكنات والبيدهيات - فإما من المبادئ التصورية، أو المبادئ التصديقية، أو الاستطراديات، أو متأولة بوجه من وجوه التلازم، أو مقدمة من مقدمات دليل المسألة أقيمت مقامها ..تأمل !

كلية [1] شخصية والأول إما مسوّر [2] وإما مهمل [3]

والسور [4] كلياً [5] وجزئياً [6] يرى [7] وأربع [8] أقسامها حيث جرى [9]

[1] أي ما فيه اشتراك ..فإن نظر إلى الطبيعة فإما مع جواز سرايته إلى الأفراد، كالحمل في التعاريف على القول بقضيتها، أو بدون السراية مع ملاحظة الأفراد، كحمل المعقولات الثانية على الأولى، في كل ما يرى، أو بدون الملاحظة وبدون السراية كـ "الإنسان مفهوم ذهني". فهذه الثلاثة طبيعية ..

ومنها الكل المجموعي وكل مراتب الأعداد. وهي في حكم الكلية في كبرى" الشكل الأول ..(265)"

(265) (أي ما فيه اشتراك" (ما "موصوفة شاملة لكل الكليات كما قال) فإن نظر الخ (أي إلى

[2] أي التي مناط الحكم نصب العين كميتها .. (266)

[3] وهو في المقام الخطابي في حكم الكلية. والاستدلال في حكم الجزئية (267).

[4] اعلم أن للسور مقامات مختلفة وصوراً متفاوتة؛ فقد يدخل على المحمول ويصير القضية منحرفة للطائف ..

ثم إن القضية تتضمن قضايا ضمنية بعدد القيود .. فكأن الحكم لما تداخل بين القيود أنبت في كل قيد حكماً ضمناً يشار إليه بالإعراب. ففي " كل مؤمن حقُّه الصدق بالضرورة " أولاً: إثبات حقيقة الصدق للمؤمن. ثم ثبوت حقيقة الصدق للمؤمن عمومي . ثم ثبوت حقيقة الصدق لعموم المؤمن ضروري .

اعلم أن العكسين والتناقض والقياس- كما تنظر إلى القضية الأولى -تنظر إلى القضيتين الأخيرتين وتتوحد بسببهما .. فإن أحببت أن ترى تفاصيل السور وتفسير الجهة، فانظر في " تعليقاتي " على " الكلبوي ": "إذ إنها أجدى من تفاريق العصا ... (268) [5] أي لا المجموعي بل الإفرادي، لا البديلي بل الاطلاقي .

[6] أي يدل على البعض ولو في ضمن الكل، لأن أهل الاستدلال لا ينظرون إلى المفهوم

ذلك المفهوم المشترك إذا حكم عليه. فأما جواز سراية الحكم إلى الأفراد- كما في حمل التعاريف على المعارف -كحمل) الحيوان الناطق (على الإنسان. أو مع عدم جواز السراية. لكن مع ملاحظة قبول الأفراد ومناسبتها لذلك الحكم كحمل المعقولات الثانية على الأولى مثل) الإنسان نوع. (أو لا سراية ولا ملاحظة مثل) الإنسان ذو مفهوم ذهني . فهذه الثلاثة من الكليات الطبيعية ...

(ومنها (أي من الكلية لا الشخصية) الكل المجموعي (لأن له أجزاءً بمنزلة الجزئيات للغير) . ومراتب الأعداد (كالعشرة والمائة وما بينهما لأنها وإن لم تكن من الجموع لكنها في كبرى) الشكل الأول (في حكم الكلية...
(266) (أي التي مناط الحكم الخ (تذكير) المسور (وتأنيث الضمير في) كميتها (دليل على أن (التي (صفة) الكلية (أي الكلية التي مناط الحكم كميتها).

(267) (في المقام الخطابي (أي في الظنيات ..

(268) (كما تنظر إلى القضية الأولى الخ (يعنى" أن الموضوع والمحمول "في القضية الأصلية- كما أنهما منظوران في العكسين والتناقض -كذلك القيودات الدالة على الكمية والكيفية والجهة في القضية الأصلية معتبرة وملحوظة فيها. وبسببها تتنوع المحصورات والموجهات..

المخالف، بسرّ ﴿لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء⁽²⁶⁹⁾)⁽²⁶⁾:

[7] أي فينقسم، فيكون، فيرى، إذ وجود المقسم بوجود الأقسام ..⁽²⁷⁰⁾

[8] أي ينقسم باعتبار الكيف، فنتربح الأقسام فأينما صادفته فهو أحد الأربعة...

[9] أي لا يتشعب بالجريان ولا ينقسم بتنوع العروض .

إما بكل [1] أو ببعض [2] أو بلا شيء [3] وليس بعض [4] أو شبه جلا [5]

وكلها [6] موجبة [7] وسالبة [8] فهي [9] إذن إلى الثمان [10] أيه [11]

[1] أي وكذا ما يرادف؛ "أكتع، طراً، قاطبة، كافة، اللام، والإضافة. والموصول الاستغرافية..⁽²⁷¹⁾"

[2] أي وكذا ما يرادف؛ "قطعة، طائفة، واحدة، قليل، شيء، كثير، والتوين، والتقليل، والعهد الذهني "في اللام وأخويه ..⁽²⁷²⁾

[3] أي وكذا ما يماثل "لا واحد. ولا قطعة. "وقس على" لا " ما ليس إن - "وعلى شيء" كل ما هو سور الموجبة الجزئية بشرط التكرير وعدم الإضافة..⁽²⁷³⁾

[4] أي وكذا كل ما دخله النفي مطلقاً من السور الموجبة الجزئية، لكن بشرط الإضافة والتعريف. وكذا دخول النفي على كل الموجبة الكلية، لكن بشرط تقدم النفي ..⁽²⁷⁴⁾

⁽²⁶⁹⁾ (لأن أهل الاستدلال (دفع لما يقال: إذا قلت "بعض الإنسان حيوان" ينفهم من المفهوم المخالف أن البعض الآخر ليس بحيوان. وجه الدفع: أنهم لا ينظرون إليه..

⁽²⁷⁰⁾ (أي فينقسم الخ (إشارة إلى ما يرد على الناظم: من أن رؤية الأقسام بوجودها وهو بعد انقسام القسم. ولا يكفي ان فهم الأقسام بالرؤية والجريان بين الناس. بل لابد من التقسيم صراحة..

⁽²⁷¹⁾ (أكتع (بدل) ما (لا مفعول ليرادف) الاستغرافية (صفة للثلاثة الأخيرة أي إذا أريد منها الاستغراق والعموم..

⁽²⁷²⁾ (وأخويه (أي الإضافة والموصول.

⁽²⁷³⁾ (وعلى شيء (متعلق بلفظ) قس) (بشرط التكرير وعدم الإضافة (أي ليكون أعم فلا تختل الكلية.

⁽²⁷⁴⁾ (النفي مطلقاً (أي أي نفي كان) بشرط الإضافة (أي إذا كانت للاستغراق والعموم لأن

[5] مثل " في الأغلب، وعلى الأكثر، وبالجملة، وفي الجملة، ونداراً، وقليلًا، "وقس ...
[6] أي وغير المسورتين كالمسورتين (275).

[7] والإيجاب وجود، إنما يتحقق بوجود جميع الأجزاء. والسلب عدم، يصدق بعدم أي جزء كان. والغالب بعدم الأخص ..

[8] وسلب الطرف عدول يقتضي قابلية المحل، ووجود الموضوع؛ لأنه عنوان أمر محصل. وسلب النسبة. ثم جعله محمولاً سالباً المحمول ومخمساً الأجزاء ومكررة ملاحظة النسبة، ومعدولة ذهنية في الخارجية .. (276)

[9] أي فالأربعة قبل الثمانية. إذا " كالتائم مستيقظ (277). "

[10] أي السوالب محصلة، لأنها تصديقات الأعدام لا تكذيبات الوجودات. فإن تصديق عدم المحصل، غير تكذيب الوجود الغير المحصل وإن استلزمه.

[11] أيها الناظم! أظنك تظننا صبيانا طالبين لمبادئ الحسابات.

والأول [1] الموضوع [2] في العملية والأخر [3] المحمول بالسوية [4]

نفي الاستغراق جزئي...

(275) (وغير المسورتين كالمسورتين) أي الشخصية والمهملة في الانقسام إلى الإيجاب والسلب...

(276) (وسلب الطرف) أي إذا كان محمول القضية مسلوباً فهي معدولة. وشرطها أن يكون الموضوع موجوداً وقابلًا للمحمول المسلوب أي قبل السلب فلا يصح "العناء لا طائر" لعدم الموضوع ولا "زيد لا حجر" لعدم قابلية المحل) وسلب النسبة (إشارة إلى القضية السالبة المحمول، وهي أن يسلب النسبة بين الطرفين. ثم يجعل المحمول المسلوب النسبة محمولاً فيصير أجزاءها خمسة. الطرفان. والثبوت بينهما. وسلب ذلك الثبوت. وثبوت ذلك المسلوب للموضوع) ومكررة ملاحظة الثبوت (بإضافة المكررة. أي يلاحظ الثبوت مرتين قبل السلب وبعده. ويفرق بين تينك القضيتين على الأكثر في الثنائية ب) لا (في المعدولة وب) ليس (في السالبة. وفي الثلاثية بتقديم الرابطة على النفي في المعدولة وتأخيرها عنه في السالبة) ومعدولة ذهنية في الخارجية (مثلاً: "الماء ليس بجامد" قضية خارجية لكن محمولها ذهني..

(277) (فالأربعة قبل الثمانية) (إشارة إلى أن في كلام الناظم سقطة.. إذ الأقسام تكون أربعة ثم تنتهي إلى الثمانية فهي مثل "التائم مستيقظ" إذ البيضة قبل النوم...

[1] أي حقه الأول لأن المراد منه الذات ..

[2] وموضوعية الموضوع غير محموليته وغير موضوعية المحمول؛ لاختلاف الجهة .
كما في حمل الواجب الأعم على الخاصة المفارقة في " كل ضاحك إنسان . " وجزء
القضية موضوعية الموضوع؛ لأن الجهة تنظر إليها .

[3] أي ما شأنه " الآخر " كما في أصل الحمل؛ لأن المراد منه المفهوم وإن كان ذاتا مثل
" زيدٌ حجر . "

" [4] السوية "سيئة الضرورة ..

وإن [1] على التعليق [2] فيها قد حكم فإنها [3] شرطية وتنقسم

[1] اعلم أن الشرطية- التي مرت الإشارة إليها -تنقسم باعتبار " النسبة " :اتصالا
وانفصالا" ...والجهة : "لزوما واتفاقا .عنادا وتصادفا" ..والمطابقة : "صدقا مع صدق
الطرفين وكذبهما وكذب الأول أي المقدم أي لامع كذب التالي أيضاً لكونها محل
الحكم ..لو كانت كاذبة كانت القضية بتمامها كاذبة .وكذبا مع كذب الطرفين وصدقهما
والاختلاف" ..والكيفية : "إيجابا مع سلب الطرفين وإيجابهما والاختلاف .وسلبا مع
إيجاب الطرفين وسلبهما والاختلاف" .والتركيب "إلى المركبة من حمليتين ومتصلتين
أو منفصلتين أو مختلفتين" ..والصورة "إلى :الأصلية والمنحرفة، والمشبهة بالحملية
بتقديم الموضوع على أدوات الشرط" ..وإضافة النسبة "إلى متخالف الطرفين نظير
الولادة في المتصلة فيها الترتيب الطبيعي- أي بأن يكون الأول منشأ وعلة للآخر
كطلوع الشمس ووجود النهار -وإلى متشابه الطرفين نظير الأخوة في المنفصلة ..
"والكمية" إلى :الكلية باعتبار الأوضاع الشاملة للأحوال والأزمنة والأمكنة .وسورها
في المتصلة الموجبة" كلما، مهما، متى، حيثما، كيفما، أبداً، دائماً" . "وقس عليها ما
ينظرها وما يتضمنها .وفي المنفصلة الموجبة" البتة، بتة، بتلة، مستمرا، دائماً، أبداً ."
وكذا الجهات الدائمة في الحملية سور الكلية في المنفصلة وقس عليها ما يشابهها وما
يتضمنها حرفا وفعلا واسما .وفي السالبة الكلية فيهما" ليس البتة، ما أبداً، لا دائما "

وقس على النفي ما يشابهه وعلى مدخوله ما يمائله. وإلى الموجبة الجزئية. وسورها فيهما" قد يكون ". وإلى السالبة الجزئية. وسورها" قد لا يكون "وقس على" قد "ما يتضمنه من التقليل والتكثير ما يمائله وعلى" يكون "ما يشابهه من الأفعال العامة والناقصة التامة، وفس على الحرف الفعل والاسم. وإلى الشخصية بالتقييد بوقت معين كالآن واليوم وغدا وهكذا... وإلى المهملة: ففي المتصلة بـ" لو، وإن، وإذا ". وفي المنفصلة بـ" إما وأو ... (278)!"

[2] أي حكم بالتعليق فبني الكلام على التعليق. وبسر التلازم وتضمن المنفصلة للمتصلة يشملها التعليق (279).

" [3] الفاء "للزوم، و"إنّ" لليقين، و"الهاء" للربط بين الجزئين والاتحاد بين الحد

(278) فيها الترتيب الطبيعي الخ (حاصله: أن المتصلة يراعى فيها الترتيب الطبيعي لأن أحد جزئها على الأكثر منشأ وعلّة للأخر كالأب والولد فيقدم الأب ويؤخر الولد) كطلوع الشمس ووجود النهار.. (وفي المنفصلة الطرفان متشابهان في العناد والانفصال: كما أن هذا معاند لذلك هو أيضاً معاند لهذا.. حتى ليس العناد في أحدهما زائداً أو ناقصاً كأنهما أخوان انقسم العناد بينهما على السوية، فليس فرق يرحح تقديم أحدهما على الآخر. بل الترتيب في أجزائها على إرادة القائل.

(وإلى متشابه الطرفين (أي في العناد والانفصال كأنهما أخوان لا يزيد أحدهما على الآخر في العناد. وفي الانفصال متشابهان لا يجتمعان كالزوج والفرد). والأزمنة (عطف على الأوضاع لا على الأحوال). وكذا الجهات الدائمة (كالضرورة والدوام) سور الكلية (خبر للجهات) ما يمائله (فاعل لیتضمنه) من الأفعال العامة (كحصل، ثبت، وقع، وجد، كان، لآتس. استقر) والناقصة التامة (ككان بمعنى وجد. لكن توصيفها بالناقصة حكاية عن حالها الماضي..

(279) أي حكم بالتعليق (أي الارتباط بين الجزئين أي فكان حق العبارة تعديته بالباء أي كما كان الحكم في الحمالية بالثبوت لا على الثبوت كذلك الحكم هنا بالتعليق لا على التعليق. وإلا لزم أن يكون التعليق محكوماً عليه وليس كذلك..

(فبني الكلام على التعليق (أي التأخير والتردد الدال عليهما) إن).. (وبسر التلازم الخ (دفع لما يرد: من أن التعريف غير جامع لخروج المنفصلة عنه إذ الحكم فيها بالانفصال لا بالارتباط. وجه الدفع: أن كل جزء من المنفصلة يستلزم نقيض الآخر. فبهذا الاعتبار يكون المنفصلة مستلزمة للمتصلة ومتضمنة لها. نعم": العدد إما زوج أو فرد "يستلزم" كلما كان زوجاً فهو لا فرد. "فبهذا الاعتبار يشملها التعليق فلا تبقى خارجة عن التعريف.

والمحدود ..

أيضاً إلى شرطية متصلة [1] ومثلها [2] شرطية منفصلة[3]

[1]إما" لزومية "ادعائية أو حقيقية، كما بين كل المتضائفات وكل المتساويات، وبين الأصل مقدماً وبين العكسين، وبين التعريف والمعرف، وبين الدليل مقدماً والنتيجة، وبين الأخص مقدماً والأعم، وبين العلة والسبب والعلامة مقدماً وبين المعلول وغيره وقس..

"أو اتفاقية "أي العلاقة بين الجزئين مستترة ليست بارزة لظاهر النظر، إذ الصدفة عقيدة فاسدة. والسلب سلب الاتصال لا اتصال السلب. إذ حكمة التسمية لا يلزم أن تطرد... (280)

[2]أي في التعليق، لاستلزامها لها أو لتأولها بها أو لانكشافها عنها.. (281)

[3]إما عنادية كما في العناديات أي المتناقضات والمتضادات والمتقابلات، وكل ما ذكر

(280) (كما بين كل المتضائفات (كالأب والابن. وجه التسمية: أن كلا يضاف في المعرفة إلى الآخر إذ يقال: الأب من له ابن وبالعكس). وبين الأصل مقدماً (إذ لو كان العكس مقدماً والأصل تالياً لا يطرد اللزوم. وكذا إن كان النتيجة أو الأعم أو المعلول مقدماً والدليل أو الأخص أو العلة تالياً لم يطرد اللزوم والاستلزام بين الطرفين مثلاً: لا يقال كلما تحقق الحيوان تحقق الإنسان) أي العلاقة بين الجزئين مستترة (شذ الأستاذ هنا عما عليه أهل المنطق من عدم العلاقة بين جزئي الاتفاقية مشيراً إلى أن لا اتفاقية إلا وفيها علاقة مستترة لا تظهر لظاهر النظر. مستدلاً بأن التصادف كما لم يكن ولم يمكن في ماديات الكائنات لزم أن لا يوجد في المسائل العلمية أيضاً..

غاية ما في الباب أن بعض العلائق مستترة عن بعض الأبصار والبصائر) والسلب سلب الاتصال (إشارة إلى ما يرد: من أنه إذا كان السلب في السالبة مضافاً إلى الاتصال لا يجوز عدها من المتصلات وإن كان مضافاً إليه للاتصال لا يكون سالبة بل هي إذاً موجبة معدولة.. وجه الدفع: أن وجه التسمية لا يلزم وجوده في كل الأقسام..

(281) (أي في التعليق لاستلزامها لها (وجه وجه المثلية: بأن في المنفصلة أيضاً تعليقا بين الجزئين لاستلزام المنفصلة للمتصلة كما مر.. أو لتأولها بها يجعل كل جزء منها مقدماً لنقيض الآخر..

من مظان الاتصال مع تبديل أحد الطرفين بنقيضه وقس ..! وإما اتفاقية بأن لم تظهر العلاقة وإن كانت...

جزأهما [1] مقدم [2] والتالي [3] أما بيان [4] ذات [5] الاتصال
ما [6] أوجبت تلازم [7] الجزئين وذات الانفصال دون مين

[1] اندمجت أربع قضايا في واحدة، إذ التثنيان في حكم التكرير (282).

[2] أي طبعاً في المتصلة، لتخالف طرفي اللزوم. ووضعا في أختها، لتشابه طرفي المعاندة.. (283)

[3] كالمقدم.. (284)

اعلم أن الشرطية تتعدد في السالبة بتعدد المقدم. وفي الموجبة بتعدد التالي صريحاً أو ضمناً. وفي الحمالية بتعدد كلا الطرفين صريحاً أو ضمناً. قيل: أو معنى ..

[4] أي التعريف باعتبار الجزء الصوري الذي هو مأخذ الفصل... (285)

[5] أشار إلى أن لفظ المتصلة من "ذي كذا" إذ المتصلة من المصطلحات، والمصطلح

(282) (أربع قضايا (هي المتصلة الموجبة والسالبة والمنفصلة كذلك) في واحدة (أي قضية واحدة بل في كلمة واحدة أعني) جزأهما (إذ فيها تثنيان إذا ضرب أحدهما في الآخر يحصل أربعاً).

(283) (أي طبعاً (أي تقدّم المقدم على التالي أمر طبيعي يقتضيه الطبيعة) في المتصلة (لأن طرفي اللزوم فيها متخالفان: أحدهما لازم، والآخر ملزوم. واللازم بعد الملزوم) ووضعا (أي على كيف الواضع في المنفصلة إذ الطرفان فيها متساويان في العناد لا فرق بينهما يكون سبباً للترجيح في التقديم والتأخير..

(284) (كالمقدم (أي تأخر التالي الطبيعي كالمقدم لما ذكر .. اعلم أن السالبة الشرطية إذا تعدد المقدم يتحصل بتعدد وعلى مقدار عدده قضايا نظراً إلى جواز سلب التالي الواحد عن مقدمات كثيرة. وفي الموجبة يحصل التعدد بحسب تعدد التالي لجواز لوازم كثيرة لشيء واحد ولا أطراد في العكس.

(285) (أي التعريف باعتبار الخ (يعني: أن للتعريف مادة هي الجزآن. وصورة هي تلازم الجزئين. الأولى كالجنس. والأخرى كالفصل.

ليس من المشتقات ولو في صورة المشتق بل جامد ينسب إليه (286).

[6] أي فهو ما أوجبت باعتبار الدلالة ظاهراً، إذ الاتفاقية لزومية بعد الاتفاق (287).

[7] أي تشارك في اللزوم مصدر للمعلوم والمجهول.

اعلم أن اللزوم عقلي، أو حسي، أو عادي، أو عرفي، أو اصطلاحي، أو شرعي
"جزئياً أو كلياً".

فإن قيل: إن كان اللزوم "لا" فلا لزوم. وإن كان تسلسل ولزم الموجب بالذات..

قلت: اللزوم وكذا كل ما نوعه فرده، وذاته صفته كالوجود ونحوه نوعه منحصر في شخص موجود، بسر عدم العينية، ولا اعتبار بتسلسل الاعتباريات، إذ لا يلزمك أن تلاحظ اللزوم اسماً. وفرق بين "وجوده لا" وبين "لا وجود له" كالفرق بين الحرف والاسم. والوجوب واللزوم بالاختيار لا ينافي الاختيار.. (288)

(286) المتصلة من ذي كذا (أي من باب ذي كذا. يعني: أن تلك الكلمة ليست بمشتقة على ما يتبادر إلى النظر لأنها من مصطلحات المنطقيين. والمصطلحات بمنزلة الجامدات عقيمة لا تتولد من شيء ولا منها شيء بل ينسب إليها أو يؤول بما يدل على النسبة. كأمثال) ذي (أو ذات). (فالمتصلة بمعنى ذات اتصال..

(287) أي فهو ما أوجبت (إشارة إلى تقدير جواب) أما (والى دفع ما يرد من أن الاتفاقية مع أنها شرطية لا لزوم فيها فتبقى خارجة.. وجه الدفع: أن الاتفاقية بعد الاتفاق لزومية كما سيجيء...)

(288) مصدر للمعلوم (أي اللازم) والمجهول (أي الملزوم يعني: أن التلازم يقع بين شيين كل منهما لازم وملزوم للآخر. فالمعلوم إشارة إلى اللازم والمجهول إلى الملزوم). فإن قيل الخ (حاصل ما قيل: إن اللزوم إن كان معدوماً فلا لزوم، فكيف يبحث عن اللزوم. وإن كان موجوداً يجب أن يكون له مأخذ. وله أيضاً من مأخذ وهكذا.. يتسلسل إلى أن ينتهي إلى لزوم موجب بالذات أي غير محتاج إلى لزوم آخر. هذا محال). قلت الخ (حاصل المقول: أن اللزوم- كالوجود والنور وغيرهما مما لا فرق بين الفرد والنوع- من الكليات المنحصرة في شخص موجود إذ لا محل للعينية إذ لو لم يكن لتلك الكليات فرد موجود لكانت من العبيئات، فاللزوم كلي منحصر وجوده في فرد فلا إشكال.. ولو سلم التسلسل: أي لزومه على تقدير عدم وجوده فلا اعتبار لتسلسل الأمور الاعتبارية. ولا يلزم علينا أن ننظر إلى اللزوم اسماً أي غير اعتباري فلا إشكال). وفرق بين وجوده لا الخ (هذا طريق آخر لدفع ذلك الإيراد. حاصله: أن الوجود قسمان: أحدهما ضعيف تابع للغير كوجود معنى الحرف. والآخر قوي مستقل لا حاجة له للغير كمعنى الاسم. فقوله) وجوده لا (أي له وجود ضعيف تابع للغير لولا الغير لم يوجد. و) لا وجود له (نفي للجنس أي لا وجود له

ما أوجبت تنافراً [1] بينهما [2] أقسامه [3] ثلاثة فليعلما

مانع جمع [4] أو خلؤ [5] أو هما [6] وهو الحقيقي [7] الأخص [8] فاعلما [9]

[1] أي سواء كان تضاداً أو تعانداً أو تبايناً أو تنافياً أو عدم ملكة أو تناقضاً.. والمنفصلة والمتصلة سالبة كل كموجبة الأخرى في أكثر الأحكام، إذ العناد بين الشيين كما يستلزم سلب اللزوم بينهما يستلزم اللزوم بين أحدهما ونقيض الآخر. ولأن الممكن لا بد لذاته وأحواله من علة تامة، وبعد الوجود يجب، كانت الاتفاقية عنادية⁽²⁸⁹⁾.

[2] أي "فقط" إذ كثيرة الأجزاء منفصلات كثيرة امتزجت ..⁽²⁹⁰⁾

[3] هذا التقسيم ككل تقسيم كثير الأجزاء، بين كل جزئين منع الجمع. وباعتبار المجموع منع الخلؤ حقيقة أو ادعاء أو استقراء ..

[4] أي فقط أو مطلقاً. وهو مستلزم لمتصلتين من عين أحد الجزئين مقدماً، مع نقيض الآخر تالياً. وسالبة كل من المتلازمين مستلزمة لموجبة الأخرى من منع الجمع وما يستلزمه من المتصلتين ..⁽²⁹¹⁾

[5] كالجمع في التقييد والإطلاق واستلزام المتصلتين، إلا أن المقدم نقيض والتالي عين

لا ضعيفا ولا قويا. فاللزوم ناظر إلى الأول لا إلى الثاني أي له وجود تابع للطرفين لولاهما لم يوجد .

(و) الوجوب واللزوم بالاختيار لا ينافي الاختيار (بل يستلزمه أو لولا الاختيار لم يوجد الوجوب لأن الموجب مختار في أفعاله فالوجوب من أفعاله الصادرة عنه باختياره ..⁽²⁸⁹⁾ ولأن الممكن لا بد الخ (متعلق بكانت الآتية. وعلة لكون الاتفاقية عنادية) بعد الوجود يجب (يعني: إذا تم العلة لوجود شيء من الممكنات يجب وجوده إذ لا يختلف المعلول عن العلة التامة) كانت الاتفاقية عنادية (لأن الاتفاق بين شيئين شيء ممكن فإذا فرض له علة تامة يجب ذلك الاتفاق وإذا وجب لزوم وإذا لزم الاتفاق بين الشيين يخرج الاتفاقية من الاتفاقية إلى العنادية..

(²⁹⁰) أي فقط (ناظر إلى تنبية) هما (يعني: إن بدل التنبية بالجمع لم يصح الحمل بين التعريف والمعرف..

(²⁹¹) أي فقط أو مطلقاً (أي إذا أطلق ولم يقيد بقيد فقط كان شاملا للحقيقة أيضاً وإذا قيد به لا يشملها..

فيهما (292).

[6] أي فيستلزم تلك المتصلات الأربع .. (293)

[7] أي حقيقة الانفصال بديهية إذ الأولان نتيجتا اقترايين من حقيقة صغرى ومنتصلة كبرى. مثلاً: إما حجر أو شجر. نتيجة لـ: إما حجر وإما لا حجر، وكلما كان حجراً فهو لا شجر. إذ ما لا يجمع اللازم لا يجمع الملزوم وقس منع الخلو.. (294)

[8] أي على رأي. إذ الكل أخص من الجزء، أي أو المباين. كما هو شأن التقسيم من أنه يوقع المباينة بين الأقسام (295).

[9] أي تتبع ما لم أصرح به من تقاسيمها وتفصيلها ..

فصل في التناقض

تتناقض [1] خُلفُ القضيتين [2] في كيف [3] وصدق [4] واحدٍ أمرٌ قفى

[1] اعلم أن الاتينية إن كان فيهما الاتحاد؛ ففي الماهية وأخص الصفات " التماثل .." وفي

(292) (والإطلاق (أي بدون فقط أو به) واستلزام المتصلتين (أي ومثل مانعة الجمع في استلزام المتصلتين إلا أن المقدم نقيض والتالي عين هنا عكس منع الجمع مثل) كلما كان حجراً فهو لا شجر وكلما كان شجراً فهو لا حجر (هذا المثال يصلح لكلا القسمين.. (293) أي فيستلزم تلك المتصلات الأربع (ثنتان من جهة منع الجمع والأخريان من جهة منع الخلو..

(294) (والأولان نتيجتا اقترايين (أي كلٌ من منع الجمع ومنع الخلو نتيجة لقياس اقترايين صغراه منفصلة حقيقية وكبراه متصله مثل" إما لا حجر أو حجر وكلما كان حجراً فهو لا شجر "ينتج" إما لا حجر أو لا شجر " هذا لمنع الخلو. والمثال لمنع الجمع" أما حجر أو لا حجر وكلما كان حجراً فهو لا شجر "ينتج" إما حجر أو شجر) "لأن ما لا يجمع اللازم لا يجمع الملزوم (كما هنا إذ الشجر لكونه نقيضاً للأشجر الذي يجمع الحجر لا يجمع هو الحجر إذ يلزم حينئذ جمع النقيضين فهو معاند له فنبت المطلوب. وقس منع الخلو.. (295) (أي أو المباين (عطف على الأخص) كما هو شأن التقسيم (من كونه متباين الأقسام إذ كل قسم قسيم للآخر...

الجنس " التجانسُ .."وفي الكيف" التشابهُ .."وفي الكم المتصل" التوازي .."وفي المنفصل" التساوي .."وفي الوضع" التشاكلُ .."وفي الملك" التلايسُ .."وفي الأين "التجاوُرُ .."وفي الإضافة" التناسبُ .."وفي متى" التعاصرُ .."

وإن كان فيهما الاختلاف فمطلقاً" التغيرات "ثم" التخالف .."ومع امتناع الاجتماع "التقابلُ" .."ومع وجود الطرفين مع الدور المعني" التضايِفُ .."وبدونه" التضادُ .."وفي الوجود" التعاند"، وفي الصدق" التبايُنُ .."ومع عدم أحد الطرفين بشرط قابلية المحل "عدمٌ وملكةُ .."وبدون الشرط في المفرد" التنافي .."وفي الجملة" التناقض "وقد يعمم .. ثم اعلم أن نقيض كل شيء رفعُهُ، والرفع لا يحتاج إلى بيان، إلا أن الرفع لما لم يتحصل دائماً- وقد احتجنا للقياس الخلفي إلى نقائض محصلة، أي معينة مضبوطة - وضعوا شرائط وقيوداً لتحصيل النقائض ...

[2] أي هنا إذ المراد ما لا يجتمعان ولا يرتفعان، وفي المفردات قد يرتفعان " كالحجر والشجر عن الإنسان (296)."

[3] أي بشرط الاختلاف والاتحاد في واحد أو ثلاثة، أو ثمانية، أو ثلاثة عشر، فالاختلاف في الكيف، والكم، والجهة، ثم النتيجة في الصدق، والاتحاد في النسبة، أو المحكوم عليه وبه، والزمان، والمكان، والشرط، والإضافة، والجزئية أو الكلية، والقوة أو الفعل في الطرفين (297).

[4] أي المستلزم بالذات لكذب الأخرى .. (298)

(296) أي هنا (دفع بعلاوة هذا القيد ما يرد: من أن التعريف أعم إذ) الخلف (يشمل الحجر والشجر. ولا تناقض بينهما. فأشار إلى أن المقصد بيان التناقض في القضايا لا مطلقاً فلا إشكال ...

(297) (في واحد (أي النسبة الحكمية) أو في ثلاثة (أي الموضوع والمحمول والزمان) هذا عند الفارابي) .. (أو ثمانية (هي وحدة الموضوع والمحمول والزمان والمكان والشرط والإضافة والجزء أو الكل والقوة أو الفعل) أو ثلاثة عشر (هي الدائمتان والعرفيتان والمشروطتان والوقتيتان والوجوديتان والممكنتان والمطلقة العامة) في الصدق (متعلق بالاختلاف المقدر بعد) ثم (المضاف إلى) النتيجة ..)

(298) (أي المستلزم بالذات (احتراز عن قولنا) هذا إنسان هذا ليس بناطق (إذ الوساطة هنا مساواة المحمولين لا لذاته) ..

فإن [1] تكن شخصية [2] أو مهملة [3] فنقضها [4] في كيف أن تبدله [5]

وإن [6] تكن محصورة [7] بالسور [8] فانقض بصدورها المذكور

[1] اعلم أنك قد علمت أن القضية باعتبار منطوقها كما تقيدها حكماً كذلك باعتبار الكمية تتضمن قضية أخص. وباعتبار الجهة قضية أخرى أخص منهما. فمناطق العكسين والتناقض في المسورة الموجهة الضمنية.. فإن تجردت عن الجهة والسور ولم يقصدا فالنظر إلى أصل القضية.

اعلم أن الأفعال الناقصة صور النسبة الفعلية. وأن أفعال المقاربة تصاوير النسبة الإمكانية. وأن أفعال القلوب كصفات الثبوت وجهات الإثبات.. فكأن صورة النسبة ظهرت للتوصل لجعل الاسمية فعل شرط (299).

[2] أي موضوعها شخص حقيقة أو اعتباراً كالكل المجموعي ..

[3] أي فإن لم ينظر إلى كونها في قوة المسورة فذاك.. وإلا فالبعض المبهم في حيز النفي يعم.. (300)

(299) (و) اعلم أن الأفعال الناقصة الخ (حاصله: أن تلك الأفعال ليست من أجزاء القضية بل دالة على وضعية النسبة بين طرفي القضية. مثلاً: إن "كان" في "كان زيد قائماً" إنما يفيد زمان وقوع نسبة القيام إلى زيد. وإن المنسوب والمسند إلى زيد القيام لا "كان". لكن لكان فائدة أخرى: إذ إنها مجوزة لجعل الجملة الاسمية فعل شرط في "إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود" إذ لو لم يكن "كان" لم تكن تلك الجملة شرطاً.. وأن أفعال المقاربة أيضاً ليست أجزاء حقيقية، وإنما هي مصورة ومقربة للنسبة الكائنة بين الطرفين من الإمكان إلى الواقع.. وأن أفعال القلوب كصفات تتعلق بالثبوت الواقع بين الطرفين في الخارج وجهة مؤكدة لإثبات ذلك الثبوت في الذهن.

(300) (و) إلا فالبعض المبهم الخ (حاصله: أن المهملة في الإيجاب من الجزئيات أي في حكم الموجبة الجزئية وفي السلب من الكليات أي في حكم السالبة الكلية، لأن موضوعها بعض مبهم والبعض في حيز النفي يعم أي يفيد معنى كلياً: هذا إذا قصد من المهملة المسورة.. فهي حينئذ من المحصورات إيجابها من الجزئيات وسلبها من الكليات). يعم (أي فيكون المهملة خارجة من المهملات داخلية في عداد المحصورات..

[4] أي فهو قليل المؤونة .فاستغن بما أعطاك التعريف..(301)

[5] أي لابد من الاتحاد ثلاثية والاختلاف في الكيف..(302)

[6] اعلم أن التناقض إنما ينظر إلى الجهة والسور، إذا نظرا إلى النسبة. وأما إذا دخل "ذا" المحمول فحَرَفَ أو الموضوع قبل الحكم فشَخَّص الكلية. أو دخلت " تاك " عقد الوضع أو صارت جزء المحمول فلا ..

اعلم أن نقيض الضرورة- ذاتاً أو صفة أو وقتاً-الإمكان كذلك .والدوام- ذاتاً أو صفة - الإطلاق كذلك .فإن شئت تفاصيل الجهات فعليك بتعليقاتي في المنطق(303) .

[7] أي منصوصة الكلية المقصودة..(304)

[8] أي كالسوار الصحيح أو المنكسر..(305)

فإن [1] تكن موجبة [2] كلية [3] فنقضها [4] سالبة جزئية

[1] أظن بالشرطية بدل الحملية، إذ المقصود تعليم العلم العملي، لا العلم فقط .ولجعل الثابت واجباً(306) .

(301) (أي فهو قليل المؤونة (لا يحتاج معرفته إلى زيادة كلفة واشتغال بل يكفي لمعرفة ما أفاده التعريف الذي هو عبارة عن تبديل الطرفين بالإيجاب والسلب..

(302) (أي لابد من الاتحاد ثلاثية (أي لزم اتحاد النقيضين في الموضوع والمحمول والزمان والاختلاف في الإيجاب والسلب فقط) هذا عند الفارابي..)

(303) (اعلم أن التناقض إنما ينظر الخ (أي التناقض بين القضيتين من الموجهات والمحصورات ناظر إلى السور والجهة. فإن لم يكونا في موضعهما الطبيعي: بأن دخل (ذا (أي السور) المحمول فحرف (أي جعل القضية منحرفة .وإن دخل الموضوع (فشخص (أي جعل القضية شخصية قبل مجيء الحكم وملاحظته .وإن دخلت) تاك (أي الجهة عقد الموضوع أي قيداً للموضوع مثل) كل إنسان بالضرورة فهو حيوان (أو كانت جزء المحمول :مثل زيد ضاحك على الدوام) فلا (أي يخلل التناقض بذلك التبديل..

(304) (أي منصوصة (أي المقصود من المحصورة جعل الكلية مثلاً مقصودة معينة بالنص بحيث لا يبقى في ذلك خفاء..

(305) (أي كالسوار الصحيح (إشارة إلى سور الكلية) والمنكسر (إلى سور الجزئية..

(306) (أظن بالشرطية (أي أطل .حاصله: أن الحملية دالة على الثبوت بين الطرفين وهو

[2] أي ولو معدولة أو سالبة المحمول .

[3] أي ولو مهملة خطابية..(307)

[4] أي اللازم المحصل، لا الحقيقي الغير المحصل . وهو سالب الكل . وعدم الفاء دليل وجود " فاعلم أن " في (308) النية..

وإن تكن سالبة كلية فنقضها موجبة جزئية

اعلم أن العلم غداء لا بد له من هضم، فالذهن العجول الرَّخْوَانُ يتدلق عن الحقائق " أي يمر بها ولا يأخذها أو يفوز بها ويأخذها " لكن تنقطع الحقيقة في يده " أي في يد ذهنه " ولا تنمو ولا تتوسع فيه بل تخرج هاربة من الذهن ثم يجمع كسرات حقائق انسلبت خاصية النمو عنها في حافظته فلا تنهضم ولا تثبت بل قد يتقيؤ هو أو تنفسخ هي " . وسطحية الذهن أشد مرض ألم بنا " فلتشويق الأذهان إلى الدقة، أعجزتكم أيها الناظرون بما أوجزت في هذه الرسالة .

ما تمت

محل تعلق العلم لا عمل ولا تعليم فيه . والشرطية كالتهجي تعليم وتفصيل لذلك الثبوت وتعلقاته . والمقصود هنا التعليم لا العلم وحده .. وأيضا أن الشرطية تدل على أن تحقق الجزاء مشروط وموقوف على تحقق الشرط بحيث متى تحقق الشرط تحقق الجزاء . فبهذا الاعتبار يكون الثبوت الثابت في العملية لازما وواجبا في الشرطية . وترك الواجب للعمل بالسنة، ليس من دأب أهل السنة، فلذا اختار الشرطية على العملية..

(307) (ولو كانت مهملة خطابية (أي لأن المهملة في الظنيات والخطايبات في حكم الكلية والكلية نقبضها جزئية).

(308) (اللازم المحصل (حاصله: أن نقيض الشيء رفعه فنقيض الموجبة الكلية رفعها وهو سالب الكل . وهذا ولو كان نقيضا حقيقا لكنه غير محصل فأقيم لازمه مقامه أعني السالبة الجزئية..

اعتذار

لئن أدركت في شرحي فتوراً ووهناً في بياني للمعاني
فلا تسند لنقصي إن رقصي على مقدار تسعيد الزمان

لأنني زمانا ما حشرت ما رشح من فكري شرحا على حاشية الأستاذ، كنت فاقداً
للراحة والشباب مفلوج الذهن غائباً عن الأمثال والأقران، شريداً عن الوطن وقد صرت
كالهائم، بل كالبهائم، بل كالبيوم، دائراً عائشاً في الأفقار، هاربا عن شرور الأشرار،
تخطرت حينما تصورت ما قاله ابن الفارض :

وأبعدني عن أربوعي بعد أربع شبابي وعقلي وارتياحي وصحتي
فلي بعد أوطاني سكون إلى الفلا وبالوحش أنسى إذ من الأنس وحشتي

نعم، من كان راكباً على كاهل الغربة، وكان أنيساً بالوحشة، وجليسه الوحدة، وسميره
الكربة، وموطنه الخربة، هل في الإمكان أن تخلو كتبه عن الخطأ والسقطة، لاسيما إذا
كان المشرحة كأمثال " قزل إيجاز " بالغة من الإغلاق والإيجاز، إلى حيث دون حلها

- [3] قَيْلٍ [اسم بغير .
- [4] قَيْلٍ [اسم رجل والتركيب إضافي .
- [5] قَبْلَ [ظرف .
- [6] قَيْلٍ [أي العصر . والتركيب إضافي .
- [7] قَيْلٍ [أي اللبن .
- [8] قَيْلٍ [اسم من أسماء الإبل .
- [9] قَيْلٍ [ماض مجهول .
- [10] قَيْلُ [البعير .
- [11] قَيْلٍ [أي ذلك الرجل .
- [12] قُيْلٍ [أعطى له اللبن .

تعليقات

على برهان الكلبوي
في المنطق

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه؛ وبعد؛
فهذه الرسالة هي المخطوطة الوحيدة، وكانت تُظن أنها مفقودة، لذا فما إن أُعلن عن
العثور عليها حتى بادر العالم الفاضل زين العابدين الأمدي إلى تبييضها بوضوح على
النمط القديم. أما الأخ الكريم عبدالقادر بادلليّ فله قصب السبق في تبييض الرسالة
وتنسيقها وتنظيمها ووضع أرقام لهوامشها؛ فقد بذل جهوداً مضنية وصَرَفت من وقته أياماً
بل شهوراً وسنين عدة في فرز الجمل المتداخلة والهوامش المترابكة، وتَرْجَم بعض
فقراتها إلى التركية، فهياً نسخة منسقة محققة، وأهدى لي نسختها المصورة.. فجزاهما الله
عنا خير الجزاء وأجزل ثوابهما؛ لذا اقتصر عملي في الرسالة على الآتي :

1 - عرض النسخ بعضها على بعض وهي:

أ - النسخة الخطية الأصلية بخط الملا حبيب.

ب - نسخة خطية مبيضة للعالم زين العابدين الأمدي.

ج - نسخة خطية مبيضة منسقة للأستاذ عبدالقادر بادللي.

د - نسخة خطية تبدأ من ص 59-44 أهداها لي الأخ الكبير سعيد أوزدمير.

2-تنسيق الرسالة مجدداً بوضع متنها في أعلى الصفحة تتخلله متون " الكلبوي "

ووضع الهوامش المذيّلة في النسخة الأصلية بـ"تقرير " والهوامش الجزئية الموجودة بين
الأسطر في أسفل الصفحة.

3-اكتفيت بمقابلة الأخ بادللي لمتن الـ"كلنبوي " فكل هامش يشير إلى صفحاته منقول

مباشرة من نسخة الأخ الفاضل، كما أن كل هامش مذيّل بـ"ع. ب" فهو منه أيضاً.

وحيث إن باعي قصير في علم المنطق، لم أقم بعمل علمي يُذكر خلا ما ذكرت، إلا أن

المولى القدير منّي عيّي بمن له إمام بهذا العلم، فكمّل ما قصرت عنه من تنسيق وتهميش

فقابل الرسالة والمخطوط وراجعهما وضبط كثيراً من كلماتها، وهو الأخ الفاضل "أجير أشيوق المحترم" فجزاه الله عنا خير الجزاء وأجزل ثوابه...والحمد لله أولاً وآخراً.
إحسان قاسم الصالحي

في الصفحة الأولى من المخطوط ما ترجمته:

"إلى حضرة الأخ الكبير! أقدم لحضرتكم تقريراتكم في أثناء تدريسكم للـ"برهان" والمسماة بـ"تعليقات" بخط المرحوم الشهيد الملا حبيب راجياً دعواتكم مقبلاً أياديكم الكريمة... "وفي صفحة تالية:

"أيها الناظر إلى هذه الأوراق التي تنتظر عبراً.. هذه صفحات مسودات رسالة في المنطق ألّفها الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في مدينة" وان"، في أثناء تدريسه لطلابه، ولا سيما لأخيه وطالبه الملا حبيب ولما أتمّها حيث اندلعت الحرب العالمية الأولى.. وفي خضم سيل الزمان الجارف، فارق الأخوان أحدهما الآخر. وكانت نهاية المطاف أن صار الأخ الصغير المسمى عبدالمجيد مفتياً في "أوزكوب" سنة 1940 فاستقر فيها.. وكان يحتفظ بهذه المسودات ذكرى تلك الأيام التي خلت. ولكن هيهات.. هيهات.. مضى ذاك وذهب.. ومضى الآخر وذهب. ومرّ الزمان ومضى! فيا ترى هل سيظهر من يتصفح هذه المسودات ويقرأها؟ وهل سيأتي ذلك الزمان؟ هيهات.. هيهات.

سأجول مع همومي وأحزاني حتى المحشر

فهذه أقدارنا نتحملها.. أيها الحبيب!

عبدالمجيد"

وفي نهاية المخطوط ما ترجمته:

"إن هذه الرسالة الموسومة بـ"تعليقات" هي ما كتبه بديع الزمان سعيد الكردي من حواشٍ على كتاب" برهان كلنبوي" ودونها أحبُّ طلابه إليه والملازمُ له في الدرس الملا حبيب، فسجل هذه التقريرات من بديع الزمان على صورة حواشٍ وهوامش .. كان ذلك في سنة 1329 هـ ثم اندلعت الحرب العالمية الأولى وذهب بديع الزمان والملا حبيب كواعظين مع فرقة" وان" إلى جبهة القتال في" أرضروم"، وعادا معاً بعد عام وقد احتلت "وان" من قبل الأرمين، فانسحبنا إلى قضاء" كواش" واستشهد الملا حبيب هناك، فحملتُ الرسالة التي خطها طوال سني الهجرات من مدينة إلى أخرى ومن قسبة إلى أخرى حتى حللنا في مدينة" ملاطية" سنة 1940 ومن هناك مفتياً في قضاء" أوركوب."

كانت الرسالة أوراقاً متفرقة فجمعتها وجلدتها، على أمل أن يأتي زمان ويُبعث العلم والدين من جديد، ويظهر في الميدان أناس يقرؤون أمثال هذه الرسائل. وعندئذٍ يقدَّر قدرُها ويُعلم ما فيها من فكر عميق وذكاء نافذ. ولكن هيهات .. فلا ذلك الزمان يأتي، ولا أولئك القراء يظهرون. والسلام ..

عبدالمجيد"1951

الحمد لله .. والصلاة على رسول الله

اعلم أن المنطق آلة قانونية، تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر .

لا بد لمن يبتدئ بشيء من العلوم:

من معرفة الرؤوس الثمانية استحساناً: وهي الفهرسة،⁽³⁰⁹⁾ وبيان المسائل إجمالاً، واسم الفن، وموضوعه، وغايته، وتعريفه، وشرفه باعتبار ما؛ إما باعتبار الموضوع أو الغاية، أو الدليل والرتبة. هل هو من موجود النقش، أو اللفظ، أو الذهني، أو الخارجي؟ ليكون تحصيل المحصل على ما فرضه الشرف والرتبة.

ومن ثلاث عرفاً: وهي الموضوع، والغاية، والتعريف.

ومن اثنين عقلاً: وهما التصور بوجه ما والتصديق بفائدة ما.

فاللزام أن نبتدئ أولاً بالتعريف،⁽³¹⁰⁾ وهو نوعان: إما بحسب الموضوع⁽³¹¹⁾ أو

الغاية⁽³¹²⁾.

والتعريف بحسب الغاية أولى؛ إذ العلم بالغاية يزيد شوق المحصل. فهذا، أي المنطق علم آليّ. وتعريفه بحسب الغاية موقوف على معرفة وجه آليته. ومعرفة وجه الآلية موقوفة على جهة احتياج ما يحتاج إليه. وهو كل العلوم⁽³¹³⁾ وجهة الاحتياج عصمة الذهن عن الخطأ في الفكر. وتصوير سلسلة الاحتياج هكذا: الفكر ليس بصحيح بالدوام للاختلاف الكثير، ولا يكفي للتمييز عقل كل، بل مراعاة الكل، أي العقل العمومي الذي هو المنطق،⁽³¹⁴⁾ المفسر بعضه بعضاً؛ إذ طريق الاكتساب العمومي الفكر. إذ البعض بدهي والبعض نظري، يكتسب التصور من التصور، والتصديق من التصديق؛ إذ شرط الولادة

³⁰⁹ (كما صار عادة على ظهر الكتب المطبوعة وبعض المكتوبة، فيقال مثلاً: باب، أو فصل، أو بيان النسب، أو الحدّ، أو القياس. وقد يقال مثلاً: بيان الحدّ يفيد المحدود. أو القياس ينتج، فهو بيان المسائل إجمالاً). تقرير)

³¹⁰ (لأن كل فعل اختياري لا بد من مباد أربعة: التصور بوجه ما، لأن طلب المجهول المطلق محال. فالتصديق بفائدة ما، لأنها الباعث للإرادة الناشئة من الميل، الناشيء من الشهوات، المتوقف عليها. فالإرادة، وهو القصد للتخصيص، فالشروع للإخراج ... تقرير)

³¹¹ (وهو كالحدّ).

³¹² (وهو كالرسم).

³¹³ (حتى نفسه).

³¹⁴ (لأن المنطق من حيث هو آلة للعلوم حرفي، كالمعقول الثاني للأول. ومن حيث هو علم جوهريّ اسمي، يحتاج لآلة فآلته بعضه البدهي للبعض النظري). تقرير)

المجانسة⁽³¹⁵⁾. فإن العلم إما تصور وإما تصديق. فاصعد من هنا في هذه السلسلة السلمية. ثم تعريف] العلم هو الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل⁽³¹⁷⁾] ⁽³¹⁶⁾ وهي إما تصور⁽³¹⁸⁾ أو تصديق. فلا يرد بلزوم اعتبار وحدة المقسم .

أن التصديق مركب من الموضوع والمحمول والنسبة والحكم⁽³¹⁹⁾. لأن الحكم ربطها⁽³²⁰⁾ وكل منهما إما بدهي، أو نظري مكتسب بالنظر. لأن التقسيم لا يخلو من أن يكون الكل من كلٍ بدهيًا⁽³²¹⁾ أو الكل نظرياً، أو مبعّضاً، لأن⁽³²²⁾ نظري كل لا يكتسب من بدهي الآخر. فالأولان⁽³²³⁾ باطلان، لأنه لو كان الكل بدهيًا⁽³²⁴⁾ لما جهلنا شيئاً، ولو⁽³²⁵⁾ كان الكل نظرياً، لدار أو تسلسل. فاللازم فيهما باطل، والملزوم كذا.. فبقي⁽³²⁶⁾ بعض

³¹⁵ (والتصور والتصديق مغايران في المتعلق والمتعلق كليهما، إذ الأول كالعقد، والثاني كالكشف.

³¹⁶ (غير من حصول الصورة الحاصلة، لأن العلم من مفعول الكيف، والحصول من مقول الانفعال، ويأتي قريباً: إن الذي حصل في الذهن فهو باعتبار تكيف الذهن واتصافه به يسمى علماً. وباعتبار ظرفية الذهن له يسمى معلوماً، فالعلم كيفيته. وأما التعبير بالهيول فمجاز). تقرير)

³¹⁷ (كلنوبي ص 3س. 22)

³¹⁸ (وهو الأصح. إذ التصور متوقف على إما الوجود وهو الخارجيات الوجود. أو الثبوت وهو الاعتباريات، وتسمى الأحوال. والمحال لا ماهية له، لا ذاك ولا ذاك. فلا يتصوره الذهن ذاته إلا بنوع تمثيل بمماثلة في بعض وقت الإثبات، أي الحكم. وأما تحليل الاجتماع فتذكر ما مرّ في المجهول المطلق. بأن العنوان من الطرفين كآلة الملاحظة والمعقول الثاني. فيأخذه ويفرض وراءه أفراداً غير مرئية في الخارج، فيحكم عليه في الذهن. فثبت لأفراده فيه بالامتناع. والاتصاف به في الخارج، فالإثبات له في الذهن. والثبوت في الذهن لمصادقه في الخارج، والاتصاف به في الخارج). تقرير)

³¹⁹ (قلت:

³²⁰ (ووحدها.

³²¹ (هذا قياس اقتراني مقسم.

³²² (دليل الصغرى.

³²³ (كبرى.

³²⁴ (هذا قياس استثنائي دليل الكبرى.

³²⁵ (أي جهلاً محوجاً إلى النظر، لا مطلقاً. لأننا جاهلون ببعض البدهيات.

³²⁶ (نتيجته.

التصور بدهياً، وبعضه نظرياً. والتصديق كذا.. فالمبعضية ثابتة؛ لأن الشيء يثبت ببطلان نقيضه. فببطلان " كلُّ التصور بدهي"، يثبت نقيضه. وهو " ليس كل التصور بدهياً " ولازمه، وهو " ليس بعض التصور بدهياً " ولازمه، وهو " بعض التصور ليس بدهياً " ولازمه؛ إذا كان (327)الموضوع موجوداً. وهو " بعض التصور لا بدهي "ونظيره. وهو "بعض التصور نظري ". وقس البواقي.

[وقد يقع الخطأ في الاكتساب، والعقل غير كاف. فلا بد من قانون وهو المنطق (328)]
فعرّف المصنف رحمه الله بحسب الغاية والموضوع.

إن قلت: قد أخطأ المنطقيون ما أخطأوا، فكيف يكون عاصماً؟

قلت: أقاموا الصنعة المسهّلة مقام الطبيعة، الصنّاعة. والصنعة ولو كان على أكمل ما يمكن، لا تساوي الطبيعة .

ثم مراتب العلم هيولاني، وبالملكة، وبالفعل، ومستفاد، وحديسي، وقديسي .

ثم النظر، ككثف ترتب العلل المتسلسلة في الخلقة، فيحلل ويركب، (329)فيكون قابل العلم والصنعة.

وقيل باعتبار الشرط: تجريد الذهن عن الغفلات.. وقيل باعتبار التحليل: تحديق العقل نحو المعقولات، كتحديق البصر نحو المبصرات.. وقيل باعتبار التركيب: ملاحظة (330) المعقول لتحصيل المجهول.. وقيل باعتبار الصورة: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى المجهول.

ثم طريق حصول المطلوب؛ إما بالإلهام، (331)كعلم الأنبياء والأولياء، أو التعليم

327 (يعني: أن السالبة مستلزم للمعدولة المحمول، إذا كان الموضوع موجوداً في أحدهما، وإلا فالسالبة أعم.

328 (مأخوذ من كلنبوي ص 4. وأصل العبارة": فاحتجج إلى قانون... من حيث إيصال عاصم عن الخطأ وهو المنطق."

329 (باعتبار خلق الله فيه ميل المحاكاة والتقليد). تقرير)

330 (مع التفطن وتذكر هدف.

331 (يعم الوحي.

للأوائل عند الملاحظة، أو التصفية عند الإشراقين، أو النظر عند الحكماء. فالثلاث الأول لا يمكن لكل أحد، فبقي النظر (332) وحصول المطلوب به توليدي عند المعتزلة، وعقلي عند الرازي، وإعدادي عند الحكماء، وعادي عند جمهور أهل السنة. فللفكر حركتان: تحليلي وتركيب. فلكل مبدأ ووسط ومنتهى. فمبدأ التحليلية المادية، (333) المطلوب بوجه ما. ووسطها المبادي الغير المرتبة. ومنتهاها الأجناس العالية والفصول (334) البسيطة والأوليات (335).

ومبدأ الحركة التركيبية الصورية (336) منتهى الأول. ووسطها المبادي المرتبة. ومنتهاها المطلوب على وجه الكمال (337).

ثم العلم واحد اعتباري، لا بد له من ضابط، ليتحد كالخيط أو كالسور. والحال أن الضبط بالتعريف، وشرطه المساواة. ومرجعها القضيتان الكليتان (338) وهما "كل ما صدق عليه تعريف المنطق صدق عليه المنطق. وكل ما صدق عليه المنطق صدق عليه تعريفه". فبالأول "المانعية" وبالثاني "الجامعية". "لئلا يطلب ما لا يعني، على عدم المانعية، ولا يترك ما يعني، على عدم الجامعية.

فان قلت: الغرض من الحد تحصيل الأوسط، لإدراج الجزئي تحت الكلي. والحال أن العلم كل لا كلي، له أجزاء لا جزئيات. مع أن اسم العلم علم (339) للشخص، والشخص لا

332 (اعلم أن النظر نور خلقه الله في البشر، يكشف به ترتب العلل المتسلسلة في الخلقة.. فالترتيب "إشارة إلى الفاعلية والصورية، و"أمور" إلى المادية، و"التأدي" إلى الغائية. والسر والحكمة في حسن التعريف المشتمل على العلل الأربعة جميعها فيه. لكن يحمل صفات مأخوذة من العلل على المحدود. إذ لا يجوز ذلك، فلا يقال: الكرسي جلوس السلطان، بل مجلسه. مع أن الحدود والمحدود أو المكنى به إليه مطلقاً ما يجب الهمل بينهما متحدان). تقرير (ر)

333 (العلمي).

334 (للتعريف).

335 (للدليل).

336 (الصنعية).

337 (أي المطلوب).

338 (ووالأشهر، بدل الأول عكس نقيض الثاني لإخراج الأغير). تقرير (ر)

339 (لأن الأعلام غالباً منقولة، فبقاعدة: إن المعاني اللغوية أساس وحبّ

يُعرف إلا بالإشارة الحسية؟

قلنا: إن أجزاء العلم لعدم امتزاجها- كأجزاء الماء- صارت كالجزيئات. فلما صار الجزء كالجزيئي، صار الكل كالكلي،⁽³⁴⁰⁾ فيثبت الإدراج بقياس أوسطه حده (بزيادة له دخل على الصغرى، ومن على الكبرى .

ثم الموضوع: المعلومات التصويرية والتصديقية، فعرق كل علم موضوعه.. وما سواه تفرعات تنبت عليه. لأن النصب بالفتحة مثلاً وصفُ المعرب، وهو وصف الاسم، وهو وصف الكلمة. فوصف وصف الشيء وصفه. والصفة إن كانت مجهولة كانت جزءاً، وبعد الجزئية كانت صفة، وإذا استمرت صارت عنواناً⁽³⁴¹⁾. ومقدمة الشروع⁽³⁴²⁾ التصديق⁽³⁴³⁾ بموضوعية الموضوع، لا تعريف عنوان الموضوع فإنه من صناعة⁽³⁴⁴⁾ البرهان⁽³⁴⁵⁾ ولا تعريف ما صدّقه، فإنه من المبادي التصويرية⁽³⁴⁶⁾. ولا التصديق بوجوده، فإنه من المبادي التصديقية، وهي الأدلة. وما يتوقف عليه الإثبات،⁽³⁴⁷⁾ يعني الثبوت في نفسه،⁽³⁴⁸⁾ وتعريف بعض لعنوان الموضوع.. وهو ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية. فلتحصيل الحد الأوسط⁽³⁴⁹⁾ لهذا التصديق،⁽³⁵⁰⁾ والغاية يلزم أن تكون معتدة⁽³⁵¹⁾

-
- للاصطلاحيات، وتوضّع الاصطلاحيات عليها، ويكملها باعتبار الشرائط إيّاها، يعلم بالتفكر فيها أن المقصد الأقصى من المسمى بهذا، أي). تقرير (340) (أي يصحّ حمل ما كالجزيئي على ما كالكلي). تقرير (341) (فلذا يتشعب الموضوع، ويكثر أوصافه يتكثر المسائل). تقرير (342) (والكتاب دكان البزاز فيه هذه الأشياء. (343) هذا هو في كل موضع. (344) هي تطبيق العلوم الآلي. (345) (وهي تطبيق المنطق في طرق اكتساب العلوم. (346) (أي تعريفات المصطلحات وموضوعات المسائل، والتمثيلات والتشبيهات وغيرها.. (347) (أي إثبات الأوصاف للموضوع. (348) (وهو وجود الموضوع. (349) (ما يتوقف بهذا حاصل الخ. (350) (أي بموضوعية. (351) (لئلا يكون سعيه عبثاً..

ومعتبرة، (352) ومقصودة، (353) ومهمة، (354) ومخصوصة (355).

ثم لما كان الإفادة والاستفادة باللفظ، احتجنا إلى البحث عن اللفظ الدال .

ثم بين الموجود الذهني واللفظي روابط أربع، هي مناط كل الأوصاف: الوضع، (356) الدلالة، (357) الاستعمال، (358) الفهم (359).

مسائل كل علم قضايا حملية موجبة كلية ضرورية نظرية. وماعداها مؤول بها، لأن الموضوع ما يبحث في العلم عن عوارض الذاتية؛ إما بذاتها أو مع المقابل المحصل المبحث في ذلك العلم (360). يعني يحمل العوارض الذاتية له، أو لأنواعه، أو لأصناف أنواعه كلياً. لأن الذاتية شاملة بالإيجاب، لأنها له، عليه أو على أنواعه أو عوارضه بالضرورية. لأنها ذاتية بالدليل للبحث .

سلسلة المنطق :

النتيجة تتوقف على الدليل .

والدليل باعتبار الإفادة؛ إما يقيني، وهو القياس، (361) وإما ظني، وهو التمثيل (362) والاستقراء (363).

والقياس باعتبار المادة: الصناعات الخمس؛ أعني: البرهان، والجدل، والخطابة،

352 (لئلا يكون عبثاً عنده وعند غيره.

353 (لئلا يقع في ذهنه فتور..

354 (ليزيد شوقه.

355 (أي تلك الفائدة مخصوصة به، ولو بالنسبة لئلا يتردد بينها، فيلزم الترجيح بلا مرجح.

356 (فمنها العموم والخصوص يرد الاشتراك والتأويل..

357 (الظاهر والنص والمفسر والمحكم والخفي والمشكل والمجمل والمتشابه.

358 (الحقيقة والمجاز والصريح والكناية.

359 (العبارة والإشارة ومفهوم اقتضاء الصدق أو الصحة.

360 (إلا أنه لما انقسم الموضوع تشعب المحمول لتوزيع الأقسام على الأقسام.

361 (هو استدلال الكلي على الجزئي.

362 (استدلال الجزئي على الجزئي. أما استدلال الكلي على الكلي فهو داخل في الأول. تأمل!

363 (استدلال الجزئي على الكلي.

والشعر، والمغالطة.. وباعتبار الصورة: هي الأشكال الأربعة. فإن كان من الحملات فافتراضي.. ومن الشرطيات فافتراضيات. وباعتبار الأجزاء: صغرى وكبرى. والأجزاء قضية، ولها أحكام: هي العكس والتناقض.. وباعتبار الحكم: شرطية وحملية (364). وباعتبار الكيف: موجبة وسالبة.. وباعتبار الكم: مسور وغير مسور. وتتوقف على تصور المحمول والموضوع، وهما من المفردات. وتصورها بتعريفها، وتعريفها هو القول الشارح يتركب من الكليات الخمس. والكليات أقسام الكلي) وهو (قسم المفهوم (365) والمفهوم هو المعلوم، (366) هو موضوع المنطق.

ثم الدلالة (367): طبيعية وعقلية ووضعية.

والوضعية: مطابقة وتضمنية (368) والتزامية.

وكل من التضمن والالتزام يتصور بوجوه ثلاثة، بإرادة (369) مستقلة أو مشتركة (370) أو بالتبع. والثالث هو المراد في المنطق، والثلاثة في البيان. والمطابقة (371) لا تستلزمها كما في البسائط، (372) وما لا يعلم له لازم (373) يبين بالمعنى

364 (أما الثبوت له "حمالية"، أو عنه "منفصلة"، أو عنده "متصلة".

365 (المفهوم والمعلوم والمدلول والمعنى والمسمى والمقصود واحد.

366 (بين هذين عموم من وجه

367 (اعلم أن الثلاثة عقلية. إذ الأشياء تدرك بالعقل على الأصح. لكن لما كان دخل الوضع فيه، نسب إليه. ولما كان دخل الطبع فيه أيضاً نسب إليه. ثم الأقوال في هذا الأخير ثلاثة. أما المعتبر فيه طبع اللفظ، أو المخاطب، أو المتكلم. أي إن المتكلم يراجع نفسه حين سماعه.. أضح. مثلاً، بأنني إنما قلت ذلك حين وجع صدري. ويقيس المخاطب على نفسه. تأمل) تقرير

368 (وإن كان المقسم فيها الوضع. لكن الأخيرين عقليان، لتصورهما بالعقل. فلا دخل للوضع فيهما، إلا في الأول وباعتبار أنه القسم الأعظم وفيه دخل الوضع، اعتبر الوضع في المقسم). تقرير

369 (وهو المطابقة المجازية.

370 (وهو الجمع بين الحقيقة والمجاز، لكنه جائز على مذهب.

371 (أي أعم منها مطلقاً.

372 (للافتراق عن التضمن.

373 (للافتراق من الالتزام.

الأخص .وعند الإمام الرّازي الالتزام لازم للمطابقة .لأن الماهية الخارجية لها تشخص (374) وهَدْيَةٌ .وفي الذهن (375) لها تعين وهوية .وهما هو هو (376) ليس غير . وسلب الغير لازم لتلك الماهية البتة .ورُدّ بان الحصول لا يستلزم الحضور ..واللزوم البيّن وهو بالمعنى الأخص اللازم للالتزام حضوري .وهما يستلزمانها، لأنهما تابعان .والتابع من حيث (377) لا يوجد بدون المتبوع (378).واعترض (379) بأن الكبرى ممنوع بالتابع الأعم، (380) وإن قُيد بالحيثية .فالمتبوع مثلها أيضاً؟
أجيب :بأن الحيثية للإطلاق تتضمن عليّة الاحتياج باعتبار الذات لا الصفة الإضافية فقط .

ثم الدال مفرد، إن لم يقصد بجزئه دلالةً على جزء معناه المقصود، وإلا فمركب .
ولأن المفرد عدمي يوجد بعدم جزء من الأجزاء .فعدم الأخص (381) وهو القصد يعم (382) .

-
- 374 (كيفية يحصل من إحاطة المقولات به .
375 (لأن كثيراً من الأشياء حاصل في الذهن لكن ليس حاضراً عند تصور وذكر بعض لغفلة الإنسان عنها وهو منها .تأمل) !تقرير)
376 (أي وجوده عين ذاته .
377 (إنه تابع .
378 (يعني أن متبوع التابع المقيد بالحيثية، بأن يقال: "المتبوع من حيث هو متبوع ذلك التابع لا يوجد بدونه "والحال :إن المطابقة أعمّ مطلقاً منهما؟
أجيب ...الخ .يعني أن الحيثيات ثلاثة للتقييد كما في الموضوعات في التعاريف .وللتعليل : كزيد من حيث إنه عالم مكرم .وللإطلاق :كالإنسان من حيث إنه إنسان حيوان ناطق . فالذي للتعليل باعتبار الصفة، أي إثبات صفة يكون علة للحكم .والذي للإطلاق كما هنا . يعني أن التابع من حيث إنه تابع أي ذاته محتاج للمتبوع وموصوف بالتابعة ..وأما حيثية المتبوع باعتبار الصفة الإضافية فقط، يعني أن ذاته لا يحتاج إلى المتبوع، فيوجد بدونه . بل باعتبار اتصافه بهذا الوصف وهو المتبوعية .تأمل) !تقرير)
379 (إنما كان الأول داخلاً والثاني خارجاً .لأن السلب نسبي لا يكون داخلاً في الماهيات .
تأمل) !تقرير)
380 (كالضياء مثلاً .
381 (فلزم أن يكون له تعريف، وهو غير حسن .بل لا بد من تعريف واحد، وهو لا يحصل إلا بعدم الأخص .
382 (أي يعم نقيض سائر القيود لأن نقيض الأخص أعم من نقيض الأعم والأخص كالأخوين

والمركب وجودي يتوقف على وجود جميع الأجزاء. فلهذا كان للمركب فرد، وللمفرد أفراد⁽³⁸³⁾ ومن هنا⁽³⁸⁴⁾ يقال: "التخريب أسهل من التعمير⁽³⁸⁵⁾".

ثم إن المفرد اسم، وكلمة، وأداة. إذ منبع الوجود⁽³⁸⁶⁾ ذات وحركة⁽³⁸⁷⁾ ونسبة. فالذي يحكى عن الذات اسم، والذي يخبر عن الحركة فعل، والذي ينبئ عن النسبة حرف. وقد تتولد الحركة من الذات والنسبة. كما منهما الذات. وما يقع في الجواب⁽³⁸⁸⁾ منها مستقل وما لا غيره.

ثم إن حقائق الثلاثة متخالفة بالذات، متشابهة في التعبير. فالاستعانة تحت "الباء" وفي "أستعين". "ومن الاستعانة كالهواء والماء والجمد. أو كالماء والتراب والحجر. وإن من المعاني الحرفية ما لا وطن لها، بل كالسيّاح السّرّسريّ الطفيلي⁽³⁸⁹⁾ يتداخل في طيارات أخويه، وقد يتشربانه⁽³⁹⁰⁾. فإن عصرتهما تقطّر⁽³⁹¹⁾ بل تقطرت⁽³⁹²⁾.

فإن قيل: إن الحرف جسم لطيف هوائي، لا يقدر أن يأخذ معناه⁽³⁹³⁾. إذا أدلى دلوّه⁽³⁹⁴⁾

يقتسمان الأشياء بينهما فما نقص من حصّة واحد زاد بقدره من حصّة الآخر وما ضاق من واحد اتسع الآخر مثلاً الإنسان أخصّ من الحيوان). تقرير)

383 (ستة واقعا.. وواحداً وثلاثين عقلاً.

384 (هذه النكته.

385 (يعني أن فطرة كل إنسان وخلقته مائلة إلى الرياء وإراءة نفسه الخلق، وحريص عليه يطلبه من ما أمكن. ولشدة حرص بعض إياه. وأن التخريب اسهل لكثرة طرقه، إذ يوجد بعدم كل جزء يرى نفسه بذلك، وإن لم يكن وصفاً حسناً. والبعض صاحب الثروة يرى بالتعمير. فاسمع واعمل به فإنه درس الأخلاق). تقرير)

386 (وفي لسان الحكمة؛ صلب ومائع وهوائي.

387 (أي صفة.

388 (أي الاستفهام.

389 (هو الذي يتبع المدعويين بدون دعاء الداعي. كأننا ندعو ألفاظاً مخصوصين بمعانيها .

وتلك المعاني الحرفية تتبعها بغير دعائنا). تقرير)

390 (أي الفعل والاسم تلك المعاني.

391 (أي معنى كأن تضمن قصيدة واحدة تحسراً أو تمدحاً مثلاً). تقرير)

392 (أي معانٍ.

393 (مع أنه من الدوال اللفظي الوضعي.

394 (في قلب القلب.

رجع بابساً⁽³⁹⁵⁾ فيكون عاجزاً عن الإدلاء والدلالة؟

أجيب⁽³⁹⁶⁾. بأن العجز من عدم قابلية المحل، لا يدل على نقصان قدرة الفاعل.

ثم المركب إما ناقص⁽³⁹⁷⁾ أو تام، يصح سكوت المتكلم عليه⁽³⁹⁸⁾ بالنسبة لأصل المراد⁽³⁹⁹⁾ والتام إما خبر أو إنشاء، وهما كالعلم الفعلي والانفعالي. ففي الأول الذهن مبدأ معدّي،⁽⁴⁰⁰⁾ أي علة [للخارج. أي يتوقف وجود الخارج على عدمه، وهو المعلول، كما يتوقف على وجوده. وفي الثاني بالعكس، أعني⁽⁴⁰¹⁾ الخارج مبدأ،⁽⁴⁰²⁾ مقارني⁽⁴⁰³⁾ فالإنشاء كالأول،⁽⁴⁰⁴⁾ فلا يتقابلان حتى يقع الارتباط بينهما بالصدق والكذب. وما يتصور بعد الخارج⁽⁴⁰⁵⁾ شبيهه⁽⁴⁰⁶⁾ والخبر كالثاني فيحتمل الصدق، أي يدل عليه، لأنه تصديق. ويحتمل الكذب عقلاً، بناء على جواز تخلف المدلول عن الدال الوضعي⁽⁴⁰⁷⁾ والمراد أن محصل القضية⁽⁴⁰⁸⁾ يحتمل الصدق لفظاً، والكذب عقلاً.

³⁹⁵ (أي بدون معنيّ).

³⁹⁶ (أي لا يلزم عجز الحرف من عدم أخذه معناه. إذ المعنى ليس قابلاً لصفة الحرف وحده إياها. إذ كونه هوائياً أكثر وأشد من الحرف تأمل! وأجيب بهذا عما يقال في حق الواجب: من أنه لا يقدر على جمع النقيضين مثلاً، تأمل! تقرير)

³⁹⁷ (وهو نسبي أو توصيفي. والأول أضافي ومزجي وهو تضمني وصولي.. الخ.

³⁹⁸ (بحيث لا ينتسب إلى القصور.

³⁹⁹ (لا باعتبار مطلوب السامعين.

⁴⁰⁰ (العلة المعدي هو أن يكون المعلول متوقفاً على وجود العلة وعدمه، كحركات الإنسان مثلاً. والعلة المقارني هو أن يكون المعلول متوقفاً على وجودها فقط كالشمس مثلاً. تقرير)

⁴⁰¹ (أي علة.

⁴⁰² (أي علة.

⁴⁰³ (للذهني.

⁴⁰⁴ (لا نفسه.

⁴⁰⁵ (أي الوجود.

⁴⁰⁶ (لما عدم، ومخترع ما وجد.

⁴⁰⁷ (أما الطبيعي والعقلي فلا يجوز التخلف منهما.

⁴⁰⁸ (أي روحه وهو: ج ب مثلاً. أو الموضوع محمول. أي مع قطع النظر عن لبسه البدهي وصورته الشخصية والدلائل الخارجية.

ثم الكل: إما حقيقة أو مجاز (409) ومن فوائده: التعظيم، والتحقير، والترغيب، والتنفير، والتزيين، والتشويه، والتصوير، والضبط، والإثبات، والإقناع، ومطابقة تمام المرام. [ومنه: المجاز المرسل. إن كانت العلاقة غير المشابهة مثل الحلول (410) والكون، والأول، والسببية، (411) والجوار، (412) والمظهرية وغيرها (414)] (413)

409 (أعلم أن المعنى الحقيقي في المجاز والكناية وأقسامهما لا يذهب بالكلية أصلاً بل إما متوضع عليها، أو جلّ أو جلد. وهو إما محال، أو ممكن موجود.. أو لا. أما في الكناية فهو مطلوب وجد، فلا بد من الإمكان. إذ المحال لا يكون مطلوباً، لكنه تابع للمكنى به، أي كحجاب شفاف يتصورها، فينقل إلى المكنى إليه فلا يلزم وجوده. إذ الممكن يتصور، وإن لم يكن موجوداً. مثلاً: قلت: زيد كثير الرماد وطويل النجاد... فإنهما كنايةتان عن السخاوة وطول القد. والحال أنه لا رماد ولا سيف له في الواقع. لكنهما ممكنان.

وأما في المجاز فلا بد أن يتصور.. ليتصور سلسلة الخارجي، ويمرّ فيه إلى إيصال المعنى المتجاوز إليه، كأمطرت السماء نباتاً مثلاً، وقس عليه. فيجوز أن يكون محالاً، إذ يتصور. لأنه غير مطلوب من حيث هو معنى بل لفائدة البلاغة فقط، فهو صورة. وفي الاستعارة ليس. فهو متخيل لفانديتها أيضاً.

واعلم أيضاً أن المعنى الغير الحقيقي للفظ لابد أن يكون مطمحاً للنظر، ومقصوداً من الكلام باعتبار قصد المقام. مثلاً كالسخاوة لكثرة الرماد، والشجاعة للأسد، والعين للرقيب، والأذن للجاسوس وقس. فننتقل من المعنى الحقيقي للفظ إليه سواء كان تابعاً له حقيقة كمن كثرة الرماد) بأن قلت: "زيد كثير الرماد" وانتقلت منه إلى السخاوة.. (أو اعتباراً كمن السخاوة). أي بأن كان المقصود من المقام الثابت كثرة الرماد لزيد مثلاً.. وإعلام المخاطب إيّاه بالكناية فنقول: "زيد سخي" (باعتبار المقام فتكون كناية. أو كان متبوعاً حقيقة؛ كمن الأسد مثلاً. أو اعتباراً كمن العين والأذن مثلاً. فيكون مجازاً. ولكنه قليل في الاستعارة أي الانتقال من المتبوع الاعتباري إلى التابع الاعتباري، قليل. والغالب من الحقيقي.

أما المشهور فهو: أن في المجاز قرينة مانعة من الحقيقي دون الكناية. وإن المجاز استعمال في اللازم دون الكناية بل هو في كالألزام فاحفظها أي غلام) أوه قرناً سيديّاه (جملة كردية من الملا حبيب تعني: هذه هي ميزة الأستاذ). [تقرير)

410 (كهم في رحمة الله أو في الجنة.

411 (كأسنام الإبل في السحاب.

412 (كالراوية.

413 (هذه منابع فادخل المثل. تأمل .

414 (ومتن الكلنوبي ص 4 س 20 هو: "والمجاز إن كان بغير علاقة المشابهة مثل الحلول والسببية والجوار أو العموم..."

ومنه [الاستعارة التمثيلية (415): كاستعمال الأمثال المضروبة في أشباه معانيها (416)]
ومن التمثيلية صور الكلام وأساليبه المحتشمة أو كناية، وهي إما في الصفة (417) أو
الموصوف (418) أو النسبة (419).

والانتقال (420) من التابع (421) إلى المتبوع كذلك كنايةً. ومن المتبوع - حقيقة أو اعتباراً -
إلى التابع كذلك مجازٌ (422) وكلاهما أبلغ، إذ هما كإثبات المدعى بالدليل...

ثم إن المعنى الحقيقي لكونه مطلوباً في الكناية لا بد له من الإمكان. ولكونه تبعياً
كالحرف لا يلزم أن يوجد ...

وفي المجاز (423) لكونه متصوراً لفائدة (424) البلاغة فقط، غير مطلوب من حيث هو

415 (لم يتعرض للمجاز العقلي تقليداً بالمتعلق.

416 (مع فرق طفيف مع متن كلنوي ص 4س. 22.

417 (ككثير الرماد وعريض القفا.

418 (كعريض الأظفار.

419 (كان الساحة... الخ.

420 (بيان الفرق بين المجاز والكناية باعتبار غير المشهور .

421 (حقيقة أو اعتباراً.

422 (كرأيت أسداً. فالانتقال من الأسد وهو المتبوع الحقيقي إلى الشجاع وهو التابع الحقيقي .

(تقرير)

423 (اعلم أن المعنى المجازي لا بد أن يكون مقصوداً من الكلام ومطمحاً للنظر، أما كان

الحقيقة يقال، باعتبار أنه مدار الحكم؛ كالأذن للجاسوس والعين للرقيب.

والفرق هو: أن الانتقال من الحقيقة تابعاً أو متبوعاً إلى مثله - كذلك ظاهر كالانتقال من

الأسد إلى الشجاع في الاستعارة، ومن الأصابع إلى الأنامل في المرسل، ومن كثير

الرماد إلى السخاوة وقس!!

وأما الانتقال من التابع أو المتبوع اعتباراً إلى مقابلتها.. كذلك فباعتبار المقام، بأن كان

التابع الحقيقي مقصوداً من الكلام ومداراً للحكم؛ كالشجاع في الاستعارة، والأنامل في

المرسل، والسخاوة في الكناية. فنقول: " رأيت شجاعاً وأنا ملهم في أذانهم، وزيد سخي ..

وتريد منها الأسد والأصابع وكثرة الرماد لتكون الأمثلة على تمامها. وإلا فيتداخل أمثلة

الأقسام. ولكن الغالب في الاستعارة والكناية من الحقيقي إلى مثله. أما في المجاز فكثير .

(تقرير)

424 (في المرسل ..ومتخيل في الاستعارة.

معنى فلا بد فيه من قرينة مانعة⁽⁴²⁵⁾ للمعنى الحقيقي عقلاً أو حساً أو عادة.. ومن قرينة معيّنة للمراد، وقد تتحدان⁽⁴²⁶⁾. وفي الكناية من قرينة منقلبة ومعينة، وفي المشترك المعينة فقط.

[فصل في الكلّي والجزئي⁽⁴²⁷⁾]

[إذا علمت شيئاً يحصل في ذهنك منه صورة،⁽⁴²⁸⁾ وهي من حيث قيامها بخصوصية ذهنك علمٌ. ومع قطع النظر عن هذه الحيثية معلوم ومفهوم. فذلك المفهوم بمجرد النظر إلى ذاته - إن لم يجوز العقل اتحاده مع كثيرين⁽⁴²⁹⁾ في الخارج⁽⁴³⁰⁾ فهو جزئي حقيقي

⁴²⁵ (وهو يكون منقلبة).

⁴²⁶ (بل تتحد).

⁴²⁷ (المفرد والمركب قسمان. للفظ أولاً وبالذات، وللمعنى ثانياً وبالعرض. والكلّي الجزئي بالعكس). تقرير)

⁴²⁸ (اعلم أن الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل باعتبار تكيف الذهن واتصافه بها) أي بالصورة (علم). يعني كما أن المرأة بئجزة) أي نافذته (عالم المثال بملكه قطعة زجاج كالقرطاس؛ فيزين ويتكيف نفسه وصورته بأي لون من أي شيء قابلته. وبملكوته واسع وعميق ترسم الأشياء الغير المتناهية فيه، فيكون ظرفاً لها.. كذلك الذهن بئجزة عالم الغيب بملكه موجود الخارج. لأنه قطعة لحم من البدن، إما في الرأس أو الصدر، يزين ويتصف ويتكيف بلونه المأخوذ من الأشياء.. وبملكوته واسع الخ. (وباعتبار مطروفيته لها معلوم) أي بالصورة (ومفهوم ومدلول ومعنى ومسمى ومعقول ومقصود لترادفها. وهو) أي المعلوم (موضوع هذا العلم، فلزم البحث عنه، فهو قسمان: جزئي وكلّي... وذكر الجزئي في المنطق استطرادي، لأنه يبحث عن المضبوطات. والجزئي لكونه غير متناهي ومتغيراً أحواله، غير ثابت. فلا يفيد الكمال) يعني النقطة والدرجة المقدرة للإنسان هو الكمال الحكمي، وهو التشبه بالواجب. والحكماء يعبرون عنه بالتشبه بالمبادي العالي.. الخ. ونحن" باللوح المحفوظ "أي إن الإنسان ككاغد بيض قابل للارتسام. (الحكمي، المعبر بالتشبه بالمبادي العالي والعقول العشرة) وهم الملكة العظام (المائل إليه) أي الكمال (إليهم كل النفوس التي تكون خريطة للعالم. وإنما ذكر) أي الجزئي (لأن الأشياء إنما تعرف بأضدادها. لأن الأمور النسبية كالحسن والشجاعة مثلاً لا توجد ولا تتصور بدون تصور القبح والجبانة.

⁴²⁹ (قوله: اتحاده مع كثيرين.. الخ (أي اشتراكه - كما عبر به كثيرون ..

إن قيل: إن كان المراد بالاشتراك التجزّي يلزم أن لا يوجد الكلّي بكله في جزئياته. وإن كان الاشتراك بكله مع كل جزئي، يلزم ثبوت الشيء الواحد في أمكنة متعددة في أن

واحد. وإن كان الاتحاد مع كل جزئي، يلزم اتحاد الجزئيين في الخارج بالواسطة..؟) لأن متحد المتحد متحد)

قلنا: المراد اشتراك الجزئيات فيه) أي في الكلي (تخيلاً واتحاده معهن. وهما كمطابقة روابط المركز إلى نقاط الخط المحيط له) أي المركز. (أو كتساوي نسب موزونات الحقّة. أي) تفصيل للاشتراك (كأن- فرضاً- أن تلبس نقطة المركز أو الحقّة لبس نقطة من نقاط المحيط أو الموزونات، أو) تفصيل للاتحاد (انتقل المركز من موضعه وسار في رابطة نقطة يصير عند الوصول نفسه وعينه. وبقاعدة: الحقائق لا تتحد) ولا العبث في الأشياء (فإن الكليات متقررة في أذهاننا، وكلاء فيها للجزئيات. كما أنهنّ نواب لها في الخارج، وهما متغايران ذاتاً، فلا تتحدان. فإذا قربنا الجزئيات بالملاحظة منهّن يفنين، فنظن أنها متحدا، وليس كذلك. فاشترك الجزئيات فيه خيالي. واتحاد الكلي معهنّ وهمي، والتجزّي مردود .

والكليّ قسمان :

ممتنع أفراده، كشريك الباري بل كلّ المحالات ونقائص الأمور العامة لإجماع النقيضين (على فرض الأفراد (بوصول الشينية للثاني) لا للأول وهو شريك الباري) وممكن أفراده، لا يقال: إن الواجب داخل فيه، فكيف يقابل الممتنع. مع أن سلب الضرورة من جانب فيهما. لأن) علة للنفي (للممكن بالإمكان العام ثلاث صور: سلبها من جانب الوجود، ومن جانب العدم، ومطلقاً. فالممتنع من الأول، والواجب من الثاني، والثالث غير معتبر، وهو) أي الممكن (قسمان أيضاً:

معدوم أفراده في الخارج كالعنقاء. بل كلّ شيء مخالف للعادة الجاري) بين الكائنات (ولقانون العالم. لأن) علة العدم (شرائط الحياة لا تساعده .

وموجود. وهو قسمان :

إما الموجود واحد مع امتناع الغير- كواجب الوجود-، أو إمكانه- كالشمس- لأن لكلّ ماهية في الذهن تعين وهوية.. وفي الخارج تشخص وهديّة. فإذا فرضنا الأفراد للأول في الخارج تعلق بها تشخصه، وهو لازم الماهية فيه، فتتعلق به أيضاً، فيصير المفروض نفس الموجود. فلم يحصل المراد. وإذا فرضنا للثاني تعلق بها تشخصه، وهو كاللازم فيكون ممكناً، ولكن بموافقة انتظام عادة الله وعدم العبث في خلق الأشياء لا توجد، لاستغناء نظيره عنه .

أو متعدد محصور، كالكوكب السّيارة. وليس المثال للكلي بل مصداقه. والكلي يوناني ليس في العربية مرادفه. وكل ما نسب للعالم العلويّ كذلك. بل بعض مصنوعات النفوس الناطقة لقلة الأسباب المشخصة لها .

أو متعدد غير محصور عندنا، وغير متناهي عند الحكماء. وذلك لتعدد الأسباب المشخصة لها). تقرير)

(430) (قوله: في الخارج (...). احتراز عن زيد إذا تصوّره جماعة. لأن المراد اشتراك الذهنيّ الظليّ في الخارجيّ الأصليّ، لا العكس،) وهو اشتراك الخارجي في الذهنيّ، أو الذهنيّ

ك"زيد المرئي .."وإلا فكلي. سواء امتنع فرده في الخارج كشرية الباربي تعالى واللاشيء، ويسمى كلياً فرضياً، أو أمكن ولم يوجد كالعنقاء أو وجد الواحد فقط مع امتناع غيره كواجب الوجود، أو مع إمكانه كالشمس .. أو وجد متعدد محصور كالكواكب السيارة . أو غير محصور كالإنسان .. وذلك الاتحاد هو معنى حمل الكلي على جزئياته مواطأة وصدقه عليها. إما في الواقع، إن كانت الجزئيات موجودة فيه .. أو في الفرض؛ إن لم توجد إلا في مجرد الفرض⁽⁴³¹⁾]

ومعنى الحمل: هذان المفهومان المتغايران في الذهن، متحدان في الخارج .

والكلي⁽⁴³²⁾ المحمول⁽⁴³³⁾ بحمل المواطأة يعطي موضوعه أي أفراد، حدّه واسمه . ويتحد به عند الرازي . والكلي بخلافه . فحمل الجامد⁽⁴³⁴⁾ والموصوف⁽⁴³⁵⁾ مواطأة

في الذهني، تأمل...!)

والفرق بين الجزئي الحقيقي والكلي الفرضي: أن الثاني فرض ممتنع بالإضافة، أي الفرض ممكن والمفروض ممتنع. كباب مفتوح في موضع غير ممكن الوصول إليه والأول بالتوصيف، أي الفرض ممتنع كالأفراد من حيث له. كباب مغلق في موضع ممكن الوصول إليه لا الدخول. وإنما ذلك، لأن على تقدير الإمكان يجتمع الضدان لأن الفرض مستلزم وجود المفروض في الذهن. ويستلزم عدم التشخص في الخارج للجزئي . وهو جزء الجزئي الموجود في الخارج. وعدم الجزء مستلزم لعدم الكل، فاستلزم الفرض وجود الشيء) وهو الجزئي في الذهن (وعدمه بالواسطة وهو محال). تقرير)

⁴³¹ (كلنبوي ص 5س.15)

⁴³² (قوله: والكلي بحمل المواطأة... الخ (اعلم أن الحمل قسمان: اشتقاق، وهو أن يحتاج المحمول في صحة الحمل إلى قيد زائد، بل مشتقه يحمل صحة كحمل المصادر على موصوفاتها ك(هدى للمتقين). مثلاً. أي ذلك ذو هدى، يعني نفس نور الهداية المجسمة .. ومواطأة، وهي اتحادي. أي هو هو حقيقة، أو ادعاء كحمل الحدود على المحدودات . وبالعكس، لكنه قليل. والموصوفات على صفاتها كالناطق زيد. واشتمالي، أي هو تحته لعمومه، كحمل المشتقات على موصوفاتها ك"زيد ناطق أو عالم" مثلاً. لكن الرازي لم يجعل الاشتمال قسم المواطأة بل قسيمه. فالأقسام عنده ثلاثة، يجعل المواطأة اتحادياً .. وسيداً أي الأستاذ (على مذهبه. قرر تعليقه هذه فاحفظ). تقرير). (المقصود ب"سيدي" بديع الزمان. (أجير

⁴³³ (على جزئياته.

⁴³⁴ (كسائر الحدود على المحدودات.

⁴³⁵ (على صفاتها، نحو القائم زيد.

وغيرهما إما اشتقاق⁽⁴³⁶⁾ أو اشتمال⁽⁴³⁷⁾.

ثم المحال فرضي لا يتصور بذاته، بل بنوع تمثيل⁽⁴³⁸⁾. وليس بوجود⁽⁴³⁹⁾ ذهني.

[ثم الكليّ إن ثبت لأفراده في الخارج ولو على تقدير وجودها فيه، فهو معقول أول .
سواء ثبت لها في الخارج فقط، كالحارّ للنار⁽⁴⁴⁰⁾]

إن قيل: يتصور مع النار وصف الحرارة، فتكون ثابتاً لها في الذهن أيضاً؟

أجيب: بأن الحرارة إنما تكون تابعاً وناعتاً إذا كانت عرضاً. والتي في الذهن صورتهَا، وهي جوهرية اسمية تجاور النار⁽⁴⁴¹⁾. والزوجية هويتها الأصلية بعينها تعرض للأربعة⁽⁴⁴²⁾ وصورتهَا⁽⁴⁴³⁾ كهوية الضياء للشمس⁽⁴⁴⁴⁾ ومثالها⁽⁴⁴⁵⁾.

[أو [ثبت] في كلّ من الخارج والذهن، كذاتيات الأعيان المحققة⁽⁴⁴⁶⁾] والمقدّرة ولوازمها.

اعلم أن كون ماهيات الأعيان المحققة من المعقول الأول، بناءً على قول من يقول إنها بعينها في الذهن. وأن الوجود الذهني ثابت⁽⁴⁴⁷⁾ وأن ما في الذهن مثال لا شبح. وأن تصرف الذهن في الوجود،⁽⁴⁴⁸⁾ لا في الماهية، فذاتياتها ولوازمها بعينها في الذهن]. وإن

436 () أي هو " ذو"، كسائر المصادر.

437 () كحمل المشتقات.

438 () أي لا يكون معلوماً إلاّ بنوع محاكاة.

439 () أي بوجود..

440 () كلنبوي ص 40س 24.

441 () الذهنيّ. أي هو مأخوذ من النار الخارجيّ، مستقلاً لا عارض للنار الذهنيّ.

442 () في الخارج.

443 () في الذهن .

444 () في الخارج.

445 () في المرأة.

446 () كلنبوي ص 5س 27.

447 () أي ليست رابطة بين العالم والمعلوم.

448 () والتشخص

ثبت لها في الذهن فقط، فهو معقول ثان⁽⁴⁴⁹⁾]

اعلم⁽⁴⁵⁰⁾ أن ما يعرض في الذهن إما لا دخل له في الإيصال⁽⁴⁵¹⁾ كالأمر العامة،⁽⁴⁵²⁾ في الكلام⁽⁴⁵³⁾ وهي الوجود، والوجود، والإمكان وغيرها. وإما له دخل في الإيصال. لكن ليس عنواناً للغير، كتعاريف الأمور العامة⁽⁴⁵⁴⁾. وإما موصل وعنوان فهو المعقول الثاني المنطقي، كمفهوم القضية والقياس وغيرها. ومفهوم الكلّي المنقسم إلى الكليات الخمس المنطقية، العارض للماهية المنقسمة إلى الخمسة الطبيعية.. ومجموع العارض والمعروض [إلى الخمسة العقلية]. ولا شيء من هذه الكليات بموجود في الخارج لاستحالة الوجود الخارجي (بدون التشخص⁽⁴⁵⁵⁾) [وما قيل⁽⁴⁵⁶⁾]: إن جزء الموجود⁽⁴⁵⁷⁾

449 (كـلـبـوي ص 6س. 1)

450 (تفريق لأقسام المعقول الثاني.)

451 (إلى المجهولات.)

452 (المبحث)

453 (والحكمة.)

454 (وكتعارف الاسمية لمصطلحات المنطق التي تعرضها ويتوضع عليها المنطق الحرفي .
تقرير)

455 (كـلـبـوي ص 5س. 10 وهو ضد الكلّي المشترك.)

456 (أي اختلف فيه. فقيل: إن الكلّي المنطقي موجود فيه لأنه موجود في الذهن، والذهن موجود في الخارج. فينتج أنه موجود في الخارج. كما أنّ الدرة في الحقة الخ.. وليس كذلك، لعدم تكرار الأوسط في قياسه. لأن لكل شيء ملكاً وملكوتاً، وللذهن أيضاً كذلك. فالشيء في ملكه علم، وفي ملكوتيته معلوم. فيتكرر الأوسط في الأول دون الثاني. مثلاً تصور درة زجاجة رقيقة، فالسما بمسافتها الطويلة مرتسمة في ملكوته، والذرة بملكه داخلة في حبة خردل فتأمل!..)

فإن اعتبرت الكلّي المنطقي من قبيل الأول، فموجود في الخارج.. وإلا فليس بموجود فيه. وهو الأصح. ثم ذهب المشائيون والمتأخرون- كما يأتي -إلى وجود الطبيعي. وتفصيله: أن الأفكار في أنواع الأشياء ثلاثة. أحدها لأهل السنة: هو أن لكل نوع ملكاً مسلطاً عليه بأمر الله يتصرف فيه، ليس له طبيعة مؤثرة.. والثاني للإشراقيين: هو أن لكل نوع رباً يتصرف في مشخصات ذلك النوع، وتستمد الأفراد منه. وهو موافق لذلك النوع بل متحد معه. لو تلبس لبس مسلطه كان عينه. والثالث للمشائيين: هو أن لكل نوع ماهية مجردة موجودة في الخارج، منشأ ومرجع للمشخصات، وهي طبيعة مؤثرة فيها. وأما المتأخرون فقاموا وذهبوا إلى وجود الطبيعي في الخارج. ولكن لا بما قالوا، بل أثبتوا بدليل نظري. وهو أنه جزء الموجود، وجزء الموجود موجود. والجواب المذكور. تقرير)

موجود؛ (458) فالمراد حيث كان جزءاً، أي في الذهن فإن الذهن (459) هو الذي يفصل ويشرح ويكثر ما اتحد وامتزج في الخارج.

اعلم أن المصطلحات (460) في العلوم لها حقائق اعتبارية لا وجود (461) لها في الخارج .

457 (الخارجي).

458 (في الخارج).

459 (لا يقال: يلزم التغاير بين الخارجي والذهني، لأن الذهن يفصل الخ.. أي تصرفه فيه بالتفصيل لا يكون كذباً). تقرير

460 (اعلم أن مصطلحات المنطق عنوان للأفراد كالزجاج والمرأة، وموصل، كما مرّ. إما بالذات باعتبار نفس تلك الآلة، لأنها تصل ذلك بواسطة قراءتها. أو بالواسطة، باعتبار أنها تكون بمرتبة، أو بمراتب جزء الموصول. وأن المنطق من حيث هو آلة تبعي حرفي هوائي واسع، وقد تكون اسماً طبيعياً. فإذا يخرج منه كالطيور ويتوضع عليه. فلا يرد أنّ الكلي في تعريف الكليات الخمسة جنس ذاتي لها، وهو مقيد. فيكون أخص من المعرف المطلق، فيلزم وجود الأعم وهو المعرف بدون الأخص وهو كونه جنساً وهو محال. لأن ما يقوم به هو الأجزاء. فيعدم جزء منه يكون معدوماً.

إذ الاعتبار مختلف؛ فباعتبار أنه توضع وعمّ جزئيات المعرف وغيرها جنس وجزء أعمّ، فلا إشكال؛ وباعتبار أنه خرج من الطبيعي الاسمي الحرفي وتوضع مقيداً خصّ وليس بجزء، فإنه بهذا الاعتبار مدعيّ. كونه ابن ابن ابن ابنه. أو أب... الخ. لأنه خرج منه الجنس وتوضع عليه وهو جنس الجنس، وهو نوع جنس الكليات، وهو نوع الجنس المطلق، وهو نوع الذاتي، وهو نوع الكليّ ففصل..!

واعلم أن تفسير الكليّ في تعريف الكليات بمقول على كثيرين، لئلا يتوهم أن الجنس ينحصر في النوع، كالنوع في الشخص، يعني أن المقول أخص، وكرر في الكلّ للطرد. ثمّ اعلم أنّ النوع متى ضاق حتى تجسّم وثبت، ازداد كمال النوعية وتكون حقيقياً. ومتى اتسع وانتشر، تخرج من طبيعته. ولذا يكون إضافياً. وأن الجسم متى اتسع وانتشر حتى يكون هواء وعدماً، ازداد في كمال الجنسية. فيترتبان: النوع نزولاً والجنس صعوداً، مراعاة لطبيعتهما. فانقسمتا ثلاثة ثلاثة: النوع العالي، ويسمى نوع الأنواع أيضاً، وهو ما ليس فوقه نوع، والمتوسط ما فوق وتحتة نوع، والسافل ما ليس تحتة نوع. والمفرد (كالعقل إن قيل: الجوهر جنسه وما تحتة أفراد) ما ليس فوقه ولا تحتة نوع، والجنس كذلك، جنس السافل والمتوسط. وجنس الأجناس، والجنس المفرد) كالعقل إن قيل الجوهر ليس جنساً له وما تحتة أنواع منحصرة في الشخص.

لا يقال النوع جنس لهذه الأربعة. وكذا الجنس. والحال أن غير المتوسط عدمي المفهوم، فلسن بوجود. لأن السلب من الأمور النسبية، اعتباري متجدّد، لا يكون من أجزاء الحقائق التي لا تكون إلا من الأمور الثابتة الموجودة. فيلزم انحصار الجنس في النوع. لأن كون الحقائق كذلك في الحدود التامة لا الرسوم. وهنا قد لفتّ عليها اللوازم فرسومها

لأن في الوجود الخارجي يتحد الجنس والفصل والنوع، بل يتجمد. وما صيروها فصولاً للمصطلحات، أعراض في الأغلب أو نسيي. فما في الخارج ليست أفرادها، بل الوجود في الخارج أو في الذهن معروض أو موصوف ما تسنبل عليها معانيها. فالمعقولات (462) الثانية ليست عبارة عن المصطلحات المنطقية، فإنها ليست بشيء في الحقيقة. بل في كل منها نكتة أو نقطة خفية تشكّلت عليها حقيقتها الاعتبارية للتفهيم. وذلك، معنى وعرض للأمور الذهنية، كالمعاني الحاصلة للخارجيات بواسطة أوضاعها وكيفياتها .

مثلاً: تخيل على الجدار نقطة بيضاء، وعلى محيط دائرتها نقطاً بيضاء وحمراء ! فانظر إليها كيف ترى؟ فإنك ترى نقطة عرضت له المركزية بسبب الدائرة. فهي صفة من مقول الوضع، وتتصور بسبب موافقة بياضها لبياضها المشاكلة، وهي صفة من مقول الوضع والكيف. فإن كانت حمراء فلها صورة أخرى وصفة أخرى . ونقطاً واحدة على جدار آخر، لها هذه المعاني والأعراض .

فما هيّة الإنسان في الخارج كالنقطة الواحدة وفي الذهن تعرّض لها نوع المركزية أو شبهها، وشبه المشاكلة .

فهذه معان تعرض في الذهن، تسنبل في خيال المنطقيين، فصيروها حقائق، فوضعوا لها مع ما التّف بها مصطلحات، صيروها موضوعات المسائل، يُشار بها إلى تلك المعاني. والمصطلحات كالمعاني الحرفية للمعقولات الأولى. وقد تصير كالاسم، فتصير طبابع فتعرض لنفسها كدود الحرير يخرج من ذاته ما يحيط به. وليس كعنوان الموضوع، فإن له دخلاً لا يذهب الحكم إلى الموضوع برأسه بل يسلم عليه، ثم يأذن له (463). أما

وذاتياتها موجودة في الخارج.
ثم اعلم أن النوع المفرد مباين لسائر الأقسام. وكذا الجنس المفرد، وكذا النوع السافل، وكذا جنس الأجناس وكذا بين الأنواع. وكذا بين الأجناس. فبقي الجنس السافل والمتوسط والنوع العالي والمتوسط. تقرير)

461 (لأنها ناشئة من اختيار البشر. وليس من حدّ جزء الاختيار خلق الأفراد). تقرير)
462 (أي فإذا كانت اعتبارية فكيف تكون مداراً للحقائق والأحوال. فالمعقولات.. الخ). تقرير)

463 (في الوقوع على أفرادها).

المعقولات الثانية فيحرك المحمول من جانب، حتى يقع على رأس الموضوع،⁽⁴⁶⁴⁾ فهو كـ"كل" في" كل إنسان" لا مفهوم" إنسان⁽⁴⁶⁵⁾."

مقدمة:

اعلم أن بيان النسب من أهم مباحث المنطق. فإن أفراد المسائل متفرقة ومنتشرة تضمّنت فيما بينها وتبطننت في تلافيفها صوراً بتمديد خطوط النسب؛ كتحصيل الصور الاثنى عشرية فيما بين نجوم المنطقة بتمديد الخطوط الوهمية الهندسية.. وكتحصيل القبائل والبطون والأفخاذ باعتبار نسب النسب فتأمل⁽⁴⁶⁶⁾!

واعلم أيضاً أن المنطق بعضه بدهيّ وبعضه نظريّ يكتسب من بدهيّه. فتأمل في كل باب ترّ السابق مقدّمة ومرجعاً لإثبات اللاحق.

[ثم الكليان إن كان بينهما تصادق⁽⁴⁶⁷⁾ في الواقع⁽⁴⁶⁸⁾ بالفعل⁽⁴⁶⁹⁾ كلياً من الجانبين متساويان، وكذا نقيضاهما]، ففي كل باب يستفاد نظريّة من بدهيّه. فالكليّان المتصادقتان في الواقع متساويتان بدهياً. ومرجع المساواة صدق قضيتين كليتين من الجانبين.

مثلاً: "كل إنسان ناطق، وكلّ ناطق إنسان.." وكذا نقيضاهما، مثل: "كل لا إنسان لا ناطق. وكل لا ناطق لا إنسان" هما أساسا التساوي. فصدق الأول من الثاني ثابت بكذب نقيضها؛ المستلزم المستلزم المستلزم المستلزم المستلزم المستلزم المستلزم المستلزم المستلزم المستلزم. وكذا لكذب البدهيّ وهو الثاني من الأول. وصدق الثاني من الثاني بكذب نقيضها اللامستلزم. وكذا لكذب البدهيّ وهو الأول من الأول. فاللازم باطل والمطلوب حاصل ...

⁴⁶⁴ (أ) أي أفراده.

⁴⁶⁵ (ب) يعني أن جنس الإنسان ليس الجسم، والفصل ليس الروح. بل الثانيان مأخذ للأولين .

⁴⁶⁶ يعني أن الجنس والفصل قد نشأ منهما. ثم توضع دفعة على الجسم) تقرير) ⁴⁶⁶ (إشارة إلى أنّ وجهه وسرّ تفاوت مراتب بعض العلماء على بعض، والكلام القديم على غيره من هذه النقطة). تقرير)

⁴⁶⁷ (لا تفارق وتحقق .

⁴⁶⁸ (أ) أي لا في تجويز العقل وبحسب المفهوم.

⁴⁶⁹ (أ) أي مرجعه موجهة بالإطلاق لا بالدوام كما في المتباينين..

[أو من أحد الجانبين فقط فأعم وأخصّ مطلقاً كالحَيوان والإنسان ونقيضاهما بالعكس كالحَيوان واللاإنسان⁽⁴⁷⁰⁾] أي نقيضاً الأعم والأخصّ بالعكس. يعني أن نقيض الأعمّ أخصّ، ونقيض الأخصّ أعمّ. أي تصدّق موجبةً كليّةً موضوعها نقيض الأعمّ.. وسالبةً جزئيةً موضوعها نقيض الأخصّ. أي مثلاً: "كلّ لا حيوان لا إنسان" صادق.. وإلّا لصدّق نقيضه الملزوم لنقيض القضية الصادقة المسلّمة، وهو "كلّ إنسان حيوان"، وملتزم الكاذب كاذب. وأيّ "ليس بعض اللا إنسان لا حيوان" وإلّا لصدّق نقيضه، وهو: "كلّ لا إنسان لا حيوان" المستلزم بعكس النقيض لـ"كلّ حيوان إنسان" وهو نقيض للسالبة الصادقة، وهو "بعض الحيوان ليس بإنسان". ونقيض الصادق كاذب، فملتزم الكاذب كذا..

[أو تَفَارُقٌ دائم كليّاً من الجانبين، فمتباينان كليّاً.. كالإنسان والفرس، وكعين أحد المتساويين مع نقيض الآخر، وعين الأخصّ المطلق مع نقيض الأعمّ ..

وبين نقيضهما مباينة جزئية، هي أعمّ من المباينة الكلية، كما في نقيضي المتناقضين "كالإنسان واللاإنسان"، ومن العموم من وجه، كما في نقيضي المتضادّين) كالسواد والبياض (وأمثالها، فبين النقيضين التباين الجزئي هو النسبة، لأنه الدائمي وهو كالجنس اللازم للتباين الكلي ..⁽⁴⁷¹⁾] والعموم من وجه اللّذين يختص كلّ منهما ببعض الموادّ .

والتباينُ الجزئي، مرجعه سالتان جزئيتان. أما صدقهما، فلمناقضة عكس نقيض نقيضيهما للقضيتين الصّادقتين في العينين .. مثل بعض اللاإنسان ليس بلا فرس؛ وإلّا فكلّ لا إنسان لا فرس. وهو ينعكس بعكس النقيض إلى "كلّ فرس إنسان"، وهي ضدّ لـ"لاشيء من الفرس بإنسان". وقس عليه أخاه⁽⁴⁷²⁾.

فتثبت بالخلف التباين الجزئي. وأما عدم صدق التباين الكليّ والعموم من وجه، فبالتخفّف. لأنه لا يوجد في موادّه. وبالعكس. وقرس على هذا، نقيض العموم والخصوص

⁴⁷⁰ (كلنبوي ص 4س. 24)

⁴⁷¹ (كلنبوي ص 6س. 26)

⁴⁷² (وهو بعض اللافرس ليس بلا إنسان.)

من وجهٍ .. والشخصيةُ في قوة الكلية .

[وإن لم يكن بينهما تصادقٌ، ولا تفارق كليان، بل جزئيان من الجانبين . فأعم وأخصّ من وجه (473). وبين نقيضيهما مباينة جزئية، هي أعمّ أيضاً . إذ بين نقيضَي مثل الحيوان واللائسان مباينة كلية . وبين نقيضَي مثل اللائسان والأبيض عموم من وجه . والجزئي الحقيقي (474) أخصّ مطلقاً من الكليّ الصادق عليه . ومباين لسائر الكليات . وأما الجزئيان : فهما إما متباينان كزيد وعمر . وإما متساويان، كما إذا أشرنا إلى زيد بهذا الضاحك، وهذا الكاتب . فالهذبتان متصادقتان متساويتان .. هذه هي النسب الأربع بحسب الصدق والحمل (475)]

[وقد تعتبر تلك النسب بحسب الصدق (476) والتحقق باعتبار الأزمان والأوضاع، لا باعتبار الأفراد، بأن يقال : المفهومان، (477) إن كان بينهما اتصال كليّ من الجانبين؛ بأن يتحقق كلّ منهما مع الآخر في جميع الأزمان والأوضاع الممكنة الاجتماع معه (478) فمتساويان كطلوع الشمس ووجود النهار، أو من أحد الجانبين فقط فأعم وأخصّ مطلقاً (479). وإن كان بينهما افتراق كليّ من الجانبين بأن لا يتحقق شيء منهما مع الآخر في شيء من الأزمان والأوضاع، فمتباينان كلياً (480) وإلا فأعمّ وأخصّ من وجه (481).

473 (كالإنسان والأبيض وكعين الأعمّ المطلق مع نقيض الأخصّ).

474 (قوله: "والجزئي الحقيقي .. الخ" النسب فيه اثنان : إما العموم المطلق، ومرجعها شخصية موضوعها الجزئي، أو التباين ومرجعها شخصيتان سالتان . ونسب الجزئيتين أيضاً كذلك : إما التباين ومرجعها كما مرّ . أو التساوي ومرجعها شخصيتان موجبتان . والحال أننا قلنا : إن مرجع التساوي والتباين كليتان والعموم المطلق كلية مع جزئيتين . والجواب مقدم . وهو أن الشخصية في قوة الكلية بدليل أنّها تكون صغرى الشكل الأول). تقرير)

475 (كلنبوي ص 7... 9)

ومرجعها :فضايا حملية موجبة . والجهة هنا الإطلاق في الموجبة والدوام في السالبة.

476 (فالصدق في الأول يتعدى بـ "على" وهنا بـ "في".

477 (أعمّ من أن يكون فضايا أو مفرداً.

478 (أي اجتماع الأوضاع مع اتصال التالي للمقدّم.

479 (كإضاءة المسجد وطلوع الشمس.

480 (كطلوع الشمس ووجود الليل..

وهذه هي النسب المعتمدة بين القضايا (482) [وما يفيد أدوات الشرط من الأزمان، "كمتى". "والأمكنة" كأين". "والأوضاع والأحوال" ككيف "والكيفيات" ككيفما "في حكم الأفراد...]

والنسبة إما حمليّ- كما مرّ - وإما وجودي. ومرجعها قضايا شرطية متّصلة (483) وكلّيها وجزئيّها باعتبار ما يدل عليه أدوات الشرط الكلّيّة من الأوضاع، ولو كانت محالاً، بشرط الاجتماع (484) مع اللزوم (485). وإلا لكذب كلّ كليّة من الشرطيات .

وما يناسب هذا المقام المغالطة المشهورة على إنتاج الشكل الثالث؛ بـ"كلما تحقق النقيضان تحقق أحدهما. وكلّما تحقق النقيضان تحقق الآخر"، فينتج أن يكون إذا تحقق أحد النقيضين تحقق الآخر. وهذه النتيجة تفيد ملازمة بين النقيضين وهو محال؟

والجواب: إن أردت بأحدهما (486) وحده، فالصغرى (487) كاذبة، ومع الآخر فالنتيجة صادقة (488) غير مطلوبة (489). لأن الشرطية اللزومية تنظر إلى اللزوم، سواء كانا موجودين (490) أو محالين.. وموجبتيّن أو سالبتيّن. وفي الاتفاقية الخاصّة صدق الطرفين (491) وفي العامة صدق التالي فقط. فالاتصال (492) والافتراق في اللزوميات والعامة يكفي بحسب الفرض.

[واعلم أنّ بين المفهومين مفردين كانا، أو مركبيّن، أو مختلفين نسباً أخرى بحسب

481 (كطلوع الشمس وهبوب الريح.

482 (شبيهه بمنن كلنبوي ص 7س. 11

483 (أي لا منفصلة ولا موجّهة.

484 (أي اجتماع الأوضاع.

485 (أي لزوم التالي للمقدم.

486 (في الصغرى.

487 (لعدم اللزوم.

488 (والمقدّماتان صادقتان لوجود اللزوم.

489 (كأن يقال: كيف يكون صادقاً، مع أن المقدمتين محالان؟ فأجاب): تقرير)

490 (أي الطرفين.

491 (لا اللزوم.

492 (أي اتصال التالي للمقدّم وافتراقه منه.

تجوز العقل بمجرد النظر إلى ذاتهما، مع قطع النظر عن الخارج عنهما. وتسمى نسباً بحسب المفهوم. بأن يقال: إن تصادقا بحسب ذلك التجوز كلياً من الجانبين، فمتساويان، كالحَدِّ التَّام مع المحدود. أو من أحد الجانبين فقط. فأعم وأخصّ مطلقاً، كالحَدِّ الناقص مع المحدود، وإن تفرقا كلياً من الجانبين. فمتباينان كلياً كالمتناقضين؛ نحو "الإنسان واللإنسان". "وإلاً فأعمّ وأخصّ من وجه؛ كالإنسان مع الضاحك أو مع الماشي⁽⁴⁹³⁾].
[تنبيه:

قد يطلق الكليّ على الأعمّ، والجزئيّ على الأخصّ⁽⁴⁹⁴⁾ ويسمّيان كلياً وجزئياً إضافيين فكلّ جزئيّ حقيقيّ، جزئيّ إضافيّ بدون العكس؛ كما في كليّ أخص من كليّ آخر. وأما النسبة بين الكليّ الحقيقي والإضافيّ فبالعكس. لأن الكليّ الإضافيّ أخص مطلقاً من الحقيقيّ.

فصل في الدّاتيّ والعرضي⁽⁴⁹⁵⁾]:

الدّاتية والعرضية باعتبار الوجود،⁽⁴⁹⁶⁾ كما في الجوهر والعرض،⁽⁴⁹⁷⁾ والاسم والحرف ..

وباعتبار السبب إن كان دائماً⁽⁴⁹⁸⁾ أو أكثرياً ذاتي، وإلاً فعرضيّ .

وباعتبار الحمل إن كان الموضوع موضوعاً بالطبع⁽⁴⁹⁹⁾ كالجزئيات⁽⁵⁰⁰⁾

⁴⁹³ (ككنبوي ص 8س. 1-8)

⁴⁹⁴ (أي هو كل أخص تحت أعمّ، سواء كان ذلك الأعم ذاتياً له، أو لا، أي كان فوقه شيء أعمّ مطلقاً، فلا ينافي أعميّة الحقيقي من الإضافي بذات الله عزّ وجل، بأن يقال: إن ليس فوقه أعمّ من لوازمه فلا يكون أعم. إذ فوقه الموجود والممكن العام). تقرير)

⁴⁹⁵ (ككنبوي ص 8س. 8)

⁴⁹⁶ (الخارجيّ).

⁴⁹⁷ (والذهنيّ).

⁴⁹⁸ (أي إن كان ترتب المسبب على السبب دائماً أو أكثرياً فالسببية ذاتية، كالموت على قطع

الحلق ورمي النّيفك] أي البنديقية. وإلاً فعرضيّ كالموت على الحمى). تقرير)

⁴⁹⁹ (وكذا المحمول).

⁵⁰⁰ (إذا حملت عليها كليّاتها).

والذوات (501) إذا حملت عليهما صفاتها. ومن هنا (502) الاحتياجُ إلى الأشكال الثلاثة، (503) والحمل بالمواطأة، والمحمول من طبيعة الموضوع، (504) والمحمول الأعمّ من الموضوع والمقوم له ودائم الثبوت له وبلا واسطة، أي ثبوته لذاته أو لأمر يساويه، فقد مرّ .
 وباعتبار المحمول ما يمتنع انفكاكه عن الشيء، (505) وما يمتنع انفكاكه عن الماهية .. أي ما يمتنع ارتفاعه عن الماهية في الذهن؛ كاليّن بالمعنى الأعمّ. وما يجب إثباته للماهية كاللوازم البيّنة بالمعنى الأخص. وكل من هذه الثلاثة أخص مما قبله ..
 وباعتبار الجزئيات فما دخل أو لم يخرج هو ذاتياً (506). لأنّ العلة في الوضع والاستعمال اللغوي تصير مرجحاً في المصطلح. فاللازم وجودها في الأكثر .
 [الكليّ (507) المحمول على شيء آخر كليّ أو جزئيّ، إن لم يكن خارجاً عن ذاته وحقيقته، فذاتيّ له. سواء كان عين حقيقته. كالحيوان الناطق للإنسان - أو جزءها المساوي لها، مميّزاً لها عن جميع ماعداها، كالناطق له. أو جزءها الأعمّ مميّزاً لها في الجملة، كالحساس والنامي، أو غير مميّز أصلاً كالجوهر والحيوان (508).. وإلاّ فعرض له سواء كان مساوياً لها، أو أخص (509) مميّزاً عن جميع ماعداها، كالضاحك بالقوة أو بالفعل. أو أعمّ مميّزاً لها في الجملة (510) أو غير مميّز أصلاً: كالشيء (511). جميع ذلك للإنسان.]

501 () أي فذاتيّ وإلاّ فعرضي.

502 () أي هذه النقطة يُعلم ويحصل الاحتياج .. الخ

503 () غير الأول.

504 () نحو الحجز متحرك في العلو.

505 () أي في الخارج.

506 () كأنّ قائلاً سئل: إذا فسّرت ما دخل بلم يخرج، دخل ما عينه كالنوع. فالنسبة في الذاتيّ

فيه إلى نفسه؟ فأجاب.

507 () أراد مطلقاً ليوافق الممثل التمثيل.

508 () لأنّ التمييز التفريق، يقتضي الاشتراك، وليس فوقه جنس حتى يشترك الإنسان معه

فيميّز عنه. وأما الاحتراز عن العرض فالإنسان مميّز بالذات عنه ليس بالجوهر. أما

الحيوان فهو باعتبار اشتماله على الجوهر، لم يبق موضع للاشتراك. والإنسان ممتاز من

أفراده باعتبار اشتماله على الفصول. وأما فصوله مستقلاً فيميّز الإنسان). تقرير ()

509 () مطلقاً.

510 () كالماشي .

[ثم الذاتي المشترك بين الجزئيات، إن اشتركت تلك الجزئيات في ذاتي آخر خارج عنه، فهو مشترك ناقص بينها، كالحیوان بالنسبة إلى أفراد الإنسان، حيث اشتركت في الناطق أيضاً. وكاناطق حيث اشتركت في الحيوان أيضاً.. وإلا فمشترك تام، كالإنسان بالنسبة إلى أفراد.. وكالحیوان بالنسبة إلى مجموع أفرادہ. فكل ذاتي مميز للماهية في الجملة فهو مشترك ناقص مطلقاً، ولو بالنسبة إلى أفراد نفسه. وكل ذاتي سواه فهو مشترك تامً بالنسبة إلى أفراد نفسه، وناقصٌ بالقياس إلى أفراد ذاتي أحص منه، إن وجد الأخص، كالحیوان(512)]

فاعلم أن ما يطلب به المجهول، " ما "الاسمي والحقيقي.. و"هل" البسيط والمركب.. و"ما" مع" هل" كزلزل.. و"ما" للقول الشارح، و"هل" للقضايا. و"أي" للوازم والذاتيات المميزة. و"لم" للقياس، ف"ما" يطلب الحقيقة. فإن قيل: الذاتي كلي وجري، فهو محمول وغير محمول.. وإن الجنسية والجزئية متنافيان؟.

أجيب: بأنهما متحدان بالذات، مختلفان بالاعتبار. فبشرط" شيء" يتضمن النوع. وبشرط" لاشيء" جزء ولا بشرط شيء جنس. وأجزاء الماهية. قيل: في الخارج متعدّد الوجود.. فالحمل للالتحام. وقيل: في الخارج مأخذها. وقيل: اعتبارات تختلف باعتبار العبارات والاعتبارات.

[وإن مطلوب السائل بكلمة" ما " عن الواحد تمام حقيقته المختصة به، بمعنى المختصة بنوعه، وعن المتعدّد تمام الذاتي المشترك بينها. فالسائل ب"ما هو" عن زيد طالب للإنسان.. وعن الإنسان طالب للحيوان الناطق. وب"ما هما"، أو ب"ما هم" عن زيد وعمرو، أو مع بكر طالب للإنسان أيضاً. وعن الإنسان والفرس طالب للحيوان. وعنهما وعن الشجر طالب للجسم النامي، ومع الحجر طالب للجسم.. ومع العقل العاشر طالب للجوهر.

511 (والممكن والموجود والمعلوم..)

512 (كلنبوي ص 8س. 19)

ومطلوبُ السائل بـ"أي شيء" ما يميّز المطلوب بكلمةٍ ما هناك تمييزاً في الجملة؛ إمّا مميّزه الذاتيّ إن قيّده بـ"أي شيء" في ذاته، أو مميّزه العرَضيّ إن قيّده بـ"أي شيء" في عرَضه، أو المميّز المطلق إن لم يقيد به شيء. فالسائل عن زيد وحده أو مع عمرو بـ"أي شيء" في ذاته "طالبٌ للناطق، أو الحساس، أو النامي، أو القابل للأبعاد.. وبـ"أي شيء" في عرضه "طالبٌ لمثل الضاحك أو الماشي. والسائل عن زيد وهذا الفرس بـ"أي شيء" هما في ذاتهما "طالبٌ للحساس، أو النامي، أو القابل.. وبـ"أي شيء" في عرضهما "طالبٌ لمثل المتنفّس، أو المتحيّز، وقس عليه(513)]

[فالفصل أيضاً مقومٌ للماهيّة (514)]فالفصل محصلٌ للحصّة الجنسية ومقومٌ للنوع ومقسّمٌ للجنس. والجنس عرضٌ عامٌّ للفصل، والفصل خاصته، والنوع خاصتهما، والعرض خاصّة الجنس.

[ولا يتكرّر جزء واحد الخ (515)]أي لاجتماع المثليين المستلزم لاجتماع النقيضين (516) والعبث في الخلقة، ولتعدد المأخذ المستلزم لوجود روحين لجسد، وبالعكس... وما يتوهم بعض الناس من تعددات شخصيات في كاهن، فإنما هو غلط من التباس الجني المناسب لروحه، بشخصيته.

[ولا يتركب الخ (517)]كالإنسان من الضاحك والناطق مثلاً. لاجتماع ما كالعلتين المستقلتين، و لاجتماع الاحتياج والاستغناء .

وأجيب: بأن كلا منهما بشرط شيء، وبشرط لاشيء، ولا بشرط شيء. فالثالث كالجنس، (518) والأولان نوعان له. فالأول نفس الإنسان وفصله الذي يميّزه عن النوع الآخر الضاحك مثلاً.

513 (كـلنبوي ص 9س 26مع فروق طفيفة..

514 (كـلنبوي ص 11س 1.

515 (كـلنبوي ص 11س 9.

516 (بناء على أن اجتماع المثليين ليس بواجب. فممكن زوال مثل فيجيء نقيضه ويجتمع مع المثل الآخر وهو محال). تقرير)

517 (كـلنبوي ص 11س 9.

518 (لم يقل بالاتحاد، لئلا يلزم انحصار الجنس في النوع.

[تنتبيه: اللزوم الخارجي هو امتناع الخ(519)]

إن قيل: اللزوم لو وجد لوجب أن يكون الواجب (520) موجباً في اللازم... أجيب: بأنه (521) إيجاب بالاختيار (522). وأيضاً للزَم التسلسل.. إلا أن اللزوميات متماثلة (523) بالتشخص أيضاً، (524) لتماثل المعروض وتشخصها. وكأينيتها بالموضوع فيلزم العبث، فيلزم الانحصار في الشخص.. وهو معنى قولهم: "لزوم اللزوم نفسه."

وأما الاعتبارات: فالتسلسل إنما يلزم من القصد وهو ليس بلازم. والتبعي كالحرف لا يتسلسل (525). ومن هنا (526) يقال: "لازم المذهب الغير البين ليس بمذهب". واعتباريتها باعتبار وجودها. أما نفسها فالخارج ظرف لها. وفي الحمل الخارجي يجوز أن يكون مبدأ المحمول معدوماً. كزيد موجود في الخارج. فيلزم التسلسل في الأمور الثابتة (527) في نفس الأمر. واللزوم من الأمور النسبية موجود عند الحكماء لأهل السنة.

[باب الحدّ الخ (528)] المراد من التعريف (529) التوضيح، أو التحصيل، أو التمييز.. إما

519 (كلنوي ص 11 س 25.

520 (بالذات.

521 (أي الإيجاب.

522 (وهو مقو للاختيار.

523 (أي إن الأعراض مشخصها قيامها بالمحل، فتتبعها في المماثلة.

524 (أي كما بالماهيات.

525 (أي لا يحكم عليه.

526 (أي من هذه النقطة.

527 (لكن لزوم اللزوم نفسه.

528 (كلنوي ص 13 س 20 معنئ.

529 (اعلم أن التعريف إما بمجرد الذاتيات أو لا. والأول إما أن يكون بجميعة كالجنس والفصل القريبين، أو ببعضها كالفصل القريب. أو مع الجنس البعيد. الأول هو الحدّ التام.. والثاني هو الحدّ الناقص.

والثاني: إما أن يكون بالجنس القريب والخاصة، أو لا بل بالخاصة وحدها.. أو مع الجنس البعيد. الأول هو الرّسم التام والثاني هو الرسم الناقص هذا، ولا يخفى ما فيه. أما أولاً، فلعدم انحصار كلّ من الأقسام الأربعة- بما ذكره - ضرورة. إن الحدّ التام كما يحصل بالفصل والجنس القريبين، فقد يحصل بهما مع الفصل البعيد.. وبهما مع الجنس البعيد.. وبهما مع الخاصة.. وبهما مع العرض العام وغير ذلك. والحدّ الناقص، كما يحصل

بالفصل القريب خاصّة، وبه مع الجنس البعيد.. فكذا يحصل بالفصل القريب والخاصة..
وبه مع العرض العام.. وبه مع الفصل البعيد.. وبه مع الجنس البعيد والخاصة.. وبه مع
الجنس البعيد والعرض العام.. وبه مع الجنس البعيد والفصل البعيد وغير ذلك.
وهكذا حال الرسم التام والناقص..

والتفصيل: أن الكليات خمسة. ومع ملاحظة كل من قسمي الجنس والفصل تصوير سبعة.
فحينئذ نقول: إن المعرّف إما بسيط أو لأ، وعلى الثاني، إما ثنائي أو ثلاثي أو رباعي أو
خماسي أو سداسي أو سباعي.. والبسيط، سبع صور.. صحيحها اثنان. والبواقي غير
صحيح، إما للعموم أو للخصوص... والثنائي تسع وأربعون صورة حاصلة من ملاحظة
السبعة مع السبعة، بعضها غير صحيح للعموم أو للخصوص.. أو لتقدّم الأخص على
الأعمّ خاصة. أو مع واحد من الأولين، وبعضها يرجع إلى البسائط. ونرسم لها جدولاً
يسهلّ تمييز الصّاح عن الغير.. ويعلم منه حال البسائط أيضاً. وهو هذا: الثاني ثلاثمائة
وست وثلاثون صورة. فإن التركيب الثلاثي بين السبع يرتقي إلى ست وخمسين. وذلك
لأنه إذا ركب الجنس القريب والبعيد والفصل القريب مثلاً بتركيب والفصل البعيد
والعرض العام والخاصة مثلاً بتركيب آخر، فهما صورتان. ولو بدلنا كل جزء من أجزاء
أحد التركيبين بكلّ جزء من أجزاء الآخر، يحصل ثماني عشرة صورة، تكون مع الأولين
عشرين. ولو بدلنا كل جزء من أجزاء أحد التركيبين بالنوع مثلاً، يحصل ست صور. ولو
بدلنا كل جزء من الجزئين الأخيرين غير النوع من هذه الصور الست المشتملة على
النوع بكل واحد من الثلاث الباقية، يحصل ست وثلاثون صورة؛ تكون مع العشرين
السابقة ستاً وخمسين. والاحتمالات في كل تركيب منها بحسب تقديم بعض إلى بعض
ست.. والحاصل من ملاحظة الست مع الست والخمسين، ثلاث مائة وست وثلاثون، وهو
المطلوب. والرباعي ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستون. فإن التركيب الرباعي بين السبع،
يرتقي إلى مائة وأربعين. لأنه إذا أريد أن يركب من السبع تركيبان لا يشتركان في
الأجزاء على قدر الإمكان، فلا محالة أن يشتركا في جزء واحد مردد بين السبع. فهذه
أربع عشرة صورة، لكل تركيب منها سبع صور. ولو بدل كل جزء من الأجزاء الثلاثة
الغير المشتركة من صور كلّ من التركيبين المفروضين، السبع بكل جزء من الأجزاء
الثلاثة الغير المشتركة من صور التركيب الآخر السبع، يحصل مائة وست وعشرون
صورة. كما لا يخفى تكون مع الأربعة عشر، مائة وأربعون، وهو المطلوب.
والاحتمالات في كل من هذه التراكيب أربعة وعشرون. والحاصل من ملاحظة عدد
التراكيب مع عدد الاحتمالات، ثلاثة آلاف وثلاث مائة وستون. والخماسي: خمسة آلاف
وأربع مائة. فإن التركيب الخماسي بين السبع أربع مائة وخمسون ضرورة أنه لو ركب
من السبع تركيبان لا يشتركان في الأجزاء بقدر الإمكان، فلا بد أن يشتركا في ثلاثة
أجزاء من السبع، مرددة بين ست وخمسين صورة، على ما تبين في التركيب الثلاثي.
فهذه مائة وثنتا عشرة صورة، لكل من هذين التركيبين ست وخمسون. ولو بدل كلّ من
الجزئين الغير المشتركين في كل من صور أحد التركيبين بكلّ من الجزئين الغير

بالمباين وهو التمثيليّ ومنه الرسم الناقص الناقص .. ومنه كل التشبيهات ك"العلم، كالنور ... " وإما بالأخصّ وهو المثالي ك"كالعلم، كالنور"، ومنه أمثلة القواعد، وهو أيضاً ك"ك"ك" ... " وإما بالمساوي، إما نظراً للتوضّع وهو اللفظي، ومنه القاموس .. وإما للمدلول وهو الاسميّ، ومنه تعاريف المصطلحات والاعتباريات والمعدومات .. وإما للمعنى وهو التعريف الحقيقي. فإما بتمام العلل كالحدد التام، أو بعضها كالناقص، أو المعلولات كالرسم الناقص. أو من القبيلتين كالرسم التام. ويجري في التصورات أمثال الحدس والفطريات بالانتقال دفعة وبلا كسب.

والتعريف بالعلل الذي هو الحدّ التام، يوصل إلى المطلوب، أي المحدود قضية بدهية بالتجريد عما يُنظرُ من لَفّه في الاصطلاحات. وهي مقدمة لكسب الرسم (530) يوصل.. والدلالة الالتزامية مهجورة، (531) وإلا لصار الرسم حدّاً، وتعريف الكلّ إنما يحصل

المشتركين من صور التركيب الأخر، بلغ أربع مائة وخمسين. والاحتمالات المتصورة في كل من هذه التراكيب مائة وعشرون. والحاصل من ملاحظة عدد التراكيب مع عدد الاحتمالات خمسة آلاف وأربع مائة، وهو المطلوب. وكل من السداسي والسباعي خمسة آلاف وأربعون صورة. أما الأول: فإن التركيب السداس بين السبع سبع كما هو ظاهر. والاحتمالات في كل منها سبعمائة وعشرون. والحاصل من ملاحظة عدد الاحتمالات مع عدد التراكيب خمسة آلاف وأربعون وهو المطلوب. وأما الثاني وإن كانت له صورة واحدة، إلا أنه أن الاحتمالات فيها ترتقي إلى ما ذكره. ولما لم يكن للواحد أثر في الضرب، صارت عدد الاحتمالات هو عدد التركيب.

وضابط الاحتمالات في التركيب أن يضرب عدد الاحتمالات الحاصلة في السابقة في عدد أجزاء اللاحقة، فالحاصل هو احتمالات اللاحقة. ثم إن بعضها صحيح وبعضها غير صحيح للخصوص: كما إذا كان النوع أحد الأجزاء، أو للعموم؛ كما إذا لم يكن فيه واحد من الخاصة والفصل القريب، أو لتقدّم الأخصّ على الأعمّ.

هذا، لا يقال: إن الغرض من التعريف إما الاطلاع على الكنه، أو الامتياز عن جميع ماعده. وهذا يحصل بالجنس والفصل القريبين، أو الجنس القريب والخاصة مثلاً، فلا حاجة إلى ضم الجنس البعيد أو العرض العام، أو الفصل البعيد مثلاً إليهما. وهكذا قياس البواقي. ولذا حصروا الحد والرسم التامين أو الناقصين فيما ذكروا.

530 (للمحد الناقص أيضاً.)

531 (في المنطق.)

بتقسيمه إلى أجزائه،⁽⁵³²⁾ كالبيت الذي أنت فيه... لا بيت الشعر كبيت الشعر.

[قبل التعريف بوجه ما الخ⁽⁵³³⁾]

اعلم أن بين العلم بوجه الشيء البدهي اللازم والمنافي للاشتراط.. وبين العلم بالشيء بوجه، فرق بين لأن الأول اسمي وقصدي، لا ينكشف أقل انكشافاً ما تحته. والثاني حرفي تبعي عنواني، يتغلس ما تحته باستضاءته. فلا يلزم من علم شيء العلم بكلّ الأشياء. وأيضاً الأول علم تفصيلي بالوجه⁽⁵³⁴⁾. والثاني إجمالي⁽⁵³⁵⁾ بالشيء، وهذا صورة الجميع وذاك جميع الصور.

فإن قلت: الرسم يستلزم الخاصة، والتعريف بها يقتضي العلم بالاختصاص، وهو يستلزم معرفة طبيعة المحدود. وإن هذا إلا دورٌ ظاهر؟

قلت: أما الفعل الاختياري (هو الترتيب، فلا يتوقف لا عليه ولا على علمه. وأما الانتقال الذي هو ضروري غير اختياري وبطبيعة الذهن، فإنما يتوقف على وجود الاختصاص في نفس الأمر⁽⁵³⁶⁾.

[كتعريف الأب بما يشتمل على الابن الخ⁽⁵³⁷⁾]. وباختلاف العنوان يختلف الأشياء ضرورية ونظرية. وبهذا كما ينحل الإشكال الوارد على توقف كلية كبرى⁽⁵³⁸⁾ الأول على

532 (بالعطف).

533 (كلنبوي ص 13 س. 21)

534 (لأنك لما نظرت إليه قصداً لا يكون عنواناً، والحال أنه عامٌ. فلا بد أن تثبت للجميع فرداً بعد فردٍ فيكون مفصلاً). تقرير)

535 (أي العلم الإجمالي يعبر بصورة).

536 (فللتعريف اعتباران: الانتقال والترتيب؛ فالأول ضروري يتوقف على الوجود. والثاني اختياري لا يتوقف على شيء، إذ يكفي الاستماع). تقرير)

537 (كلنبوي ص 14 س. 1)

538 (مثلاً: العالم متغير، وكل متغير حادث، فالعالم حادث. فلا بد أن لا ينتج. إذ الكلية متضمنة لقضايا بعدد أفرادها. فما بقي فردٌ مجهولاً لا يصح الكلية، والعالم في أفرادها، فلا فائدة في إنتاجه. وحاصل الجواب: أن الذات بعنوان المتغير بدهي الحدوث وبعنوان العالم نظري. وكذا يمتنع تعريف المضاف بالمضاييف، إذ هما متساويان في المعرفة والجهالة. ويجب التعريف به، لأنه تتوقف عليه. وحاصل الجواب: أنه يجب هو بغير عنوانه وبما صدق.

نتيجته، يرتفع التضاد بين قولهم": لا بدّ في تعريف المضاف من ذكر المضاييف "ويمتنع تعريفه به.

[بمجرد الاحتمال العقلي الخ⁽⁵³⁹⁾]الإمكان الغير الناشئ عن دليل لا يصير إمكاناً ذهنياً، حتى ينافي⁽⁵⁴⁰⁾اليقين العلمي الحاصل من الوهميات⁽⁵⁴¹⁾المحسوسة..بل إمكان ذاتي لا ينافي اليقين العلمي.

[وشرطوا فيه أيضاً تقديم الخ⁽⁵⁴²⁾]ومن الشرائط المهمة بين الجنس والفصل والصغرى والكبرى الملاحظة مع التفطن الذي هو المزج والاتحاد والضغط، حتى يتفألت منه المطلوب.

[ولا تعريف الجزئيّ على وجه الخ⁽⁵⁴³⁾]المجهول إما مشخّص، وهو لا يُعرّف ولا يُعرف بل يشار اليه..وإما كليّ وهو إما بسيط كالأجناس العالية والفصول السافلة..وهي لا تُحدّد بل ترسم وتحدّد. وإما نوع حقيقيّ..وهي يحدّد ولا يعرّف إلا في الأصناف. وإما لا هذا⁽⁵⁴⁴⁾ ولا ذاك⁽⁵⁴⁵⁾فذاك⁽⁵⁴⁶⁾ وهذا⁽⁵⁴⁷⁾.

[باب القضايا... القضية.... الخ⁽⁵⁴⁸⁾]

الفنّ الثاني المباين بالماهية عن الأول- لأنه كالحلّ وهو كالعقد -التصديق .

وله مقاصد..وهي القياس بأنواعه المادي والصوريّ...ومباد، وهي القضايا

لأنه بهذا بدهي لا يدور. ويمتنع بنفس العنوان، لأنه نظري مساو). تقرير)

539 (كلنبوي ص 14س.7

540 (أي حتى يكون شكاً ليناقي. الخ.

541 (أي البدهيات المحسوسة حين الإحساس، والوهميات المحسوسة حين الغيبة.

542 (كلنبوي ص 14س.7

543 (كلنبوي ص 14س.12

544 (جنس بسيط.

545 (نوع حقيقي.

546 (يحدّد.

547 (يحدّد.

548 (كلنبوي ص 14س.14

وأحكامها.

والقضية التي هي الخبر عند العربيين، لا بد أن تعرّف لتصير موضوعاً. وتقسّم لتتحصل موضوعات الفصول. وحقيقتها (549). قيل: بدهية، لأن طبيعة من ليس أهلاً للنظر تعرفها بمراعاته للوزامها حتى يصدق ويكذب في موضوعه. فالتعارف التي تُذكر رسوم تنبيهية لإزالة الخفاء الحاصل بالمصطلحات. وقد مرّ ما في تعريفها (550). فكما للشيء وجود ذهنيّ يعرف بنحو الجنس الفصل، كذلك له وجود خارجي يعرف بالتقسيم بالمادة (551) والصورة. فالمادة هنا النسبة مع طرفيها. والحكم والإسناد هي الصورة التي هي مبدأ الآثار المخصوصة فيشتمل على الطرفين ويبلغها ويلبس كلاً بما اشتقّ من نفسه.

[فإن حكم فيها بوقوع الخ (552).. الإسناد والحكم من مقول الإضافة. وهو إما متخالف الطرفين كما في العملية والمنصلة. فمن هذا ترتب أجزائهما طبيعياً. وإما متشابه الطرفين مثل الأخوة- كما في المنفصلة- فترتبها وضعي فقط (553). فالحكم إما له، يعني ما يلاحظ طرفاه بالإجمال ولو كان فيها نسبة. وإما عنده وعنه، يعني ما يلاحظ طرفاه بنسبة تفصيلية، وإن لم يكن قضيتيه، (554) لا قبل التحليل ولا بعده. أما الأولى فمشارك بين أهل النقل والعقل. وأما الثالث (555) فمختصّ بالثاني. وأما الثاني فاختلّفوا فيه، حتى الشافعي والحنفي. فأهل النقل: على أن الحكم في الجزاء والشرط قيد. وأهل العقل قالوا: بل الحكم بينهما باللزوم... فثمرة الخلاف كأثمار شجرة، أثماره أكثر من أوراقه.

فمنها: لو قلت: "إن تملكث هذا، فهو وقف أو حرّ، أو هي طالق مثلاً" فعند أهل النقل

549 (أ) أعلم: أن الخبر والإنشاء والوجود والعلم فيها أقوال. قيل في غاية النظرية، حتى لا يمكن تعريفها. وقيل: مكتسبات، وقيل: في غاية البدهية). تقرير)

550 (في المركب في الخبر والإنشاء..

(إلى) 551

(ك) كلبوي ص. 14. 552

(و) ولذا لا ينعكس أيضاً. 553

(إ) إذ ليس مركبة منها ولا الحكم ضروري. 554

(و) والتقسيم المذكورة أيضاً حملي في صورة المنفصلة. 555

ومنهم الشافعي لغو. لأن العلة⁽⁵⁵⁶⁾ هو الجزاء. وقد وجدت ولم يصادف محلاً يقبلها⁽⁵⁵⁷⁾ وشرط انعقاد العلة قابلية المحل.

وعند أهل المنطق ومنهم الحنفي: العلة هي الشرطية. وإنما تقرّر عند وجود المعلّق عليه، وعند وجوده تنعقد العلة.. وإذ تنعقد العلة تصادف محلاً ينتظرها منذ انعقادها.

[فقد ظهر أن أجزاء الخ⁽⁵⁵⁸⁾] القضية معلوم وعلم..⁽⁵⁵⁹⁾ فلأول نفس الحكم مع الطرفين. ولثاني هذه الثلاثة في الذهن المعبر عنها بـ"تصوّر المحكوم عليه وبه" والنسبة، أي التامة الخبريّة المضافة⁽⁵⁶⁰⁾ المدلولة للتركيب،⁽⁵⁶¹⁾ لا البين⁽⁵⁶²⁾ البينيّة المعقولة⁽⁵⁶³⁾. والإذعان الذي بين الذهن والخارج، كالنسبة التامة بين الطرفين، ويلازمه انقياد النفس.. ومن هنا يقال: "الإيمان من التصديق المنطقي"، ولا بد في الإذعان من تصوّر المحكوم عليه بوجه، لأن المجهول⁽⁵⁶⁴⁾ المطلق يمتنع الحكم عليه.. وردّ بأنه قد حكم عليه بـ"يتمتع الحكم عليه". وأجيب: بأن المجهول المطلق بحكم القاعدة⁽⁵⁶⁵⁾ كالمعقول الثاني،⁽⁵⁶⁶⁾ الذي يسقط المحمول على المعقول⁽⁵⁶⁷⁾ الأولى الذي هو من

556 (اللقيد).

557 (إذ لا يجوز التصرف في مال الغير..)

558 (كلنوي ص 15 س 1)

559 (وباعتباره ليس بتصور ولا تصديق بل متصور وباعتبار كونه مادة للقضية سمّي بها . تقرير)

560 (أي من مقول الإضافة). تقرير)

561 (ومحصله الحركات الإعرابية. إذ المعاني الحرفية النحوية ينسبك بين لبنات كلمات الكلام، فيتلون باعطائها كلاً لونهاً ويعلمها الحركات). تقرير)

562 (أي بين الوجود والعدم، أي السلب والإيجاب..)

563 (التي هي الثبوت والاتصال والانفصال، فليس بجزء عند القدماء. بل شرط ومتعلق للتامة، لا عند المتأخرين، لكن لا مستقلاً. فالأجزاء أيضاً أربعة). تقرير)

564 (ومنشؤه من قاعدة وقضيّة: المعلوم يحكم عليه بأخذ عكس نقيضه ثم مرادف الطرفين . تقرير)

565 (أي بحكم أنه قاعدة، وموضوعات القواعد معقولات ثانية للأفراد). تقرير)

566 (أي لا عنوان الموضوعات. فإن له قوة يُذهب المحمول في طريقه على الأفراد). تقرير)

567 (لأنه ضعيف لا معنى له قابل للحكم). تقرير)

موضوع القضية الذهنية الفرضية (568).

وبحكم تحوّل الحرفيّ إلى الاسميّ، والمعقول الثاني إلى الأول، ليصحّ الحكم عليه في هذا التركيب، ليتجمد (569) مع جلده، (570) فيصير من أفراد المعلوم .. كأنك بعد تصوّر الموضوع ووصولك إلى الحكم، وفي أنه تنتظر إليه نظراً اسمياً ومعقولاً أولى غير (571) ثابت (572). وبوصولك إلى المحمول يمزق جلبابه فيصير معقولاً ثانياً، ناشراً جناحه. فمن هنا حلّ الخبر الأصمّ في قولك: "أنا كاذب" !فيما أقول الآن يعني": أنا كاذب. "ولابد أن يكون الوجه ممّا يصحّ الحكم ويصيّره مفيداً، فلا تتصوّر بأعمّ الوجوه، لأنه لا يفيد. ولا بما يدخل فيه المحمول، (573) لأنه عبث بل بالوسط بما بينهما. ولا يلزم الأخصّ على الأعم، لأنه آلة الملاحظة، نظير آلة الوضع، وليس في حكم عنوان المحكوم عليه (574).

[واللفظ الذال على الوقوع الخ (575)]لما كان لفظ المحكوم عليه وبه دالّين على مادة القضية، لابد أن لا يخلو من الدالّ على صورتها التي هي النسبة. والدالّ إما ضمنيّ كالجمله الفعلية .. وإما مستقل؛ وهو إما غير لفظ كالحركة الإعرابية. ولهذه النكته يقال في المبنيّ في محل الرفع للرباط .. وأما لفظ؛ فعلى السلبية آلتها .. وعلى الثبوت في الشرط أدواتها ... وفي الحمليّ الأفعال الناقصة والأفعال العامة، والمراد من مصادرها المعاني الحرفية التي تتحدّ نسبها. لأن الكون والوجود ونظائرهما حرفيّ واسميّ. فالحرفيّ عين النسبة التي هي الثبوت، الذي هو الوجود الحرفي.

[واعلم أن الموضوع ... الخ (576)]لما اشتمل الموضوع والمحمول على ذات ومفهوم؛

568 (وعلامته اشتمال المحمول على الإمكان والامتناع وغيرها من الأمور الذهنية). تقرير (

569 (أي معناه الهوائي.

570 (أي مع لفظ المجهول.

571 (صفة الأقرب). (أجبر

572 (إذ ينقض الآن ثبوته..

573 (أي لا يجوز بأخصّ

574 (حتى يستغني عن المحمول.

575 (كلنبوي ص 15 س. 13

576 (كلنبوي ص 15 س. 20.

كان المراد من الأول الذات، لأنه يناخ عليه ..ومن الثاني المفهوم، لأنه يوضع ويحمل على الأول. فلا بد أن يكون بحيث يقوم بالغير. ولو كان المراد منها الذات، لكان القضية إما موجبة ضرورية، أو سالبة كذا لا غير وبلا فائدة ..أو صفتين، فكذلك ..أو الأول صفة، فكحمل الحمل الحامل على خلاف الطبيعة. ويسمى المفهوم في الأول عنوان الموضوع، وموضوعاً ذكرياً. فقد يتحد مع الذات الحقيقي حقيقة، كزيد كذا ..أو بجهته، كالإنسان كذا .. وقد لا، كالكاتب ضاحك. ولا بد بين الحقيقي والذكري من رابطة ونسبة، وحقيقته ملخص قضية، تقررت نسبتها وعرفت. فمن هنا يقال: الصفات قبل تقرر ثبوتها إخبار، وبعده أوصاف وعنوانات بحذف الموصوف، ويسمى عقد الموضوع.

[فصل الحملية مطلقاً الخ (577)]

لما كان أول أجزاء القضية الموضوع انقسمت أولاً به،

فهو إما جزئي حقيقة (578) أو حكماً، (579) وهو الواحد الاعتباري أي الكل ..ومن هنا يقال: يراد باللفظ (580) غير الواحد الحقيقي المجموع، لا أقل (581). لأنه ليس مدلوله، (582) وتسمى شخصيّة. ومحلها في المحاورات والمعاملات، لا في الفنون إلا بتأولها في قوة (583) الكلية ..

وإما كلي، فالحكم إما على مسماه (584) كما في غير المتعارفة ..فإما (585) مع جواز سرايته إلى الأفراد كالحمل في كل التعريفات على القول به أو مع عدم السراية، لكن مع

577 (كزنبي ص 6س 5.

578 (كزيد أو هذا.

579 (كأسماء العلوم ومراتب الأعداد مطلقاً.

580 (أي الجزئي الواحد الحقيقي فقط والكلي إما الواحد الحقيقي أو المجموع.

581 (أي أكثر من الواحد.

582 (أي مدلول اللفظ. (أجبر

583 (وكونه في قوته بثلاثة أوجه؛ إما بكونه كبرى الأول، أو كانت كلاً مجموعياً باستمرار

الكلية، أو تذكر شخصيات بعدد أفراد الكلي ..تأمل) !تقرير)

584 (ومن المحمول الذات كما الخ.

585 (أي أو منهما المفهوم فهو إما الخ.

الملاحظة كالحمل في المسائل المنطقية،⁽⁵⁸⁶⁾ أو بدون الملاحظة. كالإنسان مفهوم ذهني⁽⁵⁸⁷⁾ أو موجود ذهني. وتسمى قضية طبيعية، وموضوعها استقراءات العلوم الطبيعية في البعض .

وإما على ذاته⁽⁵⁸⁸⁾،

فمع الإبهام مهملة⁽⁵⁸⁹⁾ في الخطايات⁽⁵⁹⁰⁾ في قوة الكلية ..⁽⁵⁹¹⁾ وفيما المطلوب⁽⁵⁹²⁾ منه اليقين، كما في مقام الاستدلال في قوة الجزئية. لأن البعض هو المحقق .

ومع التعيين؛ فان كان بالإحاطة فكلية وسورها كلٌ وتوابعه ومرادفاته، ك"طرّة، وقاطبة" ونظائرهما؛⁽⁵⁹³⁾ ركناً وقيداً، مقدماً ومؤخراً. وكل ألفاظ العموم،⁽⁵⁹⁴⁾ الوجوبي⁽⁵⁹⁵⁾ الإفرادي مطلقاً.

ومنها: الموصول، والإضافة، واللام. فلنعين اللام، لأنهما⁽⁵⁹⁶⁾ مثله. فاللام إما إشارة إلى الذات،⁽⁵⁹⁷⁾ واحداً أو مجموعاً؛ وهو العهد الخارجي الذي في قوة الشخصية .. وإما إلى الجنس لا بشرط شيء وهو لام الجنس والعموم.. أو بشرط لا شيء،⁽⁵⁹⁸⁾ وهو الجنس والحقيقة. وهما في قوة الطبيعية بقسميها،⁽⁵⁹⁹⁾ أو بأقسامها،⁽⁶⁰⁰⁾ أو بشرط شيء⁽⁶⁰¹⁾ فمع

586 (فيما المحمول كلياً منطقياً.

587 (أي فيما المحمول معقولاً ثانياً من الأمور العامة.

588 (عطف على قوله: على مسماه. أجبر

589 (أي يستعمل.

590 (وهو المبني على المبالغة كالتغزل والتمدح والتحسر والتأسف وغيرها). تقرير (

591 (فيما يكفي فيه الظن.

592 (وهو الأصول مطلقاً.

593 (كافة، عامة، تامة، جميعاً.

594 (كمَنْ وما، والجمع المعرف باللام وغيرها.

595 (أي لا السلبى...

596 (أي الموصول والإضافة .

597 (أي واحداً حقيقياً أو اعتبارياً شخصياً أو نوعياً حضورياً أو حصولياً. فالأقسام ثمانية .

(تقرير)

598 (أي عدم الأفراد.

599 (وهما جواز السراية وعدمها. فالأول هو الأول، والثاني هو الثاني). تقرير (

عدم الاستغراق، فالعهد الذهني الدالّ على الجنس، والفردُ من ضرورة الوجود. فالانتشار والنكارة ليسا منه، (602) وهو في قوّة المهمله باعتبار، والجزئية بآخر .

وإما مع غرق الأفراد في المعنى، وهو إما عرفي، وإما حقيقي. وكل منهما إما مجموعي، أو جمعي (603). وإما إفرادي متناوب (604). أو مطلقاً (605). فاللام الذي هو سور الكلية هو المشار به إلى الجنس بشرط شيء مع الإحاطة الإفرادي مطلقاً ..

وللسالبة خاصّة، لا واحد ولا شيء، أو "ما" أو "ليس" وما يرادفها .. أو يرادفها ولو في صورة الفعل، أو الاسم.

وللجزئي دخول سلبٍ ما على كلّ ما يدلّ على كلّ، وعلى سور الموجبة الجزئية .. نحو: "نيف، وطائفة، ورهط، وقطعة، وبعض" وما يرادفها.

وفي المنفصلة "دائماً وأبداً" وما يرادفها ..

وفي السلب الكليّ فيها "ليس ألبتة" وما يرادفها.

وفي الجزئيات "قد يكون وقد لا يكون وقد لا يحصل، ولا يوجد، ولا يثبت" وما

يرادفها (606) من الأفعال العامة على صور النسبة.

600 (وهو عدم جواز السراية مع الملاحظة، أو بدونه، كلا بشرط شيء. وجوازه، كبشرط لا شيء). تقرير

601 (وهو الأفراد).

602 (وهو الفرق بينه وبين النكرة. يعني أن لام العهد إشارة إلى الجنس المعهود في الذهن . ولا بد للوجود من الأفراد. إذ الماهية المجردة ليس. فالمعهود هو الجنس والفرد ضرورة وجوده. ولعدم تعيينه كان نكرة. أما النكرة فدالة على الفرد المنتشر أصالة. ولا بد للفرد من حقيقة وإن كان المال واحداً. فالفرق في البداية فهذا اللام باعتبار تحقق مشار إليه في ضمن الأفراد مطلقاً من غير تعيين الكمية كلا أو بعضاً مهمله وباعتبار تعيين) من كل (بعض جزئية. فافهم). تقرير

603 (وهو إما لا دخل لكل فرد في الحكم، "كالأعراب أشرف الأقسام". وإما له، ك"الفقهاء يحملون الصخرة"). تقرير

604 ك"هذه الرغيف يشبع كلّ القوم". أو متعاقب، ك"كل القوم جاءني". تقرير

605 (والكل معرفة غير العهد الذهني باعتبار عدم تعيين الأفراد). تقرير

606 (كليس، بته، وبتلة، وأصلاً، وأصلاً قطعاً وما يرادفها). تقرير

كَلَّ "ج" "ب"، فَكَلَّنا "كَلَّ" و"ج" و"ب"، فَكَلَّ أَي كَلَّ فَرَد،⁽⁶⁰⁷⁾ لا الكَلَّ المجموعي ولا الكَلَّ الطبيعي يعني الطبيعة⁽⁶⁰⁸⁾. (فج "أَي ماصدق عليه" ج "لا ما حقيقته أو صفته" ج⁽⁶⁰⁹⁾).

[وَصَدَقَ عَلَيْهِ، أَي بِالْفِعْلِ الْفَرْضِيِّ⁽⁶¹¹⁾]: [لَدْخَلَ الْعَنْوَانَ فِي مَا هِيَ الْقَضِيَّةُ وَامْتَرَا جِهَ فِيهَا. وَمَصْدَرِيَّتُهُ غَالِبًا لِلْمَحْمُولِ، فَلَا يَجْعَلُ ظَهْرِيًّا، كَأَنَّهُ أَجْنَبِيٌّ. فَلَا بَدَّ أَنْ يَلْتَبِسَهُ الذَّاتُ وَلَوْ خِيَالًا.

[لَا بِالْفِعْلِ الْخَارِجِيِّ⁽⁶¹²⁾] [أَي فِي أَحَدِ الْأَزْمَنَةِ لِاخْتِصَاصِهِ بِالْخَارِجِيَّةِ، لِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقِيِّ الذَّاتِ مُمْكِنٌ، فَكَيْفَ يَتَّصِفُ بِالْفِعْلِ، وَمَا لَا يَثْبُتُ لَا يَثْبُتُ لَهُ.

[وَلَا بِالْإِمْكَانِ⁽⁶¹³⁾] [أَي الذَّاتِي لَا بِالْقُوَّةِ، لِيَدْخُلَ فِي الْإِنْسَانَ النَّطْقِ.

[مِنْ جَزَائِيَّتِهِ لَا مِنْ مَسْمَاهِ⁽⁶¹⁴⁾] [فَلَوْ كَانَ مِنْهُ لَكَانَ أَكْثَرَ الْكَلِيَّاتِ كَاذِبَةً؛ مِثْلًا]: الْإِنْسَانُ كَاتِبٌ "فَمَفْهُومُ الْإِنْسَانِ وَهُوَ الْحَيَوَانَ النَّاطِقِ لَيْسَ بِكَاتِبٍ.

[أَوْ مَسَاوِيهِ⁽⁶¹⁵⁾] [أَوْ أَعَمَّ مِنْهُ لِلتَّكَرُّارِ الْمَحْضِ وَالْعَبَثِ الْبَحْتِ. فِي "كُلِّ إِنْسَانٍ نَاطِقٍ" النَّاطِقِ نَاطِقٌ بِعَنْوَانٍ. لِأَنَّ الْقَضِيَّةَ الْكَلِيَّةَ عَلَى الْأَصَحِّ فِي قُوَّةِ قَضَايَا مُتَعَدِّدَةٍ بَعْدَ مَا صَدَقَاتِ مَوْضُوعِهَا. وَمِنْ هُنَا يُقَالُ: لِلْقَضِيَّةِ كَلِيَّةٌ لِفُرُوعَاتِهَا".

⁶⁰⁷ (أَي مُطْلَقًا، لَا عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِيَّةِ.

⁶⁰⁸ (وَإِنَّمَا انْتَقِيًا لِعَقْمِ الضَّرْبِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّكْلِ الْأَوَّلِ، بِسَرِّ عَدَمِ تَكَرُّرِ الْأَوْسَطِ حَقِيقَةً: كَزَيْدِ إِنْسَانٍ، وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْفَ أَلْفٍ) أَوْ (نَوْعٍ). مِنْهُ)

⁶⁰⁹ (لِلْعَقْمِ فِي الْأَوَّلِ، وَالتَّسْلُسِ فِي الثَّانِي. مِثْلًا): الْإِنْسَانُ حَيَوَانٌ "وَمَا حَقِيقَتُهُ حَيَوَانٌ فَالنَّاطِقُ خَارِجٌ عَنْهُ) وَالحَالُ أَنَّ النَّاطِقَ ذَاتِي لِلْإِنْسَانِ (وَمَا صِفَتُهُ "ج" "د"، فَمَا صِفَتُهُ "د" "ج" "أَوْ "ب" "فَهُوَ" ذ "فَهُلْمِ جِرا). مِنْهُ)

⁶¹⁰ (*) عَلَى مَذْهَبِ الشَّيْخِ.

⁶¹¹ (شَبِيهِهِ بِمِثْنِ كَلْنَبِيِّ ص. 17-16)

⁶¹² (كَلْنَبِيِّ ص. 16، 17)

⁶¹³ (كَلْنَبِيِّ ص. 16)، 17. هُوَ مَذْهَبُ الْفَارَابِيِّ)

⁶¹⁴ (كَلْنَبِيِّ ص. 16، 17)

⁶¹⁵ (نَفْسِهِ.

[الإضافية المناسبة لا الحقيقي⁽⁶¹⁶⁾] فقط. لأنه قد يكون الجنس موضوعاً وجزئياته لا ينحصر في الحقيقة المناسبة لا مطلقاً .

[ولا الإضافي المطلق لذاته لا لمفهومه الذي هو نوع بالنسبة إليها⁽⁶¹⁷⁾]، وإلاً لاختلفت. [يصدق عليه مفهوم" ب⁽⁶¹⁸⁾] "وإلاً لم ينضبط لحصولها بعوارض وقيودات غير محصورة.

[لا ذاته⁽⁶¹⁹⁾] وإلاً لانحصر القضية موجبة وسالبة في الضرورية والحمل والاتحاد. [ولا كلاهما⁽⁶²⁰⁾] لأن الممتزج من الطاهر والنجس نجسٌ إلاً في المنحرفات⁽⁶²¹⁾. ك"الكاتب بعض الإنسان". كل ذلك في القضايا المتعارفة المستعملة في الأدلة.. وإلاً فمن المنفيات⁽⁶²²⁾ أيضاً قضايا. [فصل: الحملية مطلقاً الخ⁽⁶²³⁾].

الحملية تنقسم إلى خارجية وذهنية باعتبار الموضوع، لكن بالنظر إلى المحمول. ففي الخارج المستفاد من الخارجية ظرف لنفس النسبة والحمل، لا لوجوده⁽⁶²⁴⁾ حتى يوجد . ومن هنا يقال :لا يلزم من الحمل الخارجي أن يكون مبدأ المحمول خارجياً.

ثم إن ذات الموضوع بعد إمكانه⁽⁶²⁵⁾ في نفسه إن وجد- ولو في زمان ما - فخارجية⁽⁶²⁶⁾ خارجية ليس حقيقية. ففي الخارج⁽⁶²⁷⁾ ظرف لوجوده مع صدق العنوان

616 (نفسه).

617 (نفسه).

618 (نفسه).

619 (نفسه).

620 (نفسه).

621 (بناء على تأؤل..)

622 (أي قيودات).

623 (كلنوي ص 17س.12)

624 (أي الحمل). (أجير

625 (ولو كان محالاً عادياً لا حقيقياً).

626 (ليس ذهنية).

627 (غير الأول).

عليه بالفعل أو بالإمكان. فإن لم يوجد وهو بحيث لو (628) وجد (629) واتصف بالعنوان، فهو (630) بحيث لو وجد ثبت له المحمول، وما يستفاد (631) من هذه الشرطيّة من اللزوم وأعميته للمحال غير مراد (632). فقد يقال " (633): ج. ب. "بالإمكان، بالإمكان، بالإمكان". فالأوّل جهة القضية المستفاد من الذات (634) مع وجوده. والثاني منه مع عنوانه، عند الفارابي. والثالث منه مع المحمول (635) ويدل على خارجية الخارجية كون المحمول من العوارض الخارجية.

وإن كان من العوارض الذهنية، كما في القضية السالبة (636) المحمول. "وزيد ممكن" فهو ذهنية. وبعد وجوب (637) وجود الموضوع في الذهن وقت الإثبات مطلقاً، (638) تنقسم باعتبار الثبوت إلى ذهنية حقيقية وفرضية، كما في المحالات (639) التي لا توجد في الذهن على الأصح، إلا بنوع تشبيه أو تمثيل. أو لا يوجد مطلقاً ك"المجهول المطلق" و"المعدوم المطلق".

(لزومية).⁶²⁸

(فعل شرط مقدّم. أي إنه ليس بمعدوم حتى تنقطع الروابط في الكائنات وليس بموجود حتى يلزم على الجزء الغير المتجزى موجودات كثيرة من الروابط، بل للنسبة من الأمور النسبية، كالأبوة والبنوة والأخوة وغيرها، ليس هذا ولا ذلك). تقرير)

(جزاء شرط تالي).⁶³⁰

(أي من تحليل موضوع الحقيقي بشرطية مصدر "لو".)⁶³¹

(بل التعبير في التقدير يكون كذلك).⁶³²

(أي إن لو يشتمل الحال الحقيقي وموضوع الحقيقي لا يكون كذلك. وأيضاً يستفاد منها اللزوم بين المحمول والموضوع، ومحمول الحقيقي أعم من كونه لازماً وغيره، فأجاب. تقرير)

(أي ذات الموضوع موجود).⁶³⁴

(ورابعاً للمحمول).⁶³⁵

(أي بأن تأخر أداة السلب غير غير، ولا كـ"ليس" وغيرها من الرابطة، وكان المحمول من العوارض الذهنية، فإنها ذهنية فتأمل). تقرير)

(أي لا بد أن يكون الموضوع موجوداً في الذهن، ولو بأعم الوجوه) بالتمثيل في بعض ونفس العنوان فقط، في آخر (وقت إثبات المحمول له، وبعده الثبوت بالفعل متوقف على الوجود. فإن وجد ثبت، وهو الحقيقية.. وإلا فلا، وهو الفرضية). تقرير)

(حقيقة أو فرضية).⁶³⁸

(فإنها لا تقع فيه بعنوان الامتناع والأصالة، بل في الخارج).⁶³⁹

[فقولك اجتماع الخ (640)]. ومن مَهَّدات هذا المقام: أن الإيجاب وجود. وهو يوجد بوجود تمام أجزائه. يعني بوجود الموضوع الاسمي (641) على أحد الوجوه الأربعة (642). ووجود المحمول له الحرفي على أحد الوجهين (643) والسلب عدم، فيتحقق بعدم أي جزء كان. فلصدقه طريقتان: عدم الموضوع الاسمي، أو عدم الثبوت الحرفي. وليس السلب عين كذب الموجبة مفهوماً، بل يتلازم معه، فإنه (644) حكم بصدق عدم، وذاك كذب صدق وجود.

ومنها: أن المحال لا يتصوّر إلا بنوع محاكاةٍ وتشبيه. ومنها: أن وجود الموضوع، لاسيما في الذهنيات في الذهن وقت الحكم ضروري في الإيجاب والسلب. وإنما الفرق في وقت الثبوت. والفرق بين الوجودين في الإثبات والثبوت؛ أن الأول يكتفى فيه بوجه ما إجمالياً، وفي الثاني لا بد وجوده على جهة تصلح للاتصاف.

ومنها: أن ذات الموضوع لا بد أن يكون ممكناً في ذاته في الخارجيات (645). وما يتوهم من "لو" الفرضية المستعملة في تعريف الحقيقة فليس بمراد لهم. وإنما أرادوا بها الإشارة.. إلا أن الشيخ يفرض الموضوع متصفاً بالعنوان..

اجتماع النقيضين ممتنع. تحليله: اجتماع النقيضين الموجود في الذهن تحقيقاً أو فرضاً له، وهو في الذهن يثبت لمصداقه وهو في الخارج في الذهن، (646) ممتنع في الخارج. ففي الخارج قيد المحمول لا الحمل. وكذا في بعض الأحيان في الذهن والجهات. ومنها: أن النقيض نظير نقيضه (647) في الأحكام. وإلا لم يكن النقيض نقيضاً.

640 (كذبوي ص 17س. 22)

641 (صفة الوجود.

642 (المحقق الخارجي، والممكن الخارجي، والمحقق الذهني، والفرضي الذهني). تقرير)

643 (الخارجي والذهني.

644 (أي عدم). (أجبر

645 (الخارجية والحقيقية.

646 (متعلق بيثبت.

647 (لأقربيته في الذهن له.

[فصل في العدول والتحصيل... الخ(648)]

اعلم أن بسبب العدول في تحصيل العدول والتحصيل عن الموجبة السالبة المحمول بظنّها سالبة أو معدولة، اختلف كثير من قوانينهم، حتى الإيجاب في صغرى (649)الأول، وحتى وجود الموضوع في الإيجاب.

فقول أولاً: لمّا كان المعتر في القضية الموجبة ذات الموضوع، ومفهوم المحمول كان لعدول المحمول تأثير مهم في صورة القضية، فهذا اعتبروا العدول. والسالبة المحمول؛ باعتبار المحمول أولاً وبالذات. وفيها إثبات: والشيء ما لم يثبت في نفسه، فالأصل أن لا يثبت لشيء. وما لا يثبت لا يثبت له شيء. والأصل ثبوت ما يظهره. فثبت أن الأصل تحصل عنوان الموضوع والمحمول. فلنا ثلاثة ملتبسة:

السالبة البسيطة. والموجبة السالبة المحمول. والموجبة المعدولة. فالأخيرة تفارقهما معنى، بقابلية الموضوع لمدخل النفي صريحاً أو ضمناً، كالصريح بشخصه في زمان الحكم. وقيل مطلقاً.. وقيل بنوعه.. وقيل بجنسه.. وأيضاً، لأن الثبوت الحرفي فرع الثبوت الاسمي. والعدمي لا ثابت، فيشف عن أمر ثبوتي. وهذا (650)لازمه البين ليتسعه في الثبوت، ولفظاً بعين وغيره. وتفارقهما الموجبة السالبة المحمول بأنها مخمسة الأجزاء، مكررة النسبة السالبة في الملاحظة. وقضية ذهنية باعتبار أن المحمول هو السلب الذي هو ذهني. ولا يلزم في موجبها إلا وجود الموضوع في الذهن، ولو كان المحمول الظاهري خارجياً. ومن هنا، تراهم يقولون: "هي كالسالبة البسيطة، لا تقتضي وجود الموضوع."

[تنبيه: قد يحكم بثبوت الخ (651)] إن الموجبة المحصلة تتلازم تعاكسياً عند وجود الموضوع.. وملزوماً فقط بدونه، مع السالبة السالبة المحمول، والسالبة المعدولة. وإنه تكرر النفي، فهما مع عدمه فيها. والسالبة المحصلة تضادهما.. وتتلازم تعاكسياً، إلا في

648 (كلمة) ص 19 س. 12

649 (الشكل).

650 (أي العدمي).

651 (كلمة) ص 20 س. 17

الذهن مع الأول. وبالتفصيل مع الثاني.

"[فصل "الحملية مطلقاً الخ(652)].."

اعلم أن طبيعة القضية أن يقدّم الموضوع ويقدم عليه سوره، لأنه كميته. ثم النسبة ...
وتقدّم عليها جهتها، لأنها كميته. ثم المحمول، وقد تعدل عن طبيعتها .

وصدق الموجبة تقتضي صدق ثلاث قضايا ضمنيّات:

الأولى: ثبوت المحمول للموضوع.

الثانية: ثبوت المحمول للموضوع بهذا السور.

والثالثة: ثبوته له بهذا السور ضروري مثلاً. وصدق السلب بعدم أحدها، والظاهر
توجّه السلب إلى أخص القيود. فالكذب والصدق في المسوّرات باعتبار السور، وفي
الموجهات باعتبار الجهة.

تنبيه: ومما يلزم للمحصّل أن يراعيه أن لا يصير القاعدة منحصرة في المثال، كما
تخيّب فيه كثير. فإن المنطق يبحث عن الضرورة واللاضرورة والدوام، كذلك والإمكان .
مع أن مرادهم من الضرورة، هي وما يرادفها من الوجوب واللزوم والقطعية حتى البدهة
واليقينية ..ومن الإمكان، هو وما يرادفه من الصحة والجواز والاحتمال، حتى الشك ..
ومن الدوام، هو وما يماثله: كـ"أبدأ"، و"في كلّ وقت"، و"مستمر"، و"على كل حال "
ونظائرها ..ومن "لا دائماً"، و"لا بالضرورة" ليس لخصوص "لا" و"ضرورة" تأثير .
بل قد يكون معنى "لا" في قالب الفعل صريحاً، (653)أو ضمناً (654). ومعنى "الضرورة"
و"الدوام" قد يكون في ضمن الفعل والحرف كـ"ينبغي، واستمر، وقط، وعوض، وإن".
وأيضاً قد تكون هذه الجهات جهاتاً لعقد الوضع ..وقد تكون قيوداً وأجزاء
للمحمول ..فتنبّه وإلّا تقع في حيص ببص.

ومما وجب التنبّه له: أن سلب الضرورة نقبض ضرورة السلب، وسلب الدوام نقبض

652 (كلنبوي ص 20س.25)

653 (ك"ليس".

654 (ك"امتنع"

دوام السلب، وسلب الإمكان معاند إمكان السلب. ففي القضية السالبة- إن قدرت السلب بعد الجهة- كان سالبة لموجبة موجهة، لا سالبة موجهة.. وإلا فهي موجهة بتلك الجهة .
ثم إن الجهة كيفية النسبة باعتبار، ومادة للقضية بأخرى. ولا بد في نفس الأمر منها .
فإن كانت في اللفظ أيضاً، فموجهة. ومن الموجهة المقيدة بالإطلاق.. وإلا فمطلقة.
تنبية: للنسبة حالات. فمن الإمكان الاستعدادي إلى الإطلاق سلسلة أفعال المقاربة .
ثم للثبوت صور وكيفيات؛ فمن صور الأفعال الناقصة، ومن كيفيات إثباته أفعال القلوب وما يشير إليه الحروف المشبهة ونظائرها. وأساسها يرجع إلى الطبقات الثلاثة المشهورة. فإن النسبة ثبوت وهو وجود حرفي. والوجود بالنسبة إلى الشيء إما واجب، أو ممتنع، أو ممكن. وللوجوب والإمكان مراتب متفاوتة النتائج. والجهات التي بينها المنطقيون، التي كثر استعمالها قليلة العدد.

اعلم أن أساس الموجهات (655) إما اثنان، كالوجوب- وجوداً وعدمًا- والإمكان.. أو أربعة، كالضرورة، واللاضرورة، والدوام، واللا دوام.. ومنها السلاسل: أو ثلاثة عشر، أو بين خمسمائة وألف.

ثم القضية مركبة وبسيطة. والمركبة قيدها قضية ضمنية. وفي مقابلة كل ضرورة إمكان. وأصول الضرورة ست: الضرورية الأزلية، والذاتية الناشئة، والذاتية المطلقة، والوصفية، والوقتية، وبشرط المحمول. لأن ضرورة ثبوت المحمول إما غير مقيد قطعاً وهي الأزلية، أو مقيد بقيد داخل: كمادام الذات ذاتاً وهي الناشئة. ومادام الذات موجوداً، وهي الذات المطلقة. أو بشرط المحمول، أو بقيد خارج ناعت، وهي الوصفية بأنواعه الثلاث، بل عشرين، أو لا، وهي الوقتية بأنواعه الاثنتين، بل أربعة وأربعين.

إن الضرورية الأزلية مصداقها في الأوصاف الإلهية: الثبوتية والسلبية (656) وفي كثير السوالب (657) فإنه إذا سلب في وقت (658) وجود الموضوع، استلزم عند عدمه

655 (كلنبوي ص 22 س 19 مضموناً، وعلى الرغم من تضمن الكتاب مضامين كهذه فالموضوع مستقل إلى الأخير. ع. ب.

656 (والسبع.

657 (فيما علم عدم الثبوت في مدة الوجود. تأمل!

بالطريق الأولى، وهو يستلزم أولاً.

والضرورة الناشئة، وهي أن تنشأ من الذات. أعني مادام الحقيقة حقيقة، أي لا تنقلب إلى حقيقة أخرى الذي هو محال، لا بد من المحمول. ومصادقها في الموجبات الأوصاف الإلهية (659) ليس إلا. فإن بعدم العلم مثلاً، ينقلب الواجب ممكناً. وبعدم الناطق للإنسان يصير معدوماً، وهو ليس بمحال.

وأما سلب الأنواع أو لوازمها من أنواع آخر، فتصدق فيها الناشئة. فإن "الإنسان ليس بفرس"، (660) إن لم يصدق انقلبت حقيقة الإنسان إلى الفرس وهو محال.

والضرورة الذاتية، أي المطلقة. لأن القيد الوجودي على أحد الأنحاء، والوجود (661) نفس الذات. فإن كان القيد خارجاً؛ فإن كان وصفاً فهو مشروطة ظرفية.. إن كان منشأ الضرورة (662) الذات ومشروطة شرطية إن كان للوصف دخل، كـ"الدهن الحارّ ذائب". ومشروطة أجلية إن كان المنشأ الوصف، كالكاتب متحرك الأصابع... وكلّ من هذه الثلاثة قد يكون عنوانها ضرورياً (663) للذات، وقد لا (664).

وإن كان القيد وقتاً، فوقتيةً إما معيّن، أو وقت منتشر. وكل منهما إما من أوقات الذات، أو من أوقات الوصف. فإن كان بشرط المحمول فالضرورة بشرطه. وأساسه: أن كلّ ممكن موجود محاط بوجوبين بالغير (665): وجوب سابق بوجود العلة التامة، (666) التي

658 (كقولك: فلان ليس بعالم.

659 (التي هي عين الذاتي والسبع القديم لا الغير. تأمل!

660 (أو ليس بباقر.

661 (فكأنه غير مقيد.

662 (كالكاتب حيوان.

663 (كالإنسان حيوان .

664 (كالأمثلة.

665 (أي لا ممكن ثابت، كالأعتبارات. فإنه لا يحاط بوجوب أصلاً. لأنه يقتضي العلة التامة. ومن هنا ينكشف الجزء الاعتباري. فتأمل! تقرير)

666 (أي إن الوجوب حاصل وملزوم للعلة التامة، وهو إرادة الله جل وعلا. إذ الممكن لا يوجد حتى يوجب. ووجوبه هو تعلق الإرادة الكلية، وهو العلة التامة. إذ بالتعلق يتمتع التخلف، فيصير واجباً. فتأمل حق التأمل! تقرير)

يمنتع تخلف المعلول عنها.. ووجوب لاحق وهو وقت الوجود،⁽⁶⁶⁷⁾ يمنتع عدمه للزوم جمع النقيضين⁽⁶⁶⁸⁾. فالضرورة بشرط المحمول ناظرة إلى الوجود اللاحق صريحاً والسابق ضمناً.

الأزلية أخص الكلّ، وأعم من الناشئة باعتبار، والناشئة أخص الكلّ.

ثم الذاتية أخص ممّا بعده، إلا أن في أخصيته بالنسبة إلى المشروطة الأجلية والشرطية نظراً هو⁽⁶⁶⁹⁾. والوصفية أخص من الوقتية.. والمعينة أخص من المنتشرة.. والدوام الأزلي والذاتيّ أعم مطلقاً ممّا يقابلها من الضرورة. ومن وجهٍ مما عداه. والذي يركب به القضيّة ما يدل على معنى لا دائماً ولا بالضرورة، بأي لفظ وبأي صيغة كانت. والقضية لا يقيد بنفي المساوي والأعمّ، بل يقيد ويركّب بنفي كل ما كان أخص منه، أو أعمّ من وجه.

الدوام أزلية وذاتية ووصفية كالضرورة. إلا أن الانفكاك ممكن غير واقع. الضرورة الأزلية، تتركب بنفي الضرورة الناشئة. والناشئة بسيطة أبداً. والذاتية لها ثلاث مركبات بنفي الضرورة الأزلية والناشئة والدوام الأزلي.

والمشروطة: بأقسامها الثلاثة أو الستة تتركب بنفي سوابقها مع الدوامين⁽⁶⁷⁰⁾. فلها خمسة عشر أو ثلاثون.

والوقتية: بأقسامها الأربعة تتركب بنفي سوابقها، والدوامين، فلها إما أربعة⁽⁶⁷¹⁾ وعشرون أو أربعة وأربعون⁽⁶⁷²⁾.

وبشرط المحمول: تتركب بنفي كلّ ما كان أخص منها. فلها⁽⁶⁷³⁾ خمسة عشر...

667 (أ) أي في أن الوجود. وأما وقت البقاء فهو باعتبار العلة التامة. تأمل! (تقرير)

668 (إذ لو لم يكن واجباً، يكون ممتنعاً فيجمع مع مقتضى العلة.

669 (في الأصل المخطوط كذا.

670 (الذاتي والأزلي.

671 (بعد الوصفية واحدة.

672 (بعد الوصفية ستة.

673 (بعد الوصفية ستة، والوقتية أربعة مع الدوامين.

والضابط في نسبها: أن المقيد بنفي الأخص أعم، وبنفي الأعم أخص. ومن وجه، فمن وجه.

فإذا فرغنا من الضرورة، فلنشرع في اللاضرورة بسرّ الترتيب.. واللاضرورة هي الإمكان (674) إلا أن الإمكان في أيّ جهة كان فاللاضرورة التي هي معناه تتصرف في الجانب الآخر.. وبالعكس، فهما مترادفان، (675) متخالفان (676). ومن هنا يقال: كان الإمكان نقيض الضرورة (677) وأعمّ منها (678). وإن كان بالإمكان متعلقاً بالمحمول فالقضية ضرورية.. (679) فزيد قائم بالإمكان (680) بالضرورة. لما كان الإمكان لا ضرورة، والضرورة تتصوّر بصور كثيرة؛ كما في الشرطية (681) باللزوم، والذهنية بالبداهة.. والقضية البسيطة بالوجوب (682). كذلك الإمكان يتلون (683). والوجوب ذاتي في مادة الضرورة (684) الأزلية والناشئة، وبالغير في غيرهما.

وقد يكون الإمكان مقابلاً للمطلق (685). أي الإمكان بالقوة المسمّى بالاستعدادي، وليس من الموجّهات. والإمكان الذاتي المقابل للضرورة الذاتية الخارجية لا يستلزم الإمكان الذهني المسمّى بالشك، والاحتمال المقابل للضرورة الذهنية المسماة باليقين والبداهة

674 (وأيضاً الضرورة عقلي وشرعي وصنعي. والأول هو هنا). تقرير ()

675 (مألاً.)

676 (باعتبار المكان.)

677 (باعتبار أن معناه اللاضرورة.)

678 (فزيد قائم بالضرورة بالإمكان.. الحاصل: إن ذكرتهما وجعلتهما جهة فالإمكان أعم، إذ

يقع على نفسه. واللاضرورة فيه يقع على جانب الآخر المخالف. فإن بدلت الإمكان

باللاضرورة، يجتمع النقيضان). تقرير ()

679 (إما في نفس الأمر فقط أو فيهما.)

680 (أي القيام الممكن ضروري. وكذا إن جعلت اللاضرورة قيد المحمول فتكون المعنى: أن

القيام الواجب ممكن. أي عدم القيام الواجب ليس بضروري). تقرير ()

681 (والإمكان المقابل له هو الاتفاق.)

682 (إذ الوجوب إذا كان المحمول وجوداً ضرورة.)

683 (كالإمكان والاتفاق والشك.)

684 (أي موجباتهما، أما سوايهما فالعدم ذاتي.)

685 (أي للضرورة بشرط المحمول وهو المطلقة.)

والعلم. ومن هنا يقال في بدهة الوهميات المحسوسة في العلوم العادية" (686): أن الإمكان الذاتي لا ينافي اليقين العلمي"، (687) فبحر الـ"وان" ليس بـ"دوشاب" (688) "وجبل" سيان" ليس بـ"شكر" في الشتاء، وعسل في الصيف (689).

والإمكان بسيط أي عام، ومركب أي خاصّ. والبسيط: إما مقابل المطلقة، (690) أي لا دائماً، أي بالفعل، فهو الإمكان الاستعدادي (691). وما يقابل البدهة فالإمكان الذهني.

ثم ما يقابل الأزلية والناشئة، فالإمكان الذاتي، نظير الوجود الذاتي (692). وما يقابل الضرورة الذاتية، (693) فالإمكان العمي. وما يقابل الوصفية بأقسامها، فالإمكان الحيني (694) أي في حين ما من أحيان (695) الوصف التي ثبت الشرطية في كلها. وما يقابل الوقتية المعينة فإمكان وقتي، وما يقابل المنتشرة أي وقت ما كالنكرة فالذي يقابلها ويضادها الإمكان الدائمي المحيط الذي لا يفلت من يده الفرد ما المختفي. وما يقابل الضرورة بشرط المحمول المستلزم للمقابلة لكل الضرورات، إمكان وقوعي (696). إن كان بسيطاً (697) وإمكان استقبالي (698) ليس إلا إن كان مركباً أي خاصاً.

686 (أ) أي علم هو العادة.

687 (لأن اليقين العلمي الحاصل من الوهميات لا يزول ما لم يجئ عن دليل وأمارة. إذ الأصل البقاء على حاله). تقرير (

688 (أ) أي الآن باليقين العلمي، وإن كان بالإمكان الذاتي). تقرير (

689 (الأولى": ليس بمغلقٍ بِكُفْجِكُ)، أو" ليس بخبز" بنان" ليناسب في الأكل أيضاً - . لكتابه).

690 (اللاذوم والإطلاق وبالفعل وبشرط المحمول مترادف. إلا أن الإمكان المقابل للأخير غير ما يقابل ما تقدم). تقرير (

691 (وهو غير الإمكان الوقوعي الآتي. لأن في هذا لا يجوز الحمل، فلا يقال": النطفة إنسان" بالإمكان الاستعدادي بخلاف الوقوعي). تقرير (

692 (إذ الناشئة والأزلية نظير الوجود الذاتي وإن لم يكن المحمول وجوداً.

693 (و الوجود بالغير.

694 (كالكاتب ضاحك بالإمكان أي إن البكاء ليس بضرورة له مادام كاتباً). تقرير (

695 (إذ ما يقابل جميع أوقات الوصف الحين.

696 (ويسمى إمكاناً- بحسب نفس الأمر-.

697 (وهو الصرف الخالي في الكل، لمقابلته المطلق). تقرير (

698 (فالاستقبال معتبر في المحمول. لأنه سلب مطلق الضرورة من الجانبين. وهو لا يمكن إلا

إن للإمكان العام البسيط المتضمن للاضرورة ما، الذاهب إلى جانب الخلاف مركباتٍ بسبب كونه أعمّ بنفي كل ما كان أخصّ من الضرورات الإحدى عشر، والدوام الثلاث والمطلقات الخمسة، (699) ومن أشهرها الإمكان المتضمن للاضرورة الذاتي، والمقيد بها أيضاً المسمى بالإمكان الخاصّ والجواز. وفي الذهنية باعتبار الوقوع، وفي غيرها باعتبار الإيقاع، المسمى بالشك والتردد والاحتمال.

فإذ فرغنا من الضرورة واللاضرورة فلنتمسك بأذيال الدوام واللاادوام.

اعلم أن الدوام شمول الأزمان، ككل للأفراد. ويتضمن الموجهة لثلاث قضايا، وقد يكون المقصود أحدها. فينص عليها. وفي ما كان المراد القضية المستفادة من الجهة، يقال في موضع هذا ذاك دائماً. ما برح، ما انفكّ، ما زال، ما فتى "ونظائرها وأمثالها في الدوام الذاتي... و"مادام" وما يرادفه في الدوام الوصفيّ.

ثم إن للدوام أقساماً ثلاثة: الدوام الأزليّ.. ويبدل عليه "أزلاً وأبداً وسرمداً، وفي القدم"، سواء كانت قصداً أو قيداً. وهذا الدوام لما كان أعمّ مطلقاً من أوليتي الضروريات، ومن وجه من الباقيات: تقيد وتركب بنفي كل منها.

والدوام الذاتي: لما كان أعمّ مطلقاً من الثلاثة الأول من الضروريات والدوام الأزلي، ومن وجه من بواقِي الضروريات، يركب مع نفي كلّ منها.

والدوام الوصفي: سواء كان الوصف أيضاً دائماً للذات، أو لا، أعمّ مما سبق.. يتركب مع نفي كلٍ منها سواء كان هو المصرّح أو قيده.

أما اللاادوام، المتضمن للمطلقة العامة التي "الإطلاق" قيدها المرادف لـ"بالفعل"، إما

في الاستقبال. لأنك إن قلت: "زيد قائم" مثلاً بالإمكان الخاص، وأردت سلب الضرورة بأقسامه من الجانبين، كان المعنى: "أن الضرورة القيام مطلقاً، مسلوباً في العدم والوجود وهو محال.. إلا أن تعتبر في الاستقبال، بأن تقول فيها: "غدا... مثلاً أي إن قيامه وعدمه الأنّي ليس بضروريّ الآن، لأنه عدم ولا يحكم عليه بها. وأيضاً الإمكان الخاص يقابل كلّ واحد منها، كالعامّ. وقد يقابل الرابع والخامس والسادس والسابع معاً. وهو ليس بصرف.. (تقرير)

699 (الأربعة الوقتية والمطلقة).

غير منظور فيها إلى الوقت، وهي المطلقة العامة العامة. وإما منظور فيها للوقت، وهو إما معين أو مبهم؛ وكل منهما إما وصفيّ أو ذاتيّ. فالفرق بين وقت الضرورة ووقت المطلقة في التعبير؛ أن تقديم المطلقة على الوقتية علامة المطلقة. وتقديم الوقتية عليها علامة الضرورة. والفرق بين مركب الضرورة وبسيطها؛ أن اسم البسيط مركب مع المطلقة، والمركبة بسيط.

ثم إن للمطلقة "بأقسامها الخمسة" الأعمّ من كل ما سبق غير، بشرط المحمول والإمكان العام تحصل لها مركبات بعدد نفيها. ومن أشهرها: المقيدة باللاذوام الذاتي المسماة بالوجودية اللادائمة.. وباللاضرورة الذاتية المسماة بالوجودية اللاضرورية. فاعلم أن النسب في المنطق كبيت العنكبوت.. وبواسطتها تصطاد الصفات العالية التي لها تعلق مهم لمقاصد المنطق، والتي كالأجناس للمتناسبات.

ومما يجب التنبيه له؛ أن الإمكان العام أعمّ من الضرورة، وهو (700) نفي الضرورة. فأعميته باعتبار الجانب الموافق، وإلاً فنقيضه. وله (701) بحسب الاستعمال نوعان: ناظر إلى الوجود، هو أعم من الواجب.. وناظر إلى العدم، هو أعمّ من الممتنع.

وأيضاً: إن القيود في تعاريف هذه الموجّهات؛ لا بشرط شيء، لا بشرط لاشيء أو بشرط شيء.. وإلاً لكان المنتشرة مباينة للوقتية. فالإبهام غير متعين للقيدية.

وأيضاً: كما أن القضية تنحرف عن طبيعتها باعتبار السور؛ كـ "الحيوان كلّ الإنسان". وقد تكون مهملتها في قوّة الجزئية أو الكلية؛ كذلك، الموجهة تنحرف عن طبيعتها والمهمله عن الجهة، قد تكون في قوّة المشروطة أو العرفية؛ بحكمة: أن الحكم على المشتق أو ما في حكمه يدل على عليّة مأخذ الاشتقاق، أو ظرفية للحكم.

وقد تلتبس مهملتها على الأذهان، التي بحسب الصورة من الضرورات الناشئة.. وبحسب الحقيقة من العرفية والمشروطة. وهي فيما تنقلب صورته النوعية حقيقة، أو حكماً إلى غيره؛ كـ "الماء أثقل من الهواء". أو "الألف لا تتحرك". ومن هنا يقال: العرفية

700 (الواو للحال.

701 (أي الإمكان.

والمشروطة مع كون العنوان عين الذات، توجد بدون الدوام الذاتي والضرورة الذاتية. اعلم أن الكلام الواحد قد يتضمن قضايا متعدّدة، بالنظر إلى قيوداته؛ ففي أي قيد تمركز القيد، تأصل واستتبع أخواته.. فيتلوّن بأشكال متنوعه، حتى قد يستخدم ما كان مخدمه.

وللضبط وعدم الانتشار اختصر لنا القضايا والأشكال اختصاراً؛ ففي شكل من الموجهات المركبة الكلية قد تشتبك أربعة أشكال في شكل، والنتيجة الواحدة تمتزج فيها أربعة نتائج، المستخرجة من ضمّ القضايا الضمنية من الصغرى إلى الكبرى أو تواجها. فمن هنا، قسموا الموجهة إلى المركبة أيضاً.

ثم إن الجهة والسور معينان، ليس بينهما ترتب طبيعي كما في معاني علم المعاني، فكما يقمّ الجهة على السور؛ يتقدم هو عليها معنى، فتكون الجهة كقيّة للقضية المستفادة من السور. فيكون الإطلاق بالنسبة إلى الزمان الماضي والحاضر.. والإمكان بالنسبة إلى زمان الاستقبال، وقس.. وقد يتوهم أن تقدم السور على الجهة، يستلزم الكل الإفرادي. وتأخره يفيد الكل الاجتماعي. وإمكان الشيء بحسب الأفراد مع قطعته قد يتطرق الشك إليه بحسب الاجتماع. لأن كثيراً ما يتولّد المحال من اجتماع الممكنين.

ومما يدل على المشروطة الخاصة، والعرفية الخاصة، والوقئية والمنشورة، بل المركبات مطلقاً المفهوم من المفهوم المخالف بأنواعه المعبرّ في المقام الخطابي المكتفي بالظن، فيكون القضية بسيطة لفظاً، مركبة معنى. ولما لم يكتف أهل الاستدلال بالظن، اضطرّوا للتقييد والتركيب لفظاً.

[تنبيه: الضرورة تطلق عندهم... الخ (702)] اعلم أن موضوعية الموضوع غير محموليته.. وغير محمولية المحمول والجهة كيفية للأول. فإن محمولية الواجب الأعمّ ليس بضرورية مع ضرورية القضية؛ كـ"الإنسان حيوان" وفي الخاصة الفارقة موضوعيّتها ضرورية، دون محموليّتها.. كـ"الكاتب إنسان بالضرورة".

ثم فاعلم أن القضية كما تتركب باعتبار القيود المشهورة، كذلك تتركب وتتعدد باعتبار

تعدد الموضوع أو المحمول لفظاً⁽⁷⁰³⁾ أو في حكمه⁽⁷⁰⁴⁾ وقيل أو معنى .. فإن كان الجزء جزئياً، أو جزءاً محمولاً؛ كان قياسياً يسر أن المحمول المتعدد- كما ذكر -يستلزم حلّ جزئه عليه بالضرورة الوصفية، باعتبار كونه كلاً، وهو⁽⁷⁰⁵⁾ محمول على موضوع قضيتنا .فأنتج بالشكل الأول التابع نتيجته إن كان الكبرى وصفية للصغرى في الجهة .. وهي⁽⁷⁰⁶⁾ أصل قضيتنا.

فالقضايا المستخرجة باعتبار تعدد المحمول توافق أصل القضية في الكم والكيف والجهة .وأما باعتبار تعدد الموضوع فتستخرج بصيرورة الموضوع الكلّ موضوعاً لجزئه⁽⁷⁰⁷⁾ بالبداهة .. وهو⁽⁷⁰⁸⁾ موضوع لمحمول القضية .فثبت بالشكل الثالث ثبوت المحمول للجزء بعضاً، وهو المطلوب ..إلا أن هذه توافق الأصل في الكيف فقط، دون الكم لأنه ولد الثالث ..ودون الجهة، لأن نتيجته تابعه للعكس .والعكس لا يحفظ الجهة بعينها.

اعلم أن الوجوب والإمكان والامتناع المضافة إلى الوجود، والعدم، ونفائضها كثيراً ما تتبادل في المواضع ..يسر التلازم التعاكسيّ في بعضها .كنظير " زلزل .." من وجب وجوده وامتنع عدمه .ويمكن لا يجب ولا يمتنع .وغير تعاكسيّ، كما في بعض المنفيّات؛ ك"لا يجب وجوده ولا يمتنع عدمه."

[فصل الشرطيّة إلى الخ⁽⁷⁰⁹⁾]

اعلم أن الشرطيّة عند أهل النقل، وكذا الشافعية، حكمها في أجزائها .وعند أهل العقل،

703 () كالقائم القاعد حيوان.

704 () كالزيدان قائمان.

705 () أي المحمول.

706 () أي الصغرى.

707 () كالقائم القاعد قاعد، والقائم القاعد حيوان.

708 () أي الموضوع.

709 () كلنبوي ص 24س.12.

وكذا الحنفية، حكمها فيما بينها. ومن هنا يتولد بينهم اختلاف مهم، حتى قال الأولون :
بمفهوم المخالف للشرط دون الآخرين ..بسرّ أن القول الأول " :على أن تصرف الشرط في
الوقوع، والقول الثاني " على أنّ تصرفه في الإيقاع . "ومن هنا تتولّد مسألة الملك .أعني :
"إن ملكث هذا فهو حرّ . "فعند الشافعي لغوٌ ..لأنّ الجزاء هو العلة، ولم يصادف محلاً قابلاً
بسبب عدم تقييد الإيقاع . وعند الثاني تتعدّد العليّة بعد وقوع الشرط، بسرّ تقييد الإيقاع ..
وكذا اختلافهم في المستثنى .. فعند الأول :نقيض الحكم الوقوعي للمستثنى، بسرّ التوحيد
بكلمته . وعند الآخر :نقيض الحكم (710)الإيقاعي، (711)أي المستثنى مسكوت عنه .

ثم الشرطيّة تنقسم باعتبار الحكم وكيفيّةته، والمقدّم والتالي، وباعتبار السور ..فالنسبة
إما عنده، أو عنه ..فالأول :إما فيه ما يتأمله الذهن، لينتقل إلى التالي بيتاً، أو غير بيّن،
فلزوميّة، ومطائها : (712)إنّ اتحد طرفا كل منهما، أي من المقدم والتالي على الترتيب
نسب المسوّرات والموجهات؛ فجعل الأخصّ والمساوي في كلّ مادة منها مقدّماً، والأعمّ
والمساوي الآخر تالياً، أو لا على الترتيب، فمطائها العكوس .فاجعل الأصل مقدّماً
والعكس تالياً، للزوم العكس لأصله .وإن اتحد في طرف، (713)فلا بد أن يكون الطرفان
الأخران متساويين .أو أعمّ أو أخصّ .وسرّ اللزوم استلزام حمل الشيء على المساوي .أو
وصفه (714)له (715)حملّه .أو وصفه للمساوي الآخر (716) .

ومن مظان اللزوم أيضاً، جعل الدليل مقدّماً والنتيجة تالياً، للزومها أيضاً ..وإن لم يتحدّ
الأطراف في المقدم والتالي فمطائها في كل ما يكون من مقول الإضافة والنسبة؛ كالأفعال

710 ()وهو السكوت .

711 ()أي ثابت .

712 ()أي اللزومية (أجبر .

713 ()بأن كان موضوع المقدم والتالي واحداً والمحمول .تقرير)

714 ()أي الشيء (أجبر .

715 ()أي المساوي (أجبر .

716 ()ككلما كان كلّ إنسان ناطقاً، كان كل إنسان ضاحكاً .أو ككلما كان كلّ ناطق حيواناً، كان

كلّ ضاحك حيواناً .وكلما كان كل حيوان جسماً، كان كل إنسان جسماً .وكلما كان كل

إنسان ناطقاً، كان كل إنسان حيواناً .تقرير)

المتعدية: إن كان هذا فاعله، فذاك مفعوله. أو فوق وتحت.. أو معانداً فمعاند.. أو أباً فابن.
ومن مظانها أيضاً ما فيه علوية عقلاً (717) أو شرعاً (718) أو عادة أو سببية (719)
وعلاقتيته (720) سواء كانت الأولى (721) معلولاً (722) أو الثانية، (723) أو كلاهما لشيء آخر.
وإذا اتحد المقدم والتالي في المنفصلة، فمظانها التناقض. وبسرّ (724) أن المنفصلة
تتركب من عين مقدم كل متصلة، ونقيض تاليها مانعة الجمع.. ونقيض مقدّم كلّ متصلة
وعين تاليها مانعة الخلو.. تعرف بالمقايضة أنواع المنفصلات مما ذكرنا، بدخول النفي
على التالي أو على المقدم في المتصلة. ومما يجب التنبيه له أن الشرطية كثيراً ما تتلبس
بغير لباسها.. وكثيراً ما تعصر فيتقطر منها روحها، فيدخل في لفظ مفردٍ كلزومه له.

اعلم أن الترتيب بين جزئي المتصلة ترتّب طبيعي دون المنفصلة. ولذا لا عكس
لها (725)، فلا عليك كيف رتبته.. بسرّ أن الحكم المتصلة وهو اللزوم مثلاً من مقول
الإضافة التي تختلف نوعاها، كالولادة المتنوعة إلى الأبوة والبنوة، والضرب إلى
الضاربية والمضروبية، وعناد المنفصلة من المتماثلة الأنواع، كالأخوة والمساواة،
وقس..!

ثم المنفصلة حقيقتية.. إن ذكر الشيء مع نقيضه أو مساويه، واستلزم عين كلّ (726)
نقيض الآخر، للعناد في الصدق، وبالعكس، للعناد في الكذب.. وهي بدهية (727) التصور؛

717 (كإذا طلع الشمس وجد النهار.

718 (كإذا بلغ الصبي العاقل فالصلاة واجبة.

719 (كإن جنتني أكرمتك..

720 (كإذا ارتفع الدخان، فالنار). تقرير)

721 (أي المقدم.. أي في الخارج. لأن في الذهن ملزومية المقدم ولازمية التالي معلوم من
طور الكلام دائماً.

722 (العلة ما كان موجباً ومؤثراً، أو السبب ما كان موصلاً ومهيئاً). تقرير)

723 (أي التالي.

724 (متعلق بتعرف.

725 (أي المنفصلة (أجبر).

726 (أي كل جزء (أجبر).

727 (إذ أبده البدهيات عند العقل عناد النقيضين.

وإن تعدّد أجزائها في الظاهر، فبالحقيقة متعدّدة... وإلّا لزم استلزام عين كلّ أو نقيضه (728) لعين أحد الأجزاء أو نقيضه. إلّا أن ينظر إلى المجموع وهو غير متعارفة.

ثم مانعة الجمع؛ ما ذكر الشيء مع الأخصّ من نقيضه، (729) واستلزام عين كلّ نقيض الآخر، (730) لا بالعكس، أو مطلقة على المعنى الأعمّ، وهي (731) نظرية التصوّر مستفادة من منفصلة حقيقية صغرى، ومتصلة لزومية كبرى. هكذا: "في" إما إنسان (732) وإما فرس"، إما (733) إنسان أو لا إنسان. وكلما كان فرساً، فهو (734) لا إنساناً. فمعاند (735) اللازم، (736) معاند الملزوم (737) فإما إنسان وإما فرس.

ومانعة الخلو؛ ما ذكر الشيء مع الأعمّ من نقيضه، واستلزم نقيض كلّ عين الآخر، لا بالعكس.. أو مطلقاً على المعنى الأعمّ. وأيضاً نظرية مستفادة من منفصلة حقيقية صغرى، ومتصلة لزومية كبرى.. من نظير الشكل الأول هكذا: "في" إما لا إنسان وإما لا فرس إما لا إنسان وإما إنسان بالبداهة. "وكلما كان إنساناً فهو لا فرس بسرّ الأخصيّة. فأنّج: إما لا إنسان، إما لا فرس.

واعلم أن الانفصال بأقسامها لا يختص بالقضايا، بل قد يكون في المفردات، سواء كان محمولاً أو قيّداً من قيوده. والمنار عليها تأخّر أداة الانفصال عن الموضوع أو المحمول.. وكذا المتصلة قد تتأخّر أداؤها، إلّا أنه لا فرق بين التّقدم والتأخّر فيها. وفي المنفصلة مع المرددة المحمول إن تقدّم أداة الانفصال، فمانعة الجمع.. وإن تأخّرت صارت

(728) متعلق باستلزام (أجبر).

729) كالفرس، فإنه أخص من اللاإنسان.

730) إذ فيه عناد الصدق فقط.

731) (أي مانعة الجمع) (أجبر).

732) مانعة الجمع.

733) منفصلة صغرى.

734) ملخص الدليل). قوله: فمعاند الخ (أجبر).

735) (وهو الإنسان في الصغرى).

736) (وهو اللاإنسان في الكبرى).

737) (وهو الفرس في الكبرى).

حقيقية؛ ك" إما كل عدد زوج وإما كل عدد فرد"، مانعة الجمع فقط. وكل عدد إما زوج وإما فرد، في المرددة حقيقية. وسترى لهذا الفرق وقعاً.

ثم المتصلة الموجبة تتعدد مع محافظة الكم والكيف واللزوم بتعدّد التالي. يسرّ أن ملزوم الكل ملزوم الجزء اللازم للكل بالبداية. وفي السلب لا إلا جزئياً، وفي تعدّد المقدّم (738) بالعكس، كزلزل.. يسر استلزام عدم استلزام الكل للشيء عدم استلزام الجزء له.

والمنفصلة: فتذكر الميزان، (739) تتعدد بتعدد الأجزاء. حتى إن المانعة الجمع، أو الخلو المركبة من خمسة أجزاء عشرة قضايا ممتزجة، وقس.

اعلم أن سلب المتصلة مساو لموجبة المنفصلة، أو أعم. وسلب المنفصلة إما مساو لموجبة المتصلة، أو أعم. لأن سلب اللزوم إما عناد، أو انفصال. وسلب العناد إما لزوم، أو اتّصال اتفاقي. وسلب منع الجمع جواز الجمع، أي الاتصال، وسلب منع الخلو جواز الكذب. وما ثبت للمساوي أو الأعم يثبت للمساوي والأخص.

ثم إن الشرطية، سورها كجهة الحملات تنظر إلى الأوضاع الحاصلة من الأزمنة؛ كما في "متى" ونظائرها. أو الأمكنة؛ كما في "أين" ومرادفاتنا. أو الأحوال؛ كما في "كيفما" وما يتضمنها. أو الحياتيات؛ كما في "حيثما" (740) وأشباهه.

وأما من (741) "و" ما "مع استغراقهما، (742) سور المقدم الحملية معنى، لا الشرطية. فشخصيتها باعتبار الوقت المعين بلفظ مستقل؛ كما في "الآن" و"اليوم" وأمثالها. أو بالتضمن، وهي قوة الكلية في كبروية الشكل الأول.

738 (أي السالبة ناظرة إلى المقدم، فتعدد بتعدده، دون التالي والموجبة). تقرير)

739 (فإن كلا يوزن مع كل من الآخرين).

740 (حيث ك" أين" للمكان. لكنه أعم من "حيث"، إذ هو لمطلقه" أينما كان، وحيث له، لكن باعتبار قيود مميزة؛ ك"اجلس حيث زيد جالس" أي مجلس علم أو تجارة أو الوزراء أو غيرها.

741 (أي إن من" ما" أيضاً من كلمات الشرط فلم لا تكون سوراً؟ ج: لأنهما لاستغراق الأفراد، لا الأوضاع، فيكون سوراً للحملية التي صارت مقدماً وعلامة للمهملة ك"من تضرب أضرب".

742 (في علم الأصول).

وجهاً الوقتية (743) المطلقة والمطلقة الوقتية في الحملية، سور الشخصية (744) هنا .
فان لم يدل على بيان كمية الأوضاع؛ كما في " إن " و " إذا " و " لو " و " أو " و " إما " (745) " بلا
تقييد، ونظائرها وما يفيدها فمهملة في قوة الجزئية في مقام الاستدلال (746). وقد تكون في
قوة الكلية في مقام الخطاب. فإن دلّ (747) على استغراق جميع الأوضاع- ولو محالاً -
لكن أمكن الاجتماع مع المقدم. أي لم تنافي (748) الاستلزام أو سلبه، أو العناد أو سلبه؛
فكلية، وإلا فجزئية .

فللموجبة المتصلة": كلما " و " مهما " و " متى " و " حيثما " و " كيفما .. " وكذا": أيما " وكل
ما يرادفها، أو يفيدها، أو يتضمنها (749) من الجهات الدائمة أو الضرورية (750). فإن سر
هذه كجهاً الحمليات تنظر إلى الأزمنة ونحوها.

وفي المنفصلة الموجبة جهات الدوام والضرورة .. (751) وكذا": لامحالة، ولامناس،
ولامندوحة، ولاخلاص، ولابدّ، والبتة، وبتّة، وبتلة " وكل ما يرادفها أو يتضمنها. وسور
الموجبة الجزئية فيهما" قد يكون .. "يعنى دخول" قد " أو ما يدل على التقليل على كل

743 (و) هي الضرورة معيناً ذاتياً أو وصفاً.

744 (و) وكذا" من " و " ما " الماران.

745 (في) المنفصلة.

746 (المراد منه) اليقين.

747 (إذ) اللفظ الدال على الأوضاع لا يكون مراداً منه البعض المعين، لتساوي الأبعاض ..
فلزم الترجيح بلا مرجح. فيما أن يدل على المجموع وهو الواحد الاعتباري، والدلالة
عليه مجاز، وأهل الاستدلال لا يرتكبه .. وإما أن يدل على الواحد الحقيقي، وهو البعض
المبهم والدلالة عليه حقيقة. إذ بالإبهام يدور على الكل فيشتمله .. فلم الترجيح؟. تقرير)

748 (الأظهر) تناف (أجبر).

749 (أي) سواء كان قيداً، أو جزءاً، أو مركباً.

750 (أي) إن الحملية متى انعزلت إلى الشرطية - فإن كانت موجبة فجهاتها تكون سوراً لها .
فالضرورة والدوام الذاتيان للموجبة الكلية منهما، وللضرورة الوصفية والدوام كذلك .
وكذا الضرورة الوقتية المنتشرة، والدوام المبهم للموجبة الجزئية فيهما أيضاً .
والضرورة الوقتية المعينة والدوام كذلك للشخصية .. واللاضرورة للاتفاق فيهما .. وكذا
إن بدلت الشرطية بالحملية تجعل سورها جهة لها على هذا المنوال. تأمل! تقرير)

751 (في) فيهما المنفصلة والمتصلة مشتركتان.

الأفعال العامة؛ كـ"يحصل ويثبت". والأفعال الناقصة؛ كـ"قد يصير"، حتى، "قلما"، و"كثُرَ ما" وما يرافقه وما يتضمنها.

وكذا الجهات غير الدوام والضرورة الذاتيين.. وللسالبة الجزئية فيهما دخول حرف السلب على كل السور الكلية. وكذا قد لا يكون بالمعنى الذي مرّ. وللسالبة الكلية فيهما "ليس البتّة".. وكذا تأخر حرف السلب عن سور الكلية: كـ"دائماً ليس"، و"أبداً ليس"، و"واجباً ليس" و"وقس!"

اعلم أن منشأ اللزوم⁽⁷⁵²⁾ لا بد أن يكون هو المقدم وحده، أو مع الوضع أو الوضع بشرط علاقته، وتركيب بينه وبين المقدم.. وإلاّ فالوضع يكون أجنبياً. فمع استقلاله بالمتشبية كيف يكون وضعاً، مع أنه قد يكون عين التالي،⁽⁷⁵³⁾ فلزم استلزام الشيء لنفسه وهذيانه.

اعلم أن لفظ اللزوم أينما صادفته فهو ملخص قضية متصلة.. والعناد أينما صادفته فهو زبدة منفصلة.

واعلم أيضاً أن المنطق أساسه كشف اللزوم بين التعريف والمعرف،⁽⁷⁵⁴⁾ والدليل والنتيجة. فمن اللزوم ماهو متفاوت الأنواع بسبب التصرفات⁽⁷⁵⁵⁾ في الملزوم، كالدليل والتعريف. ومنه ما ليس له كثير تصرف وهو لوازم القضايا⁽⁷⁵⁶⁾ منفردة. فمن اللزوم⁽⁷⁵⁷⁾ ماهو قياسي، أي تحت الضبط، أي قانوني، كلزوم العكسين. وكذا العناد كعناد المتناقضين. ومنها: ماهو غير مضبوط، بل يعد عدأً؛ كشرطية الشرطيات، إما بالانفصال بين الشرطيتين، أو بالاتصال وهو الذي يسمى بتلازم الشرطيات .

⁷⁵² (أ) أي إن اللزوم لا بد أن تكون من جاذبة من طرف، فهي البتة لا يكون من التالي. فإما ما في المقدم فقط، أو مع الوضع.. أو الوضع وحده نظير للمشروطة في الحملية. تقرير)

⁷⁵³ (أ) أي إذا كان الوضع أجنبياً، وكان عين التالي وجعلته منشأ لزم.

⁷⁵⁴ (أ) إذ هما المقاصد.

⁷⁵⁵ (أ) أي دخل الجزء الاختياري فيهما وهو الترتيب. تقرير)

⁷⁵⁶ (أ) كالجزئية لازم الكلية مثلاً، بسر الأخصية والضرورة الذاتية.. وكذا الدوام لازم

الوصفية. تقرير)

⁷⁵⁷ (أ) الثاني.

والتلازمُ إما بين متحدة الجنس، وهي المتصلة بالنسبة إلى المتصلة..والحقيقية بالنسبة إلى الحقيقية..ومانععة الجمع بالنسبة إلى مانعة الجمع..ومانععة الخلو بالنسبة إلى مانعة الخلو..

أو مختلفة الجنس، كالمتصلة بالنسبة إلى الحقيقية، أو مانعة الجمع، أو مانعة الخلو .
والحقيقية بالنسبة إلى الأخيرين وبين الأخيرين فتلك عشرة كاملة.

مقدمة :

إن التخلف (758) ولو في مادة يخرب بيت اللزوم ..(759) وإن أحكام المتساوية متساوية ..(760) وإن لازم اللازم لازم ..(761) وإن ملزوم (762) الملزوم ملزوم ..
وإن ما ثبت (763) للأعمّ كليات ثابت (764) للأخصّ ..(765) وإن الأعمّ لازم له ..(766) وإن سلب اللزوم كالعناد، (767) وسلب العناد كاللزوم.

وإنّ قولنا فيما بعدُ :لازم اللازم أو ملزوم الملزوم، إشارةٌ إلى قياسين تضمنهما القضية (768). وإن السالبة تُشترط بعكس ما يشترط في الموجبة في الأكثر .

758 (أ) أي إن المخالفة بين الفقهاء- ولو في واحد- يخرب بيت الاجتماع. تقرير)

759 (ب) بأن يجعله هدفاً للطوب الماوزرية.

760 (أ) أي كل حكم ثبت للمساوي، ثبت للمساوي الآخر.

761 (ف) فنفية يستلزم نفيه.

762 (و) ونفيه لا يستلزم نفيه لجواز أعميته الأعمية.

763 (أ) الأول بقياس من الشكل الأول: مثلاً: اتحادا قضيتان في المقدم، واختلفا عموماً وخصوصاً في التالي؛ ككل ناطق إنسان، وكل ناطق حيوان. فأردنا اللزوم بينهما، فالأول بدهي، فاجعلها صغرى للأول والثاني كبرى له.. فينتج الثاني صريحاً وإما الثاني .
تقرير)

764 (ل) لدخوله تحته.

765 (ك) كليا.

766 (ف) فكلمة صدق الأخص صدق الأعم.

767 (ف) فكلمة صدق العناد صدق سلبه.

768 (ح) الحلية.

فالقسم الأول أعني المتحدة الجنس من المتصلة الموجبة، الكليّة اللزومية إن تلازم طرفاهما ..فإن تعاكس تلازما، فكل منهما لازمة للأخرى بسر أن أحكام المتساوية متساوية، فأيتهما عرفتها تعرف الأخرى أيضاً، بقياسين (769) مآلهما(770):

إن ملزوم⁽⁷⁷¹⁾ ملزوم⁽⁷⁷²⁾ ملزوم⁽⁷⁷³⁾ الشيء، (774) ملزومٌ ضاحك للشيء .وإن كانت سالبة فيقياسين الأول من الأول والثاني من الثاني مآلهما (775): أن ملزوم (776) معاند (777) اللازم (778) معاند للشيء (779) معاند (780) .وقس الجزئيتين (781) .وإن كانت إحداها لازمة الطرفين، والأخرى ملزومة الطرفين؛ فإن كانت موجبة كليّة فلا تلازم، لصيرورة القياس الثاني من الشكل الثاني من الموجبتين وهو عقيم ..وأيضاً بالتخلف ..وأيضاً للزوم بين اللازمين الأعمين في الأغلب لا يستلزم للزوم بين الملزومين (782) كالحيوان للجسم، دون الإنسان للفرس ..وبالعكس أيضاً ..فإن لازم المقدم قد يكون أعمّ من لازم التالي فلا يستلزمه كلياً .ولأن أحد قياسه الضمني من الشكل الثالث وهو لا ينتج إلا جزئياً ونحن نطلب الكلية . وإن كانتا سالبتيّن كليّتين، فملزومة الطرفين لازمة للإزمة الطرفين ..وإن تخالفا في التلازم، بأن تكون إحداها لازمة المقدم ملزومة التالي، (783) فملزومة المقدم لازمة (784) .وان

769 (في الأول مفصلاً أو موصولاً).

770 (كلما ناطق فهو إنسان، كلما ضاحك فهو متعجب).

771 (ضاحك ..بسر المساواة).

772 (ناطق ..بسر البدهاة).

773 (إنسان ..بسر المساواة).

774 (متعجب).

775 (ليس البتة، إذا ناطق ..فرس ليس البتة ضاحك صاهل).

776 (ضاحك ..بسر التلازم التعددي).

777 (ناطق).

778 (فرس كذلك).

779 (صاهل).

780 (نتيجة).

781 (الموجبة على الأول والسالبة على الثاني).

782 (أي إن اللزوم بين هذين اللازمين الأعمين لا يستلزم اللزوم بينهما إذ الأعم). تقرير (

783 (والأخر ملزومة المقدم لازمة التالي). تقرير (

784 (لإلزومة المقدم، وهي البدهية وتكسب بها الأولى). تقرير (

كان (785) في أحد الطرفين واتّحدا في الطرف الآخر، فلازمة التالي وملزومة المقدم، لازمة في الموجبة (786) ملزومة في السالبة.

فالمتمصلة بالنسبة إلى الحقيقية - إن اتفقتا في الكم والكيف، واتفقتا أو تلازما تعاكسياً في جزء وتناقضا بالذات أو بالتلازم في جزء آخر؛ ففي الموجبة في الحقيقية تندمج أربع متّصلات، مقدّم اثنتين (787) عينُ أحد الجزئين ... (788) والتالي (789) نقيض الآخر .. (790) بسرّ تضمنه لمنع الجمع (791). ومقدم الاثنتين الأخریین نقيض أحد الجزئين. والتالي عين الآخر بسرّ تضمنه لمنع الخلو، (792) كما فرد وإما زوج.

أما المتصلة فلا تستلزم المنفصلة، بسرّ جواز أعمية اللازم؛ كالإنسان والحيوان. ولا عناد خلوّاً بين الإنسان واللاحويان، وجمعاً بين اللإنسان والحيوان. وفي السالبة المتصلة مستلزومة. لأن سلب اللزوم يفيد جواز الانفكاك. وانفكاك التالي يفيد اتصال نقيضه ولو بالاتفاق، وهو سلب العناد، دون العكس؛ لأن سلب العناد حاصل بالنظر إلى الجزء الخلويّ بين الإنسان واللاحويان، مع عدم صدق سلب اللزوم بين الإنسان والحيوان. وإن اختلفتا في الكيف مع الاتفاق في الجزئين بالذات أو بالتلازم، فالموجبة (793) مستلزومة للسالبة دون العكس.

وكذا في مانعة الجمع ومانعة الخلو، لأن اللزوم أو العناد بين الشئيين يستلزم سلب العناد في الأول، وسلب اللزوم في الثاني بالبداهة، دون العكس، لجواز عدم اللزوم مع

785 () التلازم.

786 () أي كل منهما لازمة الأولى، لملزومة التالي. والثانية لإلزامة المقدم. تقرير)

787 () من المتصلات.

788 () من المنفصلة.

789 () من المتصلة أيضاً.

790 () أي الجزء الآخر من المنفصلة.

791 () وهو العناد في الصدق .. فإذا أثبتت عين أحد استلزم بالضرورة نقيض الآخر وهو رفعه .

(تقرير)

792 () وهو العناد في الكذب .. فإذا رفعت أحدهما استلزم بالضرورة إثبات الآخر. تقرير)

793 () لكونه أخص كما مرّ.

عدم العناد بين الشينين، كما في الاتفاقيات.

ثم المتصلة مع مانعة الجمع- موجبة أو سالبة -متفقة في الكيف، وفي أحد الجزئين بالذات أو بالتلازم، وهو في المتصلة مقدم مع التناقض بالذات، أو بالتلازم في الجزء الآخر، وهو في المتصلة تال، تلازمتا وتعاكستا. فإن عين كل جزء من مانعة الجمع يستلزم نقيض (794) الآخر، الذي هو الأعم من العين (795). ولأن عين الملزوم يمتنع اجتماعه مع نقيض اللازم، وفي السالبة (796). لأن سلب منع الجمع جواز الجمع، وهو نوع اتصال، (797) وسلب اللزوم نوع انفصال.

وأما المتصلة مع مانعة الخلو، فكذا تستلزم مانعة الخلو لمتصلتين يركب من نقيض كل من الجزئين مقدماً، وعين الآخر تالياً. وكذا كل متصلة تستلزم مانعة الخلو من نقيض المقدم مع عين التالي.. وإلا لزم تخلف اللازم عن الملزوم. فإذا اتفقتا في الكم والكيف، واتفقتا أو تلازمتا في جزء- وهو في المتصلة تال -وتناقضتا بالذات، أو بالتلازم في الجزء الآخر- وهو في المتصلة مقدم -تلازمتا وتعاكستا بعين الدليل السابق؛ كما لا إنسان وإما لا فرس، فكلمًا كان إنساناً....

اعلم أن المنفصلتين المتحدتين الجنس، (798) إن تلازمتا تعاكسياً في الجزئين، أو مع جزء مع الاتحاد في الآخر، فمتلازمتان متعاكستان.. يسر " أحكام المتساوية متساوية"، المستند إلى قياس اقتراني مركب من المتصلة والمنفصلة، المنتج للمنفصلة المطلوبة. هكذا: كلما صدق هذا المساوي، صدق ذلك. وإما ذلك، وإما ذلك، وإما هذا.. فأنتج: إما هذا المساوي، وإما ذلك. فقس..!

وكذا، في الحقيقي، إن تناقضا في الجزئين بالذات أو بالتلازم.

وأما مانعة الجمع بالنسبة إلى مانعة الجمع- إن كان طرفا أحدهما، أو أحد طرفهما

794 () إذ فيه عناد الصدق.

795 () المأخوذ مقدماً.

796 () أيضاً تلازمتا تعاكسياً.

797 () بين العينين.

798 () الأظهر المتحدي الجنس. يسقوط النون للإضافة. (أجير

لازمًا، والآخر- أحدها-ملزوما مع اتحاد الآخر -فالملزومة الطرف، لازمة اللازمة الطرف في الموجبة بحكم الخلف دون العكس..بسر التخلف؛ كمنع الجمع بين الإنسان والفرس، دون بين الحيوان والجسم اللازمين.

وفي السالبة اللازمة الطرف، لازمة ملزومة الطرف بالخلف، لأن جواز الجمع بين الملزومين يستلزم جواز الجمع بين اللازمين، وإلا لزم المحال دون العكس بالتخلف؛ كجواز الجمع بين الحيوان والجسم، مع عدم جواز الجمع بين الإنسان والفرس، الملزومين لهما و..والمانعنا الخلو- (799)إن كان طرفا أحدهما، أو أحد طرفهما مع الاتحاد في الآخر لازماً، وطرفاً الأخرى أو أحدها ملزوماً، ففي الموجبة اللازمة الطرف لازمة فقط، وفي السالبة الملزومة الطرف لازمة فقط..للزوم بسر الخلف، وعدم العكس بسرّ التخلف..والجمع والخلف إيجاباً وسلباً، كزلزل .

وأما المختلفة الجنس، فالحقيقية مع مانعة الجمع، إن اتحدتا في طرف واحد، طرف الحقيقة لازم لطرف مانعة الجمع، وملزوم لطرف مانعة الخلو فهما لازمتان في الإيجاب بسرّ أن منع الجمع الذي في ضمن الحقيقية بين الشيء و لازم شيء يستلزم منع الجمع بين شيين. وما في ضمن الحقيقة من منع الخلو بين الشيء وملزوم شيء يستلزم منع الخلو بين شيين، دون العكس فيهما للتخلف. وفي السالبة الحقيقية لازمة، بسر أن سلب الأعم أخصّ، وسلب الأخص أعمّ.

اعلم أن تعاند الشرطيات بعد معرفة تلازمها سهل المأخذ. ففي كلّ متلازم متعاكس- كما مرّ-بين عين كل مع نقيض الآخر عناد حقيقيّ. وفي عين المتعاكس بين عين الملزوم ونقيض اللازم عناد الجمع..وبين نقيض الملزومة وعين اللازمة عناد الخلف.

خاتمة الخاتمة :

كما تنحرف الحملية عن طبيعتها وتختفي تحت قيد، حتى تحت حرف واحد؛ كذلك الشرطية تنحرف عن صورتها وتندمج تحت كلمة، أو حملية تدلّ عليها بإحدى الروابط العطفية أو غيرها..وكذلك القياس الاستثنائي كثيراً ما يندمج ويستتر تحت " لما " وأمثاله .

(799) (الأصوب:المانعنا الخلو .(أجبر

وغير المستقيم تحت" لو "وأمثالها. مثلاً عطف جملة موجبة على منفية بوأو الجمع يتضمن مانعة الجمع. لأن النفي المتوجه إلى الواو نفي الجمع. وقس عليه ما يفيد هذا المعنى، وعطف المثبت على المنفي بـ"أو"، يتحرك تحته منع الخلوّ. و"إلى" و"حتى" وما يفيدهما أو يرادفهما، تحمر تحتهما المتصلة اللزومية. و"لما جئنتي أكرمتك" يدل على المقدمة الشرطية والاستثنائية والنتيجة لدلالة" لما "على تحقق المقدم، وكذا ما يرادفها. و"لو جئنتي لأكرمتك" يدل على الشرطية، واستثناء نقيض التالي، والنتيجة عند المنطقيين، وبالعكس عند أهل العربية. مثلاً: "لو خدمتني لأكرمتك" يقال مرة في مقام لوم المخاطب له، ومرة في مقام منة المخاطب عليه. ففي الأول عند الثاني، (800) وفي الثاني عند الأول. وكذا يقال "لو" لامتناع لامتناع (801) "وإنما عيروا بالامتناع دون العدم، لأن كلّ (802) الماضي إن كان عدماً فوجودها محال، وإن كان وجوداً فعدمه محال. أما" لولا عليّ لهلك عمر (803) "فنقيض التالي هو التالي، فيصير كـ"لَمَّا (804). "وأصل" لولا"، "لا لو". "أي دخل" لا "على أحد جزئي منع الجمع فاستلزمه (805). أي النفي عين الآخر

800 () هو أهل العربية.

801 () أظنّب بالإيجاز كالتنزيل، أي لامتناع الأول بدليل امتناع الثاني عند الأول.. ولامتناع

الثاني بدليل امتناع الأول عند الثاني). تقرير ()

802 () أي الامتناع يستعمل في محال. والحال أن الحقيقة ليس كذلك؟. فأجاب: بأن المحال عام... والتفصيل: أن الطبقات ثلاثة. الوجوب، والامتناع، والإمكان، والحال بمشخصاته مثال الوجوب بتعلق العلة العامة، وهو إرادة الله بوجودها. والماضي للثاني. إذ ما وجد بوجود العلة فعدمه محال. وما لا وجود له محال. والاستقبال للثاني). تقرير ()

803 () ذخائر العقبى، للحافظ محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري (ص) 82 ع. ب. ()

804 () أي" لولا "ك"لما "في كون تاليه استثنائياً مستقيماً كاستثناء عين المقدم المنتج لعين التالي). تقرير ()

805 () أي إن بين طرفي ما بعد" لولا"، وكذا" لوما "بمعناها منع الجمع في الأصل- كما في المثال المذكور-، و"لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك" لولاك لصدق منع الجمع.. كما وجد عليّ وإما هلك عمر.. وأما أنت توجد وأما لا أخلق. فلما أريد اللزوم بين الطرفين، جيء بـ"لا" على التالي. إذ الشرطية المتصلة اللزومية تتركب من مانعة الجمع، يجعل عين أحد الجزئين مقدماً ونقيض الآخر تالياً. وجيء بـ"لو" للدلالة على اللزوم، فكان بمعنى" لما ". فالقياس بعده مستقيم. والحال أن" لولا "يدل على تحقق وجود المقدم كـ"لَمَّا "فرغ" لا "صورة على التالي، واجتمع مع" لو ". هو عارض البسيط.. والبسيط إما ليس بمادة

فاستجلب" لو "للزوم، وبتركيبه" مع "لا للدلالة على وجود العين، وإنتاجه لتالينا، التي فارقتة لا صورة.

مقدمة :

ومن المعقولات الثانية ما يسمى بالأمر العامة، ومنها الوحدة والكثرة. فالوحدة إما حقيقي أو اعتباري. فالاعتباري: فالاتحاد في الجنس المجانسة، وفي الفصل، أو أخصّ الصفات المماثلة. وفي الكم المنفصلة؛ المساواة. وفي المتصلة؛ الموازاة أو المحاذاة أو الموافقة أو المطابقة. وفي الوضع المشاكلة وفي الملك المشاركة. وفي مقول الإضافة والفعل والانفعال، المناسبة. وفي "متى" المعاصرة. وفي مقول "أين" المجاورة.

وأما الكثرة، والاثنيانية. إن لم يكن فيها التماثل، فالتخالف.. فإن لم يعبر فيها التماثل فالتخالف، فإن لم تعبر⁽⁸⁰⁶⁾ فيها منع الاجتماع، فالتغاير.. وإن اعتبر منع الاجتماع من جهة واحدة في زمان واحد وفي محل واحد، فالتقابل. فإن توقف تعقل أحدهما على الأخرى فالتضاييف.. وإلا فإن كان طرفاها وجوديين، فباعتبار الصدق التباين. وباعتبار الوجود، التضادّ.. وإن كان أحد الطرفين عديمياً، فإن اشترط قابلية المحلّ؛ فعدم ملكة، وإلاّ فالتنافي في المفردات، والتناقض في الجمل أو فيهما. والإيجاب والسلب في الجمل.

ثم التناقض من أحكام القضايا التي لها دخل في الاستدلال، لأننا كثيراً ما نثبت لزوم النتيجة للدليل وغيرها بالخلف، وهو إثبات الشيء بإبطال النقيض.. فلا بد من معرفة فحوى التناقض..

علم أن التناقض من الأحكام التي يتوقف عليها بيان الأشكال النظرية. فإن غير الأول نظري، يثبت إنتاجه بقياس الخلف المؤسس على أخذ النقيضين، وقياس الاستقامة المتوقف على معرفة العكوس .

ثم التناقض لا يحتاج إلى كثير مؤونة بحسب الحقيقة، فبعد معرفة الشيء يكون نقيضه

كالمجردات؛ كالواجب والنفوس مطلقاً. وأما مادة: وهو أيضاً إما غير متجزئ؛ كالجوهر الفرد ومفروض النقطة.. وإما ليس من الطبائع المختلفة، كالسما. وإما مشترك الجزئي والكليّ في الاسم: كالماء.. فاحفظ. تقرير (806) (لعل الصواب: يعتبر، كما يفهم من السياق) (أجير).

بدهياً . لأن نقيض كل شيء رفعه، والرفع نفي، والنفي عدم، والعدم كالوجود أعرف الأشياء، لأنهما أعمّ . والشئ معلوم بالفرض .. إلا أن العدم الغير المحصل لا يكون مصدرًا للآثار المقصودة لنا . فأرادوا ضبط قضايا محصّلة، هي لوازم النقائض الحقيقية أو عينها .. مثلاً : إن نقيض " زيد ليس بقائم"، " ليس زيد بقائم . " وهو كما ترى .. ولذا عرّفوه (ب)اختلاف قضيتين . (أي لا مفردين . لأنه لا مدخل له في الخلف . أو مفرد وقضيته (بالإيجاب والسلب . (أي لا بالأفراد والتركيب وغيرهما) .. بحيث يقتضي لذاته . (أي لا بواسطة مقدمة أجنبية، هي " معاندُ مساوِ الشئ معاند للشئ")، امتناع صدقهما وكذبهما(، أي بينهما انفصال حقيقي .

ثم يستفاد من التعريف اشتراطه بثلاث اختلافات واتحاد واحد، أو اثنين أو ثلاثة أو ثمانية أو أربعة عشر . أما الاختلاف ففي الكيف بصريح التعريف، وبالتخلف . في " ابنك أيها العزب قائم، ولا قائم " والاختلاف في الكم للتخلف أيضاً في الموضوع والمقدم الأعم بالكذب في الكلية، والصدق في الجزئية، والاختلاف في الجهة، وسيجيء ..

ثم الاتحاد الواحد : ففي النسبة .. لأنه إذا اختلف أحد طرفيها أو قيد من قيودها، اختلفت النسبة . فبعكس النقيضين إذ اتحدت، اتحدتا في قيودها .. أو الاتحاد في الموضوع يقيد به، والمحمول بقيوده الأربعة، أو فيها وفي الزمان، لأن الزمان لا يتأتى أن يصير جزء المحمول في الجملة أو في الموضوع .. وفي الجزء والكلّ، لا الجزئية والكلية . وفي الشرط . كـ "الجسم مفرق للبصر، ليس بمفرق " بشرط البياض والسواد . وفي المحمول، والزمان والمكان والإضافة والقوة والفعل .. أو في هذه الثمانية مع التبادل في قيود الموضوع والمحمول بسر التخلف في الكل...

اعلم أن القضية باعتبار كل قيد من قيودها تتضمن قضية قد تصير مناط الحكم .

واعلم أيضاً أن نقيض الشئ عدمه .. وأن القضية ذات القيود الثلاثة لها ست عدّيات . فلا بد في أخذ نقيضها من عدم يعمها .. وما هو إلا عدم الأخص من قيودها، فإن عدم الأخص أعمّ، وعدم الأعمّ أخصّ، يجوز خلّوهما . وفي الموجهة القيد الأخصّ هو الجهة . ففي " الإنسان حيوان بالضرورة " مدار التناقض حيوانية الإنسان ضرورية . وسلب

الضرورة إمكان، فقيض الضرورية الذاتية الممكنة العامة في جانبها المخالف .. وهو يستلزم سلب الضرورة في جانبها المخالف، وهو الموافق للضرورة.

ولما كان بين الثبوت لكل الأفراد والسلب عن البعض تناقض؛ فكذلك بين الثبوت في جميع الأزمان والسلب في البعض أو بالعكس ذاتاً أو صفة تناقضٌ .. فنقيض الدائمة المطلقة المستلزمة لوقت، والعرفية الحينية الوقتية، أو بالعكس.

وأما الوقتية، فكالشخصية باتحاد الوقت .. فنقيضها الممكنة الوقتية. وأما المنتشرة، فلما انتشرت الوقت كان كالنكرة في الإثبات .. فإنما يناقضه الإمكان، إذا نفاه على سبيل العموم كالنكرة في سياق النفي حكماً.

اعلم أن نقيض المركبات ليست من جنسها، وإنما أخذوا منفصلة محصلة، هي لازمة نقيضها؛ بسبب أن أصل القضية كالوجود له فرد واحد، وهو وجود جميع أجزائها . ونقيضها الذي كعدمها متعدد الأفراد، حتى في مركب ذي خمسة أجزاء، للعدم أحد وثلاثون فرداً، وذات جزئين ثلاثة أفراد . فلهذا لا يعين عدم جزء الأخصية، بل ينشر ويردد فيما لا تداخل بين أجزائه، ومن الإبهام والترديد بتولد إما عملية شبيهة المنفصلة، أو منفصلة شبيهة العملية.

ثم إن المتشابهتين في المتصلة متساويتان، وفي المنفصلة متلازمتان . إن كانتا جزئيتين، ومتخالفتان . يعنى أن المنفصلة أخصّ، إن كانتا كليتين . مثلاً: كل عدد إما زوج وإما فرد .. وكل إنسان إما كاتب وإما أمي . ولا يصدق إما كلّ عدد زوج، إما كل عدد فرد .. وإما كل إنسان كاتب، إما كل إنسان أمي . بل مبعوض بسبب أن كلية العملية، كل فرد، إذا لم يتم الحكم . وتقديم " إما " على " كل " يصيّرهُ مجموعياً، إذ دخوله بعد تمام الحكم .. وبعد تمام الحكم كُـلُّ كِلِّ إفرادي يكون كلاً مجموعياً .

واعلم أيضاً أن المركب متحدّ موضوع جزئياً حقيقة بالضرورة لأجل التركيب والمحلل لا ضرورة في حقيقة موضوعي الجزئيين . ونحن نأخذ نقيض جزئين (807) المحلّل .

(807) (لعل الصواب: جزئي، بحذف النون للإضافة .) (أجير .)

فلا بد أن يكون المحلل عين المركب في الموضوع، ليكون نقيض نقيضه. ففي القضايا المركبة، الكلية المحلل عين المركب.. بسرّ "كلّ"، فإنه محيط.. فلا إشكال في أخذ نقيضها. وأما المركبات الجزئية: فلما كان مفهوم الجزئية المركب أخصّ، بسرّ الاتحاد من مفهوم الجزئيتين المحللتين لعدم ضرورة أن يكون البعضان مشيرين إلى ذات واحد، فيكون نقيض المحلل الأعمّ أخصّ من نقيض المركب. فلهذا كذب: بعض الحيوان إنسان لا دائماً، وجودية لا دائمة.. مع كذب "لا شيء من الحيوان بإنسان دائماً، وكل حيوان إنسان دائماً." والنقيضان لا يرتفعان.

فلأخذ نقيض المركبة الجزئية ثلاث مسالك: أحدها: تثليث التقسيم. أي إما لا شيء.. وإما كل.. وإما مبعوض. والثاني: تقييد الموضوع بنقيض المحمول في النقيض السالبة.. وتقييد الموضوع بعين المحمول في النقيض الموجبة. والثالث: بالترديد بين نقيض جزئي المحلل ليتحد الموضوع، فيكون حملية مرددة المحمول. ثم إن من الشروط الاتحادية في التناقض الاتحاد في النوع. أي الذهنية بنوعها. والخارجية بقسميها للتخلف بالاختلاف، وفي الشرطيات الاتحاد في الجنس اتصالاً وانفصالاً، والنوع لزوماً وعناداً و اتفاقاً للتخلف أيضاً. ثم إن تناقض الجملتين يستلزم عدم الجمع والرفع في الوجود.. وفي المفردين في الوجود بوجهه.

[فصل في العكس (808)]

الحكم الثاني من الأحكام التي يتوقف عليها إثبات لزوم النتائج للأشكال العكس. ويطلق لغةً على غير اللازم، وعلى النقيض ومطلق التبدل. وأما هنا فبالمعنى المصدريّ: بتبدل طرفي القضية حملية، أو متصلة لزومية مع بقاء الكيف والصدق لا الكذب، لجواز صدق اللازم مع كذب الملزوم. وبالمعنى المتعارف أخص القضايا اللازمة بالحصول بالتبديل. ثم للزوم المغايرة بين اللازم والملزوم لا عكس معتبراً لما نسبته من الإضافة المتشابهة الطرفين كالعناد، والاتفاق نظير الأخوة.

ثم إن لزوم العكس نظريّ، يحتاج إلى البرهان، وهو ثلاثة.

أحدها: الخلف.. أساسه إثبات العكس بإبطال النقيض. وتصويره: لو لم يصدّق العكس لزوماً، لأمكن انفكاكه. فيمكن صدق نقيضه مع كل صادق ومنه الأصل. ولو أمكن صدقهما لأنّج بالشكل الأول سلب الشيء عن نفسه، وهو محال لوجود الموضوع للإيجاب في أحدهما. وإمكان المحال باطل. وبطلان اللزوم يستلزم بطلان الملزوم.. إما بصورته وهو بدهي الإنتاج. وإما بأصل القضية وهو مفروض الصدق.. فلم يبق إلاّ نقيض العكس، وهو منشأ المحال. فلا يمكن صدقه، فيلزم العكس.

الثاني: طريق العكس.. وهو عكس نقيض العكس، ليضاد أو يناقض الأصل.. والعكس صادق بالفرض. فعكس النقيض باطل، فملزومه وهو النقيض أيضاً باطل، ونقيض النقيض وهو العكس صادق ألبتة.

وحاصله: أنه لو لم يصدّق العكس لزوماً، لأمكن صدق النقيض ولو صدّق صدق لازم وهو عكسه. ولو صدق اللازم لزم اجتماع الضدّين أو اجتماع النقيضين. والأصل مفروض الصدق فعكس النقيض هو ملزوم المحال فلا يمكن، فيلزم العكس. اعلم أن عكوس الموجّهات الموجبة ثلاثة فقط: الحينية المطلقة للدوام الأربع.. والحينية اللادائمة للخاصّتين.. والمطلقة العامة لخمسة.

واعلم أن بسرّ "لازم اللازم لازم" كلّ ما هو أعمّ من العكس عكس، لا اصطلاحاً.. وبسرّ أن ملزوم الملزوم ملزوم. فكل ما هو أخصّ من الأصل يستلزم عكسه. واعلم أيضاً أنّ لنا مقامين: إثبات ونفي.. فلا إثبات للزوم لنا ثلاث طرائق: الخلف كما مرّ. وأما الافتراض والعكس، فكالنتبيه والتنوير للزوم الدّور في البعض (809).

فاعلم أن الدائميتين والعامتين عكسها الحينية المطلقة بالخلف.. أي وإلاّ لصدق نقيضها، وهي العرفية العامة السالبة الكلية، فهو كبرى للأصل.. فينتج سلب الشيء الموجود عن نفسه بإحدى الجهات الأربعة، لأنّ نتيجة الشكل الأول تتبع الصغرى إذا كانت الكبرى وصفيّة. كما هنا -وسلب الشيء عن نفسه محال، فليس من صورة الشكل ولا من

الصغرى، بل من الكبرى . وهو نقيض العكس، فلا يمكن أيضاً . فيصدق ويلزم العكس . وبلافتراض وهو جعل عقد الحمل صغرى وعقد الوضع كبرى . فينتج بالثالث العكس، ولا يلزم الدور .. أو الإثبات بغير الثالث لأن المراد تنبيه وتصوير .. وبالعكس أيضاً . مثلاً : "كل إنسان حيوان "باحدى الجهات .. فبعض الحيوان إنسان، حين هو حيوان .. وإلا لزم جمع النقيضين أو الضدين . إذ نقيض العكس يستلزم ما يضادّ الأصل الصادق . وضدّ الصادق كاذب، فملزومه وهو النقيض أكذب . فنقيض النقيض وهو العكس صادق . وللازم أيضاً لامتناع إمكان المحال .

وأما مقام النفي، فبالتخلف .. واعلم أن الأعمّ للأخصّ .. كما أن الأخصّ ملزوم الأعمّ .. وأن لازم الأعمّ، لازم الأخصّ .. وأن ملزوم الأخصّ، ملزوم الأعمّ .. وأن ما لا يلزم الخاصّ لا يلزم العامّ .. وإلا لزم الخلف .. وأن ما لا يستلزم الأعمّ، لا يستلزم الأخصّ .. وإلا ثبت الخلف .

واعلم أيضاً أننا نحتاج في نفي عكسيته، ماعدا الحينية المطلقة لهذه الأربعة، إلى اثني وثلاثون⁽⁸¹⁰⁾ موادّ تخلف . فالأقصر في طريقه : أن نأخذ من جانب الأصل الأربعة، الأخصّ الأقوى الملزوم لأخواته، ونأخذ من جانب العكس اللازم الأعمّ الأخفّ اللازم لأخواته . فالأخصّ في الأصل الضرورية الذاتية، وفي جانب العكس الأعمّ، ولو من وجه الوقتية، مع التخلف في صدق " كل كاتب إنسان " بالضرورة، مع كذب " بعض الإنسان كاتب " بالضرورة في وقت .

والخاصتان إلى حينية لادائمة، مثل " كل كاتب متحرك مادام كاتباً، لا دائما . " أي لاشيء من الكاتب بمتحرك بالفعل .. عكس " بعض المتحرك كاتب، حين هو متحرك . " و" بعض المتحرك ليس بكاتب بالفعل .. " وإلا لصدق " كل ذات متحرك كاتب دائماً . " أي الكتابة دائمي للذات . ومقتضى الجزء الأول من الأصل : أن التّحرك دائم بدوام الكتابة الدائمة بهذا الفرض .. فيكون التّحرك دائماً للذات .. فيكون ضدّ قيد الأصل المفروض الصدق ..

(810) (لعله : اثنتين وثلاثين .) أحير .

فـعكـس القـيـد " بـعـض الـمـتـحـرك لـيـس بـكـاتـب بـالـفـعـل"، لا يـبـيـن بـالـخـلف، لـأن نـقـيـضـه وـهـو "كـل مـتـحـرك كـاتـب دـائـمـاً .." مـع نـفـس القـيـد يـنـتـج سـلـب الشـيـء عـن نـفـسـه بـالـفـعـل، وـهـو جـائـز . لـأن عـنـوان المـوـضـوع مـنـفـكّ، وـلا بـطـرـيـق العـكـس .. لـأن عـكـس" كـل مـتـحـرك كـاتـب دـائـمـاً"، "بـعـض الكـاتـب مـتـحـرك فـي حـيـن . "وـهـو لا يـضـاد القـيـد .. وـلا بـالـاـفـتـرـاض، لـأنـه جـعـل عـقـد الحـمـل صـغـرى وـعـقـد الوـضـع كـبـرى، فـخـرـج مـن عـقـد الوـضـع، بـسـبـب إـيـجـاب الجـزـء الأـوـل؛ "كـل إنـسـان كـاتـب بـالـفـعـل . "وـمـن عـقـد الحـمـل" :لـاشـيـء مـن الإنـسـان بـمـتـحـرك بـالـفـعـل"، فـلا يـكـون صـغـرى لـلـشـكـل الثـالـث لـاشـتـرـاط الإـيـجـاب.

اعـلم أن عـكـس الـوـقـتـيـتـيـن وـالـوـجـودـيـتـيـن وـالمـطـلـقـة العـامـة المـطـلـقـة العـامـة، فـنـحـن عـلى وـظـيـفـتـيـن :

الأولى :إثبات لزوم هذه لتلك، بتلك الطرائق .فالأقصر :أن نأخذ الأعمّ من الخمسة . لأن لازم الأعم لازم الأخص، والأعمّ المطلقة .لأن المطلق أعمّ من المقيد .فإذا صدّق : "كل كاتب ضاحك بالفعل"، صدق لزوماً "بعض الضاحك، كاتب بالفعل "بالخلف .أي وإلا فلا شيء من الضاحك بكاتب دائماً .كبرى للأصل -فينتج لاشيء من الكاتب بكاتب دائماً، وهو محال لوجود الموضوع .لأنه كان عقد وضع الموجبة .والدليل الذي يستلزم المحال باطل، لفساد أحد أركانه .والصورة بدهية، والأصل الصغرى مفروضة الصدق، فيبطل نقيض عكسنا ..فثبت "بعض الضاحك كاتب بالفعل . "فإن شئت فاستدل على سبيل التنبيه والتنوير دون الإثبات، للزوم الدّور بالعكس والافتراض .هكذا :لو لم يصدّق العكس، لصدق النقيض .والنقيض يستلزم عكسه، وهو يصاد الأصل الصادق، فيكذب فيبطل ملزومه .فثبت نقيض النقيض، وهو العكس.

والافتراض :جعل عقد الحمل صغرى، وعقد الوضع كبرى بالثالث الذي نتيجته تابعة لعكس صغراه، وهو المطلوب .وخلاصته :أن الأصل يخبرنا بأن عنوان الموضوع وعنوان المحمول ثابتان بالفعل لذات واحد .فأبثتهما ثبت لذات،- بناء على سلميته -يثبت له الآخر بالفعل كما ترى.

أما الوظيفة الثانية :فنفي لزوم الأخص من المطلقة لا الأعمّ، فإنه أي الأعم (لازم أيضاً .والطريق الأخصر للتخلف :أن نأخذ الأخص من الخمسة؛ لأن ما لايلزم الأخص

لا يلزم الأعمّ البتّة، والأخصّ الوقتية المعينة. ونأخذ من الأحد عشر الأعمّ، لأن عدم لزوم الأعمّ يستلزم عدم لزوم الأخصّ بالضرورة.. والأعمّ من الكل الأخصّ من المطلقة؛ الوجودية اللا ضرورية. مثلاً: يصدّق " كل قمر منخسف في وقت الحيلولة بالضرورة، لادائماً.." مع "كذب" بعض المنخسف قمر لا بالضرورة"، باعتبار القيد. لأن الانخساف خاصة القمر. فذات المنخسف قمر دائماً بالضرورة.

اعلم أن مما يجب التنبه له في هذا المقام: أن إمكان الملزوم لا يستلزم إمكان اللازم. كما إمكان عدم المعلول الأول، اللازم عند الحكماء للواجب، مع عدم إمكان عدمه لللازم. فإمكان الأصل مطلقاً لا يستلزم إمكان الإطلاق (811) وأيضاً قد يتولد المحال من ممكنين بالإجماع، كالقيام والقعود. بفرض الممكن فعلياً (812) مع الأصل الصادق (813) قد لا يمكن، لتوسع أفراد موضوع الأصل.

وأيضاً، إن إمكان الدوام غير دوام الإمكان. فإن الأول ينافي الوجوب بالغير، دون الثاني.. فالكاتب دائماً ليس بممكن، ليس بممكن للإنسان. والحال أنه يمكن دائماً.

وأيضاً، إن " صدق الضرورة " غير " ضرورة الصدق " على المشهور.. كما أن " صدق الإمكان " غير " إمكان الصدق ". فإن صدق الإمكان قد لا يمكن فرضه بالفعل، مع بقاء صدقيته الأصل. إذ قد يلزم الإمكان شيئاً، ففرض فعله يمتنع معه.. كالقيام وإمكان القعود. فاندفع ما شككوا في هذا المقام.

ثم اعلم أن لا عكس للممكنين على ظاهر مذهب الشيخ في عقد الوضع، أي الفعل الخارجي للتخلف وعدم قيام الخلف، إذ الإمكان لا يصح في صغرى الشكل الأول. ومن هذا لا تنعكس الضرورة ضرورية.

ثم السّؤال؛ فعكس الدائميتين الكليتين دائمة كلية بالخلف، بجعل نقيض العكس، لأنه

811 (في عكسه).

812 (في صغرى الأول في بطلان عكس الضرورة ضرورة بالتخلف). تقرير

813 (وكان كبرى للأول).

موجبة جزئية⁽⁸¹⁴⁾ صغرى للأصل السالبة الكلية.. فينتج سلب الشيء عن نفسه الموجود على فرض صدق النقيض. فإن شئت، فيعكس نقيض العكس يناقض الأصل.. فيلزوم الدوام يلزم⁽⁸¹⁵⁾ (الأعمّ منه) أي من الدوام.)

اعلم أن عكس العامتين عرفية عامة سالبة كليّة.. وإلاّ فحينية مطلقة؛ موجبة جزئية مع الأصل، ينتج سلب الشيء عن نفسه- حين هو نفسه -وعكس الخاصّتين الكلّيتين عكس جزئيهما.. وهي العرفية العامة،⁽⁸¹⁶⁾ الكلية.. والمطلقة،⁽⁸¹⁷⁾ الموجبة الجزئية، المعبرة باللدوام الذاتيّ في البعض لمخالفة⁽⁸¹⁸⁾ موضوعه⁽⁸¹⁹⁾ لموضوع الجزء الأول⁽⁸²⁰⁾. واصطلاح على هذه بالسنة المنعكسة السوالب، ولا عكس للبواقى، لأن الأخص منها وهي الوقتية، لا ينعكس إلى أعمّ الجهات، وهي الممكنة بالتخلف في "لا شيء من القمر بمنخسف وقت التربيع"، وهو صادق مع كذب" بعض المنخسف ليس بقمر "بالإمكان العام. وإن لم ينعكس الأخص لم ينعكس الأعمّ.. وإن لم يلزم الأعم لم يلزم الأخص.

والسالبة الجزئية، لا عكس لها إلاّ في الخاصّتين. أما عدم الانعكاس في غيرهما، فلأن أخصّ البسائط الضرورية، والمركبات الوقتية.. وهما تصدقان بلا عكس، ولو ممكنة عامة؛ في " بعض الحيوان ليس بانسان بالضرورة.. "مع كذب" بعض الإنسان ليس بحيوان بالإمكان.. "و"بعض القمر ليس بمنخسف بالضرورة"، مع كذب بعض المنخسف ليس بقمر ولو بالإمكان، لأن خاصية الانخساف للقمر تشف عن تستر قمر تحت بعض.

وسر عدم جريان الخلف في السوالب الجزئية؛ أن الخلف ضمّ نقيض العكس إلى الأصل صغرى أو كبرى ليلزم المحال، والحال أن أصلنا هنا لسلبه لا يصير صغرى ..

814 (مطلقة).

815 (أي يكون عكساً لا اصطلاحاً).

816 (السالبة).

817 (العامة).

818 (اعتبر هنا العكس لعدم صدق الكلية لموضوع الجزئية" وفيما مرّ اعتبر المركبة

لجوازه تأمل! تقرير)

819 (لكونه عكس الموجبة).

820 (في الكم لكونه عكس سالبة الكلية).

ولجزئيته لا يصير كبرى. وأما ثبوت الانعكاس في الخاصتين؛ فلأن الأصل يقول: إن ذات الموضوع موجود بحكم القيد الموجب.. وإن الذات مئصف بعنوان الموضوع وهو ظاهر.. وبمعنوان المحمول بحكم القيد، وبنفي المحمول بحكم عقد الحمل.. وبنفي الموضوع بحكم المنافاة بين الوصفين. فالوصفان متنافيان ومتعاقبان على ذات واحد" .. هُرَوَكِي بِرَا جُو تَكْ (821). "فالذات في أيهما استتر، يبعد عنه الآخر.. إلى أن يزول ما أخذه.

اعلم أن العكس تحصيل أخص القضايا اللازمة.. فنثبت اللزوم بالخلف وعدم الانعكاس.. أو إلى الأخص لزوماً، فبالخلف.. والخلف إبطال الشيء بإثبات نقيضه. ففي الأشكال يُضْمُ نقيض النتيجة صغرى أو كبرى، (822) لينتج ما ينافي الآخر. وفي العكس ضمّ نقيض العكس كبرى للأصل في الموجبات.. وصغرى له في السوالب، لينتج سلب الشيء عن نفسه في المستوي. وحمل الشيء على نقيضه في عكس النقيض..

وصورته، من المعقول الثاني هكذا: لو لم يصدّق العكس، لصدق نقيضه بالضرورة. ولو صدق النقيض، لصدق مع كل صادق.. بسر أن الصدق أبدي. وإذا صدق مع كل صادق صدق مع الأصل. لأنه مفروض الصدق، فمن الكل.. وإذا صدقاً معاً، حصل الشكل الأول. وإذا تركب الشكل الأول، أنتج بالبداهة المحال. وهو سلب الشيء عن نفسه هنا، وهو باطل: لوجود الموضوع بالإيجاب في الأصل، أو نقيض العكس.. وملزوم المحال غير ممكن، ففقيض غير الممكن واجب ولازم، وهو المطلوب..

أما صورة التّخلف هي: أنّه لو انعكس، للزم، ولو لزم، لدام.. ولو دام، لم يتخلف.. لكن إذا تخلف فلم يدم، فلم يلزم، فلم ينعكس..

[فصل في عكس النقيض (823)]

الحكم الثالث للقضايا العكس، النقيض..

اعلم أن الآلة كثيراً ما تتحول عن صورتها الحقيقية، فتظهر لأغراض بلوازم

821 () إن هذا التركيب باللغة الكردية - الكرمانجية. ومعناها: "التوأم" بالعربية. ع.ب.

822 () أي بالصغرى.. فينتج ما ينافي الكبرى. أو بالكبرى، فينتج.. الخ.

823 () كلنبوي ص. 30

مقدمتيها، أو إحداهما فهذا كثيراً ما نحتاج لرد غير المتعارف إلى المتعارف لعكس النقيض .

ثم إن عكس النقيض إما موافق الكيف مع أخذ نقيض الجزئين سلباً أو عدولاً ..أو معاً مع النظر والدقة لأخذ نقيض الجزء .فإن نقيض " كاتب بالفعل " ليس بـ" لا كاتب بالفعل " لعدم تمام الخلف هنا ..أو أخذ نقيض المحمول فقط، سلباً أو عدولاً مع المخالفة في الكيف . ثم، قد ذكرنا :أن العكس مطلقاً، تحصيل أخصّ القضايا اللازمة، وإثبات اللزوم محتاج إلى البرهان .والبراهين الجارية في سوابب العكس المستوى، جارية في موجبات عكس النقيض مع تفاوت قليل، لأنها نظيرتها .وكذا براهين موجباتها في سوابب ذا، ك"زلزل ."

أما الموجبات الكلية، فعكسه على الأول نفسها، لأنه المحمول فيها، إما مساو أو أعم .. ونقيض المتساويين متساويان .ونقيض الأعم أخصّ من نقيض الأخص فيحمل عليه كلياً ألبتة .مثلاً" كل إنسان حيوان "ينعكس إلى" كل لا حيوان لا إنسان "بالخلف .أي وإلّا لصدق نقيضه ..وهو" ليس كل لا حيوان بلا إنسان "ولا يمكن جعله صغرى للأصل لسلبه .ومن هذا اضطر المتأخرون إلى العدول واستلزام هذا للموجبة عند وجود الموضوع ثابت، إذ لا بد أن يكون موجود ومعدوم خارجاً عن الموضوع والمحمول، أو لأن السالبة يستلزم الموجبة السالبة الطرف، فسلبُ السلب إيجاب .فإذا صدق النقيض، استلزم " بعض ما ليس بحيوان إنسان "صغرى للأصل، وهو" كل إنسان حيوان "فينتج "بعض اللاحيون بالفعل حيوان دائما . "وحمل النقيض على النقيض بهذا الوجه محال . ومستلزم المحال غير ممكن، فنقيض النقيض لازم .تأمل!

اعلم أن الدائمتين تنعكسان إلى دائمة .مثلاً" :كل إنسان حيوان بالضرورة، أو دائماً . " و"كل لاحيون لا إنسان .."وإلّا ف"بعض اللاحيون ليس بلا إنسان"، " فبعض اللاحيون إنسان بالفعل "كما مرّ، مع" كل إنسان حيوان"، ينتج" بعض اللاحيون بالفعل حيوان دائماً ."وهو كما ترى.

والعامتان، إلى عرقيّة عامة ..مثلاً" :كل كاتب متحرك مادام كاتباً . "ف"كل لا متحرك لا كاتب مادام لامتحركاً .."وإلّا ف"بعض اللامتحرك ليس بلا كاتب حين هو لا متحرك ."

"فبعض اللامتحرك كاتب في حينه "لما مرّ أيضاً ..وهو مع الأصل ينتج" بعض اللامتحرك متحرك .حين هو لا متحرك "لأن الكبرى وصفية، فالنتيجة تابعة للصغرى . فتأمل في طبيعة الأصل لتستخرج النقط الثلاث في العكس.

والخاصتان إلى عرقية عامة لا دائمة في البعض، لأن الأصل يخبرنا بأن ذاتاً واحدة له وصف الموضوع، فوصف المحمول معه .ولها نقيض المحمول، فنقيض الموضوع معه بحكم القيد ومادام ..إلا أن قيد العكس جزئى كما في عكس المستوي...

أما الجزئيات، فلا عكس لها بالتخلف، إلا للخاصتين بالافتراض .فإن أخصّ البسائط الضرورية، والمركبات غيرهما الوقتية .ولا تنعكسان إلى الإمكان العام .وما لم يستلزم الأعم، لم يستلزم الأخص ..وما لم يلزم الأعم، لم يلزم الأخص .مثلاً: "بعض الحيوان لا إنسان بالضرورة .." و"بعض القمر لا منخسف بالضرورة وقت التربيع لا دائماً"، مع كذب "بعض اللإنسان لحيوان" و"بعض المنخسف لاقمر" بالامكان العام.

أما الخاصتان، فعكسهما عرقية عامة جزئية لا دائمة .إذ لا يصدق في عكس "بعض المتحرك كاتب لا دائماً" القيد .أي "بعض اللاكاتب ليس بلا متحرك بالفعل . "إذ تنص الأرض تليله تحت" لالكاتب .."وتقول": "إني لا أتحرك على رغم المتقدمين، على رغم أنفكم أيها الجديديون!" ومن هذا، يكون قيد عكس الخاصتين الكلئيتين جزئيةً.

اعلم أن سوالبهما كموجبات عكس المستوي .فالدائمتان والعامتان إلى حينية مطلقه، جزئية سالبة .مثلاً: الأعم من الأربعة": لاشيء من الكاتب بساكن مادام كاتباً . "ف"بعض اللاساكن ليس بلا كاتب حين هو لساكن .." وإلا ف"كلّ لساكن لا كاتب مادام لساكناً .." وهو بعكس النقيض .فإنه قد برهن عليه": كل كاتب ساكن مادام كاتباً .."وهو ضد الأصل؛ فهو باطل .فملزوم هذا العكس النقيض .أعني نقيض العكس محال أيضاً، غير ممكن ..والعكس لازم.

وأما الخاصتان :فحينية لا دائمة ..أما الحينية؛ فلأنه لازم للأعم منها، ولازم الأعم لازم الأخصّ .وأما اللادوام؛ فبالافتراض ..نفرض في المثال السابق مع اللادوام؛" كل رومي لساكن مادام كاتباً" بحكم الجزء الأول ..و"كل رومي لالكاتب حين هو ساكن "

بحكم القيد مع العناد بينهما. فبضمها، يعني " كل رومي لاساكن مادام كاتباً " و"كل رومي لا كاتب. مادام ساكناً". فينتج من الشكل الثالث " بعض اللاساكن لا كاتب حين هو لاساكن " لأن النتيجة في الثالث تابعة لعكس الصغرى. وتستلزم الحينية المطلقة، المطلقة العامة. فـ"بعض اللاساكن لا كاتب بالفعل"، وهو مآل قيد الحينية اللادائمة في عكس النقيض. ولا يثبت بالخلف ولا بطريق العكس..

وأما الوقتيتان والوجوديتان والمطلقة العامة: فعكس نقيضها المطلقة العامة، إذا عمّها وهو المطلقة العامة الجزئية السالبة. مثلاً: "بعض الإنسان ليس بضاحك بالفعل"، تستلزم "بعض اللاضاحك ليس بلا إنسان بالفعل.. وإلاّ ف"كل لاضاحك لا إنسان دائماً". وهو يستلزم عكس نقيضها، الميرهن عليه. وهو " كل إنسان ضاحك دائماً"، وهو مناقض للأصل دائماً الصّادق. فبطل عكس نقيض نقيض عكس النقيض، فيثبت عكسنا، ولا يثبت بالخلف، لأن الأصل سالبة جزئية، لا تصير صغرى ولا كبرى. وإذا لزمّت المطلقة المطلقة، لزمّت الأخص منها.

ثم إن عند المتأخرين جعل نقيض المحمول موضوعاً، وعين الموضوع محمولاً مع مخالفة الكيف. فالدائمتان الموجبتان إلى سالبة دائمة. فـ"كل إنسان حيوان دائماً"، إلى "لاشيء من اللاحويان بإنسان دائماً.. وإلاّ ف"بعض اللاحويان إنسان بالفعل". وهو مع الأصل ينتج: "بعض اللاحويان حيوان دائماً، أو بالضرورة". وهو كما ترى ..

والعامتان الموجبتان إلى عرفية عامة كلية؛ فـ "كل كاتب متحرك مادام كاتباً"، إلى "لاشيء من اللامتحرك بكاتب مادام لا متحركاً.. وإلاّ ف"بعض اللامتحرك كاتب حين هو لامتحرك". وهو صغرى للأصل الوصفي، ينتج: "بعض اللامتحرك متحرك حين هو لا متحرك"، لأن النتيجة هنا تابعة للصغرى، وهو من المحال كما يُرى.

وأما الخاصتان إلى عرفية عامة لادائمة في البعض؛ أما العرفية العامة: فلما مرّ.. وأما القيد: أعني " بعض اللامتحرك كاتب بالفعل.. فبالافتراض لجزئية العكس.. فكل رومي لامتحرك بحكم القيد. و"كل رومي كاتب "بحكم عقد الوضع الموجب. فينتج من الثالث: "بعض اللامتحرك كاتب بالفعل."

اعلم أن السوالب هنا، على مذهب المتأخرين ليست كموجبات عكس المستوي (824)في

(824) تذكر مامرّ (اعلم أن عكس المستوى ناظرة إلى عقد الوضع وغيره). أي سواء كان متناقضين، أو متقاربين، أو متخالفين، أو متضادين، أو غيرها. (وأما عكس النقيض فينظر إلى- نسبة الطرفين؛ كالحيوان واللائسان...فتذكر مامرّ من أن مصداق الموجبة الكلية؛ كونُ الطرفين متساويين، أو المحمول أعمّ مطلقاً. والجزئية؛ غير المتباينين .. والسالبة الكلية، كونهما متباينين مطلقاً..والجزئية، غير المتساويين ..والمحمول الأعم. وأن نقيض المتساويين متساويان ..والأعم والأخص مطلقاً أيضاً، كذلك بالعكس ..وبين نقيضي المتباينين والأعم والأخص من وجه تباين جزئي وهو الأعم ..وأن نقيض المساوي نقيض للمساوي الآخر. ونقيض الأعمّ مطلقاً مباين لعين الأخص كذلك) لعدم الجزئية فيهما. أي لا الأصل ولا العكس. تأمل. (وإنقيض الأخص مطلقاً كالحيوان واللائسان)، أعم من وجه من عين الأعم كذلك ..ونقيض الأعم من وجه إحدى النسب، غير التساوي مع عين الأخص من وجه. ونقيض المباين أعم من وجه من عين المباين الآخر.

إذا أحطت بهذا علماً.. فإذا أخذت نقيض الطرفين- كما عند القدماء -لايد من الاتفاق في الكيف. ولايد لكلية القاعدة من انعكاس السوالب مطلقاً، إلى الجزئية ..للتخلف في الكلية، فيما كان النقيضان أعم وأخص من وجه. وإذا أخذت نقيض واحد من الطرفين وهو المحمول- كما عند الخلف -لايد من المخالفة. فتأمل!

واعلم أيضاً أن من الممكنين لا تتعكسان مطلقاً جزئية كلية، موجبة سالبة. والخاصتين تتعكسان مطلقاً كذلك. والبواقي إيجاباً وسلباً هنا، كزلزل؛ فموجبة هذا سالبة ذاك في انعكاس الكلية كلية. وعدم انعكاس الجزئية، إلا. وانعكاس سنة فقط، باعتبار الجهة. وسالبة هذا موجبة ذاك في انعكاس كليتهما جزئية ..ولإحدى عشر، باعتبار الجهة عند القدماء. والمركبات فقط عند الخلف. وكون عكوسها ثلاثة فقط. وبرهان الخاصتين مطلقاً الافتراض فقط، بسرّ العنوان. إذ الحكم فيهما ناظر إليه ومرتبطة به، دون سائر المركبات. بل بالذات وإليه فيها. والتفاوت بين إثبات ذاك ببراهينه، وهذا أيضاً بها. هو أن عند السلف بقاء الكيف. ففي الموجبات الأصول مكوّن كبرى. والعكوس ثلاثة: الدائمة، والعرفية، والعرفية العامة الدائمة. والنقيض سالبة جزئية، وهي المطلقة العامة ..والحينية المطلقة، والمطلقة العامة للقيّد. فلا يكون صغرى. وأيضاً لا يتكرر الأوسط، فيؤخذ لازمه الموجبة الجزئية المحصلة المحمول. ويجعل صغرى وينتج. فقد جرى الخلف فيه. وأما قياس الاستقامة: فإما أن تتعكس عين النقيض، وهو هنا سالبة جزئية لا تتعكس بعكس المستوى. وبعكس النقيض، عندهم يناقض الأصل. لكن لا يثبت به للزوم الدور هنا. وإما أن تتعكس اللازم وهو موجبة. فيعكس المستوى يكون كالعكس للأصل. وفي السوالب العكوس ثلاثة: الحينية المطلقة ..والحينية الدائمة ..والمطلقة. وهي سوالب جزئية ونقيضها، وهي العرفية العامة والدائمة موجبة كلية فلا يصح لصلوح الأصل للكبروية حالة الكلية دون الجزئية. ولعدم تكرار الأوسط للعدول والتحصيل، بل بقياس الاستقامة إذ

البسائط الخمسة.

وعند المتقدمين هي كهها فيها أيضاً. لأن السالب البسيط يصدق بعدم الموضوع أيضاً. فيحتمل أن لا يكون لنقيض المحمول وجود. كـ"لا شيء من الخلاء بعيد." مع كذب "بعض اللابعد خلاء."

فلما كان عكس نقيض السالب عند السلف سالباً، كان ذلك كذلك في الصدق، وعند الخلف موجباً يقتضي وجود الموضوع، لم تنعكس البسائط الخمسة .

وأما المركبات؛ فلوجود الموضوع ألبتة يكون لنقيض المحمول ذات موجودة، وهو ذات الموضوع. فمن الخاصتين إلى حينية لا دائمة لا بالخلف، لأن الأصل سالب مع سلب نقيض عكس النقيض، لا دليل عن سالبتين.. ولا بطريق العكس. لأنه لم يبرهن عليه بعد، بل بالافتراض للجزئية في العكس. مثلاً: "لا شيء من الكاتب يساكن مادام كاتباً." فالعكس: "بعض اللاساكن كاتب حين هو لاساكن." "أي" بعض اللاساكن ليس بكاتب بالفعل.

أما الجزء الأول: فبـ"كل رومي لاساكن مادام كاتباً" بحكم الجزء الأول. و"كل رومي كاتب بالفعل" بحكم عقد الوضع الموجود بالتركيب. فينتج من الثالث: "بعض اللاساكن كاتب حين هو لاساكن" لأن نتيجته تابعة لعكس الصغرى وهو حينية، أما الجزء الثاني: فكل رومي لاساكن" و"كل رومي ساكن" فالثاني مع الجزء الأول من الأصل ينتج لا شيء من الرومي بكاتب، وهذه النتيجة كبرى لـ"كل رومي لاساكن" ينتج من الثالث "بعض اللاساكن ليس بكاتب" بالفعل، وهو مأل القيد.

ثم إن الوقتين والوجوديتين إلى مطلقة عامة، لعدم انعكاس القيد لإيجابه؛ كسالبته في العكس المستوى فبقى المطلقة العامة.. وهو بالافتراض دون الطريقتين الآخرين. ففي" لا

عكس النقيض السالب الجزئي بعكس النقيض عندهم سالبة كلية ولا يلزم هنا ما مرّ فيكون ضد الأصل ودون الافتراض لعدم وجود الموضوع لاتفاق الكيف عندهم، فقد علمت التفاوت هنا. وعند المتأخرين اختلاف الكيف وقد مرّ. ففي الموجبات، فتذكر العكوس بجهاته، أيضاً الأصل موجب كلي، والعكس سالب كذلك، والنقيض موجب جزئي، فيجري الخلف لجواز كبروية الأصل وصغروية النقيض، وتكرر الأوسط وكذا قياس الاستقامة، إذ عكس الموجبة الجزئية بعكس المستوي عينه، فيضاد الأصل، دون الافتراض لما مرّ. وفي السالب هنا، أي عندهم ليست كموجبات المستوي. تقرير)

شيء من الإنسان بمتنفس .. لا دائماً" "كل متفشفش لامتنفس (825)" بحكم الجزء الأول .
و"كل متفشفش إنسان "بحكم الوجود في القيد بالتركيب .فمن الثالث ينتج" :بعض
اللامتنفس إنسان "بالحينية (826) المطلقة المستلزمة للمطلقة العامة.

خاتمة :

اعلم أن الشرطية الاتفاقية مطلقاً، والمنفصلة لا عكس لها، مستويًا مغايرًا في المراد .
ولا عكس نقيض لكل الشرطيات، إلا الموجبة الكلية المتصلة للزومية على مذهب الخلف،
لقيام الخلف .فإن لزوم شيء لشيء يستلزم نفي لزوم الملزوم لنقيض اللازم .مثلاً" :كلما
كانت الشمس طالعة، فالنهار موجود ..فليس ألبتة إذا لم يكن النهار موجوداً كانت الشمس
طالعة .."وإلا فقد يكون :إذا لم يكن النهار موجوداً كانت الشمس طالعة؛ صغرى لإيجابه
للأصل، كبرى لكليته .فينتج" قد يكون إذا لم يكن النهار موجوداً، فالنهار موجود .."وهو
من المحال كما ترى لا على مذهب السلف، فإن نقيض عكس نقيضه يصير سالبة جزئية،
لا يكون صغرى لسلبه، ولا كبرى لجزئيته، مع عدم استلزام السالبة المعدولة للموجبة
المحصلة، لأن النفي لا يدخل على النفي هنا، لأن مآل نقيض العكس نفي لزوم نفي
الشيء، وهو لا يستلزم لزوم الشيء، إذ قد لا يلزم النقيضان لشيء ..وقس على هذا عدم
جريان مذهب السلف في البواقي .

ولا عكس للجزئيات منها على مذهب الخلف أيضاً .أما الموجبة فلجزئيته لا تصير
كبرى ..وإن كان صغرى فرابع ..وأما السالبة مطلقاً، فلان نقيض عكس النقيض سالبة
أيضاً .ولا قياس على سالبتين ..

[الباب الرابع :في الأدلة والحجج الخ(827)]

اعلم أن الدليل باعتبار الصورة هو المقصد الأعظم من المنطق ..وهو بسيط عند
الأصوليين، فالنظر في أحواله ..ومركب عند المنطقيين، فالنظر فيه ..فالدليل :ما يكتسب

825 (بإحدى الجهتين، الفعل أو الضرورة في وقت.

826 (إذ هو العكس الصريح لتلك الأربع.

827 (كلنبوي ص 30..19

بالنظر في أحواله، أو فيه حكم آخر.. فالاستدلال: إما بالجزئي على الكلي.. فهو الاستقراء، وهو أساس أدلة العربية بل في ابتداء حصول كل العلوم.. وإما بالجزئي على الجزئي، وهو التمثيل، وهو المعتبر في أصول الشرع، بل في كل التشبيهات.. وإما بالكلي على الجزئي، أو على الجزئي الإضافي.. وهو القياس المنطقي، والجاري في تعليم العلوم..

ثم إن البدهي من هذا القسم الذي يكتسب به نظريات هذا الباب؛ القياس المقسم.. والاستثنائي وغير المتعارف المعبر عنه- في الأكثر- بقياس المساواة... والشكل الأول الراجع محصلاً إلى قياس المساواة.. وأصله: قياس غير متعارف. هكذا: زيد مساو لعمرو، وعمرو مساو ل بكر؛ فزيد مساو ل بكر بالضرورة. وكل مساو المساوي مساو.. فزيد مساو، وهو المطلوب. فهذا التكلف لتحصيل تكرر الأوسط. والأصح أنّ تكرر الأوسط شرط العلم بالإنتاج.. فيمكن لزوم الإنتاج بدونه؛ كأكثر شرائط اقتراحات الشرطية. وأما شرط تحقيق الإنتاج الذي لا يمكن لزوم النتيجة بدونه: فكياجيب الصغرى وكلية الكبرى في الأول، وأن لا تكون المقدمتان سالبتين أو جزئيتين في الكل وغيرها.

اعلم أن الدليل لما كان العلم به بالمعنى العام علّة للعلم.. كذلك بالنتيجة وجب تقديمه. فالدور بكلا معنييه باطل، وكذا المصادرة.. وان تكون المادة مناسبة ذاتاً وكيفية للنتيجة. فان قلت: الذهن كاللسان يتعاقب فيها الصغرى والكبرى، فكيف يكون كلاهما علّة مؤثرة؟..

قلت: الأفكار علّة معدّة للمطالب باعتبار الحضور.. وعلّة مجامعة (828) باعتبار الحصول.

فإن قيل: الإيمان الذي هو التصديق (829) مكلف به، والمكلف (830) به فعل اختياري مع أن اللزوم ضرورة والتصديق انفعال؟

828 (مقارنة).

829 (المنطقي مع لازمه).

830 (حال).

قلت :التكليف بترتيب المقدمات..

فان قلت :الدليل يستلزم النتيجة مقدمة أساسية للإنتاج .مع أنه نظرية .فإن أثبتت دليل
فذلك الدليل أيضاً متوقف على مثل هذه المقدمة؟

قلت :هذه المقدمة تثبت بدليل، تثبت هذه المقدمة فيه، في نفس الأمر بالانتقال الطبيعي،
لأن علم العلم ليس بلازم بالضرورة، لأن ذلك الدليل من المعقولات الأولى.

فإن قلت :علم صدق كلية الكبرى التي في قوة قضايا متعددة بعدد الأفراد التي منها
موضوع النتيجة شرط للإنتاج، حتى في أبده الأشكال، مع أن العلم بصدقها، يتوقف على
العلم بالنتيجة .فما هذا الدور؟..

قلت :إن لاختلاف العنوان تأثيراً في اختلاف الأحكام؛ معلومية ومجهولية، ضرورية
ونظرية .فموضوع النتيجة تحت عنوان موضوع الكبرى قد يكون ضرورياً ..وتحت
عنوانه نظرياً .ثم إن للإنتاج شرائط عمومية ..وقد مرّ نبذة منها باعتبار المادة والصورة .
وخصوصيته فسيأتي.

ومن الشرائط العمومية التفتّن الذي هو كالجماح بين الزوجين ..وملاحظة النتيجة في
بطن الكبرى..

ثم اعلم أن الاستقراء له وقع عظيم واستعداد واسع، بل هو المؤسس للعلوم، بل هو
المفصل للعقل بالملكة .فقد بخسوا حقه في الاختصار فيه .ومنه :ما هو مفيد لليقين، وهو
الثام الذي كالتواتر الحالي .أو تتبع قليل أفراد في نوع واحد بالنظر بطبيعة النوع ..وهو
أيضاً مفيد لليقين، بسبب انضمام حدسٍ معنوي إليه ..ومفيد للظن، وهو الاستقراء الناقص
في أكثر الجزئيات؛ إذ بسر الحكمة يكون الأكثر هو الباقي على الأصل الذي لا يعطل .وإذا
اختصروا فلنختصر..

ثم إن التمثيل أيضاً مفيد لليقين، إن كان مقدماته يقينية، أي وجود الشرائط وانتفاء
القوادح ويقينية المسلك الذي تثبت العلية به ..وبندرة اليقينية بكأها أطلقوا إفادة الظن.

ثم للتمثيل الذي منه التشبيه أيضاً، أركان أربعة :وهو المقيس، والمقيس عليه،

والجامع، وحكم الأصل .لا حكم الفرع، فإنه نتيجة.

اعلم :أن للقياس التمثيلي مجالاً واسعاً، فيجري في فنون شتى وفي المحاورات .لكن القدح المعلى للشرع ..

ومن شرائطه فيه :أن لا يكون حكم المشبه به مختصاً ..أو تعدياً ..أو مستثنى ..أو متغيراً عند التعدي .الخ..

ومن مسالكه فيه :الإجماع، والنصّ، والإيماء بالحكم على المشتقّ، والسبر بالتقسيم، وطرد غير الصالح، والمشابهة، وإلغاء الفارق، والعكس .أي الوجود عند الوجود ..وقيل الطرد وهو عكس العكس ..والدوران كلاهما ..وتتقح المناط بطرد الخصوصيات .. وتحقيق المناط بإثبات في الصور الخفية؛ كالسرقة في الطرار والنباش، وتخريج المناط، والمناسبة ..والوصف المناسب، هو الذي لو عرض على العقول لتلقته بالقبول ..وهو إما حقيقي أو إقناعي ..والحقيقي :إما ضروري، وهو الأقطاب الخمسة .أي حفظ النفس، والدين، والعقل، والمال، والناموس؛ المناسبة للقصاص ..والجهاد، وحدّ السكر أو الشرب، وحدّ السرقة، وحدّ القذف؛ وحدّ الزنا .وإما حاجي كما في أساسات المعاملات ... وإما استحساني :كالتنزيه من القاذورات، وعدم تولية النساء والعبيد ..والإقناعي :كبطلان بيع الخمر للنجاسة ..وقس، فتأمل!

ثم العلة :لابد أن تكون وصفاً ظاهراً منضبطاً، لا كالمشقة وبراءة الرحم ...

والعلة علامة، وإنما المؤثر خطاب الله ..كما أن المؤثر في عالم الخلق قدرة الله .

فتأمل!

ثم المانع :إما من انعقاد العلية، أو عليّة العلة، أو ترتب الحكم أو دوامه ..كبيع المعدوم، وبخيار الرؤية، وبخيار المجلس، وبخيار الشرط أي العيب .كما أن الرمي قد لا يصيب، أو يصيب لا يجرح، أو يجرح يندمل، أو لا يندمل بضمن ..(831)

ومن القوادح :النقض، أي تخلف المعلول عن العلة، والمعارضة، والكسر، وعدم

831 (و)ولعله "بزم من "ع.ب.

التأثر .وقس، فتأمل!

اعلم، أنا إذا تحريّنا مطلوباً؛ فإن كان لجملته نسبة إلى شيء، فاستثنائي ..أو لأجزائه، فاقتراني ..والاستثنائي من شرطية واستثنائية، عملية أو شرطية فشرط الشرطية : الإيجابُ وعدمُ الاتفاق ..والكليةُ عند عدم كلّيّة الاستثنائية أو شخصيّتها .إذ سلب اللزوم أو العناد لعمومه، لا يستلزم شيئاً .وللزوم النتيجة للدليل، لاسيما للمقدمة الاستثنائية؛ لم تقدّر الاتفاقية على الإنتاج .وسرّ الكلية ظاهر.

ثم الشرطية :إن كانت متصلة ..فالمستقيم استثناء عين المقدم لا التالي، لإمكان العموم ..وغيرُ المستقيم استثناء نقيض التالي، لا نقيض المقدم، لإمكان أعمية نقيض ممكن الأخصيّة .وغير المستقيم يرتدّ مستقيماً بعكس نقيض الشرطية.

وإن كانت منفصلة حقيقيّة، فله أربع نتائج باستثناء عين كلٍ أو نقيض كلٍ .ويرتدّ هذا إلى المستقيم باستلزام الحقيقية لأربع متصلات.

وإن كانت مانعة الجمع، فاستثناء عين كلٍ لأخصيّته، لا نقيضه لأعميّته بالردّ إلى المستقيم بواسطة تلازم مانعة الجمع للمتّصلة، مقدّمها (832) عين أحد جزئها .. (833) وإن كانت مانعة الخلوّ، فعكسها ومثلها في الرد والبرهان.

فإن قلت :المستقيم يكفي، إذ الباقي بالردّ يظهر؟

قلت :مراعاةُ طبيعة الفكر والتحصيل (834) وغيرها، (835)أحوجتنا إلى الطرق المعوّجة؛ فكم من أشياء هي مقدمة طبعاً، أو تالٍ طبعاً، أو المحصل نقيضها .وقس ..فلو استقمت لم يستقم..

اعلم أن القياس من محض العمليات يسمّى اقترانياً ..ومن محض الشرطيات أو المختلط يسمّى اقترانية، فأصولها خمسة ..وفروعها خمسة آلاف .والضابط فيها :أن الجزء الغير المشارك يبقى في النتيجة، مع نتيجة التآليف بين المتشاركين .ونتيجة التآليف

(832) (أي المتصلة). (أجبر).

(833) (أي مانعة الجمع). (أجبر).

(834) (أي محصلية الأشياء).

(835) (من نكات البلاغة).

لازم⁽⁸³⁶⁾ للمشارك باعتبار. وملزوم الملزوم ملزوم. ومعاند⁽⁸³⁷⁾ الملزوم كاللامعاند اللازم في الجملة. فمن متصلتين في الشكل الأول مع الاشتراك في جزء تام مبني على أن اللازم اللازم لازم.

ومن منفصلتين مع الاشتراك في غير تام،⁽⁸³⁸⁾نتيجته منفصلة مركبة من الجزء الغير المشارك، مع نتيجته التأليف بين الجزء الآخر؛ العملية والمنفصلة الكبرى. لأن معاند الملزوم معاند اللازم بجهة..

ومن متصلة وحملية.. المشاركة لأحد جزئها، ينظر المتشاركين بشرائط الأشكال. ثم يؤخذ نتيجته التأليف.. ثم يضم إلى الجزء الغير المشارك مقدماً أو تالياً.

ومن المنفصلة والحملية الواحدة، فالنتيجة منفصلة مركبة من غير المشارك، مع نتيجة التأليف بين الحملتين، مع مراعاة الشكل الذي هو منه. وإن كانت العملية متعددة عدد أجزاء المنفصلة، فانظر إلى كل متشاركين منها، وخذ نتيجة التأليف من كل جزئين؛ فإن اتحدت الحملات في طرف، فالنتيجة حملية.. وهو القياس المقسم المشهور، وإلا فالنتيجة منفصلة مركبة من نتائج التأليفات؛ ك"الكاتب إما جاهل أو غافل. والجاهل لا بد أن يعلم، والغافل لا بد أن يتبه.. "فالكاتب إما لا بد أن يعلم وإما لا بد أن يتبه.

اعلم أن الحد الأوسط شرط العلم بالإننتاج كما مر. ومن شرط الأوسطية أن يكون ركناً للصغرى والكبرى. أو جزءاً لجزئهما، كما في كثير من الاقترانيات.. هذا في المتعارف. ومن شرطها أيضاً، الاتحاد حقيقةً، لا عنواناً فقط. وأما غير المتعارف الذي هو متعارف عندي، فالأوسط متعلق أحد جزئي الصغرى وعين أحد جزئي الكبرى. أما "الدنيا جيفة وطالها كلاب" فغير متعارف الغير المتعارف. وأما "الإنسان مباين للفرس، وكل فرس حيوان" فالأوسط غير مكرر حقيقة. لأن متعلق محمول الصغرى مفهوم. ويجري في غير المتعارف؛ كالمشاركين الأشكال الأربعة، فيشترط ما يشترط فيها.

836 (إن كان الصغرى متصلة.

837 (إن كان منفصلة.

838 (إن كانت تاماً فمتصلة.. إن حقيقة.

ويجري غير المتعارف كالمتعارف في الشرطيات بأقسامها. مثلاً: "لَمَّا كانت الشمس سلطان النجوم، كانت في مركز عالمها وسط الكائنات.. فالشمس وسط الكائنات." ثم إن لغير المتعارف المتعارف الذي تساوي محمول الصغرى والكبرى- إن كان من الشكل الأول-نتيجتين:

أدهما: ذاتية بضم محمول الصغرى بالإضافة إلى محمول الكبرى، وجعلها محمول النتيجة؛ ك"الذرة في الحقّة، والحقّة في البيت .. فمفاد الفائزين وهو مظروف محمول النتيجة. وإن كان أحدهما حرفياً، والآخر اسماً؛ فبدخول الحرفي على الاسم ك"الذرة في الصّدْف .. والصّدْف جميل، فالذرة جميلة."

والنتيجة الثانية: عند اتحاد المحمولين جعل محمول الكبرى فقط، فيكون قياس المساواة. وإنما يصدق عند صدق اللاحقوان الأجنبية.

واعلم أيضاً أن القياس التمثيلي قياس غير متعارف، باعتبار ذكره أداة التّشبيه في النتيجة، ك"النبیذ، كالخمر، والخمر حرام .. فالنبیذ حرام" تمثيل ظنيّ. و"كالحرام" غير متعارف يقيني.

اعلم أن من القياسات قياسات خفية، ولها مجال واسع. وكثير ما تنقلب القياسات الجليّة بالألفة والاستمرار خفية. وأساس الخفية دليل ينقدح في الذهن دفعة من تفاريق أمارات، وخاصته بسرعة الانتقال من المبادي إلى المطالب بلا ترتيب. وقد يفاد بأنه علم إجمالي يقيني لا يقدر أن يعبر عنها بالتفصيل، لتحلبها من مظان متفرقة. فلا يمكن أن يضع إصبعه على منبع معين.

ثم إن الأشكال الثلاثة إنما يعلم نتائجها بانقلابها إلى الشكل الأول. فإذا فما الفائدة في تطويل الطريق؟

الجواب: إن لموضوع النتيجة ومحملها موصوفات وأوصاف .. أي موضوعات طبيعيّة ومحمولات طبيعيّة. فإذا تحريّت ما يشترك طرفا المطلوب فيه، فقد يكون المشترك صفة الطرفين، أي محمولاً طبيعياً لهما؛ ككل متعجب إنسان، بالنظر إلى الضاحك. وقد يكون موصوف الموضوع صفة المحمول؛ ككل ضاحك إنسان بالنظر إلى المتعجب .

فلمخالفة المطلوب لطبيعة القضية تعددت الأشكال، ولمراعاة الطبيعة خولفت الطبيعة.

اعلم أن في كل شيء روحاً وحقيقة؛

فروح الشكل الأول أن داخل داخل الشيء داخل الشيء، وظرف ظرف الشيء ظرف الشيء.

وفي الشكل الثاني: الاستدلال بتنافي اللوازم على تنافي الملزومات؛ إذ السالبة مؤولة بالمعدولة. والمراد من اللزوم مطلق الاتصاف..

وفي الشكل الثالث: بأن شيئاً مجمع صفتين، فالصفتان مترافقتان..

وفي الرابع: إثبات موصوف الشيء لصفته..

ثم إن اتصال الصغرى بالكبرى اتفافية.. وترتب النتيجة عليهما مؤول بشرطية لزومية بديهية في الأول، نظرية في البواقي، مثبتة بأدلة ثلاثة .

أحدها: الخلف.. وملخصه: إثبات الشيء بإبطال نقيضه. وتصويره: بصنعة البرهان، هكذا: إذا صدق هذا الشكل لزم هذه النتيجة مدعى.. وإلا أي وإن لم يلزم لصدق نقيضه، ولدائمة الصدق يصدق مع كل صادق اتفاقياً. وإذا صدق مع كل صادق، صدق مع هذا الشكل الصادق، فيصدق مع جزئه اتفاقياً، الكافي في تشكل الشكل.. فيحصل صورة الشكل فينتج بالبداهة نقيض أو ضد أحد المقدمتين الصادقتين بحسب الفرض. وجمع النفيين أو الضدين في الصدق محال.. وملزوم المحال باطل..

ومنشأ الفساد ليس صورة الشكل الأول لبداهته.. ولا مقدمة الشكل لمفروضة الصدق، بل نقيض النتيجة.. فهو منشأ المحال، فالنتيجة صادقة.

ثم إن نقيض النتيجة في الشكل الثاني، يصير صغرى الكبرى، وينتج نقيض الصغرى. وفي الشكل الثالث تأخذ النقيض وتجعله كبرى للصغرى لينتج نقيض الكبرى. وأما الرابع: فيبدلي دلوها إليهما .

الثاني الاستقامة وتصويره، أعني بطريق العكس.. هكذا: كلما صدق هذا الشكل صدق الصغرى مع لازم الكبرى في الثاني مثلاً. وصدق الكبرى مع لازم الصغرى، أي عكسها في الثالث مثلاً. وكلما صدقاً معاً، صدق لازماهما. وكلما صدق هذا مع ذلك، صدق ذلك

مع هذا؛ كما في الرابع مثلا. لأن ما بين الصغرى والكبرى من الاتفاق إضافة متشابهة الطرفين. فإذا حصل الشكل الأول المنتج للمطلوب أو لمزومه بالبداية.

ثم إن المقصد من المنطق تمييز الأفكار الصحيحة بوضع شرائط. فمن الشرط العمومي: أن لا تكون الصغرى والكبرى سالبتين أو جزئيتين. وشرط الأول خصوصاً إيجاب الصغرى وكلية الكبرى. فإنّ بفقد أيهما كان، يلزم الاختلاف المستلزم للتخلف، المنافي للزوم المباين للإنتاج. فلنا) في تبيين الضروب المنتجة بين الضروب الثمانية عشر العملية بضرب صغريات الأربع في كبريات الأربع (طريقان):

طريق التحصيل: بضمّ الصغرى الموجبة جزئية أو كلية إلى الكبرى الكلية موجبة أو سالبة..

والثاني طريق الحذف: بإسقاط إيجاب الصغرى سالبتها في أربعة الكبرى، وإسقاط كلية الكبرى جزئيتها في موجبتى الصغرى. فبقي الأربعة المنتجة للمطالب الأربعة التي اختص الشكل الثاني منها بالسالبين، والثالث بالجزئيتين، والرابع بغير الموجبة الكلية..

فالأول من الأول هو المنتج للموجبة الكلية، فيكون من موجبتين كليتين.

اعلم أن الأول من الأول من موجبتين كليتين، ينتج موجبة كلية. ككل "أ، ب" وكل "ب، ج"، فكل "أ، ب".

والضرب الثاني: من كليتين والكبرى سالبة كلية، ينتج سالبة كلية.

والثالث: من موجبتين، والصغرى جزئية؛ ينتج موجبة جزئية.

الرابع: من موجبة جزئية صغرى، وسالبة كلية كبرى؛ ينتج سالبة جزئية. لأن النتيجة تتبّع أحسن مقدمتيه، والسلب والجزئية خسيستان.

اعلم أن الشكل الثاني ما كان الأوسط محمولاً في مقدمتيه.. وضروره العقلية، كأخواته ستة عشر.. وشرطه: كلية الكبرى واختلاف الكيف. فبطريق الحذف تسقط الكلية جزئيتى الكبرى في أربع الصغرى. وتحذف الاختلاف الموجبة، الكلية كبرى في موجبتى الصغرى.. والسالبة الكلية الكبرى في السالبتى الصغرى. وبطريق التحصيل: الكبرى السالبة، مع موجبتى الصغرى والكبرى، الموجبة الكلية مع سالبتي الصغرى.

فهذا الشكل ينتج من المطالب الأربعة بضروبه الأربعة، السالبة الكلية والسالبة الجزئية. ولليل إنتاجه الخلف في كل الضروب ..وعكس الكبرى في الضرب الأول والثالث ..وعكس الصغرى مع عكس الترتيب. وعكس النتيجة في ضرب الثاني، ولا عكس في الضرب الرابع، لأن صغراه السالبة الجزئية لا عكس لها. وبعكس الموجبة الكلية الكبرى تصير جزئية ..ولا دليل من جزئيتين. وبافتراض في الضرب الثالث مطلقة. وفي الرابع بشرط كون الصغرى من المركبات، ليتحقق وجود الموضوع حتى يفترض .

والافتراض قياسان: أحدهما من الأول ..أو من الضرب الأجل من الشكل المطلوب . والقياس الآخر من الثالث ..وتحصيله: تخريج الموضوع الحقيقي ..وحمل عنوان الموضوع عليه بالإيجاب. وعنوان المحمول: إما بالإيجاب إن كانت القضية موجبة ..أو بالسلب إن كانت سالبة ..

ثم ضم عقد الحمل هنا إلى الكبرى ..ثم جعل نتيجتها كبرى لعقد الوضع ..فالضرب الأول من الشكل الثاني من كليتين والكبرى سالبة. مثلاً: كل جسم مؤلف، ولا شيء من القديم بمؤلف، فلا شيء من الجسم بقديم، بالخلف. وهو إثبات الشيء بإبطال نقيضه .. هكذا: إذا صدق هذا الشكل، صدق هذه النتيجة ..وإلا لصدق نقيضها؛ وهو " بعض الجسم قديم. "والصّادق يصدق مع كل صادق ..فيصدق مع الكبرى المفروض الصدق. هكذا: "بعض الجسم قديم، ولا شيء من القديم بمؤلف، فلا شيء من الجسم بمؤلف " وهذا نقيض للصغرى المفروض الصدق. فنقيض الصادق كاذب ..وملزوم الكاذب باطل ..ونقيض الباطل حق ..فالنتيجة صادقة ..وبعكس الكبرى ليرتدّ إلى الشكل الأول ..وهكذا: لو صدق الصغرى مع الكبرى، لصدق مع لازمها ..فيصير شكلاً أولاً.

والضرب الثاني: من كليتين، والصغرى سالبة؛ كلا شيء من الجسم بسيط ..وكل قديم بسيط؛ ينتج لاشيء من الجسم بقديم، بالخلف- كما مرّ -وبعكس الصغرى. ثم جعلها كبرى، ثم عكس النتيجة. لأنه إذا صدق الصغرى مع الكبرى، صدق لازم الصغرى مع الكبرى أيضاً. وإذا صدق لازم الصغرى مع الكبرى، صدق الكبرى مع لازم الصغرى .. فينتج بالشكل الأول ملزوم مطلوبنا.

والضرب الثالث: من موجبة جزئية صغرى وسالبة كلية كبرى؛ ينتج سالبة جزئية بالخلف والعكس والافتراض. مثلاً: بعض الجسم مؤلف، ولا شيء من القديم بمؤلف.. فبعض الجسم ليس بقديم.. بعكس الكبرى، يرتدّ إلى الأول. وبضمّ نقيض النتيجة صغرى للكبرى، لينتج نقيض الصغرى الصادق، فهو كاذب، فملزومه باطل، فنقيض ملزومه صادق.

وبالافتراض: فالمقدمتان الافتراضيتان.. نفرض الموضوع الحقيقي في " بعض الجسم مؤلف إنساناً، فكل إنسان جسم، وكل إنسان مؤلف." فخذ عقد الحمل، واجعل صغرى لنفس الكبرى، ليصير ضرباً أجلى.. أو إلى عكس الكبرى. هكذا: "كل إنسان مؤلف، ولا شيء من القديم بمؤلف.. ولا شيء من الإنسان بقديم." فجعل هذه النتيجة كبرى لعقد الوضع، هكذا: "كل إنسان جسم، ولا شيء من الإنسان بقديم"، فينتج من الثالث: بعض الجسم ليس بقديم "وهو المطلوب.

والضرب الرابع: من سالبة جزئية صغرى وموجبة كلية كبرى.. هكذا: "بعض الجسم ليس ببسيط، وكل قديم بسيط؛ فبعض الجسم ليس بقديم، بالخلف.. بضم نقيض النتيجة صغرى للكبرى، لينتج نقيض الصغرى المفروض الصدق. لا بعكس الكبرى، لصيرورتها جزئية.. ولا بعكس الصغرى، لأنها لا تقبل العكس. ولا بالافتراض لعدم تحقق وجود الموضوع، إلا إذا كانت مركبة.. فإذا كانت، نفرض الموضوع الحقيقي إنساناً.. فكل إنسان جسم، ولا شيء من الإنسان ببسيط.

فاجعل هذه المقدمة الثانية صغرى للكبرى، ثم اجعل نتيجتها كبرى للمقدمة الافتراضية الأولى.. هكذا: "كل إنسان جسم، ولا شيء من الإنسان ببسيط"؛ فمن الشكل الثالث ينتج "بعض الجسم ليس بقديم."

وأما الشكل الثالث: فشرطه إيجاب الصغرى وكلية إحدى مقدمتيه للاختلاف عند الفقد. فبطريق التحصيل الصغرى الكلية مع الكبريات الأربع.. والصغرى الموجبة الجزئية مع كلية الكبرى. ولا ينتج هذا الشكل إلا جزئياً. فضروره المنتجة ستة مرتبة على وفق شرف الننانج، والكبرى وأنفسها..

فالضرب الأول من موجبتين كليتين؛ ينتج موجبة جزئية، بالقياس المستقيم المركب.

المركب من الشرطيات هكذا" :إذا صدق هذا الضرب، لزم النتيجة .." هذا المدعى نظري .
دليله :لأنه إذا صدق الصغرى مع الكبرى، صدق لازم الصغرى مع الكبرى أيضاً .وإذا
صدق لازم الصغرى مع الكبرى، حصل صورة الشكل الأول .وإذا حصل صورة الشكل
الأول، فبالبداهة لزم هذه النتيجة .فإذا صدق هذه الضرب، صدق هذه النتيجة ..

وبالخلف أيضاً .ومرجعه إلى قياسين :استثنائي غير مستقيم ..واقتراني مركبة منتجة للمقدمة
الشرطية للقياس الاستثنائي .هكذا :إذا صدق هذا الضرب، لزم هذه النتيجة، لأنه إن لم يجب
صدق هذه النتيجة، لزم المحال .لكن التالي باطل، فينتج بطلان عدم لزوم صدق النتيجة.

أما المقدمة الاستثنائية فبديهية ..وأما المقدمة الشرطية؛ فلأنه إذا لم يلزم صدق النتيجة،
أمكن صدق نقيضها .ولو أمكن صدق نقيضها، لأمكن مع كل صادق، ومن الصادق
الصغرى .ولو أمكن صدقه مع الصغرى، لأمكن حصول الشكل الأول المنتج لصد
الكبرى، المفروض الصدق .فلو أمكن حصول شكل هكذا؛ لأمكن اجتماع الضدين وهو
محال ..فلو أمكن هكذا، لأمكن المحال ..وإمكان المحال محال ..فلو أمكن هكذا، لزم
المحال؛ فينتج من المجموع المقدمة الشرطية في الاستثنائي ..وهو " فلو لم يلزم صدق
النتيجة لزم المحال."

نحو " كل مؤلف جسم، وكل مؤلف حادث؛ فبعض الجسم حادث .."بعكس الصغرى،
ليرتدّ الأول .وبضم النتيجة، وهو " :لا شيء من الجسم بحادث "كبرى للصغرى ..وهي :
"كل مؤلف جسم "لينتج ضدّ الكبرى وهو " :لا شيء من المؤلف بحادث."

الثاني :من كلتين، والكبرى سالبة؛ ينتج سالبة جزئية لا كلية ..لجواز كون الأصغر
أعم .ك"كل مؤلف جسم، ولا شيء من المؤلف بقديم ..فبعض الجسم ليس بقديم .."بعكس
الصغرى، ليرتدّ إلى الشكل الأول ..وبالخلف بضمّ نقيض النتيجة كبرى للصغرى، المنتج
لضد الكبرى الصادق.

الثالث :من موجبتين، والصغرى جزئية؛ ك"بعض المؤلف جسم، وكل مؤلف حادث "
بالخلف، والعكس كما مرّ في الضرب الأول ..وبالافتراض بفرض الموضوع الحقيقي في
"بعض المؤلف جسم إنساناً، وكل إنسان مؤلف ..وكل إنسان جسم.."

فاجعله المقدّمة الافتراضية الأولى صغرى للكبرى .هكذا" :كل إنسان مؤلف، وكل

مؤلف حادث، فكل إنسان حادث "ثم اجعل هذه النتيجة كبرى للمقدمة الافتراضية الثانية: هكذا": كل إنسان جسم، وكل إنسان حادث "فينتج بالضرب الأجلي هذه الشكل : "بعض الجسم حادث" ..

واعلم أن الافتراض في الثالث عكس افتراض الثاني، فإن التصرف هناك في المقدمة الثانية وهنا في المقدمة الأولى .. وإن القياس الأول في افتراض الشكل الثاني أيضاً من الثاني. والقياس الثاني في افتراض الشكل الثالث أيضاً من الثالث.

والضرب الرابع: من موجبة جزئية صغرى، وسالبة كلية كبرى. نحو: "بعض المؤلف جسم، ولا شيء من المؤلف بقديم، فبعض الجسم ليس بقديم". "بالقياس المستقيم الذي مرجعه" ثبوت الشيء مع الملزوم، يستلزم ثبوته مع اللازم .. "وبالقياس الخفي الذي مرجعه" إثبات الشيء بإبطال نقيضه. "وصورته": قياس استثنائي غير مستقيم، يثبت مقدمته الشرطية باقترانيات مركبة. "وبالافتراض ومرجعه: إخراج الموضوع الحقيقي، ثم حملُ عنواني الموضوع والمحمول كليّة عليه، ثم ضمُّ عقد الوضع إلى الكبرى. ثم ضمَّ النتيجة إلى عقد الحمل، لينتج المطلوب.

الضرب الخامس: من موجبتين، والكبرى جزئية .. كـ "كل مؤلف جسم، وبعض المؤلف حادث" بالخلف كما مرّ. وبعكس الكبرى مع الترتيب .. وعكس النتيجة هكذا: إذا صدق هذا الضرب، صدق صغراه مع لازم كبراه .. فيصدق لازم الكبرى مع الصغرى أيضاً، فيستلزم بالشكل الأول ملزوم المطلوب.

وبالافتراض: بفرض موضوع الكبرى الجزئية "إنساناً" .. "فكل إنسان مؤلف، وكل إنسان حادث" فاجعل المقدمة الافتراضية الأولى صغرى للصغرى .. ثم ضم نتيجتها صغرى للمقدمة الافتراضية الثانية.

الضرب السادس: من موجبة كلية صغرى، وسالبة جزئية كبرى. نحو: "كل مؤلف جسم، وبعض المؤلف ليس بقديم .. فبعض الجسم ليس بقديم" بالخلف - كما مرّ - دون العكس. لأن الكبرى لا تقبل العكس. وبعكس الصغرى يصير الدليل من جزئيتين .. ودون الافتراض أيضاً، لأن الكبرى الجزئية سالبة، لا تقتضي وجود الموضوع، إلا إذا كانت مركبة. والافتراض: إخراج الموضوع الحقيقي الموجود...

الشكل الرابع: أساسه.....:

(انتهيت من تصحيح هذا السفر النفيس المبارك منتصف ليلة الثالث من الشهر الحادي عشر لسنة تسع وألفين حوالي الساعة الثالثة ليلاً . وأعترف أنه بحاجة إلى إعادة الأنظار فيه، راجيا المولى الكريم أن يقيض له من يقوم بتتقيقه وتصحيحه على أكمل وجه حتى يسهل على المطالع الاستفادة منه . والله الموفق . أجير ايشيوق)

ملاحظة :لقد وجدنا قصاصات بين صفحات المخطوط فأحلناها إلى مواضعها من

المتن إلا هذه الفقرة لم نجد لها محلاً:

وإلا لزم أن يكون مركباً . والحال أنه من أقسام المفرد . يعني أن مأخذ دلالاته على الزمان هو الهيئة . وكذا الآخر، وهو أن يكون مأخذ دلالاته على الحدث هو المادة . يعني أن الدلالة نشأت أولاً من هذين عليهما، ثم توضع دفعة على مجموعه . أي المادة والهيئة معاً .. وإلا لزم أن يكون الحجر والشجر دالاًن على الزمان . والمشهور في الجواب :إن المراد، الجزء المرتب في السمع . والهيئة من ضرب ليس مرتباً في المستمع بدفع المادة .

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة

إحسان قاسم الصالحى

إفادة مرام

حينما كنت أتدبّر في بعض الآيات الكريمة خطرت على قلبي
نكاتٌ لطيفة، فدوّنتُها على صورة ملاحظات ومذكرات ..فيا
قارئ العزیز لا تضجر من أسلوبی الموجز فلست غنياً
بالألفاظ كما لا أحب الإسراف .ولا تعجبي الألفاظ المنمّقة ..
خذ من كل شيء أحسنه .سر على هذه القاعدة .فما لا يعجبك
ولا يروق لك دعه لي، ولا تعترض.

سعيد

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾(العصر:3)

سنيين حكمة" الإطلاق " فقط .فالقرآن الكريم يترك" الصالحات "مطلقةً دون قيد

يقيدها، ومبهمهً دون أن يشخصها.

وذلك: أن الفضائل والأخلاق، وكذا الحُسن والخير، أغلبها أمورٌ نسبية، تتغير كلما

عبرت من نوع إلى آخر، وتتباين كلما نزلت من صنف إلى صنف، وتختلف كلما بذلت مكاناً بمكان، وتتبدل باختلاف الجهات، وتتفاوت ماهيتها كلما علت من الفرد إلى الجماعة ومن الشخص إلى الأمة.

فمثلاً: الشجاعة والكرم في الرجل تدفعانه إلى النخوة والتعاون، بينما تسوقان المرأة إلى النشوز والوقاحة وخرق حقوق الزوج.

ومثلاً: إن عزة النفس التي يشعر بها الضعيف تجاه القوي، لو كانت في القوي لكانت تكبراً، وكذا التواضع الذي يشعر به القوي تجاه الضعيف، لو كان في الضعيف لكان تذلاًً. ومثلاً: إن جدية ولي الأمر في مقامه وقاراً، بينما لينه ذلّة؛ كما أن جدية في بيته دليل على التكبر، ولينه دليل على التواضع.

ومثلاً: إن تفويض الأمر إلى الله في ترتيب المقدمات كسل، بينما في ترتب النتيجة توكل؛ كما أن رضا المرء بثمرة سعيه وقسمته قناعة يقوي فيه الرغبة في السعي، بينما الاكتفاء بالموجود تقاصر في الهمة.

ومثلاً: إن صفح المرء - عن المسيئين - وتضحيتّه بما يملك عملٌ صالح، بينما هو خيانة إن كان متكلماً عن الغير - باسم الجماعة - وليس له أن يتفاخر بشيء يخصّه، ولكن يمكنه أن يفخر باسم الأمة من دون أن يهضم حقها.

وهكذا رأيت في كل مما ذكرنا مثلاً، فاستنبط بنفسك؛ إذ القرآن الكريم خطاب إلهي شامل لجميع طبقات الجن والإنس، ولكل العصور، والأحوال والظروف كافة.

وحيث إن الحُسن النسبي والخير النسبي كثير جداً، فإن إطلاق القرآن إذن في "الصالحات" إيجاز بليغ لإطناب طويل. وإن سكوته عن بيان أنواع الصالحات كلام واسع.

* * *

(وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحِيمٍ) (الانفطار: 14):

العاقبة دليل العقاب، الحدس يدل عليه؛ فعاقبة المعصية التي تقع في الدنيا أمارّة حدسية على أن عاقبتها تؤول إلى عقاب؛ لأن أي إنسان كان يرى - حدساً وبتجربته الخاصة - أن

المعصية تنجرّ إلى عاقبة سيئة وخيمة- رغم عدم وجود علاقة طبيعية بينهما- فهذه الكثرة الكاثرة من التجارب الشخصية، والتي تقع في ميدان واسع جداً، لا تكون نتيجةً مصادفةً قط. فلو أخذنا هذه التجارب الشخصية بنظر الاعتبار، ظهر لدينا أن نقطة الاشتراك بينها هي طبيعة المعصية المستلزمة للعقاب. فالعقاب إذن لازم ذاتي للمعصية. ولما كان هذا اللازم الضروري يترتب- على الأغلب- في الدنيا على طبيعة المعصية وحدها، فلاشك أن ما لم يترتب عليه في هذه الدنيا سيترتب عليه في الدار الآخرة. فيا ترى هل هناك أحدٌ لم يمر بتجربة في حياته قال فيها: إن فلاناً قد جوزي بما أساء! *

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات:13)

أي: لتعارفوا، فتعاونوا، فتحابّوا، لا لتتناكروا فتعادوا فتتعادوا! إذ كما أن هناك روابط تربط الجندي بفصيله وفوجه ولوائه وفرقته في الجيش، وله واجب ووظيفة في كلٍّ منها؛ كذلك كل إنسان في المجتمع له روابط متسلسلة ووظائف مترابطة. فلو اختلطت هذه الروابط والوظائف ولم تُعيّن وتحدّد لَمَا كان هناك تعاون ولا تعارف.

فنمو الشعور القومي في الشخص إما أن يكون إيجابياً أو سلبياً: فالإيجابي ينتعش بنمو الشفقة على بني الجنس التي تدفع إلى التعاون والتعارف. أما السلبي فهو الذي ينشأ من الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاد. والإسلام يرفض هذا الأخير. *

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود:6)

الرزق ذو أهمية عظيمة كأهمية الحياة في نظر القدرة الإلهية، إذ القدرة هي التي تُخرج وتوجد الرزق، والقدر يُلبسه اللباس المعين، والعناية الإلهية ترعاه. فالقدرة الإلهية- بفعالية عظيمة- تحوّل العالم الكثيف إلى عالم لطيف. ولأجل أن تكسب نراث الكائنات حظاً من الحياة فإنها تعطيها الحياة بأدنى سبب وبحجة بسيطة، وبالأهمية

نفسها تُحضِرُ القدرةَ الرزقَ متناسباً مع انبساط الحياة.
فالحياة محصّلةٌ مضبوطةٌ أي مشاهدةٌ محدّدة، أما الرزق فغير محصّل- أي لا يحصل
أنيأً - وإنما بصورة تدريجية ومنتشرة تدفع الإنسان إلى التأمل فيه.
ومن وجهة نظر معينة يصح أن يقال: إنه ليس هناك موتٌ جوعاً. لأن الإنسان لا
يموت قبل أن ينتهي الغذاء المدخر على صورة شحوم وغيرها.
أي إن المرض الناشئ من ترك العادة هو الذي يسبب موت الإنسان وليس عدم
الرزق.

* * *

(وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) العنكبوت. (64):

الحياة الحقيقية إنما هي حياة الآخرة، فذلك العالم هو عينُ الحياة، فلا ذرة من ذراتها إلا
ونابضة بالحياة، ولا تعرف الموت إطلاقاً.
ودنيانا حيوان أيضاً؛ إذ إن كرتنا الأرضية أشبه ما تكون بكائن حي، لأن آثار الحياة
ظاهرة عليها؛ فلو فرضنا أنها صَغُرَتْ بحجم البيضة، أما كانت حيواناً؟ أو إن جرثومة
صغيرة كبرت وعظمت عِظَمَ الكرة الأرضية، أما كانت تشبهها؟ وحيث إن الكرة
الأرضية حيةٌ، فلها روح إذن.
نعم، إن العالم الذي هو إنسان مكبر، يُظهر من آثار الحياة بما يتضمن من منظومات
الكائنات ما يظهره الجسد بين أعضائه وأجزائه، كالتساند والتجاوب والتعاون، بل تبقى
هذه الآثار الحياتية للجسد قاصرةً دون تلك الآثار.
فلو صغر العالمُ صغرَ الإنسان وتحولت نجومُه إلى ما يشبه الذرات والجواهر
المفردة، أما يكون حيواناً ذا شعور؟
فهذه الآية الكريمة تلمّح إلى سر عظيم:

إن مبدأ الكثرة هو الوحدة، وإن منتهاها أيضاً إلى الوحدة. فهذا دستور فطري. فلقد
خَلَقَت القدرةُ الإلهية من القوة التي أودعتها في الكائنات- وهي فيض تجليها وأثر إبداعها -
قوةً جاذبة عامة، متصلة مستقلة محصلة بإحسانها على كل ذرة من ذرات الوجود جاذبة

خاصة بها، فأوجدت رابطة الكون. فكما أن في الذرات محصلة القوى الجاذبة الناشئة من القوة المودعة فيها، فهي ضياء القوة، واستحالة لطيفة من إذابتها، كذلك فإن محصل قطرات الحياة المنتشرة على الكائنات كافة ولمعانها، إنما هي حياة عامة تعم الوجود جميعاً. نعم، هكذا يقتضي الأمر. فأينما وجدت الحياة فتم الروح. والروح مثل الحياة أيضاً منتهها بدياً تجلي فيض لروح.

فمبدأ الروح هذا أيضاً تجلٍ للحياة الخالدة التي سميت لدى المتصوفة بـ"الحياة السارية".

وهكذا ترى أن سبب الالتباس الذي وقع فيه أهل الاستغراق ومنشأ شطحاتهم هو التباس هذا الظل مع الأصل لديهم.

* * *

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: 154):

والشهداء يشعرون أنهم أحياء، وأنهم ما ماتوا، إذ الشهيد يعدّ نفسه حياً، لأنه لا يذوق ألم السكرات فيرى حياته التي ضحى بها مستمراً غير منقطعة، بل يجدها أنزة وأسمى من حياته.

وحياة الشهيد وحياة الميت نظير هذا المثال:

رجلان بريان فيما يرى النائم أنهما يتمتعان بلذائذ لطيفة في تجوالهما خلال بستان بديع. فأحدهما يشعر أن ما يراه هو رؤيا ليس إلا، فلا يستمتع متعة كاملة. أما الآخر فلا يعلم أنه رؤيا، بل يعتقد أن ما يراه هو حقيقة، فيستمتع تمتعاً كاملاً. وحيث إن عالم الرؤيا ظل عالم المثال، وهذا ظل لعالم البرزخ، لذا أصبحت دساتير هذه العوالم متماثلة.

* * *

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا

أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: 32):

هذه الآية الكريمة حق خالص ولا تنافي العقل قطعاً، وهي حقيقة محضة لا مبالغة فيها

قط، إلا أن النظر الظاهري يدعو إلى التأمل:

فالجملّة الأولى:

تضع اعظم دستور للعدالة المحضّة التي تقرّر: لا يُهدر دمٌ بريء ولا تزهق روحه حتى لو كان في ذلك حياةٌ بشرية جمعاء، فكما أن كليهما في نظر القدرة الإلهية سواء فهما في نظر العدالة سواء أيضاً. وكما أن نسبة الجزئيات إلى الكلي واحدة كذلك الحق في ميزان العدالة، النسبة نفسها. ولهذا فليس للحق صغير وكبير.

أما العدالة الإضافية فهي تقضى بالجزء لأجل الكل بشرط أن يكون لذلك الجزء المختار الرضا والاختيارُ صراحةً أو ضمناً، إذ عندما يتحول "أنا" "الأفراد إلى" نحن "الجماعة" ويمتزج البعض ببعض الآخر مولدًا روح الجماعة، يرضى الفرد أن يضحي بنفسه للكل. وكما يتراءى النور كالنار، تتراءى أحياناً شدة البلاغة مبالغاً.

وهنا نقطة البلاغة تتركب من ثلاث نقاط:

أولها: لإظهار عدم محدودية استعداد العصيان والتهور المغروز في فطرة الإنسان . فكما أن له قابلية غير محدودة للخير فله قابلية غير متناهية للشر أيضاً؛ بحيث إن الذي تَمَكَّن فيه الحرصُ والأنانية يصبح إنساناً يريد القضاء على كل شيء يقف دون تحقيق حرصه، حتى تدمير العالم والجنس البشري إن استطاع. ثانيتهما: لزجر النفس، بإظهار قوة الاستعداد الفطري الكامن، في الخارج. أي بإظهار الممكن في صورة الواقع، بمعنى أن بذرة العرق النابض بالصدر والعصيان كأنها انفلقت من طور القوة إلى طور الفعل. فهذه الجملة تُحوّل الإمكانيات إلى وقوعات، لتثمر قابلياتها حتى تأخذ شكل شجرة الزقوم، وذلك لينزل التنفير والانزجار إلى أعماق النفس. وهو المطلوب. وهكذا تكون بلاغة الإرشاد.

ثالثتها: قد تظهر القضية المطلقة أحياناً قضية كلية، وقد تظهر القضية الوقتية المنتشرة في صورة قضية دائمة. بينما يكفي لصدق القضية وصحتها- منطوقاً - أن ينال فرد في زمان معين حكماً. أما إذا صارت كمية ذات أهمية فعندها تكون القضية صحيحة عرفاً. إن في كل ماهية أفراداً خارقين، أو فرداً في منتهى الكمال لذلك النوع، كذلك لكل فرد

زمانٌ خارقٌ لظروف وشرائط عجيبة بحيث إن سائر الأفراد والأزمنة بالنسبة لذلك الفرد الخارق والزمان الخارق تكون بمثابة ذرات لا قيمة لها أو كأسماك صغيرة بالنسبة للحوت الضخم.

وبناء على هذا السر الدقيق فإن الجملة الأولى رغم أنها قضية كلية ظاهراً فإنها ليست دائمة. إلا أنها تضع أمام أنظار البشر أروهاب قاتل من حيث الزمان. نعم، سيكون زمان تُسبب فيه كلمة واحدة في توريط جيش كامل في الحرب، وطلقة واحدة في إبادة ثلاثين مليون نسمة وكما حدث (839). وستكون هناك أحوال بحيث إن حركة بسيطة تسمو بالإنسان إلى أعلى عليين، وفعل صغير يرديه إلى أسفل سافلين. فهذه الحالات التي هي قضايا مطلقة أو منتشرة زمانياً تؤخذ بنظر الاعتبار لنكتة بلاغية عظيمة.

فالأفراد العجيبون والأزمنة العجيبة تُترك على الإطلاق والإبهام. فمادام الولي في الناس، وساعة الإجابة في الجمعة، وليلة القدر في شهر رمضان، واسم الله الأعظم في الأسماء الحسنى، والأجل في العمر، مجهولاً؛ سيظل لسائر الأفراد قيمتهم وأهميتهم. بينما إذا تعين أولئك الأفراد وتلك الأزمنة تسقط أهمية سائر الأفراد والأزمنة. فإن عشرين سنة من عمر مبهم أفضل من ألف سنة من عمر معلوم النهاية؛ حيث الوهم يمتد إلى الأبدية ويجعلها محتملة الوقوع فتفتن النفس في العمر المبهم. بينما في العمر المعين يكون كمن يتقرب إلى الإعدام خطوة خطوة بعد مضي نصف العمر. تنبيه: هناك آيات كريمة وأحاديث نبوية شريفة وردت بصورة مطلقة إلا أنها عُدّت كلية، وهناك أخرى منتشرة مؤقتة إلا أنها عُدّت دائمة، وهناك أخرى مقيدة إلا أنها اعتُبرت عامة.

فمثلاً: ورد بهذا المعنى: إن هذا الشيء كفر. أي لم تنشأ هذه الصفة من الإيمان، أي أنها صفةٌ كافرة. ويكون ذلك الشخص قد كَفَرَ لهذا السبب. ولكن لا يقال: إنه كافر؛ ذلك

⁸³⁹ (لقد كانت طلقة جندي أطلقت على ولي عهد النمسا سبباً في إشعال نار الحرب العالمية الأولى التي ذهب ضحيتها ثلاثون مليون نسمة). المؤلف)

لأنه يملك صفات أخرى برينة من الكفر قد نشأت من الإيمان، فهو إذن يحوز أوصافاً أخرى نابعة من الإيمان، إلا إذا علم يقيناً أن تلك الصفة قد نشأت من الكفر، لأنها قد تنشأ من أسباب أخرى. ففي دلالة الصفة شك، وفي وجود الإيمان يقين، والشك لا يزيل اليقين، فينبغي للذين يجروون على تكفير الآخرين بسرعة أن يتدبروا!

الجملة الثانية:

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

الإحياء باعتبار المعنى الظاهري المجازي يبين دستور تضاعف الحسنات تضاعفاً غير محدود. ولكن بمعناه الأصلي، يرمز إلى قَطْع دابر الشرك والاشترار من الأساس في الخلق والإيجاد. لأن التشبيه الموجود في هذه الجملة وفي الآية الكريمة: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً﴾ لقمان (28): يفهم معنى الاقتدار. فالتشبيهان يستلزمان- حسب القاعدة المنطقية"- عكس النقيض: "من لا يقتدر على إحياء الناس جميعاً لا يقتدر على إحياء نفس واحدة.

بمعنى أن الآية الكريمة تدل إشارة إلى هذا المعنى:

ما دامت قدرة الإنسان- والممكنات - غير مقتدرة بالبداهة على خلق السماوات والأرض فلا يمكن أن تخلق شيئاً أبداً ولو حجيرة واحدة.

بمعنى أن من لا يملك قدرة قادرة على تحريك الأرض والنجوم والشموس كلها كتتحريك خرز المسبحة وتدويرها، ليس له أن يدعى الخلق والإيجاد في الكون قطعاً.

أما ما يصنعه البشر ويتصرف فيه، وإنما هو كَشَفٌ لجريان النواميس الإلهية في الفطرة، وانسجاماً معها واستعمالها لصالحه.

فهذا الحد من الوضوح البين في البرهان وسطوعه إنما هو من شأن إعجاز القرآن .
والآية الكريمة الآتية تثبت ذلك:

﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً﴾ لأن القدرة الإلهية ذاتية لا يتخللها العجز، وهي متعلقة بالملكوئية فلا تتداخل فيها الموانع، ونسبها قانونية، فالجزء يكون في حكم الكل والجزئي في حكم الكلي.

النقطة الأولى:

إن القدرة الإلهية الأزلية ضرورية للذات الجليلة المقدسة. أي أنها بالضرورة لازمة للذات المقدسة، فلا يمكن أن يكون للقدرة منها فكاك مطلقاً، لذا فمن البديهي أن العجز الذي هو ضد القدرة لا يمكن أن يعرض للذات الجليلة التي استلزمت القدرة، لأنه عندئذ سيجتمع الضدان، وهذا محال.

فما دام العجز لا يمكن أن يكون عارضاً للذات، فمن البديهي أنه لا يمكن أن يتخلل القدرة اللازمة للذات أيضاً.. ومادام العجز لا يمكنه أن يدخل في القدرة مطلقاً فبديهي إذن أن القدرة الذاتية ليست فيها مراتب، لأن وجود المراتب في كل شيء يكون بتداخل أضعافه معه، كما هو في مراتب الحرارة التي تكون بتخلل البرودة، ودرجات الحسن التي تكون بتداخل القبح.. وهكذا فقس.

أما في الممكنات فلأنه ليس هناك لزوم ذاتي حقيقي أو تابع؛ أصبحت الأضداد متداخلة بعضها مع البعض الآخر، فتولدت المراتب ونتجت عنها الاختلافات، فنشأت منها تغيرات العالم. وحيث إنه ليست هناك مراتب قط في القدرة الإلهية الأزلية، لذا فالمقدّرات هي حتماً واحدة بالنسبة إلى تلك القدرة، فيتساوى العظيم جداً مع المتناهي في الصغر، وتتماثل النجوم مع الذرات، وحشرُ جميع البشر كبعث نفس واحدة.

المسألة الثانية: أن القدرة الإلهية تتعلق بملكوّية الأشياء..

نعم، إن لكل شيء في الكون وجهين كالمرأة :

أحدهما: جهة المُلْك وهي كالوجه المطلي الملون من المرأة .

والأخرى هي جهة الملوكوت وهي كالوجه الصقيل للمرأة .

فجهة الملك، هي مجالٌ وميدانٌ تجوّل الأضداد، ومحلٌّ ورودِ أمور الحُسن والقُبح والخير والشر والصغير والكبير والصعب والسهل وأمثالها ..لذا وضع الخالق الحكيم الأسباب الظاهرة ستاراً لتصرفات قدرته، لئلا تُظهر مباشرةً يد القدرة الحكيمة بالذات على الأمور الجزئية التي تُظهر للعقول القاصرة التي ترى الظاهر، كأنها خسيصة غير لائقة، إذ العظمة والعزّة تتطلب هكذا ..إلا أنه سبحانه لم يعط التأثير الحقيقي لتلك الأسباب

والوسائط؛ إذ وحدة الأحدية تقتضي هكذا أيضاً.

أما جهة الملكوت، فهي شفاقة صافية نزيهة في كل شيء، فلا تختلط معها ألوان ومزخرفات التشخصات... هذه الجهة متوجهة إلى بارئها دون وساطة، فليس فيها ترتب الأسباب والمسببات ولا تسلسل العلل، ولا تدخل فيها العليّة والمعلولية ولا تتداخل الموانع، فالذرة فيها تكون شقيقة الشمس.

إن القدرة هي مجردة، أي ليست مؤلفة ومركبة، وهي مطلقة غير محدودة، وهي ذاتية أيضاً. أما محل تعلقها بالأشياء فهي دون وساطة، صافية دون تعكر، ودون ستار ودون تأخير، لذا لا يستكبر أمامها الكبير على الصغير، ولا تُرَجَّح الجماعة على الفرد ولا يتبجح الكل أمام الجزء ضمن تلك القدرة.

المسألة الثالثة: نسبة القدرة قانونية..

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ (النحل: 60): ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: 11):

فهذه المسألة الغامضة سنقربها إلى الذهن ببعض الأمثلة؛ حيث التمثيل يقرب التصوير إلى الأذهان.

المثال الأول: "الشفافية"

إن تجلّي ضوء الشمس يُظهر الهوية نفسها على سطح البحر أو على كل قطرة من البحر، فإذا كانت الكرة الأرضية مركبة من قطع زجاجية صغيرة شفاقة مختلفة تقابل الشمس دون حاجز يحجزها، فضوء الشمس المتجلي على كل قطعة على سطح الأرض وعلى سطح الأرض كلها يتشابه ويكون مساوياً دون مزاحمة ودون تجزؤ ودون تناقص.. فإذا افترضنا أن الشمس فاعل ذو إرادة وأعطت فيض نورها وإشعاع صورتها بإرادتها الأرض، فلا يكون عندئذٍ نشر فيض نورها على جميع الأرض أكثر صعوبة من إعطائها ذرة واحدة.

المثال الثاني: "المقابلة"

هب أنه كانت هناك حلقة واسعة من البشر يحمل كل واحد منهم مرآة بيده، وفي مركز الدائرة رجل يحمل شمعة مشتعلة، فإن الضوء الذي يرسله المركز إلى المرايا في المحيط

واحد، ويكون بنسبة واحدة، دون تناقص ودون مزاحمة ودون تشتت.

المثال الثالث: "الموازنة"

إن كان لدينا ميزان حقيقي عظيم وحساس جداً وفي كفتيه شمسان أو نجمان، أو جبلان، أو بيضتان، أو ذرتان.. فالجهد المبذول هو نفسه الذي يمكن أن يرفع إحدى كفتيه إلى السماء ويخفض الأخرى إلى الأرض.

المثال الرابع: "الانتظام"

يمكن إدارة أعظم سفينة- لأنها منتظمة جداً - كأصغر دمية للأطفال.

المثال الخامس: "التجرد"

إن الميكروب مثلاً كالكركن يحمل الماهية الحيوانية وميزاتها، والسماك الصغير جداً يملك تلك الميزة والماهية المجردة كالحوث الضخم، لأن الماهية المجردة من الشكل والتجسم تدخل في جميع جزيئات الجسم من أصغر الصغير إلى أكبر الكبير وتتوجه إليها دون تناقص ودون تجزؤ، فخواص التشخيصات والصفات الظاهرية للجسم لا تُشوش ولا تتداخل مع الماهية والخاصة المجردة، ولا تُغيّر نظرة تلك الخاصة المجردة.

المثال السادس: "الطاعة"

إن قائد الجيش بأمره: "تقدّم" مثلما يحرك الجندي الواحد فإنه يحرك الجيش بأكمله كذلك بالأمر نفسه. فحقيقة سرّ الطاعة هي أن لكل شيء في الكون- كما يشاهد بالتجربة - نقطة كمال، وله ميل إليها، فتضاعف الميل يولد الحاجة، وتضاعف الحاجة يتحول إلى شوق، وتضاعف الشوق يكوّن الانجذاب، فالانجذاب والشوق والحاجة والميل.. كلّها نوى لامتناهت الأوامر التكوينية الربانية وبذورها من حيث ماهية الأشياء.

فالكمال المطلق لماهيات الممكنات هو الوجود المطلق، ولكن الكمال الخاص بها هو وجودٌ خاص لها يُخرج كوامن استعداداتها الفطرية من طور القوة إلى طور الفعل... فإطاعة الكائنات لأمر "كُنْ" كإطاعة الذرة الواحدة التي هي بحكم جندي مطيع. وعند امتثال الممكنات وطاعتها للأمر الأزلي: "كُنْ" الصادر عن الإرادة الإلهية تندمج كلياً

الميوئل والأشواق والحاجات جميعها، وكل منها هو تجلٍ من تجليات تلك الإرادة أيضاً . حتى إن الماء الرقراق عندما يتلقى- بميلٍ لطيفٍ منه -أمراً بالانجماد، يظهر سرّاً قوة الطاعة بتحطيمه الحديد.

فإن كانت هذه الأمثلة الستة تَظهر لنا في قوة الممكنات المخلوقات وفي فعلها وهي ناقصة ومتناهية وضعيفة وليست ذات تأثير حقيقي، فينبغي إذن أن تتساوى جميع الأشياء أمام القدرة الإلهية المتجلية بأثار عظمتها ..وهي غير متناهية وأزلية، وهي التي أوجدت جميع الكائنات من العدم البحت وحيرت العقول جميعها، فلا يصعب عليها شيء إذن. ولا ننسى أن القدرة الإلهية العظمى لا توزن بموازنينا الضعيفة الهزيلة هذه، ولا تتناسب معها، ولكنها تُذكر تقريباً للأذهان وإزالةً للاستبعاد ليس إلاً.

نتيجة الأساس الثالث وخلاصته :ما دامت القدرة الإلهية مطلقة غير متناهية، وهي لازمة ضرورية للذات الجلية المقدسة، وأن جهة الملكوت لكل شيء تُقابلها وتتوجه إليها دون ستار ودون شائبة، وأنها متوازنة بالإمكان الاعتباري الذي هو تساوي الطرفين، وأن النظام الفطري الذي هو شريعة الفطرة الكبرى مطيع للفطرة وقوانين الله ونواميسه، وأن جهة الملكوت مجردة وصافية من الموانع والخواص المختلفة...لذا فإن أكبر شيء كأصغره أمام تلك القدرة، فلا يمكن أن يُحجم شيءٌ أيّاً كان أو يتمرد عليها. فإحياء جميع الأحياء يوم الحشر هينٌ عليه كإحياء ذبابة في الربيع، ولهذا فالآية الكريمة: ﴿مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعَثْتُمْ إِلَّا كُنُفُسٍ وَّأَجْدَاةٍ﴾ أمرٌ حق وصدق جلي لا مبالغة فيه أبداً.

﴿وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ آل عمران(64):

نورد نكتة واحدة من بين ألوف نكات هذه الآية الكريمة:

إنه بقطع النظر عن مشرب الصوفية، فإن الإسلام يرفض الوساطة ويقبل الدليل، وينفي الوسيلة ويثبت الإمام؛ بينما غيره من الأديان يقبل الوساطة. فبناء على هذا السر الدقيق يستطيع النصراني أن يصبح متديناً إذا أشغل مقامات من حيث الثروة والمنصب . بينما في الإسلام :العوائم هم المتمسكون بالدين أكثر من ذوي الثروات والمناصب؛ وذلك لأن النصراني ذا المقام يحافظ على نصرانيته وأنانيته بقدر تعصبه في دينه، فلا ينقص

ذلك من تكبره وغروره، بينما المسلم يبتعد عن التكبر والغرور بقدر تمسكه بالدين، بل ينبغي له أن يتنازل عن عزة المنصب.

ومن هنا فالنصرانية ربما تتمزق بهجوم العوام المظلومين على الظالمين الذين يَعْدُونَ أنفسهم خواص النصارى، حيث النصرانية تُعِين تحكّمهم. بينما الإسلام لا ينبغي أن يتزعزع لأنه ملك العوام أكثر من الخواص الدنيويين.

* * *

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام:164):

تُمثل هذه الآية الكريمة أعدل دستور في السياسة الشخصية والجماعية والقومية. أما الآية الكريمة: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب (72): فتبين استعدادَ الإنسان إلى الظلم الرهيب المغرور في فطرته.

والسر في ذلك هو: أن القوى والميول المودعة في الإنسان لم تُحدّد، خلافاً للحيوان؛ لذا فإن الميل للظلم وحبّ الذات يتماديان كثيراً وبشكل مخيف.

نعم، إن حب الإنسان لنفسه، وتحريّ مصلحته وحده، وحبّه لذاته وحده، من الأشكال الخبيثة لـ"أنا والأناية"، وإذا ما اقترن العناد والغرور بذلك الميل تولدت فظائع بشعة بحيث لم يعثر لها البشر على اسم بعد. وكما أن هذا دليل على وجوب وجود جهنم كذلك لا جزاء له إلا النار.

ولنتناول هذا الدستور في:

نطاق الشخص:

يحوز الشخص أوصافاً كثيرة؛ إن كانت صفةً منها تستحق العداء، فيقتضي حصر العداء في تلك الصفة وحدها، حسب القانون الإلهي الوارد في الآية الكريمة، بل على الإنسان أن يشفق على ذلك الشخص المالك لصفات بريئة كثيرة أخرى ولا يعتدي عليه؛ بينما الظالم الجهول يعتدي على ذلك الشخص لصفة جانية فيه، لما في طبيعته من ظلم مغرور، بل تسري عداوته لأوصاف بريئة فيه، حيث يخاصم الشخص نفسه، وربما لا يكتفي بالشخص وحده فيشمل ظلمه أقارب الشخص بل كلّ من في مسلكه، علماً أن تلك

الصفة الجانية قد لا تكون نابعة من فساد القلب، وربما هي نتيجة أسباب أخرى، حيث إن أسباباً كثيرة تولد الشيء الواحد، فلا تكون الصفة جانية، بل حتى لو كانت تلك الصفة كافرة أيضاً لا يكون الشخص جانياً.

وفي نطاق الجماعة:

نشاهد أن شخصاً حريصاً، قد طرح فكراً ينطوي على رغبة، فقال بدافع الانتقام أو بدافع اعتراض جارح: سيتبعر الإسلام ويتشتت، أو ستمحى الخلافة. فيتمنى أن يُهان المسلمون- العياد بالله- وتُخفق الأخوة الإسلامية، لكي يظهر صدق كلامه ويشبع غروره وأنانيته فحسب، بل يحاول إيضاح ظلم الخصم الجاحد في صورة عدالة، باختلاق تأويلات وحذقات لا تخطر على بال.

وفي نطاق المدنية الحاضرة:

نشاهد أن هذه المدنية المشوومة قد أعطت البشرية دستوراً ظالماً غداراً، بحيث يزيل جميع حسناتها، ويبين السرّ في قلق الملائكة الكرام لدى استفسارهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ البقرة (30: إذ لو وُجد خائن واحد في قسبة، فإنها تقضي بتدميرها وبمن فيها من الأبرياء، ولو وجد عاصٍ واحد في جماعة فهي تقضي بالقضاء على تلك الجماعة مع أفرادها وعوائلها وأطفالها. ولو تحصّن من لا يخضع لقانونها في جامع أياصوفيا فإنها تقضي بتخريب ذلك البناء المقدس الذي هو أئمن من مليارات الذهب. وهكذا تحكّم هذه المدنية بوحشية رهيبة .

فلئن كان المرء لا يواخذ حتى بجريرة أخيه، فكيف تدان ألوف الأبرياء في قسبة أو في جماعة لوجود مخرب واحد فيها. علماً أنه لا تخلو مدينة أو جماعة منهم.

* * *

قال تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران (103):

﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة (2-1):

أرى أن مردّ ما تبديه الأمة الإسلامية من إهمال وعدم مبالاة نحو الأحكام الفقهية ما يأتي:

إن أركان الدين وأحكامه الضرورية نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المفسرة له، وهي تشمل تسعين بالمائة من الدين، أما المسائل الخلافية التي تحتل الاجتهاد فلا تتجاوز العشرة منه.

فالبنون إذن شاسع بين أهمية الأحكام الضرورية والمسائل الخلافية .

فلو شَبَّهنا المسائل الاجتهادية بالذهب لكانت الأحكام الضرورية وأركان الإيمان أعمدة من الألماس. يُرى هل يجوز أن تكون تسعون عموداً من الألماس تابعة لعشرة منها من الذهب؟ وهل يجوز أن يوجّه الاهتمام إلى التي من الذهب أكثر من تلك التي من الألماس؟ إن الذي يَسوقُ جمهورَ الناس إلى الاتِّباعِ وامْتثالِ الأوامر، هو ما يتحلّى به المَصَدَّرُ من قدسية، هذه القدسية هي التي تدفع جمهور الناس إلى الانقياد أكثر من قوة البرهان ومثانة الحجة، فينبغي إذن أن تكون الكتب الفقهية بمثابة وسائل شفافة- كالزجاج - لعرض قدسية القرآن الكريم، وليس حجاباً دونه، أو بديلاً عنه.

إن ذهن الإنسان ينتقل من الملزوم إلى اللازم وليس إلى لازم اللازم- كما هو مقرر في علم المنطق -ولو انتقل فبقصد غير طبيعي. فالكتب الفقهية شبيهة بالملزوم، والقرآن الكريم هو الدال على تلك الأحكام الفقهية ومصدرها، فهو اللازم... والصفة الملازمة الذاتية للقرآن الكريم هي القدسية المحيِّزة للوجدان. فلأن نظر العامة ينحصر في الكتب الفقهية فحسب، فلا ينتقل ذهنهم إلى القرآن الكريم إلا خيالاً، ونادراً ما يتصورون قدسيته-

⁸⁴⁰ (لقد نشر هذا المقال لأول مرة في مجلة "سبيل الرشاد" عدد 463 في مايس 1920 تحت عنوان) الحاكمية المطلقة للقرآن الكريم.

من خلال نظرهم المنحصر -ومن هنا يعتاد الوجدان التسيب، ويتعود على الإهمال، فينشأ الجمود.

فلو كان قد بُيِّنَ القرآن الكريم ضمن بيان الضروريات الدينية مباشرة لكان الذهن ينتقل انتقالاً طبيعياً إلى قدسيته، ولأثارت الشوق إلى الاتباع، ولنبهت الوجدان إلى الاقتداء، وعندها تنمو ملكة رهافة المشاعر لدى المخاطب بدلاً من صممها أمام حوافز الإيمان وموقظاته.

فالكُتُبُ الفقهية إذن ينبغي أن تكون شفافة لعرض القرآن الكريم وإظهاره، ولا تصبح حجاباً دونه كما آلت إليه- بمرور الزمان- من جراء بعض المقلدين. وعندئذ تجدها تفسيراً بين يدي القرآن وليست مصنفات قائمة بذاتها.

إن توجيه أنظار عامة الناس في الحاجات الدينية توجيهها مباشراً إلى القرآن الكريم، خطاب الله العزيز الساطع بإعجازه والمحاط بهالة القدسية والذي يهز الوجدان بالإيمان دائماً.. إنما يكون بثلاث طرق:

1- إما إزالة ذلك الحجاب من أمام القرآن الكريم بتوجيه النقد وتجريح الثقة بأولئك المؤلفين للكُتُبِ الفقهية الذين يستحقون كل الاحترام والتوقير والثقة والاعتماد.. وهذا ظلم فاضح، وخطر جسيم، وإجحاف بحق أولئك الأئمة الأجلاء.

2- أو تحويل تلك الكُتُبِ الفقهية تدريجياً إلى كتب يستشف منها فيض القرآن الكريم، أي تصبح تفسيراً له، ويمكن أن يتم هذا باتباع طرق تربوية منهجية خاصة حتى تبلغ تلك الكُتُبُ إلى ما يشبه كتب الأئمة المجتهدين من السلف الصالح أمثال "الموطأ" لمالك بن أنس و"الفقه الأكبر" لأبي حنيفة النعمان. فعندئذ لا يُقرأ كتاب "ابن حجر- مثلاً- بقصد ما يقوله ابن حجر نفسه، بل يُقرأ لأجل فهم ما يأمر به القرآن الكريم. وهذا الطريق بحاجة إلى زمن مديد.

3- أو شد أنظار جمهور الناس دوماً إلى مستوى أعلى من تلك الكُتُبِ- التي أصبحت حجاباً- أي شداها باستمرار إلى القرآن الكريم وإظهاره فوقها دائماً، مثلما يفعله أئمة الصوفية، وعندها تؤخذ الأحكام الشرعية والضروريات الدينية من منبعها الأساس وهو القرآن الكريم، أما الأمور الاجتهادية التي تَرِدُ بالواسطة فيمكن مراجعتها من مظانها.

ولا يخفى أن ما يستشعره المرء من جاذبية في كلام الصوفي الحق ومن طلاوة في حديثه غير ما يستشعره في وعظ عالم في الفقه. فالفرق في هذا نابع من ذلك السر.

ثم إنه من الأمور المقررة، أن ما يوليه عامة الناس من تقدير لشيء وتثمينهم له ليس نابغاً. على الأغلب -مما فيه من كمال، بل مما يشعرون نحوه من حاجة وبما يحسون تجاهه من رغبة؛ فالساعاتي الذي يأخذ أجره أكثر من عالم جليل مثلاً يؤيد هذا.

فلو وُجِّهَتْ حاجاتُ المسلمين الدينية كافة شطرَ القرآن الكريم مباشرة، لنال ذلك الكتابُ المبين من الرغبة والتوجه. الناشئة من الحاجة إليه -أضعفت أضعاف ما هو مشئت الآن من الرغبات نحو الألوف من الكتب، بل لكان القرآن الكريم مهيمنا هيمنة واضحة على النفوس، ولكانت أوامره الجليلة مطبقة منقذة كليا، ولما كان يظل كتابا مباركا يُنْبِرَك بتلاوته فحسب.

هذا وإن هناك خطراً عظيماً في مزج الضروريات الدينية مع المسائل الجزئية الفرعية الخلافية، وجعلها كأنها تابعة لها، لأن الذي يرى الآخرين على خطأ -ونفسه على صواب - يدعي: أن مذهبي حق يحتمل الخطأ والمذهب المخالف خطأ يحتمل الصواب!

وحيث إن جمهور الناس يعجزون عن أن يميزوا تمييزاً واضحاً بين الضروريات الدينية والأمور النظرية الممتزجة معها، تراهم يعممون -سهواً أو وهماً -الخطأ الذي يرونه في الأمور الاجتهادية على الأحكام كلها، ومن هنا تتبين جسامة الخطر.

والذي أراه أن من يخطئ الآخرين -ويرى نفسه في صواب دائماً -مصاب بمرض ضيق الفكر وانحصار الذهن الناشئين من حب النفس. ولاشك أنه مسؤول أمام رب العالمين عن تغافله عن شمول خطاب القرآن إلى البشرية كافة.

ثم إن فكر التخطنة هذا، منبغ ثر لسوء الظن بالآخرين، والانحياز، والتحزب في الوقت الذي يطالبنا الإسلام بحسن الظن والمحبة والوحدة! ويكفيه بُعداً عن روح الإسلام، ما شقَّ من جروح غائرة في أرواح المسلمين المتساندة، وما بثه من فرقة بين صفوفهم، فأبعدهم عن أوامر القرآن الكريم.

بعد أن كتبت هذه المسألة بفترة قصيرة، تشرفتُ برؤيا الرسول الكريم ﷺ في المنام؛ كنت في حظةٍ مجلسه الجليل في مدرسة دينية، سيعلمني من القرآن درساً. فعندما أتوا بالمصحف الشريف قام الرسول الكريم ﷺ احتراماً للقرآن، فخطر لي آنئذ أن هذا إرشاد للامة لتوقير القرآن الكريم وإجلاله.

ثم حكيت الرؤيا لأحد الصالحين فعبره هكذا:

إن هذه إشارة واضحة وبشرى عظيمة إلى أن القرآن الكريم سيحوز ما يليق به من مقام رفيع في العالم أجمع.

* * *

دعوة إلى إنشاء مجلس شورى للاجتهاد (841)

قال تعالى :

﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى (38): ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران (159):

يرينا التاريخ أنه :متى ما كان المسلمون متمسكين بدينهم فقد ترقوا بقدر تمسكهم بدينهم، بينما تدنوا كلما بدأ ضعف الدين يدب فيهم .بخلاف ما يحدث لأصحاب الأديان الأخرى؛ إذ متى ما تمسكوا بدينهم فقد أصبحوا كالوحوش الكاسرة ومتى ما ضعف لديهم الدين ترقوا في مضمار الحضارة.

إن ظهور جمهور الأنبياء في الشرق رمزٌ من القدر الإلهي إلى أن المهيمن على شعور الشرقيين هو الدين؛ فما نراه في الوقت الحاضر من مظاهر اليقظة في أنحاء العالم

⁸⁴¹ (لقد طالبتُ بهذه الفكرة أعضاء" تركيا الفتاة "إبان إعلان الدستور، فلم يوافقوا عليها، وبعد مضي اثنتي عشرة سنة طالبتُهم بها أيضاً فقبلوها ولكن المجلس النبائي كان قد حل . والآن أعرضها مرة أخرى على نقطة تمرکز العالم الإسلامي). المؤلف.

الإسلامي تُثبت لنا أن الذي ينبه العالم الإسلامي وينقذه من الذل والهوان هو الشعور الديني ليس إلا.

وقد ثبت أيضاً أن الذي حافظ على هذه الدولة المسلمة (العثمانية) هو ذلك الشعور رغم جميع الثورات والمصادمات الدامية التي نشبت في أرجائها.. فنحن نتميز بهذه الخاصية عن الغرب، ولا نقاس بهم.

إن السلطنة والخلافة متحدثان بالذات ومتلازمان لا تنفكان وإن كانت وجهه كل منهما مغايرةً للأخرى.. وبناء على هذا فسلطاننا هو سلطان وهو خليفة في الوقت نفسه يمثل رمز العالم الإسلامي. فمن حيث السلطنة يشرف على ثلاثين مليوناً، ومن حيث الخلافة ينبغي أن يكون ركيذة ثلاثمائة مليون من المسلمين الذين تربطهم رابطة نورانية، وأن يكون موضع إمدادهم وعونهم.

فالوزارة تمثل السلطنة، أما المشيخة الإسلامية فهي تمثل الخلافة. فبينما نرى الوزارة تستند -أصلاً- إلى ثلاثة مجالس شورى- وقد لا تقي هذه المجالس بحاجاتها الكثيرة -نجد أن المشيخة قد أودعت إلى اجتهاد شخص واحد، في وقتٍ تعقدت فيه العلاقات وتشابكت حتى في أدق الأمور، فضلا عن الفوضى الرهيبة في الآراء الاجتهادية، وعلاوة على تشتت الأفكار وتدني الأخلاق المرعب الناشئ من تسرب المدنية الزائفة فينا.

من المعلوم أن مقاومة الفرد تكون ضعيفة أمام المؤثرات الخارجية، فلقد ضحي بكثير من أحكام الدين مسايرة للمؤثرات الخارجية.

وبينما كانت الأمور بسيطة والتسليم للعلماء وتقليدُهم جارياً كانت المشيخة مودعة إلى مجلس شورى- ولو بصورة غير منتظمة -ويتركب من شخصيات مرموقة، أما الآن وقد تعقدت الأمور ولم تعد بسيطة وارتخى عنان تقليد العلماء وأتباعهم.. أقول كيف- يا ترى - يكون بمقدور شخصٍ واحد القيام بكل الأعباء؟

ولقد أظهر الزمان أن هذه المشيخة الإسلامية- التي تمثل الخلافة- ليست خاصة لأهل إسطنبول أو للدولة العثمانية، وإنما هي مؤسسة جليلة تعود للمسلمين عامة. فوضعها الحالي المنطقي لا يؤهلها للقيام بأعباء إرشاد إسطنبول وحدها ناهيك عن إرشاد العالم

الإسلامي !

لذا ينبغي أن تؤول هذه المشيخة إلى درجةٍ ومنزلةٍ تتمكن بها من كسب ثقة العالم الإسلامي فتكون كالمرآة العاكسة لمشاكل المسلمين، وتغدو منبعاً فياضاً للاجتهادات والأفكار .وعندها تكون قد أدت مهمتها حق الأداء تجاه العالم الإسلامي.

لسنا في الزمان الغابر، حيث كان الحاكم شخصاً واحداً، ومفتيه ربما شخص واحد أيضاً، يصحح رأيه ويصوبه .فالزمان الآن زمان الجماعة والحاكم شخص معنوي ينبثق من روح الجماعة .فمجالس الشورى تملك تلك الشخصية، فالذي يفتي لمثل هذا الحاكم ينبغي أن يكون متجانساً معه، أي ينبغي أن يكون شخصاً معنوياً نابعا من مجلس شورى عالٍ، كي يتمكن من أن يُسمع صوته للأخرين، ويُسوق ذلك الحاكم إلى الصراط السوي في أمور الدين، وإلا فسيفيقي صوته كظنين الذباب أمام الشخص المعنوي الناشئ من الجماعة، حتى لو كان فرداً فذاً عظيماً .فهذا الموقع الحساس يُعَرِّض قوة المسلمين الحيوية إلى الخطر مادام باقياً على وضعه المنكفى هذا، حتى يصح لنا أن نقول:

إن الضعف الذي نراه في الدين، والإهمال الذي نشاهده في الشعائر الإسلامية، والفوضى التي ضربت أطناها في الاجتهادات قد تفتت نتيجة ضعف المشيخة وانطفاء نورها، حيث إن الشخص الموجود خارج المشيخة يمكنه أن يحتفظ برأيه إزاء المشيخة المستندة إلى شخص واحد .بينما كلام شيخ الإسلام المستند إلى مجلس شورى المسلمين يجعل أكبر داهية يتخلى عن رأيه أو يحصر اجتهاده في نفسه في الأقل.

نعم، إن كل من يجد في نفسه كفاءة واستعداداً للاجتهاد يمكنه أن يجتهد، ولكن لا يكون هذا الاجتهاد موضع عمل إلا عندما يقترن بتصديق نوع من إجماع الجمهور .فمثل هذا الشيخ- أي شيخ الإسلام المستند إلى مجلس شورى -يكون قد نال هذا السر .فكما نرى في كتب الشريعة أن مدار الفتوى :الإجماع، ورأي الجمهور، يلزم الآن ذلك أيضاً ليكون فيصلاً قاطعاً لدابر الفوضى الناشبة في الآراء.

إن الوزارة والمشيخة جناحا هذه الدولة المسلمة، فإن لم يكونا جناحين متساويين متكافئين فلا يدوم لها المضي، وإن مضت المشيخة على وضعها الحاضر فسوف تتسلخ

عن كثير من المقدرات الدينية أمام اجتياح المدنية الفاسدة.

"الحاجة أستاذ لكل أمر". هذه قاعدة، فالحاجة شديدة لمثل هذا المجلس الشورى الشرعي، فإن لم يؤسس في مركز الخلافة فسيؤسس بالضرورة في مكان آخر.

وعلى الرغم من أن القيام ببعض المقدمات يناسب أن يسبق تأسيس هذا المجلس- كمؤسسة الجماعات الإسلامية وإلحاق الأوقاف بالمشيخة وأمثالها من الأمور- فإن الشروع بتأسيس المجلس مباشرة ثم تهيئة المقدمات له يحقق الغرض أيضاً. فالدوائر الانتخابية- للأعيان والنواب- رغم محدوديتها واختلاط وظائفها قد تكون لها تأثير بالواسطة، رغم أن الوضع يستوجب تأسيس مجلس شورى إسلامي خالص كي يتمكن كفاءة المهمة السامية.

إن استخدام أي شيء في غير موضعه يكون مآله التعطل، ولا يبين أثره المرجو منه؛ فدار الحكمة الإسلامية التي أنشئت لغاية عظيمة، إذا خرجت من طورها الحالي وأشركت في الشورى مع رؤساء الدوائر الأخرى في المشيخة وعُدّت من أعضائها، واستُدعي لها نحو من عشرين من العلماء الأجلاء الموثوقين من أنحاء العالم الإسلامي كافة، عندها يمكن أن يكون هناك أساس لهذه المسألة الجسيمة.

لا ينبغي أن نكون مترددين ومتخوفين، فلا نعطي الدنيا والرشوة من ديننا بالتخوف والتردد. وتلعبنُ المدنية الزائفة بما سببت من ضعف الدين، مما يشجع الخوف ويزيد الضعف ويقوي التأثيرات الخارجية.. فالمصلحة المرجحة المحققة لا تضحى لأجل مَضرة موهومة.

* * *

حوار في رؤيا

"المعنى وكذا الألفاظ التي ظلت في
الخاطر هي نفسها كما جاءت في
الرؤيا"

كنت في أيلول سنة 1919 أتقلب في اضطراب شديد، من جراء اليأس البالغ الذي
وآدته حوادث الدهر؛ كنت أبحث عن نور بين هذه الظلمات المتكاثفة القاتمة.. لم أستطع أن
أجده في يقظة هي رؤياً في منام بل وجدته في رؤياً صادقة هي يقظة في الحقيقة .
سأسجل هنا تلك النقاط التي استنطقتها وأجريت على لساني من كلام، دون الخوض
في التفاصيل .وهي كالآتي:

دخلت عالم المثال في ليلة من ليالي الجمعة .جاءني أحدهم وقال :
يدعوك مجلس موقر مهيب منعقد لبحث مصير العالم الإسلامي، وما آلت إليه حاله .
فذهبتُ، ورأيت مجلساً منوراً قد حضره السلف الصالحون، وممثلون من العصور؛
من كل عصر ممثل ..لم أر مثيلهم في الدنيا ..فتهيبت، ووقفت في الباب تأدباً وإجلالاً .
قال أحدهم موجهاً كلامه لي:

يا رجل القدر ..ويا رجل عصر النكبة والفتنة والهلاك ..!بين رأيك في هذا
الموضوع .فإن لك رأياً فيه .
قلت وأنا واقف :سلوني أحب!

قال أحدهم :ماذا ترى في عاقبة هذه الهزيمة التي آلت إليها الدولة العثمانية، وماذا كنت
تتوقع أن يؤول إليه أمر الدولة العثمانية لو فُذِر لها الانتصار؟.

قلت :إن المصيبة ليست شراً محضاً؛ فقد تنشأ السعادة من النكبة والبلاء، مثلما قد
تفضي السعادة إلى بلاء ..فهذه الدولة الإسلامية التي أخذت على عاتقها- سابقاً -القيام
بفريضة الجهاد- فرضاً كفايياً -حفاظاً على العالم الإسلامي وهو كالجسد الواحد، ووضعت
نفسها موضع التضحية والفداء لأجله، وحملت راية الخلافة إعلاءً لكلمة الله وذوداً عن
استقلال العالم الإسلامي ..ستعوض عما أصابها من مصيبة وستزيّلها السعادة التي سوف
يرفل بها عالم الإسلام؛ إذ عجلت هذه المصيبة بعث الأخوة الإسلامية ونماءها في أرجاء

العالم الإسلامي، تلك الأخوة التي هي جوهر حياتنا وروحنا. حتى إننا عندما كنا نتألم كان العالم الإسلامي يبكي، فلو أو غلت أوروبا في إيلائنا لصرخ العالم الإسلامي... فلو متنا فسوف يموت عشرون مليوناً- من العثمانيين الأتراك -ولكن نُبعث ثلاثمائة) أي ثلاثمائة مليون من المسلمين.)

نحن نعيش في عصر الخوارق؛ فبعد مضيّ سنتين أو ثلاث على موتنا سُرى أحياءً يبعثون.

لقد فقدنا بهذه الهزيمة سعادة عاجلة زائلة، ولكن تنتظرنا سعادة آجلة دائمة، فالذي يستبدل مستقبلاً زاهراً فسيحاً بحال حاضرٍ جزئي متغير محدود، لاشك أنه راجح..

وإذا بصوت من المجلس " :بيّن! ووضّح ما تقول!"!

قلت: حروب الدول والأمم قد تخلت عن مواضعها لحروب الطبقات البشرية. والإنسانُ مثلما يرفض أن يكون أسيراً لا يرضى أن يكون أجيراً أيضاً.

فلو كنا منتصرين غالبين، لكنا ننجذب إلى ما لدى أعدائنا من الاستعمار والتسلط، وربما كنا نغلو في ذلك. علماً أن ذلك التيار- التيار الاستعماري الاستبدادي- تيار ظالم ومنافٍ لطبيعة العالم الإسلامي، ومباين لمصالح الأكتريّة المطلقة من أهل الإيمان، فضلاً عن أن عمره قصير، ومعرّض للتمزق والتلاشي. ولو كنا متمسكين بذلك التيار لكنا نسوق العالم الإسلامي إلى ما ينافي طبيعته الفطرية.

فهذه المدنية الخبيثة التي لم نرَ منها غير الضرر، وهي المرفوضة في نظر الشريعة، وقد طغت سيئاتها على حسناتها، تحكّم عليها مصلحة الإنسان بالنسخ، وتقضي عليها يقظة الإنسان وصحوته بالانقراض.

فلو كنا منتصرين لكنا نتعهد حماية هذه المدنية السفهية المتمردة الغدرة المتوحشة، معنّى، في أرجاء آسيا.

قال أحدهم من المجلس: لِمَ ترفض الشريعة هذه المدنية؟(842)

842 (المقصود محاسن المدنية التي أسدتها إلى البشرية، وليست سيئاتها وآثامها التي يلهث

قلت: لأنها تأسست على خمسة أسس سلبية:
فنقطة استنادها هي: القوة، وهذه شأنها الاعتداء.
وهدفها وقصدتها: المنفعة، وهذه شأنها التزام.
ودستورها في الحياة: الجدل والصراع، وهذا شأنه التنازع.
والرابطة التي تربط المجموعات البشرية هي: العنصرية والقومية السلبية التي تنمو
على حساب الآخرين. وهذه شأنها التصادم، كما نراه.
وخدمتها للبشرية خدمة فاتنة جذابة هي: تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمارة،
وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبيها. وهذا الهوى شأنه إسقاط الإنسان من درجة الملائكية
إلى درك الحيوانية الكلبية. وبهذا تكون سبباً لمسح الإنسان معنوياً.
فمعظم هؤلاء المدنيين لو انقلب باطنهم بظواهرهم لوجد الخيال تجاهه صور الذئاب
والدببة والحيات والقردة والخنازير.
ولأجل هذا فقد دفعت هذه المدنية الحاضرة ثمانين بالمئة من البشرية إلى أحضان
الشقاء، وأخرجت عشرة بالمئة منها إلى سعادة مموهة زائفة، وظلت العشرة الباقية بين
هؤلاء وأولئك، علماً أن السعادة إنما تكون سعادة عندما تصبح عامة لكل أو للأكثرية؛ بيد
أن سعادة هذه المدنية هي لأقل القليل من الناس.
لأجل كل هذا لا يرضى القرآن الكريم بمدنية لا تَضْمَنُ سعادة الجميع أو لا تعم الغالبية
العظمى.

ثم إنه بتحكم الهوى الطليق من عقاله، تحولت الحاجات غير الضرورية إلى ما يشبه
الضرورية، إذ بينما كان الإنسان محتاجاً إلى أربعة أشياء في حياة البداوة والبساطة إذا به

وراءها الحمقى ظناً منهم أن تلك السيئات حسنات حتى أوردونا الهلاك، ولقد تلقّت
البشرية صفتين مريعتين وهما الحربان العالميتان من جراء ما طفحت به كفة سيئات
المدنية على حسناتها وتغلبت أثمها على محاسنها حتى أبادتا تلك المدنية الأثمة فقاعت
دماً لطخت به وجه الكرة الأرضية كله. نسأل الله أن تغلب بقوة الإسلام في المستقبل
محاسن المدنية لتطهر وجه الأرض من لوثاتها وتضمّن السلام العام للبشرية قاطبة.
(المؤلف)

في هذه المدنية يحتاج إلى مئة حاجة، وهكذا أردتَه المدنية فقيراً مدقماً .
ثم، لأن السعي والعمل لا يكفيان لمواجهة المصاريف المتزايدة، انساق الإنسان إلى
مزاولة الخداع والحيلة وأكل الحرام... وهكذا فسد أساس الأخلاق.
وبينما تعطي هذه المدنية الجماعة والنوع ثروةً وغنى وبهجة إذا بها تجعل الفرد
فقيراً محتاجاً، فاسد الأخلاق .

ولقد قاءت هذه المدنية وحشيةً فاقت جميع القرون السابقة .
وإنه لجدير بالتأمل، استنكاف العالم الإسلامي من هذه المدنية، وعدم تلهفه لها،
وتحرجه من قبولها، لأن الهداية الإلهية التي هي الشريعة تعطي خاصية الاستقلال
والاستغناء عن الآخرين، ولا يمكن أن تطعم هذه الشريعة بالدهاء الروماني ولا أن تمتزج
معها ولا يمكن أن تبلعها أو أن تتبعتها.

إن دهاء الرومان واليونان- أي حضارتيهما -وهما التوأمان الناشئان من أصل واحد،
قد حافظا على استقلالهما وخواصهما رغم مرور العصور وتبدل الأحوال ورغم
المحاولات الجادة لمزجهما بالنصرانية أو إدماجها بهما، فلقد ظل كلُّ منهما كالماء والدهن
لا يقبلان الامتزاج، بل إنهما يعيشان الآن بروحهما بأنماط متنوعة وأشكال مختلفة.

فلئن كان التوأمان- مع وجود عوامل المزج والدمج والأسباب الداعية له -لم يمتزجا
طوال تلك الفترة، فكيف يمتزج نور الهداية الذي هو روح الشريعة مع ظلمات تلك المدنية
التي أساسها دهاء روما! لا يمكن بحال من الأحوال أن يمتزجا أو يهضما معاً.

قالوا: فما هي المدنية التي في الشريعة؟

قلت: أما المدنية التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، فهي التي سنتكشف
بانقشاع هذه المدنية الحاضرة، وتضع أساساً إيجابية ببناء مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة
السلبية.

نعم، إن نقطة استنادها هي الحق بدلاً من القوة. والحق من شأنه العدالة والتوازن .
وهدها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها المحبة والتجاذب.

وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية: الرابطة الدينية، والوطنية، والمهنية بدلاً من العنصرية. وهذه شأنها الأخوة الخالصة، والسلام والوئام، والذود عن البلاد عند اعتداء الأجانب.

ودستورها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد.

وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكماً على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى رفع الإنسانية إلى مراقي الكمالات، فهي إذ تحدد الهوى وتحّد من النزعات النفسانية تُطمئن الروح وتشوّقها إلى المعالي.

بمعنى أننا بانهزامنا في الحرب تبعنا التيار الثاني الذي هو تيار المظلومين وجمهور الناس. فلئن كان المظلومون في غيرنا يشكلون ثمانين بالمئة منهم ففي المسلمين هم تسعون بل خمس وتسعون بالمئة.

إن بقاء العالم الإسلامي مستغنياً عن هذا التيار الثاني، أو معارضاً له، ظل دون مستند أو مرتكز، وهدر جميع مساعيه. فبدلاً من الذوبان والتميع تحت استيلاء المنتصر، كان عليه أن يتصرف تصرف العاقل فيكيّف ذلك التيارَ إلى طراز إسلامي ويستخدمه، ذلك لأن عدو العدو صديق ما دام عدواً له، وصديق العدو عدو مادام صديقاً له.

إن هذين التيارين، أهدافهما متضادة، منافعهما متضادة، فلئن قال أحدهما: مُت، لقال الآخر: انبعث. فنفخ أحدهما يسلترم ضررنا واختلافنا وتدنيينا وضعفنا مثلما تقتضي منفعة الآخر قوتنا واتحادنا بالضرورة.

كانت خصومة الشرق تخنق انبعاث الإسلام وصحوته. وقد زالت وينبغي لها ذلك. أما خصومة الغرب فينبغي أن تدوم لأنها سبب مهم في تنامي الأخوة الإسلامية ووحدها.

وإذا بأمارات التصديق تتعالى من المجلس. فقالوا:

نعم، كونوا على أمل؛ إن أعظم صوت مُدوّ في انقلابات المستقبل هو صوت الإسلام الهادر.

وسأل أحدهم أيضاً:

إن المصيبة نتيجة جنائية، ومقدمة ثواب. فما الذي اقتترفتم حتى حُكم عليكم القدر الإلهي بهذه المصيبة، إذ المصائب العامة تنزل لأخطاء الأكثرية؟ وما ثوابكم العاجل؟

قلت: بمقدمتها إهمالنا لثلاثة أركان من أركان الإسلام؛ الصلاة، الصوم، الزكاة. إذ طَلَب منا الخالقُ سبحانه ساعة واحدة فقط من أربع وعشرين ساعة لأداء الصلوات الخمس فتقاعسنا عنها، فجازانا بتدريـب شاق دائم لأربع وعشرين ساعة طوال خمس سنوات متواليات، أي أُرْغَمْنَا على نوع من الصلاة.. وإنه سبحانه طلب منا شهراً من السنة نصوم فيه رحمة بنفوسنا، فعزّت علينا نفوسنا فأرغَمْنَا على صومٍ طوال خمس سنوات، كقارة لنوبنا. وإنه سبحانه طلب منا الزكاة عُشراً أو واحداً من أربعين جزءاً من ماله الذي أنعم به علينا، فَبَخِلْنَا وظلمنا، فأرغَمْنَا على دفع زكاة متراكمة. فد"الجزاء من جنس العمل".

أما ثوابنا العاجل، فرفعه سبحانه وتعالى خُمس هذه الأمة المذنبة- أي أربعة ملايين منهم -إلى مرتبة الولاية ومنحهم درجة الشهادة والمجاهدين. فالمصيبة العامة الناشئة من خطأ العامة أزالَت ذنوب الماضي.

فقال أحدهم أيضاً: إن كان أمراً بخطأ ألقى الأمة إلى الهلاك؟

قلت: إن المُصاب يَرجو الثواب؛ فإما أن تُعطى له حسنات الأمر الذي ارتكبه خطأً، وهي لا تعدّ شيئاً. أو تعطيه خزينة الغيب. وثوابه في مثل هذه الأمور من خزينة الغيب هي درجة الشهادة والمجاهدين.

رأيت أن المجلس قد استحسن هذا الكلام. وانتبهتُ من النوم من شدة انفعالي. ووجدتُ نفسي في الفراش مشبكاً يديّ، يتصيب مني العرق.

وهكذا مضت تلك الليلة.

* * *

وفي اليوم نفسه والأمل يطفح مني ذهبتُ إلى مجلس آخر، مجلس دنيوي فسألوني.

لِمَ لا تتدخل بالسياسة منذ مجيئك؟

قلت: أعود بالله من الشيطان والسياسة.

نعم، إن السياسة الحاضرة لإسطنبول شبيهة بالأنفلونزا تسبب الهذيان. فنحن لسنا متحركين ذاتياً، بل نتحرك بالوساطة. فأوروبا تنفخ ونحن نرقص هنا، فهي تُلَقِّن بالتنويم- المغناطيسي -ونحن نتصورها نابعة من أنفسنا ونجري أثر تلقينها بتخريب أعمى أصم . فمادام المنبع في أوروبا فالتيار القادم إما سيكون تياراً سلبياً أو إيجابياً.

فالذين يتبعون السليبي هم كالحرفِ الذي يَعْرِفُ " دَلَّ على معنى في نفس غيره، أو لا يدل على معنى في نفسه "بمعنى أن جميع أفعاله ستكون لصالح الخارج مباشرة، لأن إرادته لا حكم لها. فلا تنفعه النية الخالصة. ولاسيما التيار سلبى فيكون أداة- لا تعقل - للخارج بضعف من جهتين.

أما التيار الآخر الإيجابي فيلبس لبوس التأييد والموافقة من الداخل، فهو كالاسم الذي يَعْرِفُ بأنه ما" دَلَّ على معنى في نفسه . "فأفعاله لنفسه، ولكن ما يتبعها للخارج. إلا أنه لا يؤاخذ عليه لأن لازم المذهب ليس مذهباً. ولا سيما إذا انضم بهجتين إلى الإيجابي والضعيف في التيار الخارجي، فيمكن أن يجعل الخارج أداة له لا تشعر.

قالوا: ألا ترى الإلحاد يتفشى؟ إنه من الضرورة الاندفاع إلى الميدان باسم الدين.

قلت: نعم، ضروري، ولكن بشرط قاطع هو أن يكون الدافع المحرك عشقُ الإسلام والحمية الدينية. إذ الخطورة هي أنه إن كان الدافع أو الموجّه هو السياسة أو التحيز، فالأول قد يعفى عنه حتى لو أخطأ بينما الثاني مسؤول عن عمله حتى لو أصاب.

قيل: كيف نفهم ذلك؟

قلت: مَنْ فضّل رفيقه السياسي الفاسق على متدين يخالف رأيه السياسي، بإساءة الظن به، فالدافع إذن هو السياسة.

ثم إن إظهار الدين الذي هو ملك مقدس للناس كافة- بالتحيز والتحزب -أنه أخص بمن في مسلكه دون غيره، يثير الأكثرية الغالبة ضد الدين، فيكون سبباً في التهوين من شأن الدين..فالدافع إذن هو التحيز.

مثال: يتصارع اثنان فما إن يشعر أحدهما أنه سيُغلب، عليه أن يعطي القرآن الذي بيده إلى القوي ليقوم الآخر بحمايته ولئلا يسقط القرآن معه في الوحل، مُظهراً محبته وتبجيله

للقرآن، فتكون محبته للقرآن لكونه قرآناً، ولكن لو اتخذته تُرساً تجاه القوي، فإنه يثير غضبه بدلاً من أن يحرك غيرته لحمايته.

فمن يحرم القرآن من خادم قوي ويجعله في يد ضعيف، حتى إذا سقط سقط معه أيضاً، فهذا يعني أنه يحب القرآن لنفسه لا للقرآن.

نعم، إن خدمة الدين وسوق الناس إليه إنما تكون بالحث على الالتزام وتذكير أصحابه بوظائفهم الدينية. وبخلاف ذلك، فإن مخاطبتهم بـ"إنكم ملحدون"، يسوقهم إلى التعدي. ألا لا يُستغلّ الدين في الداخل في الأمور السلبية التخريبية. ولقد رأيتم الاعتداء على الشريعة بظن أن الخليفة الذي دام حكمه ثلاثين سنة قد استغل في إجراءات سياسية سلبية. تُرى من الذي يستفيد من آراء السياسيين السلبيين الحاليين؟ أتعرفونهم؟.. إنني أرى أنهم الخصوم الألداء الذين غرزوا خناجرهم في قلب الإسلام.

قالوا: كنت تعارض الاتحاد والترقي، إلا أنك تسكت عنهم الآن.
قلت: لكثرة هجوم الأعداء عليهم.

إن هدف الهجوم الذي يشنه الأعداء هو العزم والثبات اللذان يتحلون بهما وعدم كونهم وسيلة لتنفيذ مآرب الأعداء في تسميم أفكار المسلمين. وهذا من حسناتهم.

إنني أرى أن الطريق طريقان؛ ككفتي الميزان؛ خفة إحداهما تولد ثقل الأخرى.

فأنا لا أصفع أنور (*) بجانب "انترانيك"، (*) ولا أصفع "سعيد حليم" (*) بجانب "فنزيلوس". (*) وفي نظري أن الذي يصفعهما سافل منحل.

قالوا: التحزب ضرورة من ضروريات المشروطة.

قلت: إن خطوط الأفكار عندنا بدلاً من أن تتقارب للتلاقي تتحرف مبتعدة الواحدة عن الأخرى كلما امتدت. لذا لا نجد نقطة التلاقي، لا في الوطن، ولا في الكرة الأرضية.

فالأفكار أشبه ما تكون بالوجود والعدم لا يجتمعان، حيث إن وجود أحدهما يقتضي عدم الآخر.

إن العناد يلزم أحياناً المغالين في التعصب الضلال والباطل، حتى إذا ساعد الشيطان أحدهم قال له: "إنه- أي الشيطان -ملك" ويترحم عليه، بينما إذا رأى ملكاً في صف من

يخالفه في الرأي، قال: "إنه شيطان قد بدل ملابسه"، فيبدأ بمعاداته ويلعنه. ويرى الأمانة الواهية برهاناً بظنه الحسن، بينما يرى البرهان أمانة واهية بسوء الظن، كمن ينظر في المنظار أحد طرفيه الذي يقرب والآخر يبعد الشيء. وهذا ظلم فاضح يبين الحكمة في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ إبراهيم (34): وذلك لأن قواه وميوله لم تتحدد فطرةً بخلاف الحيوان، فميله- أي الإنسان- نحو الظلم لا يحد ولا سيما إذا انضمت إلى ذلك الميل الأشكال الخبيثة للأناية كالإعجاب بالنفس وتحري المصلحة الشخصية والكبر والعناد والغرور، تتولد جرائم بشعة لم تجد البشرية لها اسماً، ولا جزاء لها إلا نار جهنم، مثلما هي دليل على ضرورة وجودها.

فمثلاً: إذا استاء من صفةٍ جانبية لشخص، فإنه يشمل ظلمه إلى جميع صفاته البرينة أيضاً بل إلى أحبته بل إلى من في مسلكه، فيكون متمرداً أمام الآية الكريمة ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام (164):

ومثلاً: قد قال أحد الحريصين بدافع الانتقام: سيُغلب الإسلام، وسيتمزق قلبه. فلأجل أن يظهر صدق كلامه المشؤوم النابع من روح سقيمة وفكر كاذب، يتمنى أن يُهان المسلمون ويُصَفَّقَ له ويتلذذ من ضربات العدو. فهذا التصفيق والترحيب واللذة جعلت الإسلام في موضع مجروح.

حيث العدو الذي غرز خنجره في قلب الإسلام لا يكتفي بسكوتنا عليه بل يقول: رَجَب بي، تلذذ من أعمالي، وكن لي جباراً...

فدونكم ذنباً عظيماً وظلماً شنيعاً لا يجازيهما إلا ميزان الحشر الأعظم.

قيل: كنا نعلم أننا نُغلب، فقد دفعونا إلى المصيبة عن علم.

قلت: كيف تكون نتيجة الحرب بديهياً بالنسبة لكم وأنتم لا ثقافة لكم؛ وتكون خافية عن شخص عظيم كهندنبرغ⁽¹⁾؟ أخشى أن يكون ما تسمونه فكراً هو رغبة، والعياذ بالله. إذ يلبس الانتقام الشخصي الظالم أحياناً لباس الفكر. يا هؤلاء لقد وقعتم في طين نجس تلوثون وجوهكم به وكأنه المسك والعنبر؟

فهذا إيضاحي وبياني لما دار في مجلس مثالي في الليل المنير وفي محفل الدنيويين في

النهار المظلم. فليست هذه المحاوره من بنات الفكر ولم تسيل من العقل سيلاناً بل تفجرت من القلب. فإن شئت فاقبلها وإن شئت رُدّها وارضفها، ولكن بشرط أن تفهمها.

* * *

ذيل الرؤيا

سكت في الحج في أثناء سرده الرؤيا، لأن إهمال الحج وإهمال ما ينطوي عليه من حكم لا يُنزل المصيبة وحدها بل ينزل غضب الله وقهر الجبار. وجزاؤه ليس كفارة الذنوب بل كثّرتها.

نعم، إن إهمال السياسة الإسلامية الرفيعة في الحج والمتضمنة توحيد الأفكار بالتعارف وتشريك المساعي بالتعاون هو الذي أدى إلى تهيئة الوسط الملائم للأعداء ليستخدموا ملايين المسلمين في العداة للإسلام.

فها هو الهندي جالس يبكي على رأس أبيه الذي قتله، ظناً منه أنه عدوّه. وها هما التتار والقفقاس، واقفان عند قدمي جثة ساعدا على قتلها.. وبعد فوات الأوان يدركان أنها والداهما.

وها هم العرب قتلوا شقيقهم البطل خطأ، ومن حيرتهم لا يعرفون كيف سيكون وينتحبون.

وهاهي إفريقيا قتلت أباها دون علم به، والآن تصرخ وتلول. وها هو العالم الإسلامي ساعد على قتل ولده المقدم غافلاً دون علم به، فهو يلطم وينفّس شعره كالوالدة الحنون.

فالملايين من المسلمين دُفعوا إلى سياحات طويلة في العالم، تحت لواء العدو الذي هو الشر المحض، بدلاً من شدّ الرحال إلى الحج وهو الخير المحض. فاعتبروا!

[كما أن الضرورات تبيح المحظورات، كذلك تسهّل المشكلات.]

إن الدجاجة التي يضرب بها المثل في الخوف والجبن تهاجم الجاموس الضخم حفاظاً على فراخها..فها هي الجسارة الفائقة.

وخوف العنز من الذئب يضرب به المثل، إلا أن خوفه ينقلب إلى دفاع ومقاومة في حالة الاضطرار حتى يقارع الذئب..فها هي الشجاعة الخارقة.

نعم، إن الميل الفطري لا يُقاوم، فغرفة من ماء إذا وضعت في كرة من حديد، فتت الماء الحديد كلما تعرض للبرودة في الشتاء، وذلك لميله إلى الانبساط والتمدد.

فجسارة الدجاجة الرؤوم على فراخها..وشجاعة الاضطرار لدى العنز العزيز النفس يمثلان هيجاناً فطرياً..فمثل هذا الهيجان الفطري إذا تعرض له ظلم الكافر البارد، فتت كل شيء أمامه كالماء في كرة الحديد). والقرويون الروس أمثلة شهود على هذا.

ومع هذا فإن الشهامة الخارقة التي تنطوي عليها ماهية الإيمان، والشجاعة التي تتحدى العالم الكامنة في طبيعة العزة الإسلامية يمكن أن تُظهر المعجزات في كل وقت وأن بانبساط الأخوة الإسلامية وتوسّعها.

ستشرق شمس الحقيقة يوماً

أفيظل العالم في ظلام إلى الأبد؟

* * *

ذيل الذيل

لدواء اليأس (843)

الحمد لله الذي قال: (وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا) الحجرات.(12):

⁸⁴³(رسالة) دواء اليأس "هي" الخطبة الشامية "وذيلها" تشخيص العلة "وهذا البحث ذيل لذيلها. إلا أنه نشر مع هذه الرسالة فأبقيناه في موضعه). المترجم.

والصلاة على محمد الذي قال " :من قال :هلك الناس هلك الناس فهو أهلكهم" (844) .
فإن محاكم التفتيش المدنية لهذا العصر، أنجبت لقطاعها- غير الشرعيين -باستعمالها
وسائل رهيبية في تلقيح بعض الأذهان، وتجري بهم حقدًا الدفين على الإسلام للثأر منه،
محاولةً فتح الباب أمام ما يصرف المسلمين عن الدين، أو جَعَلهم في الأقل مهملين له، أو
بإمالتهم نحو النصرانية، أو التخلي عن الإسلام بإلقاء الشبهات والشكوك في العقول،
وتشيع بهذا مكرًا سيئاً هو الآتي:

"أيها المسلم !تأمل، أينما وجد مسلم فهو فقير، غافل، جاهل إلى حدٍ ما، بينما
النصراني أينما حلَّ فهو متحضر، يقظ، صاحب ثروة... وهذا يعني ..الخ"..
وأنا أقول :أيها المسلم لا ترخ يدك عن الإسلام الذي هو حامي وجودنا وكياننا تجاه
الدمار الذي تولّده هذه النتيجة المخيفة لتقدم أوروبا، بل عض عليه بالنواجذ واستعصم به
بقوة، وإلا فمصيرك الهلاك.

نعم، نحن نتدنى إلى أسفل وهم يرقون إلى أعلى، ولهذا سببان اثنان :أحدهما مادي،
والآخر معنوي.

السبب الأول:

الوضع الفطري لأوروبا التي هي كنيسة النصرانية عامة، ومنبع حياتها، فهي ضيقة،
جميلة، تملك الحديد، متعرجة السواحل، تلتف فيها الأنهار والبحار النفاذ الأعماء في
الجسد، مناخها بارد.

نعم، إن أوروبا على الرغم من كونها عُشر الخمس للكرة الأرضية، فإنها جذبت ربع
البشرية نحوها بلطافة مناخها الفطري.

وإنه ثابت حكمةً :أن اجتماع الأفراد الكثيرين يوَلد الحاجات، فلا يستوعب إنتاجُ
الأرض تلك الحاجات التي تتزايد بأسباب كثيرة- كالتقليد وغيره -ومن هنا تصبِح الحاجةُ
أمَّ الاختراع والصناعة، وحبُّ الاستطلاع معلّم العلم، والضيقُ الروحي مولدَ السفاهة .

⁸⁴⁴ (مسلم4/2024) ، رقم(2623 ؛ أبو داود4/296) ، رقم(4983 ؛ أحمد2/342) ، رقم (8495)
عن أبي هريرة أن رسول الله م قال " :إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم."

نعم، إن التوجه نحو الصناعة والميل إلى المعرفة ينشأ من الكثرة؛ فبسبب ضيق المكان في أوروبا، وكثرة بحارها وأنهارها التي هي وسائط نقل طبيعية فيها، فإن التعارف ينتج التجارة، والتعاونَ الاشتراك في الأعمال، مثلما يولد التماس تلاحق الأفكار والمنافسة والتسابق.

ولكثرة ما فيها من الحديد- الذي هو منبع جميع صناعات أوروبا -أعطى لمدينتهم السلاح القوي حتى غصبت أنقاضَ مدينتي الدنيا كلها وأغارت عليها، إلى حد أثقلت كفتها وأخلت بميزان الكرة الأرضية.

ثم إن البرودة المعتدلة التي من شأنها أن تأخذ كل شيء ببطء وتتركه ببطء، قد أعطت لسعيهم الثبات والمتانة، فأدامت مدينتهم.

ثم إن تشكّل دولهم المستندة إلى العلم، وتصادم قواهم المتكافئة، وإزعاجات استبداداتهم الغدارة، ومضايقات تعصبهم المقيت الظالم- كتعصب محاكم التفتيش -والذي آل إلى خلاف المقصود، والتسابقَ الجاري بين عناصرها المتوازنة . بكل ذلك نَمَى استعدادات الأوروبيين، وفَجَّر قابلياتهم، فظهرت لديهم المزايا، والفكر القومي.

السبب الثاني:

هو نقطة الاستناد .نعم، إن أيّ نصراني كان إذا ما رفع رأسه ومدّ يده إلى أي مقصد من المقاصد المتسلسلة المتداخلة، إذا به يجد وراءه نقطة استناد قوية تعزز قوته المعنوية وتبعث فيها الحياة، حتى يجد في نفسه من القوة ما يمكّنه أن يقتحم كل صعب وعظيم من الأعمال.

فتلك النقطة، نقطة الاستناد، هي مدينتُ أوروبا التي هي معسكر) كتلة مسلحة (وكنيسُها العظيمة، وهي مستعدة في كل أن تنفخ الحياة في عروق رفقاء دينها الذين يمدون إليها أيديهم من كل صوب، ومتهيأة أيضاً لقطع الشريان النابض للمسلمين، فلقد عجنت بتعصب محاكم التفتيش المدنية الماكرة، والإلحاد النابع من الفكر المادي .فأوروبا تختال غروراً بانتصار مدينتها على الآخرين.

ألا يُشاهد الإنكليز الذين تقنّعوا بقناع الحرية، يمدّون أيدهم إلى كل جهة ويتحرون عن

نصراني، فأينما وجدوه بعثوا فيه الحياة..فها هي الحبشة والسودان...وها هي الطيار والأرتوش وها هي لبنان وحوران..وها هي ماسور وألبانيا..وها هم الكرد والأرمن.. والترك والروم..الخ.

حاصل الكلام: إن الذي ينفث فيهم الحياة هو الأمل..والذي يقتلنا هو اليأس.وقد اشتهر أحدهم بقوله": أستطيع أن أحرّك الكرة الأرضية من مكانها إذا وجدت نقطة استناد"، ففي هذا القول المفترض نقطة عجيبة، هي: أن هذا الإنسان الصغير جداً إذا ما وُجد نقطة استناد يستطيع أن يدير أعظم الأشياء كالكرة الأرضية.

فيا أهل الإسلام!

إن نقطة استنادنا تجاه المصائب والدواهي، التي أَلقت بثقلها العظيم، عظم الأرض، على العالم الإسلامي، هي الإسلام الذي يأمر بالاتحاد النابع من المحبة، وبامتزاج الأفكار الناشئ من المعرفة، وبالتعاون الذي تولده الأخوة.

فانظر بدءاً من العالم الإسلامي، تلك الدائرة الواسعة، وانتهاه إلى طالب علم في المدرسة الشرعية كأصغر دائرة...تجد أن لكل منها عُقدًا حياتية، وتلك العقد مرتبطة ببعضها متسلسلة ومستندة إلى تلك النقطة العظمى، كأفراد المجتمع وروابطه..بمعنى أنه يمكن أن يصحو المسلمون ويبدأوا بالرقى متى ما نُبِّهوا وبُث فيهم روحُ النماء، فلا صحو بخنق تلك العقد الحياتية.

وإلا فإن قيام أحد بالموازنة والمقارنة بين محاسن أوروبا ومساوئنا، وثمرّة تلاحق الأفكار لديهم مع ثمرّة سعي شخص واحد عندنا...⁽⁸⁴⁵⁾فكما أنه يبين بهذه المقارنة الظالمة المحجفة الخادعة أنه لقيط أوروبا لإظهار افتتانه بها ونفوره من أمته، فإنه أيضاً بالهجاء النابع من الخداع والفكر الثوري والميل إلى التخريب، والمشحون بالعصيان والافتراء والتعرض للشرف، يُظهر فرعونيته والثناء على نفسه والتربيت على غروره ضمناً، مبدياً

⁸⁴⁵ (إن إسناد محاسن المدنية إلى النصرانية التي لا فضل لها فيها، وإلصاق التذني والتقهقر بالإسلام الذي هو عوّ له، دليل على دوران المقدرات بخلاف دورتها، وعلى قلب الأوضاع).المؤلف.)

دون علم منه عداءه للإسلام. علماً أنه المكلف بالشعور بالشفقة على أمته شرعاً و عقلاً وحكمة، إلا أنه بحكم الفرعونية والأنانية والغرور يضع الشعور بالتحقير بدلاً من الشعور بالشفقة، والميل إلى النفور من الأمة بدلاً من ميل الانجذاب إليها، وإرادة الاستخفاف بها بدلاً من محبتها، ويصمها بالجهل بدلاً من احترامها، ويرغب في التكبر عليها بدلاً من الرحمة بها، ويقدم روح الانفرادية بدلاً من روح التضحية والفداء لها... فثبت بهذا كله أنه لا يملك حمية للأمة وأنه مبتوت الأصالة، فيكون جانباً منفوراً منه في نظر الحقيقة بحيث يتصرف تصرف الأحمق الأبله، كمن يحاول إلباس عالم فاضل في المسجد ملابس أعجبتة لراقصة ساقطة في باريس.

ذلك لأن الحمية هي نتيجة ضرورية للمحبة والاحترام والرحمة، فلا حمية بدون هذه الأمور، وإلا فهي حمية كاذبة وخادعة. والنفور من الأمة خلاف الحمية أيضاً، فقساوسة أوروبا الذين يشنون هجومهم على المتعصبين عندنا، كل منهم أكثر تعصباً وتزمتاً في مسلحهم السقيم؛ فلو مدح عالم ديني الشيخ الكيلاني بإفراط كمدح أولئك لشكسبير لكفر هيهات، أين المحبة من هؤلاء؟

إن إحدى العقد الحياتية المحركة للمجتمع والدافعة إلى الفعلية، هو الفكر الأدبي. الذي بدأ فينا وحده بالنمو- مع الأسف- ولا سيما أدب الهجاء ورغبة تحقير الآخرين. والذي ينطوي على الإعجاب بالنفس والغلو في الوصف في أسلوب شعري وبما لا يليق بالأدب. فهو أدب خارج عن الأدب الحقيقي الذي تؤدبنا به الآية الكريمة (وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا) الحجرات (12): بحيث يهاجم كل الآخر. ومع ردّ تعرضات ضمنية للأمة وللإسلام بوجه أولئك القسس، نمر مرّ الكرام على هجائهم اللاديني وإهانة الآخرين، فنمضي قائلين: ربما يستحقون ذلك.

إنني أظن أن الباعث على ذل هذه الأمة أكثر من الجهل هو الذكاء الأبتري العقيم غير المرافق لنور القلب. وفي نظري أن أخطر مرض هو الانحياز المتطرف، لأنه يدفع إلى خلاف المقصود، بإخراج كل شيء عن طوره.

أيها الأخ !

لقد بدأت عندنا تباشيرُ أسبابِ فتية، قوية، بدلاً من تلك الأسبابِ الهرمة التي ولدت تقدم النصرانية.

وقد فصلت ذلك في كتاب آخر (846).

حكاية:

قبل عشر سنوات) المقصود سنة 1910 م (ذهبتُ إلى " تفلّيس " وصعدتُ تل الشيخ صنعان، كنت أتأمل تلك الأرجاء وأراقبها. فاقترب مني أحد رجال البوليس فقال:

بم تنعم النظر؟

قلت: أخطط لمدرستي!

قال: من أين أنت؟

قلت: من بتليس

قال: وهنا تفلّيس!

قلت: بتليس وتفلّيس شقيقتان

قال: ماذا تعني؟

قلت: لقد بدأ ظهور ثلاثة أنوار متتابعة في آسيا، في العالم الإسلامي، وستنتفع عندكم ثلاث ظلمات بعضها فوق بعض، سيُمزّق هذا الستار المستبد ويتقلص، وعندها آتي إلى هنا وأنشئ مدرستي.

قال: هيهات! إنني أحرار من فرطِ أمَلِك؟

قلت: وأنا أحرار من عقلك! أيمن أن تتوقع دوام هذا الشتاء؟ إن لكل شتاء ربيعاً ولكل ليل نهاراً.

قال: لقد تفرق المسلمون شذراً مذبذباً.

قلت: ذهبوا لكسب العلم، فها هو الهندي الذي هو ابن الإسلام الكفاء يدرس في إعدادية الإنكليز.

وها هو المصري الذي هو ابن الإسلام الذكي يتلقى الدرس في المدرسة الإدارية

السياسية للإنكليز..

وها هو القفاس والتركتاني اللذان هما ابنا الإسلام الشجاعان يتدربان في المدرسة الحربية للروس ..الخ.

فيا هذا !إن هؤلاء الأبناء البررة النبلاء، بعد ما ينالون شهاداتهم، سيتولى كل منهم قارة من القارات، ويرفعون لواء أبيهم العادل، الإسلام العظيم، خفاقاً ليرفرف في أفاق الكمالات، معلنين سر الحكمة الأزلية المقدره في بني البشر رغم كل شيء.
وهذا هو نصف حكايتي.

مثال:

والآن سأمثل للحالة الروحية التي تدفع إلى القول: "نفسي نفسي ..ماذا عليّ". "بالآتي :
يتقابل شخصان وتبدأ المناظره والمفاخرة بينهما، أحدهما جسور ولكن عضت النوائب⁽⁸⁴⁷⁾ عشيرته الأصيله .والآخر جبان، لكنه ينتمي إلى عشيرة أخرى تبسمت لها الأقدار .فالأول يرفع رأسه ويرى ذلّ عشيرته لا تستطيع عزة نفسه تحمّل الذل، فيخفض رأسه وينظر إلى نفسه، فيراها محملة إلى حدّ ما بالعزة .وعندها يبدأ غروره المجروح بالأناية بالصراخ قائلاً :وماذا عليّ ..ها أنذا !وهاهي أفعالي أنا ..فينسحب من تلك العشيرة أو ينتسب إلى أخرى مُظهراً عدم أصالته.

أما الثاني فكلما رفع رأسه سطعت أمام ناظرَيْه مفاخرُ عشيرته فينتفخ غروره .ولكن ما إن ينظر إلى نفسه يراها واهية، وعندها يتيقظ روح التضحية والفداء في الشعور القومي، فيقول :فذاك نفسي يا عشيرتي..!

فإذا فهمتَ الرمز الكامن في هذا المثال، فإن في ميدان العالم هذا، ميدان الامتحان والمجاهدة والسباق، إذا تظاهرت مشاعر كل مسلم ونصراني، وكردى ورومي، في أثناء المبارزة في الحميّة، تجد سر المثال .ولكن هذا التفاوت ليس كما يظنه الناس وربما هو ناتج من النظر الظاهري والسطحي وغلط الحس.

⁸⁴⁷ (بمعنى أن " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر "ليس مجازاً). المؤلف.)

أيها المسلم!

إياك أن تتخضع. فلا تخفض رأسك! فإن قطعة الماس نادرة مهما كانت صديئة أفضل من قطعة زجاج لامعة دوماً. فضعف الإسلام الظاهري ناشئ من خدمة هذه المدنية الحاضرة في سبيل دين آخر.

أن الألوان إذن أن تبدل هذه المدنية صورتها، فإذا ما بدلتها فالقضية تنعكس.

فكما قيل في البداية أينما كان المسلم فهو البدوي بالنسبة للنصراني، مستتكف عن المدنية لا يكثرث بها ويتحرج في قبولها، فإذا ما بدلت الصورة فالوضع يتبدل.. وكل آت قريب. وإن مع العسر يسراً.

سعيد النورسي

* * *

وصفة طبية

لقارة شاسعة عظيمة الجانب... رديئة الطالع
ولدولة مشهورة عريقة المجد... سيئة الحظ
ولأمة عزيزة جليلة القدر... بلا رائد

تأليف

بديع الزمان سعيّد النورسي

ترجمة وتحقيق

إحسان قاسم الصالحى

مقدمة المترجم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.
وبعد: فقد أعلن السلطان عبد الحميد الثاني "المشروطة"⁽⁸⁴⁸⁾ في/23 تموز 1908م، وهي تعنى تأسيس النظام البرلماني في الدولة العثمانية التي أصبحت بموجبها الوزارة مسؤولة تجاه البرلمان وليس تجاه السلطان، كما أن صلاحية تشريع القوانين غدت من اختصاص البرلمان، وأطلقت على أثرها حرية العمل السياسي وحرية الصحافة وغيرها.. كانت وجهات نظر الناس عامة والمتقفين خاصة متباينة حول "المشروطة"، إذ بدأت الفئات المختلفة تفسّر "الحرية" بالشكل الذي يروق لها، فبينما اندفعت فئة في تأييد المشروطة ومناصرتها بشدة بغية جرّها لأغراض سياسية واجتماعية وصولاً إلى مآربهم في تقويض الدولة العثمانية، إذا بآخرين يتوجسون خيفةً من هذا الانقلاب الذي

⁸⁴⁸ (المشروطة: وهي إعلان النظام البرلماني في الدولة العثمانية، وقد أعلن السلطان عبد الحميد المشروطة مرتين، مرة عند بداية حكمه وهي المشروطة الأولى في 19 مارت 1877م. ثم جمدها بعد هزيمة الدولة العثمانية في حربها مع روسيا، وبعد أن رأى أن أعداء الدولة العثمانية قد استغلوا البرلمان لتمزيقها وجرّها إلى الدمار. ثم عاد بعد أكثر من ثلاثين سنة إلى إعلانها مرة أخرى وهي المشروطة الثانية، واستمرت حتى معاهدة موندروس في 30/10/1918م.

حدث في نظام الدولة، وفي الوقت نفسه وقف آخرون مبهورين لا يتقدمون خطوة ولا يتأخرون، بينما صفق لها غيرهم من المفتونين بحضارة أوروبا المبهورين ببريقها.. وهكذا اختلفت الآراء ..

أما بديع الزمان سعيد النورسي فقد سلك مسلك الاعتدال، مسترشداً بالنهج الإسلامي السالم من التعصب الذميم الذي يعيق كل تجدد، والمبرأً عن اللهاث وراء الغرب وتقليده تقليداً أعمى. فناصر مفهوم " الحرية " و" الشورى " ضمن ما هو واضح في الإسلام، ودافع عن " المشروعية " المحددة بحدود الشرع، فكتب مقالات عديدة في الصحف المحلية آنذاك، وألقى كثيراً من الخطب في الاجتماعات التي عقدت في الميادين العامة والجوامع، مبيّناً مفهوم الحرية والشورى في ضوء الإسلام، ومحذراً من التعصب المقيت والتقليد المشين، إذ شعر بمحاولات خبيثة تعمل في الخفاء لاستغلال " المشروعية " وتوجيهها لمصلحة مغرضين مناهضين للإسلام. وحينما كان يبذل وسعه في هذا الميدان لم ينسَ السياسيين والمفكرين والصحفيين، فأجرى معهم لقاءات عديدة ناصحاً ومرشداً وموضحاً المنهج الإسلامي الصحيح الذي فيه خير البلاد وصلاح العباد. ولما أدرك أنه أفرغ جهده في مركز الخلافة (إسطنبول) توجه إلى شرقي الأناضول سنة 1910 م وبدأ بجولة واسعة بين مختلف العشائر الكردية والتركية، وعقد معهم اجتماعات وندوات يُجري فيها مناقشات حول أمور اجتماعية وسياسية، وبين لهم صلاحية " المشروعية " بالمفهوم الإسلامي. واختار معهم أسلوب الحوار السهل المستساغ والقريب إلى الأذهان، على الرغم من أنه قد أورد جملاً أشبه ما يكون بالشفرات، ولقّع قسماً من العبارات بالتشبيهات والمجازات، ووجه الخطاب أحياناً إلى الأجيال المقبلة.

كان جلّ اهتمامه منصباً في تحطيم قيود اليأس وكسر أغلال القنوط التي كبلت الناس، وكان يحاول جهده أن يُشعل بصيص الأمل وبريق الرجاء في نفوسهم. فضلاً عن وضعه لهم موازين شرعية ومنطقية لوزن الأحداث المستحدثة، بعقلية متوازنة إيمانية هادئة، بعيدة قدر الإمكان عن الانفعالات وردود الفعل.

دوّن الأستاذ النورسي هذه المحاورات بالتركية في رسالة طبعها في مطبعة " أبو الضياء " بإسطنبول سنة 1913 م، ونشرها تحت اسم " بديع الزمانك مناظراتي "

(مناظرات بديع الزمان (ثم ترجمها إلى العربية بنفسه ونشرها تحت عنوان " رجثة العوام "أي الوصفة الطبية للعوام .وجاءت هذه الترجمة مبهمة مغلفة العبارات، فاضطر الأستاذ أن يكتب في مقدمتها" معذرة طويلة الأذبال "جاء فيها قوله:

"إن هذه الرسالة العربية ترجمتها من التركية، التي ترجمتها من الكردية، التي ارتجلتها لأسئلة الأكراد القرويين .فالمترجم من المترجم من المترجل، من أمي) يقصد نفسه (لقرويين، لا يتمأس ولا يخلص من خشونة في المعنى واللفظ."

ولم نتح للأستاذ النورسي أن يعيد النظر في رسالته هذه إلا بعد خمس وأربعين سنة من تأليفه لها، إذ عصفت أعاصير مدمرة بالأمة الإسلامية عامة والتركية خاصة بعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ودخول الأجنب في البلاد ثم الحروب الدامية في طردهم منها، حتى انتهى الأمر إلى إعلان الجمهورية وإلغاء الخلافة، وأعقب ذلك عداءً سافراً للدين، دام طوال ربع قرن من الزمان بل أكثر .وعانى الأستاذ النورسي في تلك الأيام الحالكة أشد الظلم والعنت، إذ ما كان يجلب في منفى الأ ويُنفى إلى غيره، ولا يبرأ من محكمة إلا ويدخل أخرى، وهكذا إلى ما بعد سنة1950 م حيث تمكن من إعادة النظر في الرسالة، فشدبها وعلق عليها بهوامش وحذف ما يقرب من ثلثها من بداية الرسالة وما كان قاصراً على فترة معينة، أو ما يمكن أن يُساء فهمه .وعندما أريد نشرها في سنة 1959 أعاد المؤلف فيها النظر بدقة وأجرى بعض التنقيحات والتعديلات من حذف وإضافة، ونحن بدورنا قمنا بترجمة هذه الطبعة المنقحة.

هذا وقد كتب الأستاذ النورسي إلى طلابه رسالة خاصة بعثها لهم من منفاه "قسطموني" يبين فيها رأيه في مؤلفات" سعيد القديم "عامة وفي هذه الرسالة خاصة، ثم أعقبها برسالة أخرى بعثها لهم من منفاه" أميرداغ ".كلتا الرسالتين ذات أهمية في فهم مضامين مؤلفات سعيد القديم، وقد ألحقنا رسالة قسطموني بهذه المقدمة ونحيل القارئ الكريم إلى" الملاحق "للاطلاع على الرسالة الأخرى قبل مطالعته مؤلفات سعيد القديم الاجتماعية .

أما عملي في الترجمة والتحقيق، فقد اقتصر على الخطوات الآتية:

1- اعتبار النص التركي الموسوم بـ "Münazarat" المطبوع بدار سوزلر بإسطنبول

طباعات عديدة جداً والذي أقره المؤلف نفسه هو الأساس .

2-مقابلة هذا النص بالطبعة الأولى من الرسالة المطبوعة في سنة1913 م في مطبعة

"أبو الضياء "باسطنبول .

3-مقابلته أيضاً بالترجمة العربية التي قام بها المؤلف نفسه، وهي المنشورة ضمن

كتاب" الصيقل الإسلامي "المطبوع بمطبعة النور بأنقرة سنة1958 م.

4-مقابلته أيضاً بنسخة الترجمة العربية المحفوظة في المكتبة الوطنية بإزمير تحت

رقم 2262/288/20 دون ذكر اسم المطبعة وسنة الطبع.

5-الاحتفاظ بالعبارات والفقرات العربية الواردة في النص التركي كما هي ووضعها

بين قوسين مركنين . [فكل ما بين هذين القوسين هو من عبارات المؤلف نفسه .

6-كتابة هوامشٍ لشرح ما كان معروفاً آنذاك ويحتاج إليه القارئ اليوم، سواء من

الأحداث التاريخية أو مواقع جغرافية أو تعابير سياسية .

7-ثم عزوت الآيات الكريمة التي فيها إلى مواضعها من السور، وكذا خرّجت

الأحاديث الشريفة من مظانها من أمهات كتب الحديث الموثوقة .

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل .وصلّ

اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

إحسان قاسم الصالحي

* * *

رأي المؤلف في مؤلفاته القديمة

نص الرسالة التي بعثها الأستاذ النورسي لطلابه من منفاه) قسطنوني (يبين فيها رأيه

في الأسباب الموجبة لتنتيجه" المناظرات "وعدوله عن شيء مما ذكره فيها من آراء:

لقد ألقىت نظرة إلى رسالة" المناظرات"، وذلك بعد مرور خمس وثلاثين سنة على تأليفها

فرأيت فيها وفي أمثالها من مؤلفات" سعيد القديم "أخطاءً وهفوات؛ إذ أُلّف تلك الآثار في حالة

روحية وُلّدها الانقلاب السياسي⁽⁸⁴⁹⁾ وأنشأتها مؤثرات خارجية وعوامل محيطة به .

إنني أستغفر الله بكل حولي وقوتي من تلك التقصيرات راجياً من رحمته تعالى أن يغفر تلك الخطايا التي ارتكبتها بنية حسنة وبقصد جميل، لدفع اليأس المخيم على المؤمنين .

إن أساسين مهمين يهيمنان على آثار " سعيد القديم- " كهذه الرسالة- ، والأساسان ذوا حقيقة، ولكن كما تحتاج كشافيات الأولياء إلى تأويل، والرؤى الصادقة إلى تعبير، فإن ما أحس به " سعيد القديم " بإحساس مسبق) أي قبل وقوع الأمر (بحاجة كذلك إلى تعبير، بل إلى تعبير دقيق، إلا أن إخباره عما توقع حدوثه وبيانه تلك الحقيقتين بلا تأويل ولا تعبير، أدى إلى ظهور شيء من النقص والقصور وخلاف الواقع فيما أخبر عنه .

الأساس الأول : هو ما رَفّه من بشرى سارة للمؤمنين بظهور نور في المستقبل، رَفّت هذه البشرى ليزيل بها يأسهم ويرفع عنهم القنوط، فلقد أحسّ بإحساس مسبق أن " رسائل النور " ستنفذ إيمانَ كثير من المؤمنين، وستشدّ أزرهم في زمان عصيب عاصف . إلا أنه نظر إلى هذا النور، من خلال الأحداث السياسية التي واكبت الانقلاب وحاول تطبيق ما رآه من نور على واقع الحال من دون تعبير ولا تأويل، فوقع في ظنه أن ذلك النور سيظهر في عالم السياسة وفي مجال القوة وفي ميدان فسيح ... فقد أحسّ إحساساً صادقاً إلا أنه لم يوفّق في التعبير عن بُشراه توفيقاً كاملاً.

الأساس الثاني : لقد أحسّ " سعيد القديم " ما أحسّ به عدد من دهاة السياسة وفطاحل الأدباء؛ بأن استبداداً مريعاً مقبلاً على الأمة، فتصدوا له، ولكن هذا الإحساس المسبق كان بحاجة إلى تأويل وتعبير، إذ هاجموا ما رأوه من ظل ضعيف⁽⁸⁵⁰⁾ لاستبدادات تأتي بعد مدة مديدة وألقت في نفوسهم الرعب، فحسبوا ظل استبدادٍ- ليس له إلا الاسم -استبداداً أصيلاً، فهاجمواه . فالغاية صحيحة إلا أن الهدف خطأ.

⁸⁴⁹ (المقصود إعلان المشروطة).

⁸⁵⁰ (المقصود : أن الاستبداد الذي كان يمارس في عهد السلطان عبد الحميد يعدّ ظللاً ضعيفاً للاستبدادات التي حصلت بعد عهده وبعد سقوط الخلافة.

وهكذا فلقد أحسنّ سعيد القديم " أيضاً بمثل هذا الاستبداد المخيف فيما مضى . وفي بعض آثاره توضيحات بالهجوم عليه، وكان يرى أن المشروطة الشرعية وسيلة نجاةٍ من تلك الاستبدادات المرعبة . لذا سعى في تأييدها بالحرية الشرعية والشورى ضمن نطاق أحكام القرآن، آملاً أن تدفعا تلك المصيبة.

نعم، لقد أظهر الزمان أن دولة تسمى داعية الحرية، قد كُتبت بثلاثمائة من موظفيها المستبدين ثلاثمائة مليون من الهنود، منذ ثلاثمائة سنة، وسيطرت عليهم كأنهم ثلاثمائة رجل لا غير، حتى لم تتركهم يحركون ساكناً، ونفذت قانونها الجائر عليهم بأقسى صورة من صور الظلم، آخذةً آلاف الأبرياء بجريرة مجرم واحد . وأعطت لقانونها الجائر هذا اسم العدالة والانضباط . فخدعت العالم ودفعته إلى نار الظلم . هذه الدولة غدت مقتدى ذلك الاستبداد القادم في المستقبل.

وفي رسالة " المناظرات " هوامش قصيرة، وملاحظات وردت على صورة طرف ولطائف، فهي من قبيل الملاطفة مع قسم من طلابه الظرفاء في تأليفه القديم ذاك، إذ قد وضّح لهم الأمور بأسلوب الدرس والإرشاد.

ثم إن زبدة هذه الرسالة (المناظرات) وروحها وأساسها، هي ما في خاتمتها من حقيقة إقامة " مدرسة الزهراء "، وما هي إلا المهدي الذي سيشهد ظهور " رسائل النور " في المستقبل . فكان يُساق إلى تأسيسها دون إرادة منه، ويتحرى - بحس مسبق - عن تلك الحقيقة النورانية في صورة مادية حتى بدت جهتها المادية أيضاً، إذ منح السلطان رشاد تسع عشرة ألف ليرة ذهبية لتأسيس تلك المدرسة، وأرسيّت قواعدها فعلاً، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى حال دون إكمال المشروع .

ثم بعد حوالي ست سنوات ذهبْتُ إلى أنقرة، وسعيت في إنجاز تلك الحقيقة، وفعلاً وافق مائة وثلاثة وستون نائباً في مجلس الأمة من بين مائتي عضو على تخصيص خمسة عشر ألف ليرة ورقية لبناء مدرستنا، ولكن يا للأسف - ألف مرة - سُدَّت جميع المدارس الدينية، ولم أستطع أن أنسجم معهم فتأخر المشروع أيضاً.

بيد أن المولى القدير أسس برحمته الواسعة الخصائص المعنوية لتلك المدرسة

وهويتها في "إسبارطة" فأظهر "رسائل النور" للوجود. وسيوفق- إن شاء الله -طلابُ النور إلى تأسيس الجهة المادية لتلك الحقيقة أيضاً .

إن سعيداً القديم على الرغم من معارضته الشديدة لمنظمة "الاتحاد والترقي" (851) فإنه مال إلى حكومتها ولاسيما إلى الجيش، حيث وقف منهم موقف تقدير وإعجاب والتزام وطاعة. وما ذاك إلا بما كان يحس به من إحساس مسبق من أن تلك الجماعات العسكرية والجمعية المليية سيظهر منهم بعد سبع سنوات مليون من الشهداء الذين هم بمرتبة الأولياء . فمال إليهم طوال أربع سنوات دون اختيار منه، وبما يخالف مشربه. ولكن بحلول الحرب العالمية وخصتها لهم أفرز الدهن المبارك من اللين، فتحول إلى مخيض لا قيمة له. فعاد "سعيد الجديد" إلى الاستمرار في جهاده وخالف سعيداً القديم.

* * *

[قسم من أجوبة" سعيد القديم " عن أسئلة
طرحتها العشائر قبل خمس وأربعين
سنة(852)].

851 (جمعية الاتحاد والترقي: وهي جمعية تشكلت سنة 1888 م، كان شعارها" الاتحاد، المساواة، والأخوة "نادت بعزل السلطان عبد الحميد وإقامة حياة برلمانية في البلاد . اتصل بعض أعضائها بالمحافل الماسونية وبالذول الأجنبية، ونجحت أخيراً في عزل السلطان . وعندما وصلت إلى الحكم أسست حكماً دكتاتورياً قاسياً، ثم ورطت الدولة العثمانية في أتون الحرب العالمية الأولى) بجانب ألمانيا (وبعد أن تمزقت أوصال الدولة العثمانية هرب زعمائها إلى الخارج.

852 (المقصود سنة 1910 م حيث تحول الأستاذ النورسي بين العشائر التركية والكردية في شرقي الأناضول وطبع الكتاب لأول مرة في إسطنبول سنة 1913 م .

س: إن لم يكن على الدين ضرر، فليكن ما يكون ولا نبالي.

ج: الإسلام كالشمس لا ينطفئ سناها بالنفخ، وكانهار لا يحال ليلاً بإغماض العين .
ومن يغمض عينه فلا يجعل الظلمة إلا من نصيبه .

ثرى لو فوّضت حماية الدين إلى رئيس مغلوب على أمره، أو إلى مسؤولين مدهانين، أو إلى فئة من ضباط لا منطق لهم، أيكون أولى، أم يُعتمد على العمود النوراني، ذلك السيف الأمامي، الحاصل من امتزاج شرارات حماية الإسلام النيرة، ولمعات الأنوار الإلهية التي تشع من عاطفة الإيمان في قلب كل فرد، والتي هي معدن المشاعر الإسلامية الممدّة لأفكار الأمة العامة؟

فلكم أن تقدّروا أيهما أولى بالاعتماد عليه في حماية الدين؟

نعم، سيرفع هذا العمود النوراني (853) حماية الدين على رأس شهامته، وعلى عين مراقبته وعلى كاهل حميته. فيها أنتم أولاء تشاهدون أن اللمعات المتفرقة بدأت تتلأأ، وستمتزج رويداً رويداً بالانجذاب؛ لأنه قد تقرر في " فن الحكمة " "أي الفلسفة (أن الشعور الديني ولاسيما الدين الفطري الحق، أنفذُ كلاماً، وأعلى حُكماً، وأشد تأثيراً من كل الأحاسيس والمشاعر.

وخلاصة القول: مَنْ لم يعتمد على غيره يحاول هو بنفسه. وسأضرب لكم مثلاً: أنتم من البدو، رأس مالكم الغنم- وأنتم أعلم بأموركم -فقد عهد كلُّ منكم قسماً من أغنامه إلى راعٍ، بينما الراعي كسلان ومُعاونته متهاون متكاسل وكلابه جبانة، فإن اعتمدتم عليه ونتمم براحة في بيوتكم، ظلت أغنامكم الوداعة تحت سطوة الذئاب الضارية واللصوص والمصائب والبلايا ..أهذا الأمر أولى أم النقطن إلى عدم كفاءة الراعي لحمايتها، فينطلق كلُّ منكم من مسكنه كالبطل منتبهاً من نوم الغفلة، ساعياً إلى الحفاظ على الأغنام، فتكونوا ألقاً من الحماة المحافظين بدلاً من راعٍ واحد ...فلا يجرؤ عندئذٍ ذئبٌ ولا سارق على الاقتراب من غنمكم؟ ...أما جعل هذا السرُّ أشقياء" مامه خوران (854)"تائبين، بل مريدين

853 (فقد أحسن برسائل النور حتى أجاب عن السؤال بثلاث صفحات. ولكن حُجِب السياسة صبغته بلون آخر). المؤلف.

854 (عشيرة ساكنة شرقي الأناضول حوالي مدن "باتنوس، أرجش.. ..

صوفيين؟ ... نعم، إن أرواحهم قد تافت إلى البكاء وصار شخصاً (855) بنصيحة سبباً لاستجاشتها، فبكوا دمعاً سخياً بكاء الندامة..

نعم... نعم... أجل.. أجل!. لو سكن ظنينُ البعوض وهدأ دويُّ النحل فلا تأسوا ولا تحزنوا ولا تخذُ أشواقكم أبداً، فالموسيقى الإلهية العظيمة التي تجعل بنغماتها الكونَ في رقصٍ وانتشاء، وتهز بأشجانها أسرارَ الحقائق، لم تسكن أبداً ولم تهدأ... بل تستمر قوية عالية هادرة .

إن ملك الملوك وسلطان السلاطين ملك الأزل وسلطان الأبد ينادي بقرانه الكريم الذي هو موسيقاه الإلهية، مائلاً الكونَ كله صوتاً صداداً هادراً في قبة السماء فانعطفت النغمات المقدسة لذلك النداء السامي متموجة نحو أصداف رؤوس العلماء ومغارات قلوب الأولياء وكهوف أفواه الخطباء وانعكست أصديتها من ألسنتهم سيالاً، سيارة منوعة، مختلفة... هزت الدنيا بشدة موجاتها، فطبعت بتجسمها كتب الإسلام كلها وصيرتها كأنها وترٌ من طنبور، وشريط من آلة قانون فأعلن كلُّ وترٍ نوعاً من ذلك الصدى السماوي الروحاني... فمن لم يسمع- أو لم يستمع -بأذن قلبه ذلك الصدى الذي ملأ العالم ضياءً، أتى له أن يصغي إلى ظنين أمير الدولة ورجاله!

الحاصل: أن من يتوجس خيفة على دينه من انقلاب سياسي فليس له نصيب من الدين إلا " الجهل- الواهي كبيت العنكبوت- الذي يدفعه إلى الخوف، وليس له إلا " التقليد " الذي يرميه في أحضان الاضطراب والارتباك... لأنه لما ظن- بالعجز وبفقدان الثقة بالنفس- أن سعادته ليس إلا في جيب الحكومة، تصوّر أن قلبه وعقله كذلك هما في كيس الحكومة فلا جرم أن يملأه الخوف.

س: لا يقول بعضهم مثلما تقول، بل يقولون: لا بد أن يجيء " السيد المهدي " لان الدنيا قد اضطربت وتشوشت لاكتهاها وهرمها، والإسلام قد اهتز كيانه بانتعاش المنافع الشخصية وتنفس الأغراض الدنيوية.

ج: لو استعجل السيد المهدي، وأتى، فعلى العين والرأس، فليأت حالاً، فقد أن أوأته،

855 () هو الشيخ أحمد، أحد الأولياء الصالحين المعروفين في تلك المنطقة، وسيأتي ذكره .

فلقد تهبأ وتمهد له وضع ملائم حسن، فليس فاسداً كما تظنون، فالأزهار اليانعة تزدهر في الربيع، ومن شأن الرحمة الإلهية لهذه الأمة أن يجد ذلها نهايته... ومع هذا فمن قال :سَاء الزمان كلياً وفسد علينا، مُبدياً ميلاً إلى العهد السابق، فإنه يُسند- من حيث لا يشعر - سيناتِ العهد السابق الناشئة من مخالفة الإسلام إلى الإسلام نفسه، كما هو ظن قسم من الأجانب.

س :مَن هم أولاء المشوِّشون على الأفكار ولا يقدرّون " الحرية " و"المشروطية "حق قدرهما؟

ج :جمعية تشكلت برئاسة "الجهل آغا" و"العناد أفندي"، و"الغرض بك"، و" الانتقام باشا" و"التقليد حضرترلى" و"مسيو الثرثرة"، وهي جمعية من الناس تُشوِّه " الشورى " التي هي منبع سعادتنا وتُكدِّرُها...فالممتسبون إليها- في البشرية -هم الذين لا يضحون بدرهم واحد من حسابهم أعظم مصلحة من مصالح الأمة ومنافعها...والذين يرون نفعهم في إضرار الناس، وبدانتهم في هزال الآخرين...والذين يفسِّرون الأمور دون محاكمة عقلية عادلة فيطلقون المعاني جزافاً...فبينما ترى أحدهم لا يكبح جماح نفسه للثأر ولا يضحى بغرضه الشخصي، إذا به يدّعي بغرورٍ استعداده لِفداء روحه للأمة... وهم أولاء الذين يحملون أفكاراً غير معقولة أمثال تكوين الإمارات) البلكك (أو الحكم الذاتي) المختارية- (التي هي مقدمة طوائف الملوك-، أو الجمهورية بمفهوم الاستبداد المطلق...وهم أولاء الذين تعرضوا للظلم فامتألت قلوبهم غيظاً ورغبة في الثأر حتى لم يستطيعوا أن يهضموا العفو العام والأمن العام وهما من أولى حسنات" الحرية " و"المشروطية"، فيثيرون الآخرين للإخلال بالأمن ويهيجونهم للقيام بالاضطرابات كي ينشَفُوا بإنزال العقوبة بهم، وتأديبهم .

س :لِمَ تفنّد جميعهم وتعدّهم فاسدين، مع أنهم يبدون ناصحين لنا؟

ج :أروني مفسداً يقول :أنا مفسد، وما هو إلا مفسد إلا أنه يتراءى في صورة الحق، أو يرى الباطل حقاً .نعم، ما من أحد يقول :مخيضي حامض..فلا تأخذوا شيئاً إلا بعد إمراره على المحك، لأن أقوالاً مغشوشة مزيفة قد كثرت في تجارة الأفكار..حتى كلامي أنا لا

تأخذوه على علاقته- بحسن ظنكم -لأنه صادر عني؛ فقد أكون مفسداً، أو أفسد من حيث لا أشعر، فعلى هذا تيقظوا! ولا تفتحوا الطريق إلى القلب لكل طارق. فليظل ما أقوله لكم في يد خيالكم، واعرضوه على المحك، فإن ظهر أنه ذَهَبٌ فأرسلوه إلى القلب، واحتفظوه هناك، وإن ظهر أنه نحاس، فاحملوا على عاتق ذلك الكلام المنحوس كثيراً من الغيبة وشيِّعوه بسوء الدعاء عليّ ورُدُّوه خائباً إليّ .

س :لِمَ تسيئ الظن بحُسن ظننا؟ فالسلاطين والحكومات السابقة ما استطاعوا أن يصرفوك عن الحق ولم يستطع كذلك أعضاء" جون تورك (856)" أن يكسبوك إلى صفوفهم، فلم تداهنهم، حتى ألقوك في السجن وكادوا يصلبوك، فما رضختَ لهم ولا خنعت أمامهم بل برزتَ بطلاً شهماً برفضك ما وعدوك من مرتب ضخم ..فأنت إذن بجانب الحق ولا تميل إلاً إليه، ولا تقول ما تقول انحيازاً إليهم.

ج :نعم، إن الذي عرف الحق، لا يستبدله بشيء، لأن شأن الحق رفيع وسامٍ، ما ينبغي أن يُضخى به لأجل أي شيء كان، ولكني لا أقبل حسن ظنكم هذا، لأنكم قد تحسنون الظن بالمفسد أو المحتال .انظروا إلى دليل فكره ونتيجته .

س :كيف نعرف ذلك؟ ونحن جاهلون، نقاد العلماء أمثالكم؟

ج :إن لم تكونوا من أهل العلم، فإنكم من أهل العقل .بدليل أنني لو تقاسمتُ الزبيب مع أحدكم فقد يغبنني بذكائه !فجهلكم إذن ليس عذراً ...اعلموا أن الأشجار المتشابهة تميزها ثمراتها، لذا تَبَصَّرُوا في ثمرات أفكاري ونتاج أفكارهم، فقد تَلَأَّت في أحدهما السلامة والطاعة، وتَسَتَّرَ في الآخر الاختلافُ والفساد .سأضرب لكم مثلاً آخر:

تصوِّروا ناراً منيرة تتراءى في هذه الصحراء، فأنا أبشركم بأنها نورٌ وليست ناراً،

⁸⁵⁶ (مشتقة من العبارة الفرنسية "Jeunes Turces" أي تركيا الفتاة: يطلق هذا الاسم على الجماعات والأفراد المعارضين للحكم في الدولة العثمانية منذ عهد السلطان عبد العزيز وفيهم الشاعر نامق كمال وضياء باشا ممن يطالبون بالحرية .كانت مطالب هذه الجماعات والأفراد تتلخص في إعلان الدستور وتأسيس حياة برلمانية .وتعدّ جمعية الاتحاد والترقي أقوى هذه الجماعات تأثيراً، إذ استطاعت- بالتعاون مع القوى الخارجية- إزاحة السلطان عبد الحميد من الحكم .

وحتى إن كانت فيها نار فليس إلا طبقة عليا منها ضعيفة موروثة... فتعالوا إذن لنحط بها ونحلّق حولها ونفترج عليها ونستضيئ بها ونقتبس منها حتى تتلاشى طبقة النار ولنستفد منها. فإن كانت نوراً- كما قلت -فبه، فقد استفدنا، وإن كانت ناراً- كما قالوا -ما ضرّتنا، إذ لم نقتحمها. أما هم فيقولون": أن النار محرقة "فإن كان نوراً أعمى قلوبهم وأبصارهم، لأن النور- الذي يظنونه ناراً -هو نور السعادة، (857)فأينما أشرق لم يُطفأ ولو بصبّ ألوف القرب من دماء ملايين الناس، بل حاول بعض من فينا إطفاءه بضع مرات منذ سنتين إلا أنهم خابوا .

س: أنت قلت: إنه ليس بنار، ولكن كلامك يشير إلى ناريتة..؟! !

ج: نعم، النور نار للأشرار.

س: ما تقول لأهل الفضيلة من تلك الزمرة وهم أخيار...؟

ج: هناك كثير من الأخيار يسيئون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

س: كيف يرد الشرُّ من الخير؟.

ج: طلب المحال حماقة ووبال على صاحبه، لأن من كانت بغيته حكومة بريئة

معصومة فطلبه محال اعتيادي، إذ لمّا لم يكن الشخص الواحد الآن معصوماً فكيف بالشخص المعنوي) الحكومة (الذي كلُّ ذرة من ذراته مذنبية؟ فمدار النظر إذن هو في ترجُّح حسنات الحكومة على سيئاتها كمّاً أو نوعاً. وأنا أنظر إلى هؤلاء وأعدّهم فوضويين، لأنه لو عاش أحدهم- لا سامح الله -ألف سنة، ورأى الصور الممكنة للحكومات، لما ارتضى كذلك بإحداها، لما في خياله وحلمه من تصوّر للحكومة المعصومة، فيولد فيه هذا الحلم ميلّ التخريب فيمزق تلك الصور الممكنة .

لذا حتى الفاسدون- في نظرهم -من أعضاء" جون تورك "يعدّونهم زمرة ملعونة فوضوية مشاغبة، فمسلّكم ليس إلا الإخلال بالأمن والإفساد .

857 (وهنا أيضاً قد أحسن برسائل النور، ولكنه نظر إليها من تحت ستار السياسة فتبدل شكل الحقيقة) المؤلف.

س: فلم لا يجوز أن تكون ضالّتهم العهد السابق؟.

ج: إني أبعث إلى سماعكم قانوناً قصير القامة طويل الهمة، يمكنكم حفظه، فشاوروه، وهو: "أن تلك الحال محال، فيما هذه الحال وإما الاضمحلال" فالحكومة مسلمة، والأمة التي تحكمها مسلمة، وأساس سياستها أيضاً هو الدستور الآتي: أن دين الدولة الإسلام... فوظيفتنا إذن الحفاظ على هذا الأساس ووقايتة، لأنه جوهر حياة أمتنا .

س: أتستمر الحكومة في خدمة الإسلام وتقوية الدين بعد الآن؟.

ج: يخ بخ وبكل سرور، نعم، فإن هدف الحكومة وإن كان مستتراً وبعيداً - باستثناء بعض الملحدّين الجهلة - هو حماية سلسلة الإسلام النورانية وتقوية رابطته التي تجعل ثلاثمئة مليون مسلم - بسرّ الأخوة الإيمانية - كياناً واحداً، إذ إنها هي وحدها "نقطة الاستناد" وهي وحدها "نقطة الاستمداد"... "إن قطرات المطر ولمعات النور كلما بقيت متفرقة وظلت متناثرة، جفت بسرعة وانطفأت حالاً. فينادينا رب العزة سبحانه قائلاً: (وَلَا تَفْرُقُوا) آل عمران 103: (لَا تَفْنُوا) الزمر 53: ليحول بيننا وبين الانطفاء والزوال ..

نعم، إن نعماتِ (لَا تَفْنُوا) وأصداءها تتجاوب من ست جهات: الضرورة، والانجذاب، والتمايل، والتجارب، والتجاوب، والتواتر... تجمع تلك القطرات واللمعات في مصافحة وعناق، وتطوي ما بينها من المسافة مؤدّة حوضاً من ماء يبعث على الحياة وضياءً منوراً ينبير العالم أجمع. ذلك لأن الدين جمال الكمال، وضياء السعادة، ونمو المشاعر، وسلامة الوجدان (858).

س: الآن نستفسر عن الحرية، فما هذه الحرية التي تتجاوزها التاويلات وتتراعى فيها

الرؤى العجيبة الغريبة؟!.

ج: إن من عاش مع طيفها منذ عشرين سنة حتى تعقبها في الرؤى وترك كل شيء

لحبّها يستطيع الإجابة عنها فهو الخبير بوصفها.

س: لقد فسروا لنا "الحرية" تفسيراً خاطئاً سيئاً، وكأن الإنسان مهما فعل - في كنف

858 (مهلاً، لها إشارات أشبه ما تكون بالشفرات). المؤلف.)

الحرية -من سفاهات وردائل وفضائح لا يواخذَ عليها مادام لم يضرَّ بها الناس... هكذا أفهمونا الحرية، أهي كذلك؟!]

ج: إن الذين فسروها هكذا، ما أعلنوا إلا عن سفاهاتهم وردائلهم على رؤوس الأشهاد، فهم يهذرون متذرعين بحجج واهية كالصبيان، لأن الحرية الحسنة ما هي إلا تلك المتأدبة بأداب الشريعة والمتزينة بفضائلها، وليست تلك التي في السفاهة والردائل بل تلك حيوانية وبهيمية وتسلط شيطاني، ووقوع في أسر النفس الأمارة بالسوء.

إن الحرية العامة هي المحصلة الناتجة من حريات الأفراد، ومن شأن الحرية عدم الإضرار سواء بالنفس أو بالآخرين .

[على أن كمال الحرية، أن لا يَنْفَرَعَنَّ، وأن لا يستهزئ بحرية غيره، إن المراد حقٌ لكن المجاهدة ليست في سبيلها(859)]

س: كم رأينا من لا يفسر الحرية كما تفسرها أنت، مع أن أفعال أعضاء من "جون تورك" تخالفك في التفسير ويناقض قولهم قولك، إذ إن بعضهم يفطرون في رمضان ويشربون الخمر ويتركون الصلاة...

فهيهات أن يصدق مع الأمة من خانَ الله ولم يصدق في امتثال أمره تعالى؟
ج: أجل، نعم، لكم الحق... ولكن الحمية شيء والعمل شيء آخر، وعندني أن القلب أو الوجدان الذي لم يتزَيَّن بالفضائل الإسلامية لا تُرجى منه الحمية الحقة والوفاء الصادق والعدالة الخالصة. ولكن لأن الصنعة غير الفضيلة، فقد يقوم الفاسق برعي الأغنام رعيًّا جيداً، وقد يصلح شارب الخمر ساعةً باتقان حين لا يكون سكراناً، ولكن وا أسفى على ندرة الذين جمعوا النورين معاً: نور القلب ونور الفكر، أو بعبارة أخرى الفضيلة والصنعة، فهم نادرون لا يكفون لملء الوظائف، فإذن إما الصلاح وإما المهارة... وإذا تعارضا فالمهارة مرجحة في الصنعة.

859 (لا تستعجل... الجملة تعني أن صاحب جريدة "الميزان" "مراد" هو محق ورئيس تحرير جريدة "طنين" "حسين جاهد" على خطأ). المؤلف.

واعلموا كذلك أن السفهاء التاركين للصلاة، ليسوا بـ"جون تورك" بل هم "شئين الترك" أي فاسدون، فهم روافض "جون تورك" مثلما أن لكل شيء روافضه، فروافض "الحرية" هم السفهاء .

أيها الأتراك والأكراد! أنصفوا... هل يُرْفَضُ الحديث الشريف ويُنْكَرُ إذا أوْلَهُ الرافضي تأويلاً فاسداً أو عمل بخلافه، أم يُحْطَأُ الرافضي حفاظاً على منزلة الحديث الشريف وكرامته؟.

الأ إن الحرية هي: أن يكون المرء مُطْلَقَ العنان في حركاته المشروعة، مصوناً من التعرض له، محفوظاً الحقوق، ولا يتحكم بعضٌ في بعض، ليتجلى فيه نهي الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ آل عمران (64): ولا يتأمر عليه غير قانون العدالة والتأدب، لنلا يُفسد حرية إخوانه .

س: (860) فما لنا إذن نحن معاشر البدو، نحن أحرار منذ القدم، فقد ولدت حريتنا توماً معنا، فليفرح بها الآخرون من غيرنا، فالأمر لا يهمننا.

ج: نعم، إن حب تلك الحرية والشغف بها هي التي جعلتكم تتحملون مشقات البداوة التي لا تطاق، وإن سلوككم المفعم بالقناعة هو الذي أغناكم عن محاسن المدنية البرّاقة، فزهدتم فيها. ولكن أيها البدو! إن ما لديكم من الحرية هو نصفها، والنصف الآخر هو عدم المساس بحرية الآخرين. ثم إن الحرية الممزوجة بالبداوة وبالعيش الكفاف، توجد منها أيضاً في حيوانات الجبال والبراري القريبة منكم. وفي الواقع لو كانت هناك لذة وسلوان لهذه الحيوانات فهي في حريتها تلك ...

ولكن أين أنتم من تلك الحرية الإنسانية الساطعة كالشمس وهي معشوقة كلِّ روح، وصنو جوهر الإنسانية، وما هي إلا التي تربعت على قصر سعادة المدنية وترينت بحل المعرفة وحليّ الفضيلة والتربية الإسلامية .

س: لقد قيل في حق هذه الحرية التي تثني عليها:

[حُرِّيَّةٌ حَرِيَّةٌ بالنار، لأنها تختص بالكفار] فما تقول في هذا القول؟

860 () هذا سؤال البدو الرحل الساكنين في الخيم السوداء). المؤلف.

ج :إن ذلك المسكين الشاعر قد ظن الحرية مسلك البلشفية ومذهب الإباحية .كلأ، بل الحرية بالنسبة للإنسان تولد العبودية لله سبحانه، وقد رأيت كثيرين يهاجمون " السلطان عبد الحميد "أكثر من هجومهم على" الأحرار ..(861)"وكانوا يقولون :إنه على خطأ لقبوله "الحرية "و"القانون الأساس (862)"قبل ثلاثين سنة " هكذا !فما ظنكم بقول قائل حَسِبَ الاستبداد الذي اضطر إليه السلطان عبد الحميد حريةً، وارتعد من القانون الأساس الذي هو اسم دون مسمّى !فما قيمة قوله يا تُرى؟ هذا ولقد قال مجاهدٌ خدمَ الإسلامَ عشرين سنةً [:حريةٌ عطيةُ الرحمن، إذ إنها خاصية الإيمان(863)].

س :كيف تكون الحرية خاصة الإيمان؟

ج :لأن الذي ينتسب إلى سلطان الكون برابطة الإيمان ويكون عبداً له تنتزّه شفقتُه الإيمانية عن التجاوز على حرية الآخرين وحقوقهم، مثلما تترفع شهامته الإيمانية وعزته عن التنازل بالتذلل للآخرين والانتقيد لسيطرتهم وإكراههم.

نعم، إن خادماً صادقاً مخلصاً للسلطان لا يتذلل لتحكّم راعٍ وسيطرتَه، كما يَرَبُّاً بنفسه أن يفرض سيطرتَه على مسكين ضعيف .فبمقدار قوة الإيمان إذن تتألأ الحرية وتسطع .

فدونكم خير القرون، العصر السعيد، عصر النبوة والصحابة الكرام.

س :هيهات !نحن عوام كيف نصير أحراراً تجاه الشخصيات الكبار أو الأولياء والصلحاء والعلماء العظام، أو ليس من حقهم أن يتحكموا فينا لمزاياهم، فكيف لا نكون أُسراء فضائِلهم؟

ج :إن شأن الولاية والمشیخة والعظمة :التواضع والتجرد، وهما من لوازم الفضيلة وخصائص الكمال ورفعة الشأن، لا التكبر والتحكم ..فمن تكبّر فهو صبي متشیخ وطفل متكهل، فلا تعظّموه..

⁸⁶¹ (الأحرار :هو حزب معارض لجمعية الاتحاد والترقي وذلك في الفترة القصيرة التي بدأت قبيل عزل السلطان عبد الحميد، حتى استنثار جمعية الاتحاد والترقي بالحكم.

⁸⁶² (أي الدستور بالتعبير الشائع حالياً والذي يعين صلاحية الحاكم والحكومة والبرلمان، ويحدد الخطوط الرئيسية لسياسة الدولة وقوانينها.

⁸⁶³ (تعريف جميل). المؤلف).

س: لِمَ يكون التكبر علامة التصاغر؟

ج: لأن لكل شخص نافذة يشاهد فيها ويطل منها على المجتمع، تلك هي مرتبة الشهرة والكرامة. فإذا كانت تلك النافذة أرفع من قامة استعداده، يتناول بالتكبر، أما إذا كانت أخفض من قامة همته يتواضع بالتدب ويتخضع كي يشهد في تلك المرتبة ويُشاهد.
س: حسناً جداً؛ لقد رضينا بأن الحرية حسنة جميلة، ولكن تبدو حرية الروم والأرمن شوهاء، وتسوقنا إلى التوجس وقلق البال، فما رأيك فيها؟
ج:

أولاً: إن حريتهم ألا يُظلموا، ولا يُخلَّ براحتهم، وهذا أمر شرعي؛ أما ما زاد على هذا فهو تعدّ منهم تجاه طيشكم وسوء تصرفكم، أو استغلال لجهلكم.
ثانياً: لو كانت حريتهم- كما تظنونها -مضرة بكم، فلسنا معاشر المسلمين بخاسرين، لأن الأرمن الذين هم بين ظهرانينا لا يبلغون ثلاثة ملايين، وغير المسلمين فينا أيضاً لا يبلغون عشرة ملايين، بينما ملتنا الإسلامية وإخواننا الحقيقيون الأبديون يزيدون على ثلاثمائة مليون، إلا أنهم مقيّدون بثلاثة قيود رهيبية من قيود الاستبداد، فينسحقون تحت هذا الاستبداد المعنوي للأجانب.. وهكذا فحرية غير المسلمين- التي هي شعبة من حريتنا -إنما هي مقدمة وأتاوة لحرية أمتنا كافة.. وهي رافعة ذلك الاستبداد المعنوي المرعب (864).
وهي مفتاح لفك تلك القيود.. وهي رافعة للاستبداد المعنوي الرهيب الذي ألقاه الأجانب على كاهلنا. نعم، حرية العثمانيين كشافة لطاق آسيا العظيمة ومفتاح لحظ الإسلام وأساس لسور الاتحاد الإسلامي.

س: ما تلك القيود الثلاثة التي قيّد الاستبداد المعنوي بها العالم الإسلامي؟

ج: إن استبداد حكومة روسيا- مثلاً -قيّد.. وتحكّم الشعب الروسي قيّد آخر، وتغلّب عاداتهم الكفرية الجائرة على العادات الإسلامية قيد ثالث.. والحكومة الإنكليزية، وإن كانت تبدو غير مستبدة إلا أن أمتها متحكمة مسيطرة، وعاداتها مهيمنة، فدونكم " الهند "

⁸⁶⁴ (كان ينبغي أن يتحدث بهذا الكلام بعد) أربع وأربعين (سنة إلا أنه ذكره في ذلك الوقت .
(المؤلف).

برهاناً على ذلك و" مصر "نصف برهان عليه .

أفلم يثبت إذن أن أمتنا الإسلامية مقيدة بثلاثة قيود، أو بقيد ونصف، وليس لنا إزاء ذلك إلا قيد كاذب موهوم ضعيف وضعناه على أرجل غير المسلمين فينا .وقد تحملنا كثيراً من دلالهم بديلاً عن ذلك .فلقد ازدادوا نسلأً وثروة، أما نحن فقد تناقصنا نسلأً وثروة .وذلك بسبب انحصار الوظائف- التي هي ضربٌ من عمل الخادم -والعسكرية فينا .

إن الفكر المَلَي (865)والذُّ "الحرية "وما كان الأسرى إلا الأكراد والأترك .

وهكذا نفكّ ذلك القيد الكاذب ونحلّه عن أرجل ثلاثة ملايين أو عشرة ملايين لينفسح المجال ويتمهد الطريق أمام حرية ثلاثمائة مليون مسلم مقيدين بثلاثة قيود (866).ولا ريب أن من أعطى ثلاثة عاجلاً وربح ثلاثمائة أجلاً ليس بخاسر!!

[وسياخذ الإسلام بيمينه من الحجة سيفاً صارماً جزاراً مهنداً...وبشماله من الحرية لجام فرس عربي مشرق اللون فالقاً بفأسه وقوسه رؤوس الاستبداد الذي به اندرس بساتيننا(867)].

س: هيهات! كيف تكون حريتنا مقدمة لحرية العالم الإسلامي كافة وفجره الصادق؟.

ج: بجهتين- :

الأولى: إن الاستبداد الذي فينا أقام سداً مظلماً جائراً إزاء حرية آسيا، فما كان لضياء الحرية أن ينفذ من ذلك الستار الكثيف المظلم ليفتح الأبصار ويُرِي الكمالات، ولكن بخراب هذا السدّ انتشر- وسينتشر -فكر الحرّية ومفهومها حتى إلى الصين، بيد أن الصين أفرطت وأصبحت شيوعية .ولما ثقلت كفة الحرية في ميزان العالم، فقد رفعت كلياً الوحشية والاستبداد اللذين في الكفة الأخرى، وسيزولان بمرور الزمن .فلو أنكم قرأتم

865 (يعرّفه الأستاذ المؤلف بعد صفحات بأن " ملينتا وجود مستقل بذاته، روحها الإسلام وعقلها القرآن والإيمان ."

866 (وقد بدأت الآن بالتحلل والانفتاح والحمد لله) . المؤلف.)

867 (أرجع النظر إليها، إنها فقرة ذات شفرات كأنها تخبر عن مجموعة رسائل النور أمثال : "ذو الفقار" "حجة الله البالغة .."مثلما تخبر عن الشعوب الإسلامية: اليمن ومصر والجزائر والهند والفاص) المغرب (والقفقاس وفارس والعرب) .المؤلف.)

صحيفة الأفكار وتاملتم في طريق السياسة واستمعتم إلى الخطباء العموميين، أعني الصحافة الصادقة في أخبارها، لعلمتم أنه قد حصل في العالم العربي والهند وجاوا ومصر والفقاس وأفريقيا وأمثالها، تحوُّلٌ عظيم وانقلاب عجيب ورقي فكري وتيقظ تام نابغ من فوران فكر الحرية وغلبيته في أفكار العالم الإسلامي، فلو كنا دافعين مئة سنة ثمناً لها لكان رخيصاً، لأن الحرية كشفت عن الملية وأظهرتها وبدأ يتجلى الجوهر النوراني للإسلام في صدفة الملية، فأذنت- بتحريك الإسلام واهتزازه :- بأن المسلم ليس جزءاً فرداً سائباً حبُّله على غاربه، بل هو جزء لمركبات متداخلة متصاعدة، له مع سائر الأجزاء صلة رحم من حيث جاذبية الإسلام العامة. فهذا النبأ يمنح أملاً قوياً بأن نقطة الاستناد ونقطة الاستمداد في غاية القوة والمتانة، وهذا الأمل أحيا قوتنا المعنوية بعد أن كانت صريعة اليأس. وستمرق هذه الحياة حُجُب الاستبداد المعنوي العام المستولي على العالم الإسلامي كلِّه مستعدة من فكر الحرية ومفهومها الذي يفور فيه] (868) على رغم أنف أبي اليأس.]

الجهة الثانية: مازال الأجانب يُدَلِّون ملتنا بالحيل، ويتذرعون بأسباب واهية وحجج تافهة لذلك. أما الآن فما ظل في أيديهم ما يحتجون به من حجة تؤثر في عروق إنسانيتهم، أو تهيج أعصاب تعصبهم أو تحرك أوتارهم الخداعة الدساسة، بل لو وجدوا حجة ما فلا يمكنهم أن يتذرعوا بها؛ إذ من شأن المدنية وخاصيتها: حب الإنسانية.

س: هيهات! أين هذا الأمل العظيم الذي تسلينا به، من تلك الحيات المرعبة المحيطة بنا الفاعرة أفواها لتنفث السم في حياتنا وتمزق دولتنا إرباً إرباً، فتحول ذلك الأمل المشرق إلى يأس قاتم؟ (869).

ج: لا تخافوا، إن المدنية والفضيلة والحرية قد بدأت تهيم في العالم الإنساني مما أثقلت كفة الميزان، وبالضرورة تتخفف الكفة الأخرى شيئاً فشيئاً، فلو فرضنا محالاً أنهم مزقونا وقتلونا- لا سامح الله -اطمئنا بأننا نموت ونحن عشرون إلا أننا نُبعث ونحن

868 (وقد بدأ تمزقها بعد خمس وأربعين سنة، والله الحمد والمئة). المؤلف).

869 (سؤال محير ذو حقيقة). المؤلف).

ثلاثمائة، نافضين غبار الرذائل والاختلافات عن رؤوسنا متّحدين مقدّرين حقيقةً مسؤوليتنا، نتسلّم الرأية لتُقوّد قافلة البشرية. فنحن لا نهاب هذا الموت الذي يُنتج حياةً أشد وأقوى وأبقى. فحتى لو متنا نحن فسيبقى الإسلام حياً سالمًا، فلتعش أبدأً تلك الملة المقدسة.

س: كيف نتساوى مع غير المسلمين؟.

ج: المساواة ليست في الفضيلة والشرف، بل هي في الحقوق. فالسلطان الملك والفقير المسكين كلاهما سيان في الحقوق.. فبما للعجب إن الشريعة التي نهت عن تعذيب نملة وأمّرت ألاّ تداس عمدًا، أتُهمل حقوق بني آدم؟ كلا !
ولكن نحن الذين لم نمثّل الشريعة. ألا تكفي لتصحيح خطئكم هذا، محاكمة أمير المؤمنين الإمام عليّ رضي الله عنه، مع يهودي فقير، ومرافعة صلاح الدين الأيوبي- وهو مدار فخركم - مع نصراني مسكين (870).

س: إن منح الحرية للروم والأرمن يقلقنا، فتارةً يتجاوزون علينا وأخرى يفتخرون بأن الحرية والمشروطية هما نتيجة سعيهم فيحرمونا فضائلها.

ج: أظن أن تجاوزهم الحدود الآن هو تشفٍ لغیظ ما توهموا من تجاوزكم عليهم في الماضي... أو هو تصنّع وتظاهر وتهديد تجاه ما يتوقعون واهمين من تعدي منكم عليهم في المستقبل، فإن اطمأنوا واعتقدوا بعدم التعدي عليهم فسيرضخون- بلا شك -للعادلة ويقتنعون بها، وإن لم يقنعوا بالعدالة فالحق يُرغم أنوفهم بقوته ويسوقهم مضطرين إلى الاقتناع .

أما قولهم " نحن الذين حصلنا على المشروطية " فهو كذب بيّن، إذ ما برزت الحرية

⁸⁷⁰ (بينما كان سعيد القديم يجاهد بحماسة" للحرية "جاعلاً السياسة وسيلة للإسلام بناءً على ما نشعه خاصية" النور "الساطعة من أمل قوي وسلوان تام أحسن من قبيل الحسن المسبق : أن استبداداً مطلقاً رهيباً لا دينياً سيأتي، بناء على ما فهمه من معنى حديث شريف، فأخبر به قبل خمسين سنة. وقد أحس أن ما أخبر به من أنباء مسلية وآمال مشرقة سيكذبه ذلك الاستبداد المطلق فعلياً طوال خمس وعشرين سنة، لذا نبذ السياسة منذ ثلاثين سنة قائلاً : "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة "وأصبح سعيداً الجديد) المؤلف).

والمشروطة إلى الوجود إلا بحراب جنودنا وبأقلام مجتمعتنا الحامل لروح الأمة، بل كان هدف هؤلاء وأمثالهم من الثرثارين المهاذير هو " اللامركزية السياسية " التي هي ابنة عم "الإمارة " و "الحكم الذاتي " إلا أن تسعين بالمئة منهم قد اتبعونا، وظلت خمسة من العشرة الباقية يثرثرون، والبقية الباقية باتوا يعذرون ولايرغبون في العدول عن أوهامهم الماضية .

س :كيف تشير إلينا بمحبة اليهود والنصارى، مع أن القرآن الكريم ينهى عن ذلك بقوله تعالى :﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ﴾ المائدة.(51):

ج :أولاً :كما يلزم أن يكون الدليل قطعي المتن، يلزم كذلك أن يكون قطعي الدلالة، مع أن للتأويل والاحتمال مجالاً، لأن النهي القرآني ليس بعام بل مطلق، والمطلق قد يُقيد، والزمان مفسرٌ عظيم، فإذا ما أظهر قيده فلا اعتراض عليه.

وأيضاً، إن كان الحكم قائماً على المشتق، فإنه يفيد علية مأخذ الاشتقاق للحكم. فإذا نُزِنَ المنهَى عنه في هذه الآية الكريمة هو محبتهم من حيث ديانتهم اليهودية والنصرانية .. وأيضاً، لا يكون المرء محبوباً لذاته، بل لصفته وصنعتة، لذا فكما لا يلزم أن تكون كل صفةٍ من صفات المسلم مسلمة، كذلك لا يلزم أن تكون جميع صفات الكافر وصنعتة كافرة أيضاً .

فعلى هذا، لِمَ لا يجوز اقتباس ما استحسناه من صفةٍ مسلمة أو صنعة مسلمة فيه؟ فإن كانت لك زوجة كتابية، لاشك أنك تحبها .

ثانياً :لقد حدث انقلاب ديني عظيم في العصر النبوي السعيد، وجَّهَ كلَّ الأفكار والأذهان نحو الدين، فارتبطت بالدين جميع الحسنيات والمشاعر، فكانت العداوة والمحبة تدوران حول ذلك المحور (الدين)، لهذا كانت تُشَمُّ رائحة النفاق من محبة غير المسلم .ولكن الانقلاب الحاضر العجيب في العالم هو انقلاب مدني وديني، فالمدنية والرقى الديني يجذبان العقول كلها ويشغلانها ويشدان بهما جميع الأذهان فضلاً عن أن معظم غير المسلمين ليسوا ملتزمين التزاماً جاداً بدينهم أساساً...فعلى هذا فإن محبتنا لهم ما هي إلا لاقتباس ما استحسناه من مدنيتهم وتقدمهم ولأجل المحافظة على نظام البلاد وأمنها الذي

يُعدّ أساس سعادة الدنيا، فهذه الصداقة إذن لا تدخل قطعاً ضمن النهي القرآني.

س: إن قسماً من أفراد "جون تورك" يقولون: لا تخاطبوا النصارى بـ: "يا كافر" استهانةً بهم، فهم أهل كتاب..! لماذا لا نخاطب الكافر بـ: "أيها الكافر"؟! .
ج: مثلما لا تقولون للأعور: أيها الأعور! لئلا يتأذى، فهناك نهْيٌ عن أذاهم كما جاء في الحديث الشريف: [من آذى ذمياً... الخ(871)].

وثانياً للكافر معنيين:

فالأول: وهو المتبادر إلى الذهن عُرفاً وهو: المُنكر للخالق سبحانه والملحد الذي لا دين له، فهذا المعنى ليس لنا الحق في إطلاقه على أهل الكتاب .

وثانيه: هو المنكر لرسولنا الأعظم μ وللإسلام، فهذا المعنى، لنا الحق أن نطلقه

عليهم، وهم راضون به كذلك. ولكن لما كان المعنى الأول هو الذي يتبادر إلى الذهن مباشرة، صارت تلك الكلمة، كلمة تحقير وإهانة وأذى، زد على ذلك أنه لا اضطرار لخلط "دائرة الاعتقاد بـ"دائرة المعاملات" وربما هذا هو ما يقصده ذلك القسم من "جون تورك".

س: نسمع كثيراً من الأخبار المؤسفة والحوادث السيئة، لاسيما من غير المسلمين .. كأن تزوج أحدهم بمسلمة .. وكذا وكذا في مكان، وكيت وكيت في مكان آخر، وحدث ما حدث في مكان... الخ...

ج: نعم، إن وقوع هذه الأمور السيئة الفاسدة وأمثالها أمر هو أقرب ما يكون

بالضرورة- مع الأسف -في دولة مستجدة وغير مستقرة، وفي أمة جاهلة متخلفة، علماً أنه كان هناك أسوأ من هذه السيئات في الماضي، ولكنها كانت خافية عتاً، إلا أنها ظهرت الآن للعيان. فالداء إذا ما ظهر يسهل علاجه. وكذا فالذي لا يرى من الأمور العظيمة إلا التقصيرات، يندعج ويندعج الآخرين بالخب الخبيث، إذ من شأنه إنبات سيئة واحدة

⁸⁷¹ (تمام الحديث "من آذى ذمياً فأنا خصمه"، انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد 8/367؛ الذهبي، ميزان الاعتدال 2/381؛ السخاوي، الأجوبة المرضية 1/17، 2/435؛ الشوكاني، الفوائد المجموعة 213.

وإثمارها كي تغطي على الحسنات، هذا وإن الطور العجيب لهذا الخب، هو أنه يجمع الأمور المتفرقة في الزمان والمكان ويوحدها معاً، وينظر من خلال ذلك الحجاب الأسود إلى الأشياء. حقاً إن الخب بأنواعه المختلفة هو ماكنة الغرائب ومصنعها. ألا ترى أن عاشقاً خباً كيف يرى الكائنات تتراقص متضاحكة متحاببة متجاذبة.. وأن الودة حزينة بوفاة طفلها كيف ترى الكائنات نادبة متباكية حزينة؟ فكلُّ يجني ما يشتهي وما يلائمه. سأورد لكم مثلاً بهذه المناسبة:

تأملوا! إذا دخل أحدكم في بستان رائع جميل يشتمل على أنواع الأزاهير والثمرات، لأجل أن ينتزه فيه ويستجِم ساعة من الزمان، وكان في بعض جوانب البستان بعض العفونات والنجاسات- حيث إن وجود النقص مع الكمال من مقتضيات هذا العالم وليس المبرأ من النقص إلا الجنة- فإنه لا يبحث ولا يتحرى إلا تلك العفونات ولا يديم النظر إلا إلى تلك النجاسات، لانحراف في مزاجه. وكأن ليس في ذلك البستان الباهر إلا تلك، ثم يتوسع ويتسبل ذلك الخيال الفاسد بحكم التوهم والتخيل حتى يحسب أن ذلك البستان الرائع مَسْلُحٌ قَدْرٌ أو مزبلة وسخة، ويأخذ الدوار والغثيان، ويبدأ بالتقيؤ وينكص على عقبيه.

فيا ترى هل ترضى الحكمة والمصلحة بوجههما الصبوح أمثال هذا الخيال المنغص للذة حياة البشر .

ألا ترون: أن مَنْ أَحْسَنَ رُؤْيَيْه حَسَنَتْ رُؤْيَيْه وتفكيره، فتحسُّنُ رؤياه، ويستمتع بحياته.

س: كيف يجوز تجنيد غير المسلم وانخراطه في سلك الجيش؟

ج: بأربعة أوجه: (872)

أولاً: ما الجندية إلا للحرب.. فلقد قاتلتم بالأمس دُبّاً ضخماً وعاونكم النساء والعجر والصبيان والكلاب ونصروكم، فهل في ذلك من بأس عليكم أو من عارٍ عليكم؟

ثانياً: كان للنبي p معاهدون وحلفاء من مشركي العرب وكانوا يخرجون معاً إلى

872 (المذكور هنا ثلاثة أوجه، أما الوجه الرابع فهو انحصار العسكرية فينا، فقد أدمج في السؤال الذي يلي الجواب. الوجه الرابع أصبح السؤال التالي.

الحرب، بينما هؤلاء أهل كتاب.. ولأنهم يكونون متفرقين في الجيش، لا مجتمعين، فإن كثرتنا الغالبة، وقوة مشاعرنا، ستحدان من الضرر الموهوم.

ثالثاً: قد استُخدم في جيش الدول الإسلامية غير المسلمين- ولو نادراً -والجيش الانكشاري (873) شاهد على هذا.

س: كان المسلمون هم الأغنياء وكان أولئك هم الفقراء، إلا أن الآية انعكست الآن، فما الحكمة؟

ج: هناك سببان لهذا حسب علمي:

الأول: الفتور في السعي وعدم الرغبة خلافاً لما هو مستفاد من الأمر الرباني: (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) النجم (39): وانطفاء جذوة شوق الكسب المستفاد من الأمر النبوي بأن " [الكاسب حبيب الله (874)] "وذلك نتيجة إichاعات بعض الرجال وتلقينات قسم من الوعاظ الجاهلين، أولئك الذين لم يدركوا إن إعلاء كلمة الله في الوقت الحاضر يتوقف على الرقي المادي... ولم يتفهموا قيمة الدنيا] من حيث هي مزرعة الآخرة.. [ولم يميزوا بين متطلبات القرون الوسطى والقرون الأخرى.. ولم يفرقوا بين قناعتين بعيدتين عن بعضهما" القناعة في التحصيل والكسب "وهي المذمومة و"القناعة في المحصول والأجرة"، وهي الممدوحة.. ولم يتبينوا البون الشاسع بين" التواكل "الذي هو عنوان الكسل و"التوكل "الذي هو صدقة الإخلاص الحقيقي.

فالأول: هو تكاسل في ترتيب المقدمات، وهو في حكم التمرد على النظام القائم بين

873 (وهو تنظيم عسكري وضعه الغازي أورخان ابن عثمان) مؤسس الدولة العثمانية، خدم الدولة العثمانية كثيراً في البداية، ثم دبّ فيه الفساد وأصبح مشكلة عويصة، إلى أن نجح السلطان محمود الثاني في إبعاده وتصفيته وإقامة النظام الجديد "بدلاً منه، وهو نظام سعى إلى التجديد في الجيش العثماني .

874 (ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه البخاري (2/730) ، رقم (1966) قال: "p ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده ." وانظر الطبراني، المعجم الأوسط (8/380) ؛ البيهقي، شعب الإيمان 2/88 ؛ القضاعي، الشهاب. 2/148

الأسباب التي هي مقتضى مشيئة الله تعالى .والآخر :هو توكل إيماني في ترئب النتائج، وهو من مقتضيات الإسلام، والذي يقود صاحبه إلى التوفيق حتى في النتائج شريطة عدم التدخل في التقديرات الإلهية.

فالتبَسَ عليهم كلا الأمرين...ولم يتفروا سرّاً "أمّتي ..أمّتي (875)" ولا يفهمون حكمة "خير الناس أنفعهم للناس (876)"فهؤلاء هم الذين حطموا ذلك الميل وأطفأوا ذلك الشوق... والسبب الثاني :هو سلوكنا في المعيشة مسلماً غير طبعي، مسلماً يوافق الكسل ويلائمه، ويداعب الغرور ويربت عليه، وهو المعيشة على الوظيفة الحكومية ..لذا لقينا جزاء ما كسبت أيدينا.
س :كيف؟.

ج :إن الطريق المشروع للمعيشة والسبيل الطبيعي والحيوي إليها هو " الصناعة، والزراعة، والتجارة ".أما الطريق غير الطبيعي فهو الوظيفة الحكومية والإمارة بأنواعها .وعندي أن الذين جعلوا مدار معيشتهم "الإمارة- "وإن تسمت بأي اسم كان -فهم في زمرة الشحاذين العاجزين المتسولين ومن زمرة المخادعين الحيايين ..وفي نظري أن الذي يخرط في سلك الوظيفة أو الإمارة، فليدخل إليها لأجل الحمية والخدمة للأمة، وإلا فلو دخلها للمعيشة والمنفعة فحسب، فلا يقوم إلا بضرب من التسوّل، (877) إذ ثبت أن حصر كل الوظائف فينا، أضع علينا ثرواتنا بتسليمها ليد الإسراف، وأن حصر العسكرية فينا شنت ذرارينا في الأفاق فلو كان الأمر يستمر على هذا المنوال لكنا ضائعين منقرضين . فعلى هذا، فإن هذه المسألة، أي أخذهم إلى الجندية فيه" مصلحة مرسله "قريبة من الضرورة، فضلاً عن أننا مضطرون إليه اضطراراً، والمصالح المرسله في مذهب الإمام مالك، تعدّ علة شرعية.

875 (انظر: البخاري، التوحيد32 ؛ مسلم، الإيمان.326

876 (العجلوني، كشف الخفاء1/472 ، وانظر: الطبراني، المعجم الأوسط6/58 ؛ البيهقي،

شعب الإيمان.6/117

877 (لا تستأوا ولا تسخطوا أيها الموظفون من كلام سعيد القديم هذا الذي قاله قبل خمس

وأربعين سنة). المؤلف).

س: كيف يمكن أن يصير الأرمني والياً أو قائمقاماً، كما يحدث الآن؟

ج: كما صار ساعاتياً وميكانيكياً وكناساً... لأن المشروطية هي حاكمية الأمة، والحكومة ليست إلا خادمة.

ولئن صدقت المشروطية فالقائمقام والوالي ليسوا رؤساء بل خداماً مأجورين، فغير المسلم لا يكون رئيساً مطلقاً، بل يكون خادماً. فلو فرضنا أن الوظيفة والأمرة ضرب من الرئاسة والسيادة، فإن إشراكنا ثلاثة آلاف غير مسلم في سيادة رئاستنا يفتح طريقاً إلى الرئاسة أمام ثلاثمائة ألف من إخواننا المسلمين في أقطار العالم، فالذي يخسر واحداً ويربح الألف لا يتضرر..

س: ألا ترى أن بعض أحكام الشريعة لها علاقة بولاية الوالي مثلاً.

ج: إن الذي يمثل الخلافة بعد الآن هو بالضرورة المشيخة الإسلامية ورئاسة الأمور الدينية وستكون ممتازة، ومقدسة سامية، منفصلة رقيقة ناظرة على الكل... فالمستولي الآن ليس شخصاً فرداً، بل الأفكار العامة، لذا هناك حاجة إلى شخصية معنوية مثلها، تكون أمينة على الفتوى.

س: كنا نسمع سابقاً وإلى الآن أن أكثر أفراد "جون تورك" هم من الماسونيين، الذين يعادون الدين.

ج: لقد ألقى الاستبداد هذه التلقينات إبقاءً لنفسه، ومما يسند هذا الوهم ويقويه عدم مبالاة بعضهم بالدين..

ولكن اطمئنوا، إن قصد من لم ينضم منهم إلى الماسونية، ليس إضرار الدين، بل نفع الأمة وتأمين سلامتها، ولكن البعض منهم يفرطون في الهجوم على التعصب المقيت الذي لا يليق بالدين. ويبدو أنكم تطلقون على الذين سبق منهم خدمات للحرية والمشروطية أو الذين ارتضوا بهما اسم "جون تورك". فاعلموا أن قسماً من أولئك هم مجاهدو الإسلام، وقسماً منهم فدائيو سلامة الأمة، فالذين يشكلون القسم الأعظم منهم والعقدة الحياتية لهم هم من غير الماسونيين ويمثلون أكثرية الاتحاد والترقي. فهناك علماء ومشايخ في صفوف

"جون تورك" بقدر عشائركم .. رغم وجود زمرة من الماسونيين المفسدين السفهاء فيهم، وهم قلة قليلة لا يتجاوزون عشرة بالمئة منهم، بينما التسعون بالمئة الباقية منهم مسلمون ذوو عقيدة أمثالكم، ومعلوم أن الحكم للأكثرية ... فأحسنا الظن بهم؛ إذ إن سوء الظن يضركم ويضرهم معاً حسب قاعدة [إن زين عين الرضا، حسن النظر باللفظ والشفقة، وإن نور الفؤاد بالرفق والرحمة، ولقد سما على الحق بأقدام التوفيق وسعد من اختار الاستضاءة بمصباح] أنا عند ظن عبدي بي (879). [878]"

س: لِمَ يضرهم سوء ظننا؟.

ج: لأن كثيراً منهم- مثلكم -لم يمحّصوا الإسلام وما عرفوا إلا ظواهره بالتقليد، والتقليد يتشتت ويتمزق بإلقاء الشبهات والشكوك فانظروا مثلاً: إذا خاطبتم بعضهم: بأنكم لا دين لكم- وبخاصة من كان منهم سطحياً في الدين ومتوغلاً في الفلسفة المادية -فلربما يتردد ويشك في أمره بوساوس من أن مسلكه خارج عن الإسلام فيشرع بالقيام بأعمال وحركات منافية للإسلام، ناشئة من اليأس والعناد ولسانه يردد: ليكن ما يكون فلا أبالي..

فيا أيها البعيدون عن الإنصاف ..! أ رأيتم كيف تصبحون سبباً لضلالة بعض المنكوبين؟! علماً أن كثيراً ما يصلح الفاسد إذا كرّر عليه القول: "أنت صالح، أنت فاضل"، ويفسد الصالح إذا ما كرر عليه: "أنت فاسد، أنت طالح". وهذا أمر مجرّب وقد حدّث كثيراً .

س: لماذا؟.

ج: لأنه لو كان في ضمير البعض سوء، فلا ينبغي أن يُهاجم، لأن هناك كثيراً من السيئات كلما بقيت مستورة تحت ستار الحسنه ولم يمزق عنها حجابها وتغفل عنها، انحصرت في نطاق ضيق وربما يسعى صاحبها لإصلاحها تحت حجاب الحياء. ولكن ما إن يُمزق الحجاب ويُرفع حتى يُرمى بالحياء فيزال، وإذا ما أظهر معه الهجوم، فالسيئة

⁸⁷⁸ (البخاري، التوحيد15، 35؛ مسلم، الذكر2، 19، التوبة1؛ الترمذي، الزهد51، الدعوات

131؛ ابن ماجه، الأدب.58

⁸⁷⁹ (كرر النظر في هذه الفقرة العربية الأخيرة، ففيها شفرات ولها إشارات). المؤلف.

تتوسع توسعاً هائلاً... ولقد رأيت في حادثة (31) مارت (880) حالةً قريبة من هذا: عندما نادى من كانوا يجودون بأرواحهم للإسلام من أصحاب الهمم بالدعوة إلى المشروطية، والذين كانوا يعتقدون أن نعمة المشروطية غاية المنى وجوهر الحياة، وجدّوا في تطبيق تفرعاتها وفق الشريعة، مرشدين المسؤولين في الدولة وموجهين لهم للتوجه إلى القبلية في صلاة العدالة، طالبين إعلاء الشريعة المقدسة حقاً بقوة المشروطية، وإبقاء المشروطية بقوة الشريعة، محمّلين مخالفة الشريعة السينات السابقة جميعها، فما إن نادى هؤلاء بهذا النداء وقاموا بتطبيق بعض الأمور الفرعية إذا ببعض من لا يميّز يمينه عن شماله يبرز أمامهم ويجابهونهم ظناً منهم أن الشريعة تشد أزر الاستبداد- حاشاها -فقلّدا كاللبغاء منادين: "بأننا نطالب بالشريعة"، فاختفى الهدف ولم يعد يُفهم القصد الحقيقي، وانجر الوضع إلى ما رأيتم. ومعلوم أن الخطط قد مُهّدت وحيكت من قبل. فلما آل الأمر إلى هذا هجم بعض من يتقنع- كذباً- بالحماية على ذلك الاسم السامي، واعترضوا- متعدين- عليه. فدوكم نقطة سوداء مظلمة جديرة بالاعتبار]. ولقد قعدت الهمة بتلك النقطة ولم تقدر على النهوض. ولقد شوشت طنطنة الأغراض صدى موسيقى الحرية، ولقد تقلصت المشروطية منحصرة- اسماً- على قليلين، فتفرق عنها حماة نمارها(881)].

880 (حادثة 31 مارت) 1325 حسب التقويم الرومي، وهي حادثة تمرد وعصيان عسكري بدأ في معسكر " طاش قشلة " في إسطنبول، ثم انتشر إلى معسكرات أخرى فيها، ثم نزل الجنود المتمردون إلى الشوارع، وقتلوا بعض الوزراء والنواب والضباط . وقعت هذه الحادثة في 13 نيسان 1909 أي بعد إعلان المشروطية الثانية ووصول جمعية الاتحاد والترقي إلى موقع مؤثر في الحكم، ولكنها لم تكن قد شددت قبضتها بعد، أتهم السلطان عبد الحميد ظملاً بإثارة التمرد، واستدعت الجمعية مدداً عسكرياً من مقرها الرئيس في " سلانيك ". ومع أن السلطان كان بمقدوره تشتيت هذا المدد العسكري إلا أنه لم يفعل حقناً للدماء. وبعد وصول الجيش إلى إسطنبول أعلنت الأحكام العرفية وقُضي على التمرد، وشكلت محكمة عسكرية أعدمّت الكثيرين، وانتهزت الجمعية هذه الحادثة وقامت بعزل السلطان .

881 (قف أمام هذه الفقرة .. لا تغادرها .. أنعم النظر فيها .. ولقد سكت- في تلك الحادثة- الشهام الغيارى والنجباء والكرماء من أولي العزائم والهمم العالية، وكَمّمت الصحافة المغرضة صوت الحرية الحقّة، فانحصرت المشروطية في قلة قليلة جداً من الناس وتشتت عنها فدائيوها). المؤلف.

س :لِمَ نتضرر ممن نظن أن لا دين لهم؟.

ج :سأمثل لكم صورة تمثيلية على شاشة الخيال تبين لكم مضاره؛ تصوّروا في هذه الصحراء قصراً وسط بستان زاهر، وفي زاوية من القصر هناك حمام للمياه المعدنية- كمستحکم في وادي" بيت الشباب -(882)"فأنتم مضطرون إلى الدخول في ذلك القصر شتم أم أبيتم بسبب ارتعاشكم من شدة البرد ولگمات الثلج ولطمات الريح. ولكن لأنکم قد سمعتم- أو رأيتم -أن في باب القصر أشخاصاً عمياناً وفي الحوض رجالاً عراةً يستحمون فتتوهمون- من هذا -أن القصر كلّه دار عميان ومنزل عرايا... فلما أردتم الدخول والوهم أخذ بأيديکم تنزعون عنکم لباس الطاعة لتوافقوهم، وتغضون عين الحقيقة- التي هي العقيدة -لئلا تنظروا إلى عوراتهم، علماً أن عيونهم مفتحة وعوراتهم مستورة، يتشاورون فيما بينهم بتفكر وتأمل في غرفٍ محتشمة ويداؤون في بعض الزوايا العميان ويخدمون العرايا لسترهم.

فبالله عليك إذا دخلت عليهم بهذه الصورة الجنونية، وعورتك مكشوفة وعينك معصوبة، فهل تتصور أعظم من هذه الحالة المزرية الداعية إلى الاستهزاء والسخرية. وفي نظري أن من جاء- في الحقيقة -من نسل مسلم، لا تترك فطرته ووجدانه الإسلام البتة، حتى إن تجرد عقله وفكره عن الإسلام بل حتى أولئك الذين هم أشدّ سفاهة وبلاهة يوالون الإسلام الذي هو سور حصين لمستندنا. وسيما المطلعين على السياسة. ولم يشهد التاريخ منذ العصر النبوي السعيد إلى الآن أن رجح مسلم ديناً آخر على الإسلام بمحاكمته العقلية، أو دخل ديناً آخر بدليل عقلي. نعم، هناك من يمرق من الدين، فتلك مسألة أخرى .. أما التقليد فلا أهمية له... بينما منتسبو سائر الأديان قد دخلوا ويدخلون حظيرة الإسلام أفواجاً أفواجاً بالمحاكمة العقلية والبراهين القاطعة، فإذا ما أريناهم الإسلام الصادق المستقيم، والصدق والاستقامة اللائقين بالإسلام، فسوف يدخلون في الإسلام أفواجاً . وكذلك يشهد التاريخ وينبنا أن رقي المسلمين وتمدّنهم يكمن في اتباعهم حقيقة الإسلام ويتناسب معه، في حين أن رقي الآخرين وتمدّنهم يتناسب تناسباً عكسياً مع تمسكهم

882 (منطقة في جنوب شرقي تركيا تعد مركز عشائر الأرتوشي الكردية .

بدينهم .. وكذا تشهد لنا الحقيقة أن الإنسان المنتبه لا يمكن أن يكون هماً بدون دين البتة، ولا سيما المتيقظ الذي ذاق طعم الإنسانية وعرف ماهية ذاته وأنه مهياً ومرسل إلى الخلود، لا يمكن له أن يعيش دون دين مطلقاً، لأن المنتبه إن لم يتمسك بالدين الحق الذي هو جوهر الحقيقة، لا يمكنه أن يظل دون "نقطة استناد" أمام هجوم الكائنات عليه ودون "نقطة استمداد" لاستثمار أماله غير المحدودة .. ومن هذا السر فقد انتبه الآن في الجميع ميلُ البحث والتحري عن الدين الحق. فثبت أن هذا براعة الاستهلال بأن الإسلام هو الدين الفطري للبشرية في المستقبل.

أيا من لا ينصفون! كيف ضاقت في نظركم حقيقة الإسلام التي لها القدرة على أن تعم العالم أجمع وتوحده وترتبه وتضيقه نوراً، فزحمت تحصرن الإسلام في الفقراء وفي المتعصبين من العلماء، وتريدون أن تطردوا نصف أهله منه، كيف تجرأتم على ذلك الإسلام العظيم الذي هو القصر النوراني الجامع لكاملات الإنسانية كلها وهو المربي المزكي لأحاسيس البشرية النبيلة ومشاعرها الراقية كلها، فتخيلتموه خيمة المآثم السوداء مضروبة على حشد من الفقراء والبدو الجائعين.

نعم، إن المرء بحسب ما تربيته مرأته؛ فمرأتكم السوداء الكاذبة إذن قد ممّلت لكم الأمر هكذا.

س: أنت تغالي وتُفرط، إذ تُظهر الخيالَ عينَ الحقيقة وتُهبنا بظنك أننا جهلاء، فنحن

في عصر آخر الزمان (883) والفسادُ يستشري وسينقلب من سيء إلى أسوأ.

ج: لماذا تكون الدنيا ميدان تقدمٍ وترقيٍ للجميع، وتكون لنا وحدنا ميدانَ تأخرٍ وتدنيٍ ..

فهل الأمر هكذا؟! فيها أنذا أليثُ على نفسي ألا أخطبكم، فأدير إليكم ظهري وأتوجه بالخطاب إلى القادمين في المستقبل: أيا من اختفى خلف عصر شامق لما بعد ثلاثمائة

⁸⁸³(ربما جاء هذا الاعتراض من وليّ عظيم كان حاضراً في ذلك الوقت فاعترض على ما أحسن به سعيد القديم- قبل خمس وأربعين سنة- بحسن مسبق "من أن ميدان رسائل النور الضيق هو واسع جداً وهو سياسي أيضاً. لذا صدرت أغلب أجوبته في هذه الرسالة في ضوء ذلك الإحساس. فلربما أبدى ذلك الولي العظيم اعتراضه على هذه النقطة فقط (المؤلف).)

سنة، يستمع إلى كلمات النور بصمت وسكون، ويلمحنا بنظر خفي غيبي ..أيا من تتسمون بـ"سعيد وحمزة، وعمر وعثمان وظاهر، ويوسف وأحمد وأمثالهم!"إنني أتوجه بالخطاب إليكم :ارفعوا هاماتكم وقولوا" لقد صدقت "وليكن هذا التصديق دليلاً في أعناقكم .إن معاصري هؤلاء وإن كانوا لا يُعيرون سمعاً لأقوالي، لندعهم وشأنهم، إنني أتكلم معكم عبر أمواج الأثير الممتدة من الوديان السحيقة للماضي- المسمى بالتاريخ -إلى ذرى مستقبلكم الرفيع ..ما حيلتي، لقد استعجلتُ وشاءت الأقدارُ أن آتي إلى خضم الحياة في شتائها ..أما أنتم فطوبى لكم؛ ستأتون إليها في ربيع زاهر كالجنة، إن ما يُزرع الآن ويُستتبت من بذور النور ستفتح أزاهير يانعة في أرضكم ..نحن ننتظر منكم لقاء خدماتنا، أنكم إذا جنتم لتعبروا إلى سفوح الماضي، عوجوا إلى قبورنا، واغرسوا بعض هدايا ذلك الربيع على قمة" القلعة"(884)"التي هي بمثابة شاهد قبر مدرستي، والمستضيئة لرفاتنا وعظامنا والحارسة لتراب" خورخور (885)"سنوصي الحارس ونذكره ..نادونا ... ستمسعون صدَى " هنيئاً لكم "ينطلق من قبورنا] ولو من الشاهد على طيف الضيف.[

إن عيون هؤلاء الذين يرتضعون معنا ثدي هذا الزمان في قفاهم تنظر إلى الماضي دوماً، وتصوراتهم شبيهة بهم معزولة وبلا حقيقة، هؤلاء الصبيان وإن كانوا ينظرون إلى حقائق هذا الكتاب (886)ويتوهمونها خيالاً ..فلا أبالي، لأنني على ثقة من أن مسائل هذا الكتاب ستتحقق فيكم واضحة.

أيا من أخطبكم، ألا معذرة، إنني أصرخ عالياً، وأنا معتلٍ منارة العصر الثالث عشر الهجري، أدعو أولئك المدنيين المتحضرين صورةً وشكلاً والمتهاونين في الدين حقيقة، والذين يجولون في أودية الماضي السحيق فكراً ..أدعوهم إلى الجامع ..فيا أيتها القبور المتحركة برجلين اثنتين، أيتها الجنائز الشاخصة !ويا أيها التعساء التاركون لروح الحياتين كلتيهما ..وهو الإسلام، انصرفوا من أمام باب الجيل المقبل، لا تقفوا أمامه حجر

884 (المقصود قلعة مدينة" وان "التي هي بمثابة شاهد قبر للمدرسة الدارسة) خورخور)
والتي تمثل نموذجاً لمدرسة الزهراء في" وان) . "المؤلف).

885 (اسم نبع صغير أسفل قلعة" وان "وعنده مدرسة المؤلف.

886 (إنه ينبنى بحس مسبق عن كليات رسائل النور التي ستؤلف في المستقبل) المؤلف).

عثره، فالقبور تنتظركم .. تتحَوَّا عن الطريق ليأتي الحيل الجديد الذي سيرفع أعلام الحقائق الإسلامية عالياً ويهزها خفاقة تتماوج على وجوه الكون .

س : إن أسلافنا كانوا أفضل منا أو مثلنا، فهل يكون أحفادنا أفسد منا؟

ج :أيها الأتراك والأكراد !لو أنني أقيمت اجتماعاً عظيماً، ودعوت أجدادكم من قبل ألف سنة وكذا أولادكم من بعد عشرين ..دعوتهم جميعاً إلى المجلس الصاحب لهذا العصر، ألا يقول أجدادكم الذين اصطفوا يميناً:

أيها الأولاد التافهون والخلف المتبذرون، أنتم زبدة حياتنا ونتيجتها؟ هيهات ..لقد جعلتمونا أسوةً عقيمة وتركتمونا عاقرين !!..وكذا، أفلا يقول أولادكم الذين اصطفوا يساراً والمقبلون من مدينة المستقبل، مصدقين أجدادكم المصطفين يميناً:

أيها الآباء الكسالى ..!أنتم تمثلون حياتنا كلها دقها وجلها، أم أنتم رمزها والحد الأوسط لرابطتنا مع أولئك الأجداد الأشاوس؟ هيهات لكم أصبحتم أنتم أنموذجاً تافهاً وعينة لا حقيقة لها وقياساً ذا التباس واختلاط(887).

فيا أيها البدو الرحل ويا أدياء الانقلاب(888).

لقد رأيتم على لوحة الخيال (889)أن الطرفين معاً قد أقاما الحجة عليكم في هذا الاجتماع.

س :نحن لا نستحق هذا القدر من الإهانة والتحقير .نقطع على أنفسنا عهداً على أننا لا نتقاعس عن التمسك بالأخلاف ولا نتشبهت بأذيال الأسلاف] ففتحنا السمع لكلامك فمرحباً به.]

ج :يمكنكم الآن أن تعودوا إلى وظيفتكم في طرح الأسئلة لأنكم أظهرتم الندامة.

887 (من عبارات علم المنطق .وقد قالها لحضور مجلس طلابه الذين تلقوا في وقتها درساً في المنطق) المؤلف.

888 (أضيف مؤخراً) المؤلف.

889 (فالخيال بدوره مثل المشاهد السينمائية) المؤلف.

س: هل بحث علماء السلف عن مساوئ الاستبداد؟⁽⁸⁹⁰⁾

ج: نعم، وألف مرة نعم. إن أغلب الشعراء في قصائدهم وكثيراً من المؤلفين في ديابات كتبهم، شكوا من الزمان واعترضوا على الدهر وهجموا على الفلّك⁽⁸⁹¹⁾ وداسوا الدنيا بالأقدام وسحقوها...

فإذا استمتعتم إليهم بأذن القلب ونظرتم إليهم بعين العقل رأيتم أن سهام الاعتراضات جميعها لا تستهدف ولا تصيب إلا صدر الاستبداد الذي تلفت وتزملّ بستر الماضي المظلم، وسمعت الصراخات والأهات جميعها أنها تصدر من تحت مخالب الاستبداد، ومع أن الاستبداد لم يكن يُرى، ولم يكن يُعلم اسمه ومعناه، إلا أن أرواح الجميع كانت تتسم بمعناه، وتتألم به، وتعلم أن هناك أحداً ينفث السم، حتى إن بعض الدهاة كلما كان يتنفس كان يصرخ صراخاً من الأعماق، إلا أن العقل ما كان ليذكر ماهيته جيداً، إذ كان مُنبثاً في الظلمات غير متجمع على حال. لذا عندما ظنوا البلايا- المحالة إزالتها- مصائب سماوية، بدأوا بشن الهجوم على الزمان وصنع الدهر وصوّبوا سهاماً نحو صدر الفلّك، إذ من القواعد المقررة أنه: إذا خرج أمرٌ من دائرة الجزء الاختياري، ومن الجزئية ودخل الدائرة الكلية العمومية، أو كان دفعه محالاً بحسب العادة، يُسند إلى الزمان، ويُلقى اللوم على الدهر، وترمى قبة الفلك بالحجارة، وإذا أنعمت النظر جيداً رأيت أن الأحجار الأبية تنقلب بأساً وتتحجر في القلب] انظر كيف أطالوا فيما لا يلزم وكلما أضاءت لهم السعادة أثنوا على من سادهم، وكلما أظلم عليهم شتموا الزمان.⁽⁸⁹²⁾

س: أما تكون الشكوى من الزمان والاعتراض على الدهر اعتراضاً على بدائع صنعة

الصانع جلّ جلاله؟

⁸⁹⁰ (إن ذلك الدرس الذي ألقى قبل أربعين سنة لهو درس ضروري في الوقت الحاضر كذلك، إذ إن هذه المحاوراة الدائرة بين السؤال والجواب قادرة على مواكبة الحياة وتعيش حية في كل وقت وهي نابضة بالحياة الآن) المؤلف.

⁸⁹¹ (الفلّك: يعني الدهر، أيام الحياة، الحياة المقدّرة على الإنسان.

⁸⁹² (تمهل، لا تغادر هذه الفقرة، أدركها جيداً. وهي تعني: أنهم يمنحون الحسنات إلى الرؤساء ويلصقون السيئات بالزمان، فيُبدون شكواهم بالشم) المؤلف.)

ج: كلا، ثم كلا، بل ربما تعني الشكوى ما يأتي :

كأن الشاكي يقول: إن ماهية العالم المنظمة بدستور الحكمة الأزلية غير مستعدة لإنجاز الأمر الذي أطلبه، والشيء الذي أبغيه، والحالة التي أشتهيها، ولا يسمح به قانون الفلك المنقش بيد العناية الأزلية، ولا توافقه طبيعة الزمان المطبوعة بمطبعة المشيئة الأزلية، ولا تأذن له الحكمة الإلهية المؤسسة للمصالح العامة.. لذا لا يقطف عالم الممكنات من يد القدرة الإلهية تلك الثمرات التي نطلبها بهندسة عقولنا ونشتهيها هوانا ومبولنا. وحتى لو أعطتها لَمَا تمكن من قبضها والاحتفاظ بها، ولو سقطت لَمَا تمكن من حملها. نعم، لا يمكن أن تسكن دائرة عظيمة عن حركاتها المهمة لأجل هوى شخص...

س: ما تقول في كثير من الشعراء والعلماء الذين أفرطوا- في زمانهم- في الثناء على الأمراء والحكام؟ مع أنك تنتظر إلى كثير منهم نظرك إلى مستبدين؟ فإن قد أساءوا العمل.

ج: [ولولا خلال سنة الشعر ما درى بُناة المعالي كيف تُبنى المكارم⁽⁸⁹³⁾]

كانت نواياهم حسب هذه القاعدة هي حض الأمراء- بحيلة لطيفة- على الترفع عن السيئات، وجعلهم يتسابقون في مضمار الحسنات بإدخال المكافأة الشعرية موضع التسابق في الأوساط، ولكن لما كانت تلك المكافأة الشعرية قد سُلِبَتْ من عرق جبين أمة عظيمة فقد تصرفوا تصرفاً مستتبداً، أي إنهم قد أساءوا في العمل وإن أحسنوا في النية.
س: لِمَ؟

ج: أفلا ترون أن محصل كلامهم في قصائدهم وبعض مؤلفاتهم إنما هو غصبٌ ضمني لمحاسن قوم عظيم وإغارةٌ عليها، ثم إهداء تلك المحاسن إلى شخص مستبَد . فبإظهارهم أن تلك المحاسن صادرة منه، أثنوا على الاستبداد- من هذه الزاوية- دون أن يشعروا.

س: نحن معاشر الأتراك والأكراد لنا من الشجاعة ما يملأ قلوبنا، بل ملء أجسادنا ..

⁸⁹³ (وفي ديوان أبي تمام: 3/178 ولولا خلال سنّها الشعر ما درى بُغاة الندى من أين تُؤتى المكارم)

بل انبسطت حتى تجلّت بين هذه الوديان جبلاً محصنة لنا .ولنا من الذكاء ما يملأ رؤوسنا، ولنا من الغيرة ما يملأ صدورنا، ولنا من الطاعة ما يملأ أبداننا وجوارحنا ... فأفردنا يملأون الأودية حياةً وتترزين بهم الجبال (894)فما بالنا بقينا هكذا سافلين مفلسين أذلاء، حتى صرنا لقيّ على الطريق يدوسنا الممتطون للركبي والسارعون المجدون للمستقبل، مع أن الأمم المجاورة، وإن كانوا أقلّ منا عدداً وأقصر منا قوة، إلاّ أنهم يتناولون علينا] إن ركسهم يغلب طاهرنا(895).

ج :أما حينما انفتح بالمشروطة باب للتوبة وتاب الكثيرون، فليس لي حق في توبيخ الرؤساء وتعنيفهم، إلاّ أنني ألقم السابقين وأعنيهم، فإن انجرح شعور البعض واحترامه فليعزرنى، إذ احترام الحق وعدم جرحه أولى، فاحترام شعور الملة أعلى وأعلى شأناً منهم .اعلموا أن سبباً مهماً لذلك التدني هو بعض الرؤساء والخدّاعون المتظاهرون بالحمية ممن يدعون الفداء والتضحية للأمة، أو قسم من المنشixين المدّعين غير المؤهلين للولاية.

فهذه السنّة السيئة المخالفة للسنة النبوية السنّية هي الأخرى من سيئات الاستبداد .

س :كيف ؟

ج :إن لكل أمة من الأمم حوضاً معنوياً يشكل جسارة الأمة، ويصون عرضها، وتجتمع فيه قوتها .ولها كذلك خزينة معنوية تشكل سخاء الأمة، وتضمّن منافعها العامة . وتخزن فيها ما فضل من الأموال .فالقسمان المذكوران من الرؤساء- بعلم أو بدون علم - قد فتحوا ثغرات وثقوباً في جوانب ذلك الحوض وتلك الخزينة، وسحبوا موارد البقاء وأسألوا مادة الحياة، فجففوا الحوض وأفرغوا الخزينة، فإذا استمر الأمر على هذا المنوال فستتهار الدولة تحت غلبة الديون البالغة المليارات .فكما أن الرجل إذا فقد كلاً من قواه الغضبية) الدافعة (وقواه الشهوية) الجاذبة (يصبح ميتاً وإن كان حياً يرزق ..وكما أن

894 (إذن لم تفتقر قوتهم المعنوية) المؤلف.

895 (إذا أردت فأنعم النظر، فإن العبارة تشير إلى " واركس" " عضو المبعوثان "من الأرمن والسيد" ملا طاهر "النائب عن" حكاري "في ذلك الوقت) المؤلف.

القطار إذا ثقب خزانه البخاري بثقوب يتعطل عن الحركة ..وكما أن المسبحة إذا انقطع خيطها تنتعثر حباتها ..كذلك الأمر في الأمة- التي هي شخصية معنوية -فإن الرؤساء الذين يجفون حوض قوتها ويفرغون خزينة ثروتها ويقطعون حبل فكرها الملى، يفتنونها قِطْعاً وأوصالاً، ويجعلونها سائبة ذليلة دون كيان، عديم الوجود ...نعم،] حقيقت كنم نمى كنم براى دل عامى جند]، فلا أرح شعور الحقيقة لأجل فئة من العوام.

س: إن هذا المقام أجدر بالتفصيل، فلا تدعه مجملاً ومبهماً؟

ج: إن العهد السابق قد انتهز بداوتكم وجهلكم، وحاك خطأ، فاستغلها قسم من الكبراء بأسلوب خبيث مستخدمين القوة والإرغام، فثقبوا ذلك الكنز وذلك النبع، وأسالوا زلال الحياة في صحراء قاحلة وأرض سبخة، فما نبت ولا اخضر إلا كسالى وانتهازيون، حتى كانوا يستغلون الضعف البشري والعواطف الحساسة لدى أولئك المساكين الذين متدوا أيديهم إلى صيد صغير، بتفجيرهم من ثروة الدنيا لترتخي أظفارهم عن الصيد... فيفلت منهم، ليخطفوه هم بمخالبهم لأنفسهم.

نعم، إن لكل أمة سقاء وكرماً وهو بذل مقدار من ثروتها لمصلحة الأمة ومنفعتها، بيد أنه استغل سقاء الأمة فينا استغلالاً سيئاً بخلاف سقاء الأمم الأخرى الذي يتخزن في جوفها حوضاً واسعاً ليسقي بستان العلوم والمعارف... وكذا من طبيعة كل أمة جسارة، لأجل المحافظة على شرف الأمة وصيانة عرضها. وقد أساء بعض الكبراء في العهد السابق استعمال هذه الجسارة فألقوها في صحراء الاختلاف وأضاعوها، وأخذ كل يضرب عنق الآخر بغمم من تلك القوة وغلaf منها، حتى كسروه... وهكذا انكسرت...حتى إنهم صرفوا- فيما بينهم -تلك القوة العظيمة المركبة من خمسمائة ألف من الأبطال المستعدين للحفاظ على شرف الأمة، فأبادوها في أرض الاختلافات جاعلين أنفسهم مستحقين للتأديب والتأنيب. فإن استفدتم من "المشروطية" و"الحرية الشرعية" وسددتم تلك الثغرات أو جعلتموها مسايل إليه كالحوض، وأعطيتم تلك القوة الرائعة بيد الدولة لصرفها في الخارج فستحصلون ثمنها رحمةً، وعدالة ومدنية .

فان شئتم نتبادل فيما بيننا أسلوب الحوار، فأنا أسألكم وأجيبوا أنتم.

ج : فاسأل ولا تجد به خبيراً.]

س : هل يمكن أن تكون أمة الأرمن أشجع منكم؟(896).

ج : كلا، ثم كلا، لم تكن ولن تكون ..

س : فلماذا إذن لا يبوح فدائئهم بأسراره ولا يفشي عن أخيه شيئاً ولو قطع إرباً إرباً وأحرق حرقاً، بينما إن طعن شجاع منكم يفرش أسراره جميعاً مع دمه المهرق... فما سبب هذا التفاوت العظيم في الشجاعة؟...

ج : نحن لا نعرف كنه ماهيته، ولكننا نعلم أن ثمة شيئاً يصير الذرة جبلاً ويُخضع الأسد للتعلم، فذلك وظيفتك- في الإجابة- نحن لا نطبق حملها، فقد عرفنا وجود ذلك الشيء فعليك بشرح ماهيتنا.

ج : فاستمعوا إذن، وافتحوا أذانكم جميعاً، فإن همة أرمني متيقظ بالفكر الملى، هي مجموع أمته، وكان أمته قد صغرت وأصبحت نفسه أو استقرت في قلبه، فمهما كانت روحه عزيزة وغالية عنده إلا أن أمته أعظم عنده وأعز. وحتى لو كان له ألف روح لضحى به مفتخراً لما يحمل من فكر سام- بالنسبة إليه -علماً أن أقصى ما كان يتصوره أشجعكم في السابق- ولا أقصد الحاليين-الذي لم يك متيقظاً ولا داخلاً في النور، ولا عالماً بشرف الملة الإسلامية، هو مجرد شرف نفسه أو نفعها، أو شرف عشيرته أو رئيسها، فإذن ينظر بنظر قصير ويفكر بتفكير قاصر. فلا جرم قليل من يُفدي روحه العزيزة لمثل هذه المقاصد الصغيرة..

فلو تصورتم وفكرتم بالملية الإسلامية (897)مثل ما ينظرون بمليتهم إلى الأمور .
لأعلنتم على رؤوس الأشهاد في العالم شجاعتكم وبسالتمك ولسموتم إلى العلا، ولو تصور الأرمن وفكروا مثلكم تفكيراً سطحياً وقاصراً لكانوا لقي أذلاء.

⁸⁹⁶ (إن الأتراك والأكراد لكونهم علماء عظاماً في فن الشجاعة، أصبحوا هم المجيبين وأنا (السائل) المؤلف.)

⁸⁹⁷ (إن مليتنا وجود مستقل بذاته، روحها الإسلام و عقلها القرآن والإيمان) المؤلف.)

حقاً، إن لكم استعداداً لشجاعة لا تُجَارَى ولبسالة لا تُمَارَى، بلليل أن أحدكم يستخف حياته ويفدي روحه رخيصة لصغائر الأمور كمنفعة بسيطة أو عزة جزئية أو شرف رمزي اعتباري أو ليقال: إنه جسور أو لاستعظام شرف رئيسه. فكيف إذا تنبّه هؤلاء.. ألا يستخفون بحياتهم فداءً للملّة الإسلامية- التي لا تقدّر بثمن -ولو كانوا مالكين لألف روح، إذ تُكسبهم أخوة ثلاثمائة مليون مسلم ومساندتهم وعونهم المعنوي، فلا غرو أن الذي يضحي بحياته لعشرة قروش، يضحي بها بشوق مضاعف لعشر ليرات.

فوا أسفى! إنه مثلما انتقلت محاسننا إلى غير المسلمين، فسجاينا الحميدة هم الذين سرقوها كذلك، وكان قسماً من أخلاقنا الاجتماعية السامية لم يجد رواجاً عندنا، فنقّر منا والتجأ إليهم، وإن قسماً من رذائلهم لم يلق رواجاً عندهم فجلب إلى سوق جهالتنا. الأترون- بخيرة شديدة- أن غير المسلمين قد سرقوا الكلمة البيضاء والخصلة الحمراء كأمثال: "إن مُتّ أنا فلتسلم دولتي ولتحَيّ أمتي وأحبّتي" التي هي أس أساس الكمال والرقي والتقدم الحاضر، بل هي مقتضى الدين المبين، ذلك لأن فدائيتهم يقول: "إن متّ فلتحَيّ أمتي، إنّ لي فيها حياة معنوية"... علماً أن الكلمة الحمقاء والسجية العوراء التي هي أساس الذلّ والأنانية هي التي تقودنا وقد شلّت همتنا وهي التي تتمثل بالعبارة الآتية [إذا متّ ظمآن فلا نزل القطر...].

وهكذا فإن أفضل خصالنا ومقتضى ديننا هو أن نقول، بروحنا وجسدنا ووجداننا وفكرنا وبكل قوانا: "إن متنا، فأمتنا الإسلامية حية، وهي باقية خالدة فلتحَيّ أمتي ولتسلم، وحسبي الثواب الأخروي، فإن حياتي المعنوية التي في حياة الأمة تحييني وتعيّشني، وتجعلني في نشوة ولذة في العالم العلوي، فينبغي أن نجعل الدساتير النورانية للنور والحمية لنا دستوراً مرديين]: والموت يوم نُوروزنا.]

س: كيف نجمع قوتنا ونحافظ على شرف الملّة الإسلامية؟(898).

ج: احفروا بالفكر المّلي في جوف الأمة حوضاً للمعرفة والمحبة- كحوض الكوثر -

898 (لقد ورد إلى القلب أنه: يمكن أن تكون هذه الدروس التي ألقيت قبل خمس وأربعين سنة على العشائر البدو دروساً الآن لطلاب النور الحاليين أيضاً) المؤلف.

وسُدُّوا بالمعارف والعلوم ثغراتِ تحتها يسيل منها الماء، وافتحوا بالفضيلة الإسلامية المسائلَ التي تصب الماء فيه. هناك نبع كبير ضائع أسيء استعماله إلى يومنا هذا، فجرى في الأرض السبخة الرملية فما أدّى إلا إلى ترعرع متسولين عَجَزَة . فشيدوا مجرىً جميلاً له وصُبُّوا الماء بالمساعي الشرعية إلى ذلك الحوض ثم اسقوا بستانَ كمالاتكم به، فهذا نبعٌ لا ينضب ولا ينفد أبداً.

س: ما ذلك النبع؟.

ج: الزكاة، فأنتم أحناف وشوافع.

[س]: حبذا ونعمت إن لم تذهب غائضه، بل فاضت إلى تلك الخزينة⁽⁸⁹⁹⁾.]

[ج]: أجل، إن فيكم زكوة إنما تتزاهر بالزكاة.].

س: كيف؟.

ج: لو أعطى الأذكىاء زكاة ذكائهم، وصَرََفَ الأغنياء ولو زكاة زكاتهم لمنفعة الأمة، لتسابقت أمتنا مع الأمم الأخرى.

س: ثم ماذا؟

ج: إن ما يعين ذلك النبع هو الإعانة المليّة الإسلامية، وهي الصدقات والنذور التي هي أبناء عمومة الزكاة تنبض بعرقها، وتعين في الخدمات .

س: لِمَ تسخَّرَ كثيراً من عاداتنا المستمرة وتزيّفها؟⁽⁹⁰⁰⁾

ج: لأن لكل زمان حكماً، وهذا الزمان يحكم على عادات هرمة بالموت والنسخ، لأن مضارها قد ترجّحت على منافعها، وهذا الترجيح يفتي بإعدامها والقضاء عليها.

س: ما أول ما يلزمنا؟.

⁸⁹⁹ (لا تمتعض إن هذا الكلام قد لبس لبوس الزكاة) المؤلف.)

⁹⁰⁰ (تجد كأن بعض الأسئلة دخيلة في الموضوع وكأن وديناً تفصل بينها، ولكن إذا ركب الخيال منطاداً وأخذ بيده منظاراً مكبراً فلربما يجد مواطنها) المؤلف.)

ج: الصدق.

س: ثم؟

ج: عدم الكذب.

س: ثم؟

ج: الصدق والإخلاص والوفاء، والثبات، والتساند.

س: فقط؟

ج: أجل.

س: ولم؟

ج: إن ماهية الكفر الكذب، وماهية الإيمان الصدق، أليس هذا البرهان كافياً: أن بقاء حياتنا مرهونة بدوام الإيمان والصدق والتساند.

س: ألا يلزم أولاً إصلاح رؤسائنا؟

ج: نعم، كما أن الرؤساء قد أخذوا أموالكم وحجزوها في جيوبهم، فقد أخذوا عقولكم أيضاً وحجزوها في أدمغتكم. لذا فأنا الآن أخاطب عقولكم الموجودة لديهم:

فيا أيها الرؤوس والرؤساء، إياكم والتواكل الذي هو عين التكاسل، ولا تسوّفوا في الأعمال فيحولها بعضكم إلى بعض، اخدمونا بأموالنا التي في أيديكم وبما تملكون من عقول؛ فقد أخذتم أجرتم باستخدامكم هؤلاء المساكين... فهذا أوان الخدمة والعمل [فعليكم بالتدارك لما ضيّعتم في الصيف⁽⁹⁰¹⁾].

س: يبدو منذ سنين أنه قد تنبّهت الرغبة في التدين وتيقّظ الشعور الديني والنزوع إلى الحق، حتى تاب أشقياء" كه وه دان ومامه خوران "توبةً نصوحاً بنصيحة من الشيخ أحمد واصبحوا مريدين صوفيين] وقد قطع الطريق على الشقاوة هذا الميلان.]

⁹⁰¹ (في الصيف ضيّعت اللين "مثل يضرب لمن يطلب شيئاً قد فوّته على نفسه) انظر الأمثال للميداني).

ج: ما أرشدهم إلا المشروعية الرشيدة والشيخ رسائل النور (902) لأنه لما ارتقت المشروعية الشرعية عرش الأفكار، هزّت الحبل المتين للمأية، فاهتز بدوره الإسلام- وهو العروة الوثقى -وعرف كل مسلم أنه ليس هملاً سانباً، بل مرتبطاً بالآخرين بالمنفعة المشتركة والحسنّ المجرد، فالمسلمون جميعاً مرتبطون كالعشيرة الواحدة. إذ كما أن الحسنة التي تصدر من فرد من العشيرة يفتخر بها الكل، ويشتركون معه، فلا ينحصر ذلك الشرف على الفرد نفسه، بل يصبح ألوفاً- كالشمعة التي تظهر لها آلاف الصور في آلاف المرايا- فيؤمّد الرابطة الحياتية لتلك العشيرة بالنور والقوة؛ كذلك الأمر إذا ارتكب أحدهم جناية فإن أفراد العشيرة كلهم يُعدّون متّهمين معه إلى حدّ ما. فمثلاً: إذا ارتبط أفراد هذا المجلس برباط، وألقى أحدهم نفسه في الطين، فإما أن يوقع أصدقاءه في الطين أو يضجرهم بكثرة الحركة، وبناء على هذا فإن السيئة الواحدة تتصاعد إلى الألف والحسنة المنفردة تصير ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ﴾ (البقرة: 261):

فهذا السر الذي يقود إلى التوبة أجهد المتيقظين فكراً أو روحاً بالبكاء، ولكن العقل الذي هو في قمة المنارة لا يرى جيداً سببه الذي هو في قعر بئر الوجدان .

الحاصل: أن المسلمين تنبهوا ويتنبهون (903) وبدأوا يرون الشر شراً والخير خيراً ..

فهذا هو السرّ الذي جعل عشائر هذه البوادي والوديان يتوبون إلى الله توبة نصوحاً والمسلمون كلهم بدورهم يستعدّون لكسب هذا السرّ شيئاً فشيئاً.

إلا أنكم أقرب إلى المأية الإسلامية لأنكم بدو لم تفسد بعد فطرتكم الأصلية.

س: مع علمك بأن إكرام الضيف عادةً مستحسنة عندنا، فلم لا تنزل ضيفاً على أحدنا وتحجم عنا، فعاداتنا هذه قديمة وأصيلية فلم تزيّف هذه العادات وتمنع طلابك من تناول طعامنا وقبول هدايانا، مع أنه واجب علينا خدمتكم والإحسان إليكم، وهو من حقكم علينا.

902 (لما كان طلاب النور قد دخلوا ضمن " مامه خوران"، فيجب إطلاق الشيخ رسائل النور بدلاً عن الشيخ المشروعية -لأنهم ستار الأحرار والحمية الإسلامية والمأية وهم

لا محالة ضمن دائرة الاتحاد المحمدي) المؤلف.

903 (نعم، قد استقلت بعد خمس وأربعين سنة كل من عشائر البلدان العربية وباكستان، فهم يصدقون سعيداً القديم في درسه هذا، وسيصدقونه في المستقبل) المؤلف.

ج :

أولاً: العلم عزيز، لا أريد أن أذله..وأريد أن أريكم أن من أهل العلم من لا يتنزل للنديا، ولا يجعل صنعة العلم وسيلة العيش، وأن الطلاب ليسوا متسولين ولا شحاذين. ثانياً: أريد أن أنصح فعلاً بعض الموظفين الذين يُظهرون الإهمال والكسل في وظيفتهم، ولا يقنعون بمرتباتهم فلا تُمسك تلك المرتبات أيديهم عن إكرام الضيوف. ثالثاً: بعض الرؤساء الذين انقطعت مجاري وارداتهم الظالمة يَزَلُّون إلى ظلمات الظلم بفتحهم أبواب مصاريف واسعة جداً، فأريد أن أبين لهم طريقاً لسد تلك الأبواب .

رابعاً: أريد أن أريكم مقياساً تقيسون به من يسيح فيما بينكم ويجول، أُمهم يقومون بهذا العمل لأجل المَلَّة أم لهوى أنفسهم؟ فأبين بذلك محكاً بين الحيلة والحمية.

س: تصبح بهذا مانعاً لإحسان الناس، ألا ينتج هذا استخفافاً بسخائهم؟

ج: الإحسان إنما يكون إحساناً حقاً إن كان للنوع أو للمحتاج أو الفقير، وعنده يكون السخاء سخاءً حقاً، وإذا كان السخاء لأجل الأمة، أو للفرد الذي يتضمن الأمة، فهو سخاء جميل، ولكن إن كان لغير المحتاج يعوِّده الكسل والتسول. والخلاصة: أن الأمة باقية، بينما الفرد فانٍ .

س: [ما تقول في الإحسانات الشخصية في السلف، أمناء الأمة، ورشداؤها، وسيوف الدولة وصلاحها... تجلت العبوسية بمكارمها بإهداء عشرة دنانير لشعرٍ لا يوزن شعيرة.]

ج [904]: فيه ما فيه...مع أنها بالنهاية قد انجرت إلى النوع والمَلَّة، لأن اللسان الذي خَدَمه الشعرُ خيط المَلِّية، مع أن هذا الزمان هو الذي كشف عن احتياج المَلِّية وفتح الباب لهذا المقصد العالي.]

س: إن الرؤساء المتغلبة، قد تهاووا، وأوصد باب الظلم دونهم، دع الساقطين وشأنهم،

904 (هذه العبارة نابعة من مصنع الموضوع ولابسة ما أهدي إليه من الأسلوب المحلي المؤلف.)

واترك الذين يعانون السكرات، يُتَمُوا سكراتهم...

ج: إنني أريد أن أحفظكم سنّة الحرية الشرعية حتى يمتثلوها ماداموا على قيد الحياة .
نعم، لقد تساقط الرؤساء الذين تربّوا بقوة الاستبداد وحدها، وهم يستحقونه، إلا أن فيهم
حماة.

[نعم، إن بينهم حماة للمليّة، فنشكرهم ..ومتكاسلين، فنشكّوهم ..ومتحيرين، فترشدهم ..
وأموثاً فنحافظ على ميراثهم لنلا يأخذه منْ]..برز إلى الميدان حديثاً .

س :لقد كنت- سابقاً -تودّ الشيوخ جميعاً وتحبهم بل تحسن الظن حتى بالمتشيعين، فما

هذا الهجوم على قسم من المتشيعين الذين ابتلوا بالبدع؟

ج :قد يرد العدا من فرط المحبة وشدتها !نعم، فكما كنت أحبهم لأجل نفسي، فقد

عشقتم لنفس الإسلام أضعاف أضعافها،

[لقد انتقش في سويداء قلوبهم الطاهرة الصبغة الربانية وفي خلداهم ضياء الحقيقة(905)]

[نديمانُ بادها خور دند رفتند تهى خمخانها كردنورفتند(906)].

إلا إن أس أساس مسلكتهم :تنوير القلوب وربطها بالفضيلة الإسلامية والسير عليها،
أي :الانطباع بالحماية الإسلامية، أي ترك المنافع الشخصية لأجل الإخلاص، أي :التوجه
إلى تأسيس المحبة العامة، أي :خدمة الاتحاد الإسلامي والدعوة إليه.

[فوا أسفاً لقد أساؤا متكنين وتكاسلوا في خدمتهم فحينئذٍ أريد تحويل همهم إلى

مجراها الحقيقي القديم.]

س :أنت تذكر دوماً "الاتحاد الإسلامي" ألا تعرّفه لنا؟.

ج :قد عرّفته في مؤلفي " المحكمة العسكرية العرفية" وسوف أريكم حجراً من ذلك

القصر المعلّى ونقشاً منه:

905 ()إن هذا الأسلوب قد نسج من قطع الخرق المباركة لأحد السلاسل) للأولياء الصوفيين (أي
هو إشارة إلى أولياء عظام من أمثال :النشاه النقشبند، الإمام الرباني، خالد ضياء الدين، سيد
طه، سيد صبغة الله، وسيدا) المؤلف).

906 (بيت بالفارسية تعني :أن الندماء شربوا ما شربوا وتركوا الحانة خالية .

إن " الكعبة المكرمة " هي الحجر الأسود لكعبة سعادتنا التي هي الاتحاد الإسلامي المنور و" الروضة المطهرة "درّته البيضاء، و" جزيرة العرب "مكته المكرمة و" الدولة العثمانية " المنفذة للحرية الشرعية بحذاقيرها هي مدينته المنورة لمدينتها.

فإن شئت أن ترى مليّة الإسلام والحجر الأساس للاتحاد الإسلامي ونقشه، فدونك التوقير اللائق الغيور النابع من الحياء والحمية ..والتبسم البريء الناشئ من الاحترام والرحمة ..والحلاوة الروحانية الحاصلة من الفصاحة والملاحة ..والنشوة السماوية الناشئة من العشق الفتي والشوق الربيعي ..واللذة الملكوتية المتولدة من الحزن الغروبي والفرح السحري ..والزينة المقدّسة المتجلّية من الحُسن المجرد والجمال المجلّى ...⁽⁹⁰⁷⁾ فيمكن أن يرى من اللون النوراني الباعث من امتزاج هذه الخصال الحميدة شيء من منظر اللون الأرجواني من بين الألوان السبعة لقوس قزح قاب قوسي الشرق والغرب والطاق المعلى لكعبة سعادتها.

ولكن لا يحصل الاتحاد بالجهل، بل الاتحاد امتزاج للأفكار، وهذا الامتزاج لا يتمّ إلا بالنور الوضيء للمعرفة.
س: لمّ سكتّ في السابق؟

ج: [لأن الاستبداد كان مانعاً للاتحاد فكنتُ سكتُ على جمر الغضا⁽⁹⁰⁸⁾]

س: الهجوم على المشايخ الذين وقعوا في البدع فيه خطر عليك، لأن فيهم أولياء [ألا تخاف أن تصيهم بجهالة فتصيح على ما فعلت من النادمين.]

ج: [إن المولى جل جلاله قد وسمّ بقدرته على جباههم الرفيعة نقش الحقيقة. ومُرادي أن أرشد من طاش فهمه من ذلك النقش⁽⁹⁰⁹⁾ نعم، إن هجومي ليس عليهم بل لهم. وذلك

⁹⁰⁷ (إن كل فقرة من هذه الفقرات في هذا الأسلوب المسلسل تشير إلى شعاع من أشعة الإسلام وإلى جمال من جماله وإلى سجية من سجايه وإلى رابطة من روابطه وإلى أساس من أسسه) المؤلف.

⁹⁰⁸ (قلت هذا الكلام عندما كنت أفكر في لزوم اللغة العربية) المؤلف.

⁹⁰⁹ (إن المرشدين قد اجتمعوا في هذه التكية، أي في هذه العبارة، فلا تغادرهم دون زيارة لهم ففيها إشارة إلى كل من المولوي والقادري والنقشبندي والبكتاشي) المؤلف.)

لنلا يقلل من شأنهم غير الأكفاء الذين يتزيّونَ بزَيِّهم .فعلى هذا أعلنُ ولا أبالي:

إني على عزم جازم أن أقتحم المهالك- أيّاً كانت -أمام ما أصبو إليه من سلامة الإسلام، ولن يثنوني عن عزمي بالتهديد والتخويف .وما قيمة هذه الحياة الدنيا التي يفديها أدنى أرمني لقومه؟ فكيف أخاف عليها وعلاقتي واهية معها، ولاسيما أنها كادت تطير مني سبع مرات، إلا أن الله سبحانه أبقاها عندي أمانةً .فاذن ليس لي حق المنة في بذلها والتضحية بها .ومع أن الروح أرادت الطيران من الققص إلى الشجر، والعقل نزع إلى الهروب إلى اليأس، إلا أنهما استبقيا كي تُفدي الحياةً بنفسها في المستقبل .فالتهديد إذن باستلاب هذه الحياة لا قيمة له وليس بشيء عندي .ولم يبق ما يهددونني به إلا الحياة الأخروية، فلو حُرمتُ حتى من هذه الحياة، فلن أحجم عن مقصدي ولا أرضى "بالبقاء تحت وطأة مننتها وثقلها .فإن دعوا على تلك الروح المحترقة الآن بنار الأسى والأسف لئحرق في نار جهنم، فليكن ولا أبالي، لأن الوجدان بإخراجه نار الأسى منه يتضمن فردوساً من المقاصد، كما أن الخيال يشكل جنة من الأمل .فليكن الجميع على علم أنني قابض على حياتي بيديّ كلتيهما ومنهمك بحريين مع عدوين في ميدانين للمبارزة، فلا يرتقيّن إلى ميداني من يملك حياة واحدة!

س :ما تطلب من الشيوخ الحاليين؟.

ج :الإخلاص الذي يترنمون به دوماً، والجهاد الأكبر الذي يرابطون في التكايا التي هي معسكرات معنوية بالطريقة، التي هي جنديّة روحانية فيها ..وترك التزام النفس وترك المنافع الشخصية الذي هو معنى الزهد، الذي هو شعارهم ..والمحبة التي يدعونها وهي جوهر مزاج الإسلام .ها هم قد أخذوا منا أجرتهم باستخدامنا، فالآن نطالبهم بالعمل وهو دئِن في رقابهم.

س :كيف يكونون؟

ج :إما أن يولّوا وينصرفوا عنّا، أو يرفعوا العناد والغيبة والانحياز فيما بينهم، لأن قسماً من المتشixين المبتدعين قد تسببوا في تشكيل فرقٍ من أهل البدع والضلالة .

س :كيف يمكن أن يتحدوا ويتفقوا فيما بينهم، وبعضهم ينكر على بعض، وتحرم في

قواعدهم وداستيرهم محبة المُنكر، بل حتى الأُنسُ به، فلا ريب أن مسألة الإنكار مسألة مهمة؟!.

ج :وعلى هذا فلي الحق إذن أن أخطب بما يأتي :أيها الحمقى أما سمعتم أو أما علمتم أن الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(الحجرات (10:ناموس إلهي، وهل تعاميتم عن الدستور النبوي الكريم" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"؟(910) فيا للعجب ...كيف تتمكن أن تنسخ مسألة الإنكار هذه- الواهية المترددة بين الصدق والكذب -هذين الأساسين العظيمين الضروريين، ألا إن مسألة الإنكار ليست بكلام الله تعالى حتى لا تقبل النسخ ..أما علموا أن الزمان قد نَسَخَ ذلك الإنكار بفتوى غلبة ضره على نفعه، والعملُ بالمنسوخ لا يجوز؟.

س :ألا يمكن أن يكون العداء فيما بينهم لرؤية بعضهم من بعض أفعالاً غير

مشروعة؟.

ج :عجباً إياي وجه حق، وبأي إنصاف وبأي سبب تغلبت أسباب العداء الناشئة من تصرفات غير مشروعة واهية كحجج الصبيان، وترجحت على أسباب المحبة العظيمة- كجبل سُبْحان (911)-الناشئة من الإيمان والإسلام والإنسانية والجنسية. نعم، إن الإسلام والإنسانية اللتين تقتضيان المحبة هما كجبل "أُحد"، أما الأسباب المنتجة للعداء فليست إلا كالحصيات الصغيرة .فالذي يجعل العداء يتغلب على المحبة يرتكب في الحقيقة حماقة عظيمة، كمن يبخر من قيمة جبل "أحد" ويستغره إلى أدنى من حصة!!.

إن العداء والمحبة كالضياء والظلام لا يجتمعان أبداً، فإذا تغلب العداء، انقلبت المحبة إلى مداراة وتصنّع، أما إذا تغلبت المحبة فالعداء ينقلب إلى ترحّم وإشفاق ورقة قلب.

إن مذهبي هو إبداء الحب للمحبة، وإظهار الخصام للعداء، أي أن أحبّ شيء اليّ في الدنيا هي المحبة، وأبغض شيء عندي هو الخصام والعداء .

910 (البخاري، الإيمان7 ؛ مسلم، الإيمان.71)

911 (جبل في شرقي تركيا .

س: ما الفرق بين الشيخ الولي والمنتشخ المدعي للولاية؟.

ج: إن كان هدف الشخص وغايته الاتحاد بضياء القلب ونور الفكر، وكان مسلكه المحبة، وشعاره ترك حبّ الذات والأنانية، وكان مشربه إنكار الذات (المحوية) وطريقته الحمية الإسلامية، ربما يكون شيخاً مرشداً حقاً؛ ولكن إن كان مسلكه إظهار مزاياه بتفقيص الآخرين، ويلقن محبته- إلى مرديه -بخصومة الآخرين، وينحاز إلى نفسه ويلتزم جانبها مما يستلزم الاختلاف وشق العصا، وكان يُظهر أن محبته متوقفة على خصومة الآخرين مما ينتج الغيبة والميل إليها.. فما هو إلاّ منتشخ يتطلع إلى الرئاسة، أو ذئب متعمّم (في زي غنم (فلا ينتهي به الأمر إلاّ إلى جعل الدين وسيلة لجرّ مغنم الدنيا، أو هو منخدع بلذة منحوسة مشؤومة أو باجتهادٍ خطأ يجعله يُحسن الظن بنفسه ويفتح طريق سوء الظن في المشايخ الكرام والذوات المباركة .

س: كلامك حسن جميل، ولكن أين من يسمع؟ ومسلكك عالٍ ورفيع ولكن من يتبع؟

ج: [ما لا يدرك كله لا يترك كله ..(912)و] [إنما الأعمال بالنيات] ..(913) [إن الملام

على من اتبع الهوى والسلام على من اتبع الهدى.]

س: ما رأيك في الاختلافات الرهيبية بين علماء العالم الإسلامي؟ وماذا تقول فيها؟

ج: إن العالم الإسلامي في نظري كمجلس النواب) البرلمان (غير المنتظم أو كمجلس

الشورى اختل نظامه، وما نسمعه في الفقه بأن: " هذا هو رأي الجمهور، وعليه الفتوى " إنما هو نظير رأى الأكثرية في ذلك المجلس. وما عدا رأى الجمهور من الأقوال إن لم تكن خالية من الحقيقة والجوهر واللب، تُفوّض إلى رأي صاحب القابليات والمواهب والاستعدادات لينتخب كلُّ استعدادٍ وموهبة ما يناسب تربيته وينسجم معها. وهاهنا نقطتان مهمتان(914).

912) (ما لا يدرك كله لا يترك جلّه " هو معنى الآية (فَأَنذَرْتُكُمْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) والحديث " اتق الله

ما استطعت " ولفظ الترجمة قاعدة وليس بحديث) كشف الخفاء، للعجلوني.(2/196)

913) (متفق عليه.

914) (تأمل جيداً في هاتين النقطتين ويحسن بك أن تقدرهما حق قدرهما). المؤلف.)

الأولى :أن" القول "الذي أُنخب بميل هذا الاستعداد، والذي يتضمن الحقيقة- إلى حدّ ما -وظلّ في الأقلية، مقيّد في نفس الأمر، ومخصّص بالاستعداد الذي انتخبه، إلا أن صاحبه أهمله فتركه مطلقاً، والتزمه متبعوه فجعلوه عاماً، وتعصّب له مقلّديه وسعوا في هدم المخالفين حفاظاً عليه ..من هذه النقطة تولدت المصادمة والمشاجرة والجرح والردّ حتى تشكّل من الغبار المثار من تحت أرجلهم ومن الأبخرة المتصاعدة من أفواههم ومن البروق المنطلقة من أسننتهم- سحاباً ذا بروق وذا رحمة أحياناً -فولّد حجاباً أمام شمس الإسلام الساطعة، ولكن ذلك السحاب المبشّر بالرحمة الواهب للاستعداد والقابلية من فيض نور الشمس، مثلما لم يُنزل الغيث ..فقد حجب النور أيضاً...

الثاني :أن القول الذي ظل في الأقلية، إن لم يعلّب ما فيه من الحقيقة والجوهر على ما في الاستعدادات المنتخبة له، من هوس وهوى أو تدين موروث ومزاج، فإنه- أي ذلك القول -يبقى على خطر عظيم، لأنه بدلاً من أن ينصبغ الاستعداد به وينقلب إلى ما يقتضيه، يصرفه لنفسه ويلقحه ويسخره لأمره .

وها هنا يتحول الهدى إلى الهوى، ويتشرب المذهب من المزاج .إن النحل يشرب الماء فيقطّر عسلاً، بينما الحية تشربه وتتفتّ سمّاً .

س :يا ترى، ألا يجد هذا المجلس الإسلامي العالي على سطح الأرض انتظاماً وتنسيقاً لأعماله مرة أخرى؟.

ج :أعتقد بأن العالم الإسلامي قاطبة سيصير بمثابة مجلس نواب) برلمان (مقدّس في الملة الإنسانية وبين بنى آدم، وسيشكّل وينظم السلف والخلف فيما بينهم مجلساً للشورى مؤلياً كلّ منهم وجهه للأخر على مدى العصور، إلا أن القسم الأول وهم الآباء الشيوخ، سينصتون بهدوء وثناء.

س (915):إن قسماً من الأجانب يوردون شبهات حول مسائل كتعدد الزوجات والرق، كأنها لا تساير المدنية، فيثيرون الأوهام حول الشريعة .

915 (هذا السؤال طرح من قبل أحد الأرنأوط) المؤلف).

ج :سأقول لكم قاعدة بصورة مجملة لأنني على نية إصدار تفاصيلها في رسالة مستقلة.

إن أحكام الإسلام على قسمين:

الأول :وهو الذي يؤسس عليه الشريعة وهو الحُسن الحقيقي والخير المحض.

الثاني :الشريعة المعدّلة، أي تأتي الشريعة وتُخرج الشيء من صورته البشعة الظالمة إلى صورة ملائمة للزمان والمحيط قابلة للتطبيق حسب الطبيعة البشرية، أخذاً بالصورة المعدّلة اختياراً لأهون الشرّين وأخف الضررين، حتى يتيسّر الوصول إلى الحُسن الحقيقي تماماً. لأن رفع أمرٍ مستأصل في الطبيعة البشرية رفعاً أنيئاً يقتضي قلب الطبيعة البشرية رأساً على عقب.

وعلى هذا فالشريعة ليست هي التي أوجدت الرقّ، بل هي التي أوجدت السُّبُل، ومهدت الطريق لتحويل الرقّ من أقسى صورهِ إلى ما ييسّر الوصول إلى الحرية التامة والانتقال إليها. أي عدّلت تلك الصورة البشعة وقلّلت منها. ثم إن تعدّد الزوجات إلى حدّ أربع زوجات، مع أنها موافقة لطبيعة الإنسان والعقل والحكمة، فإن الشريعة لم تجعلها من الواحدة إلى الأربعة، بل نزلتها ونقصتها من الزوجات الثمانية والتسعة إلى الأربعة، ولاسيما قد وضعت شرائط- في التعدد -بحيث لا تؤدي مراعاتها إلى ضررٍ ما، وحتى لو حصل في بعض النقاط شر، فهو شرّ أهون، وأهون الشرّ عدالة إضافية) نسبية(، إذ الخير المحض لا يمكن أن يحصل في جميع أحوال العالم، هيهات!!..

* * *

لقد صادفتُ- بسوء التصادف -أهل الإفراط والتفريط من مهاجمي الحكومة والمعترضين عليها. فقسّم من أهل الإفراط كانوا يضللون الأتراك- الذين هم قوام الإسلام بعد العرب -حتى تجاوز بعض جهلاء هذا القسم إلى تكفير أهل القانون محتجين بوضع" القانون الأساسي "و"إعلان الحرية "قبل هذا بثلاثين سنة ومستدلين بالآية الكريمة :﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾المائدة .(44:فهؤلاء المساكين لم يعرفوا أنّ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ﴾ هو يعني" :مَنْ لم يصدّق ". "فيا للعجب...كيف لا أعارض مَنْ ظن الاستبداد

السابق حريةً وهاجم القانون الأساس! ولكن مع أن أولئك كانوا يعارضون الحكومة إلا أنهم أرادوا استبداداً أشدّ، لهذا كنت أرفضهم وأردّ عليهم، فمضلو أهل " الحرية " هم الآن من هذا القسم.

أما القسم الثاني :وهم أهل التقريط، فلا يعرفون الدين، ويعترضون- ظلماً -على المسلمين ويهاجمونهم بدون إنصاف محتجّين بالتعصب، فالذين انسلخوا من عثمانيتهم وتجردوا منها، والذين يريدون التمثل بأوروبا وتقليدها كلياً، هم الآن من هذا القسم. أيها العوام! فالآن... نستودعكم الله...

انتظروا فإن لي دعوى أبحثها مع الخواص، ولي مسألة مهمة مع الحكومة، مع الأشراف، مع أولئك الذين ليسوا من الماسونيين من جماعة الاتحاد والترقي. يا طبقة الخواص! نحن العوام ومعاشر أهل المدرسة الدينية نطالبكم بحقنا!.. س: ما تريدون؟.

ج: نريد أن تصدقوا قولكم بفعلكم، ولا تعذروا بقصور غيركم، ولا تتواكلوا فيما بينكم وتتكاسلوا في خدمتنا الواجبة عليكم، وأن تتداركوا فيما فاتنا بسببكم، وأن تستمعوا إلى أحوالنا وتستشيروا حاجاتنا، وأن تستفسروا عن أوضاعنا، وتدّعوا لهوكم جانباً!.. الحاصل: إننا نطلب ضمان مستقبل العلماء في الولايات الشرقية، ونطلب نصيبنا من معنى " الاتحاد " و" الترقّي " لا من الاسم، فنطلب ما هو هيّن عليكم وعظيم عندنا . س: أفصح عن مقصدك ولا تتركه مبهماً. ماذا تريد؟.

ج: نطلب تأسيس " مدرسة الزهراء- "شقيقة الجامع الأزهر -التي تتضمن الجامعة . نطلب تأسيسها في " بتليس " مع رفيقتها في كل من " وان " و"ديار بكر "جناحي بتليس، اطمنوا أننا نحن الأكراد- لسنا كالأخرين -فنحن نعمل يقيناً أن حياتنا الاجتماعية تنشأ من حياة الأتراك وسعادتهم .

س: كيف؟ مثل ماذا؟ ولم؟

ج: إن لها بعض شرائط تربوية، ومجاري واردات، ومحاسن ثمرات...

س: ما شرائطها؟.

ج: ثمانية :

أولها: التسمية باسم " المدرسة " لأنه مألوف ومأنوس وجذاب، ومع كونه عنواناً اعتبارياً إلا أنه يتضمن حقيقة عظيمة مما يهيّج الأشواق وينبّه الرغبات.
ثانيها: مزج العلوم الكونية الحديثة ودرجها مع العلوم الدينية مع جعل اللغة العربية واجبة، والكردية جائزة، والتركية لازمة.

س: ما الحكمة في هذا المزج، حتى تدعو إليه دائماً وتدافع عنه؟

ج: لتخليص المحاكمة الذهنية (العقلية) (من ظلمات السفسة الحاصلة من أربعة أنواع من الأقيسة التمثيلية الفاسدة⁽⁹¹⁶⁾) وإزالة المغالطة التي تولدها الملكة المتفلسفة على التقليد الطفيلي.

س: كيف؟ مثل ماذا؟.

ج: ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية.

الشرط الثالث: انتخاب المدرسين فيها، إما من العلماء الأكراد من ذوي الجناحين أي المؤثّقين والمعتمدين من قبّل الأتراك أو ممن يعرفون اللغة المحلية ليُستأنس بهم.
رابعها: الاستشارة باستعداد الأكراد وقابليّاتهم، وجعل صباوتهم وبساطتهم نصب العين، وكم من لباس يُستحسن على قامة، يستبجح على أخرى، وتعليم الصبيان قد يكون بالفسر أو بمداعبة ميولهم.

⁹¹⁶ (من أمثال تلك القياسات الفاسدة: قياس المعنويات على الماديات، واتخاذ ما تقوله أوروبا حجة في المعنويات، أي كما أنهم ماهرون في الماديات، ويقتدى بهم فيها، فهم ماهرون في العقائد أيضاً. وثانيتها: رفض أقوال العلماء- ممن لم يطلّعوا على بعض العلوم الحديثة- في العلوم الدينية أيضاً. ثالثتها: الاعتماد على النفس والاعتداد بها في الدين لاغتراره بمهارته في العلوم الحديثة. رابعتها: قياس السلف على الخلف والماضي على الحاضر، ثم شن الهجوم وتقديم الاعتراضات الباطلة) شقيق المؤلف عبد المجيد.)

الشرط الخامس: تطبيق قاعدة "تقسيم الأعمال" بحذافيرها، حتى يتخرج من كل شعبة متخصصون مَهرة مع أنها مداخل ومخارج بعضها ببعض .

الشرط السادس :إيجاد سبيل بعد تخرج الدوامين وضمان تقدمهم واستفاضتهم حتى يتساوا مع خريجي المدارس العليا ويتعامل معهم بنفس المعاملة مع المدارس العليا والمعاهد الرسمية، وجعل امتحاناتها كامتحانات تلك المدارس منتجة، دون تركها عقيمة.

الشرط السابع: اتخاذ دار المعلمين- موقتاً -ركيزة لهذه المدرسة ودمجها معها، ليسري الانتظام والاستفاضة من العلم من هذه إلى تلك، والفضيلة والتدين من تلك إلى هذه، حتى يكون كل منها ذا جناحين بالتبادل .

س :ما وارداتها؟

ج :الحمية والغيرة..

س :ثم؟

ج :إن هذه المدرسة كنواة تتضمن- بالقوة -شجرة طوبى .فإن اخضرت بالحمية والغيرة استغنت عنكم وعن خزائنكم المنضوبة، وذلك بجذبها الطبيعي لحياتها المادية.

س :بأي جهة؟

ج :بجهات عديدة:

الأولى :الأوقاف، لو انتظمت انتظاماً حقيقياً، لأسألت إلى هذا الحوض عيناً سيالة بتوحيد المدارس.

الثانية :الزكاة، فنحن شافعيون وأحناف، فإذا أبدت- بعد حين -تلك المدرسة الزهراء خدماتها للإسلام والإنسانية، فلا ريب أن يتوجه إليها قسم من الزكاة وتحصرها لنفسها باستحقاق، وحتى لو كانت لها زكاة الزكاة لكفتها .

الثالثة :النذور والصدقات ...فكما أن هذه المدرسة تكوّن وتمثل عند العقول أسمى "مدرسة" وينظر القلوب والوجدان أقدسَ زاوية) تكية (وذلك بما تنشره من ثمرات وما

تعمه من ضياء وما تقدمه للإسلام من خدمات جليلة. أي فكما هي مدرسة دينية فهي مدرسة حديثة، وتكية أيضاً. وحينها يتوجه إليها قسم من النذور والصدقات التي هي من جملة التكافل الاجتماعي في الإسلام.

الرابعة: الإعارة.. بتوسيع واردات دار المعلمين- بعد الدمج لأجل التبادل المذكور - توسيعاً نسبياً... يمكن إعارة تلك الواردات إليها مؤقتاً، وحينما تستغني- بعد مدة -ستردّ تلك العارية.

س: ما ثمرات هذه المدرسة حتى تصرخُ وتدعو إليها بحماسة من قَبْل عشر سنين بل من قبل خمس وخمسين سنة؟.

ج: هي- مجملاً -تأمين مستقبل العلماء الأكراد والأترك،⁽⁹¹⁷⁾ وإقحام المعرفة عن طريق " المدرسة "إلى كردستان، وإظهارُ محاسن" المشروطية "و"الحرية" والاستفادة منها .

س: يحسن بك أن توضح أكثر وتفصّل.

ج :

الأول: توحيد المدارس الدينية وإصلاحها...

الثاني: إنقاذ الإسلام من الأساطير والإسرائيليات والتعصب الممقوت، تلك التي صدّأت سيف الإسلام المهنّد.

نعم، إن شأن الإسلام الصلابّة في الدين وهي المتانة والثبات والتمسك بالحق، وليس التعصب الناشئ عن الجهل وعدم المحاكمة العقلية، وفي نظري أن أخطر أنواع التعصب هو ذلك الذي يحمله قسم من مقلدي أوروبا وملحديها، لِمَا يصرّون بعناد على شبهاتهم السطحية، وليس هذا من شأن العلماء المتمسكين بالبرهان.

⁹¹⁷ (لقد ألقيت هذه المباحث حول " مدرسة الزهراء "في السنة الثالثة من إعلان الحرية على صورة خطب للأهالي في كل من بتليس ووان ودياربكر وغيرها من الأماكن، وقابلوني جميعاً بالموافقة وبأن هذه المسألة حقيقة وممكنة وقابلة للتطبيق، لذا أستطيع أن أقول: إنني مترجم لما كان يدور بخلدكم في هذه المسألة) المؤلف).

الثالث :فتح باب لنشر محاسن المشروطية .

نعم، ليس هناك في العشائر من فكرٍ يجرح المشروطية، ولكن إن لم تُستحسن في نظرهم فلا يستفاد منها، وهذا أشد ضرراً؛ فلاشك أن المريض لا يستعمل دواءً يظنه مشوباً بالسّم.

الرابع :فتح طريق لجريان العلوم الكونية الحديثة إلى المدارس الدينية، بفتح نبع صافٍ لتلك العلوم بحيث لا ينفّر منها أهل المدارس الدينية، ولقد قلت مراراً بأن فهماً خطأً وتوهماً مشؤوماً قد أقاما- لحد الآن -سدين أمام جريان العلوم.

الخامس :أكرر ما قلته مراراً- بل مئة مرة -أن هذه المدرسة تصالح بين أهل المدرسة "الدينية" والمدرسة "الحديثة" وأهل الزوايا" التكايا"، وتجعلهم يتحدون- في الأقل -في المقصد، وذلك بما تحدث فيما بينهم من الميل وتبادل الأفكار.

نعم، نشاهد بأسى وأسف أن تباين أفكارهم كما فرّق الاتحاد فيما بينهم فإنّ تخالف مشاربهم قد وقّف التقدم والرقي أيضاً، وذلك لأن كلاً منهم- بحكم التعصب لمسلكه ونظره السطحي لمسلك الآخر -انساق إلى الإفراط والتفريط، ففرط هذا بتضليل ذاك، وأفرط ذاك بتجهيل هذا.

الخلاصة :أن الإسلام لو تجسّم لكان قصراً مشيداً نورانياً يتوّر الأرض وبيهجها؛ فأحد منازلها" مدرسة حديثة"، وإحدى حجراته" مدرسة دينية"، وإحدى زواياها" تكية"، ورواقه مجمع الكل، ومجلس الشورى، يكمل البعض نقص الآخر ..وكما أن المرأة تُمثل صورة الشمس وتعكسها فهذه المدرسة الزهراء ستعكس وتمثل أيضاً صورة ذلك القصر الإلهي الفخم في البلدان الخارجية.

يا أيها الأشراف !اخدمونا كما خدمناكم وإلّا ...يا أهل الحكومة الذين تدعون الوصاية علينا بعدم بلوغنا سن الرشد كما تظنون أمّنوا وسائل سعادتنا كيما نطيعكم، وإلّا ..فيا أعضاء الاتحاد والترقي القدماء يا من تعهّدتُم وتحملتُم بحق الواجب الاجتماعي للأكراد والأترك حسناً فعلتُم وقمتُم بهذا المزج، فإن أحسنتم فحسناً وإلّا [..فردّوا الأمانات إلى أهلها (918)].

918 ()تنبيه: يا أعضاء الحكومة وأهل السياسة الذين تدعون أنفسكم من الخواص، لا تسلّوا

س :هناك عتاب كبير على العلماء حتى ...

ج :إنه ظلم عظيم وعدم إنصاف شديد.

س :لماذا؟

ج :لأنه حماقة كحماقة من يهب وجوداً على دُنب صدر من العدم.

س :ماذا تعني؟.

ج :إن إدانة العلم، بذنب ناشئ من عدم الحلم، لشخص اقترن علمه بعدم الحلم كم هي حماقة وبلاهة، كذلك فإن إدانة العلماء المساكين- وهم المرشدون دوماً إلى قدسية الإسلام وسموّه، والمبغون لأحكام الدين، حسب طاقاتهم والذين يستحقون احتراماً ومحبة أكثر ورحمة في الوقت الحاضر -إدانتهم بذنب وخطأ ناشئ من عدم وجود علماء بمستوى لائق لهذا العصر، ثم إلقاء ذلك الذنب وتلك الخطيئة على كاهل هؤلاء المساكين، إن لم تكن هذه حماقة أعظم وبلاهة أكبر فما هي إذن؟! ...!

نعم، إن الضرر لم يصبنا من " وجودهم "بل من " عدم وجود "ما نبتغيه من العلماء الأفاضل، لأن أغلب الأذكياء قد اتجهوا إلى المدارس الحديثة، والأغنياء أنفوا من نمط المعيشة في المدرسة الدينية، والمدرسة نفسها- لعدم وجود الانتظام وفقدان الاستزادة من العلوم وانقطاع سبل التخرج -لم تتمكن من تهيئة علماء بمقتضى هذا العصر... احذروا !إن كُره العلماء وبغضهم خطر عظيم (919).

س :فإن كانت نيتك خالصة توفّق، وقليل من يخلص النية، فانظر إلى نيتك.

ج :لله الحمد ولا فخر ..(920)إن عناصر الأغراض الشخصية ومصالحها المخلة

أنفسكم بالاستناد إلى هذا الكتاب الذي يخاطب العوام ويلقنهم الدروس في تحطيم اليأس لأن سوء استعمالكم أسوأ تأثيراً من سوء فهمهم، فلكي أرشدكم جعلتُ الزمان وكياً، فلم تعيروا إلى درس الزمان بالأل، فذقتهم صفة تآديبية) المؤلف.(
919 (يا أهل المدارس " الدينية !" لا تياسوا إن العلوم الدينية والعلوم الحديثة في الوقت الحاضر هما المسيطرتان .وإن طريق التقدم والرقي سيكون بالعلم وبأنواعه كافة، وسوف يرتقي أرفعُه وأعلاه إلى أسمى طبقة) المؤلف.)

920 (إن التحدث بنعم الله ضرب من الشكر، مثلما يحدث الشيخ عن كرامته شكراً لنعم الله

بإخلاص النية- من نسب ونسل وطمع وخوف -لا تعرفني ولا أعرفهن، بل لا أريد أن أتعرف إليهن، ذلك لأنني لست صاحب نسب شهير كي أجدّ في صون ماضيه، ولست صاحب أولاد كي أسعى لضمان مستقبلهم، ولكن لي جنون- أيّ جنون -حتى أعجز المحكمة العسكرية ببهبتها ورهبتها في علاجه، ولي جهل مطبق- وأيّ جهل -حتى جعلني أمياً لا أستطيع قراءة المکتوب على الدينار والدرهم. أما التجارة الأخروية... فقد آليت على نفسي ألا أتراجع عن طريقي التي أسلكها ولو ضيعتُ فيها رأس مالي. وإنني على وشك خسارتها منذ الآن، إذ أسفطُ في آثام كثيرة... فلم يبق إلا الشهرة الكاذبة... ولقد مللت منها، وأهرب منها، لأنها تحمّلتني ما لا يمكن أن تحمله من وظائف..

س: لِمَ تحسن الظن- كلما أمكنك ذلك -بحكومة المشروطية وأفراد "جون تورك" غير الملحدين؟.

ج: لأنكم تسيئون الظن بهم كلما تيسر لكم ذلك، فأنا أحسنُ الظن بهم، فإن كانوا بمثل ما أقول، فبه ونعم، وإلا فأنا أرشدهم إلى الصواب كي يسلكوه .
س: ما رأيك في الاتحاد والترقي؟.

ج: مع أنني أتمن قيمتهم إلا أنني أعترض على الشدة التي يزاولها سياسيوهم (921) وأهني في الوقت ذاته وأستحسن-إلى حدّ ما -فروعهم وشغفهم الاقتصادية والثقافية ولاسيما في الولايات الشرقية.

* * *

سؤال: ما الذي ألقانا في غياهب الضياع وأقعدنا عن معالي الأمور؟

الجواب:

عليه) المؤلف.

921 (يظهر الظلم عند عدم توزيع العدالة توزيعاً عادلاً. فلا يمكن جرح شعور ألف من الناس لأجل شخص واحد. فالشدة شيء والحمية شيء آخر، إذ لو التزم مغروراً معجب بنفسه بالحق، يسوق الكثيرين إلى الباطل، وربما يرغمهم عليه) بما يستعمل من شدة) (المؤلف).

إن الحياة حركة وفعالية، أما الشوق فجواؤها، وهو مطية الهمة. فحالما تمتطي همئكم صهوة جواد الشوق ناشدةً معالي الأمور في ميادين معركة الحياة، إذا بـ"اليأس" أول ما يصادفها، هذا العدو الألد هو الذي يفتّ من قوة الهمة.. فعليكم أن تضربوه بسيف الآية الكريمة: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ الزمر. (53):

ثم يشن "حبُّ الظهور وميل التفوق" هجومه، هذا الميل المغروز في الإنسان يحاول التحكم على خدمة الحق الخالصة من الحسد والمنازعة، فيهوي بضرباته على رأس الهمة ويطرحها على الأرض من على جوداها.. فعليكم أن تتبعوا إليه حقيقة الآية الكريمة: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ النساء. (135):

ثم يبرز إلى الميدان "الاستعجال" فيزلّ قدم الهمة ويقلبها على عقبها بطفراته خطوات ترتب الأسباب والمسببات. فيشوش مراحل العلل التي وضعها الله سبحانه في سننه الكونية.. فعليكم أن تحتموا منه بالخندق الأمين للآية الكريمة: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاطِبُوا﴾ آل عمران. (200):

ثم يتصدى لها "الرأي الشخصي" المستبد والتفكير الانفرادي الذي يبدد أعمال الإنسان، رغم أنه مكلف- بفطرته - برعاية حقوقه ضمن رعايته لحقوق الآخرين.. فعليكم أن تصدوه بالحقيقة الشامخة في الحديث الشريف: "خير الناس أنفعهم للناس (922)".

ثم يخرج إلى ساحة المعركة عدو آخر وهو: "التقليد" فيجد الفرصة سانحة لتقليد الكسالى والمتخلفين، وبه يقصم ظهر الهمة.. فعليكم تحديه بالحقيقة الشاهقة، تلك هي حكمة الآية الكريمة: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ المائدة. (105): كيلا تبلغ يد العدو أذيال الهمة.

ثم يلوح العدو الغدار وهو: "التسويق" الناجم من العجز وفقدان الثقة بالنفس، فينشأ منه تأجيل الأعمال الأخروية من اليوم إلى الغد، وهكذا حتى يمسك يد الهمة ويقعدها عن النهوض.. فعليكم الاقتداء بسر الآية الكريمة: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إبراهيم. (12):

⁹²² (العجلوني، كشف الخفاء 1/472، وانظر: الطبراني، المعجم الأوسط 6/58؛ البيهقي، شعب الإيمان. 6/117)

على الله لا على غيره. فاجعلوا التوكل عليه سبحانه حصناً للهمة.

ثم يدخل الساحة العدو الملحد وهو " :التدخل في ما هو موكول أمره إلى الله "فينزل هذا التدخل بضربات القاسية ولطماته الموجعة على وجه الهمة حتى يُعمي بصرها ... فعليكم أن ترسلوا عليه الحقيقة الدائبة والرابعة دوماً وهي الآية الكريمة :﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُمْ﴾ هود .(122:كي تفقه عند حده، فلا يتجاوزهُ، إذ ليس للعبد أن يتأمر على سيده.

وأخيراً يُقيل " حب الراحة والدعة " الذي هو أم المصائب ووكر الرذائل فيصقّد الهمة الكريمة بسلاسله وأغلاله ويقعدها عن طلب معالي الأمور ويقذفها في هاوية السفالة والذلة .. فعليكم أن تُخرجوا على ذلك السفاح الساحر، البطلّ المجاهد في الآية الكريمة : ﴿وَأَنْ أَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ النجم.(39:

[حقاً إن لكم في الجهاد وتحمل المشاق راحة كبرى، وإن الذي يملك فطرة حساسة راحته في السعي والعمل].

* * *

كان الذين لا يعرفونني في أثناء تجوالي ينظرون إلى ملابسي ويحسبونني تاجراً، ويسألون:

أأنت تاجر؟

-نعم، وكيمياوي كذلك!

-كيف؟

-هناك مادتان، أمزجهما معاً، فيولدان ترياقاً شافياً، وضيء كهربائياً .

-أين هما؟

-في سوق المدنية والفضيلة صندوقٌ يمشي على رجلين مكتوب عليه " :الإنسان "، فيه جوهر ساطع أو أسود قاتم وهو القلب.

-وما المادتان.

-الإيمان والمحبة، والوفاء والحمية .

الجريدة السيارة

أبو لاشيء، ابن الزمان، أخو العجائب، رفيق الغرائب .
بديع الزمان سعيد النورسي

* * *

أو

شهادة مدرستي المصيبة

"التي طبعت سنة 1908 م")

تأليف

بَدِيعُ الزَّمَانِ سَعِيدُ النُّورِ سَيِّ

ترجمة

إِحْسَانُ قَاسِمِ الصَّالِحِيِّ

باسمه سبحانه

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾

المقدمة

حينما كانت " الحرية " قرينة الجنون، جعلَ الاستبدادُ الضعيفَ مستشفى المجازيب مدرسةً لي.

وحينما كانت العدالة والاستقامة التبسنا مع الرجعية، صيرَ الاستبداد الشديد في المشروطية السجنَ مدرسةً لي.

فيا أيها المحترمون الناظرون إليّ لشهادتي هذه ! أرجو أن تبعثوا أرواحكم وخيالكم ضيوفاً إلى ذهن طالب بدوي عصبي المزاج وإلى جسده، وهو يكابد الاضطراب وقد انخرط حديثاً في المدنية، وذلك لئلا تقعوا في خطأ تخطئة الآخرين.

لقد قلت في المحكمة العسكرية العرفية في أثناء حادثة (31) مارت:

إنني طالب شريعة، لذا أزن كل شيء بميزان الشريعة. فالإسلام وحده هو ملّتي، لذا أُقيم كلّ شيء وأنظر إليه بمنظار الإسلام.

وإنني إذ أقف على مشارفِ عالم البرزخ الذي تدعونه: "السجن" منتظراً في محطة الإعدام، القطارَ الذي يقُلني إلى الآخرة أشجب وأتقد ما يجري في المجتمع البشري من أحوال ظالمة غدارة. فخطابي ليس موجهاً إليكم وحدكم وإنما أوجهه إلى بني الإنسان كلهم في هذا العصر. فلقد انبعثت الحقائق من قبر القلب عارية مجردة بسر الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (الطارق)... (9: فمن كان أجنبياً غير محرّم فلا ينظر إليها. إنني متهيئ بكل شوق للذهاب إلى الآخرة، ومستعد للرحيل إليها مع هؤلاء المعلقين على المشانق. تصوروا مبلغ اشتياقي إليها بهذا المثال:

قروي مغرم بالغرائب سمع بعجائب إسطنبول وغرائبها وجمالها ومباهجها، كم يشفق

إليها؟

فأنا الآن مثل ذلك القروي، مشتاق إلى الآخرة التي هي معرض العجائب والغرائب.
لذا فإن إبعادي ونفبي إلى هناك لا يُعدّ عقاباً لي. ولكن إن كان في قدرتكم وفي استطاعتكم تعذيبي وإيقاع العقاب عليّ فعذبوني وجداناً، فما دونه ليس عذاباً ولا عقاباً بل فخراً وشرفاً.

لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد، إلا أنها الآن تعادي الحياة بأكملها؛ فإن كانت الحكومة على هذا الشكل والمنطق، فليعش الجنون وليعش الموت، ولتعش جهنم مثوى للظالمين.

لقد كنت أمل أن يُهيأ لي موضعٌ لأبين فيه أفكارِي، وها قد أصبحت هذه المحكمة العرفية خير مكان لأبث منها أفكارِي.

في الأيام الأولى من التحقيق سألوني مثلما سألوا غيري:

"وأنت أيضاً قد طالبت بالشرعية!"

قلت: لو كان لي ألف روح، لكنك مستعداً لأن أضحي بها في سبيل حقيقة واحدة من حقائق الشرعية، إذ الشرعية سبب السعادة وهي العدالة المحضة وهي الفضيلة. أقول: الشرعية الحقّة لا كما يطالب بها المتمردون.

وقالوا كذلك: هل انضمت إلى "الاتحاد المحمدي؟" (923)

قلت: نعم، بكل فخر واعتزاز! أنا من أصغر أعضائه، ولكن بالوجه الذي أعرفه. أروني أحداً خارج ذلك الاتحاد من غير الملحدين.

وهكذا فأنا أنشر اليوم ذلك الخطاب لأنفذ المشروطية من التلوث، وأنجي أهل الشرعية من اليأس، وأخلص أبناء العصر من وصم الجهل والجنون بهم في نظر التاريخ، وأنتشل

⁹²³ تشكلت هذه الجمعية في 5 نيسان 1909 ، وأعلن عنها في اجتماع ديني حاشد في جامع أياصوفيا، ألقى فيه الأستاذ النورسي خطبة رائعة.

الحقيقة من الأوهام والشبهات.

فها أنا أبدأ بخطابي.

أيها القادة! أيها الضباط!

إن خلاصة جناياتي التي اقتضت سجنني هي:

[إذا محاسني اللاتي أدلّ بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعذر؟⁽⁹²⁴⁾].

وفي البداية أقول:

إن الشريف لا يتنازل لارتكاب جريمة، وإن اتُّهم بها لا يخاف من الجزاء والعقاب؛ فلئن أعدمْتُ ظلماً فإني أعظم ثواب شهيدين معاً، وإن لبثت في السجن فهو بلا ريب أفضل مكان في ظل هذه الحكومة الظالمة التي ليس فيها من الحرية إلا لفظها؛ فالموت مظلوماً هو خير من العيش ظالماً.

وأقول كذلك: إن بعضاً ممن جعلوا السياسة أداة للإلحاد، يتهمون الآخرين بالرجعية أو باستغلال الدين لأجل السياسة ليستروا على سيئاتهم وجرائمهم.

إن عيون السلطة وجواسيسها أشد قساوة من سابقهم، فكيف يوثق بهم ويعتمد عليهم،

وكيف نبني العدالة على أفوالهم؟

فضلاً عن أن الإنسان، إذ لا يسلم من تقصير ونقص، بينما تراه يتحرى العدالة يقع في الظلم بالجبين والخب. ولكنّ جمعَ تقصيراتٍ متفرقة وقعت في مدة مديدة ومن تصرف أشخاص كثيرين- والتي يمكن تفاديها بما يتخللها من محاسن -وتوهّم صدورها من شخص واحد في وقت واحد، يجعل ذلك الشخص مستحقاً لعقاب شديد. بينما هذا الأمر بحد ذاته ظلم عظيم.

والآن سنباشر بذكر جناياتي البالغة إحدى عشرة جنائية ونصف جنائية... وهي:
الجنائية الأولى: في السنة الماضية، في بداية إعلان الحرية، أرسلتُ ما يقارب من خمسين أو ستين برقية إلى العشائر القاطنين في شرقي البلاد، وذلك بواسطة ديوان رئاسة

⁹²⁴ (البحثري من قصيدة يمدح بها علي بن مر.

الوزارة .كان مضمون تلك البرقيات:

"إن المسألة التي سمعتموها وهي المشروطة والقانون الأساسي ما هي إلا العدالة الحقة والشورى الشرعية .تلقّوها بقبول حسن .اسعوا للحفاظ عليها؛ لأن سعادتنا الدنيوية في المشروطة .فلقد قاسينا الأمرين من الاستبداد أكثر من الآخرين." وقد أتت من كل مكان إجابات إيجابية لهذه البرقيات .بمعنى أنني قمت بتبنيه الولايات الشرقية ولم أتركهم غافلين، يستغفلم استبداد جديد..

وحيث إنني لم أقل مالي وللناس ارتكبتُ إذن جنائية، حتى دخلتُ هذه المحكمة! الجنائية الثانية: لقد قمت بإلقاء خطب عدة على العلماء عامة وعلى كثير من طلاب الشريعة، وذلك في كل من جامع أياصوفيا وبايزيد والفتاح والسليمانية، وبيّنتُ العلاقة الحقيقية بين الشرع الحقيقي والمشروطة، وأوضحت أن الاستبداد المتعسف لا صلة له بالشرعية الغراء، وأن الشريعة قد أتت لهداية العالم أجمع كي تزيل التحكم الظالم والاستبداد كما هو مضمون الحديث الشريف " سيد القوم خادمهم"⁽⁹²⁵⁾، وأنا على استعداد لأبرهن برهاناً قاطعاً على كل كلمة جاءت في أي خطبة كانت من الخطب التي ألقيتها لمن له أي اعتراض كان.

وقد قلت: إن المسلك الحقيقي للشريعة إنما هو حقيقة المشروطة المشروعة. بمعنى أنني رضيت بالمشروطة بالدلائل الشرعية، وليس كما رضي بها بعض دعاة المدنية الغربية، إذ قبلوها تقليداً وفهموها خلافاً للشريعة .فلم أتنازل عن الشريعة ولم أعطيها أنا مرة لشيء.

وحيث إنني سعيثُ لإنقاذ الشريعة وصون علمائها من شبهات أوروبا وأوهامها فقد ارتكبتُ إذن جريمة حتى رأيت هذا النمط من معاملاتكم معي!
الجنائية الثالثة: لقد توجست خيفة من أن يُلَوِّثَ صفاء القلوب لدى الولايات الشرقية،

⁹²⁵ (انظر: البيهقي، شعب الإيمان 6/334؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد 10/187؛ الديلمي، المسند 2/324؛ المناوي، فيض القدير. 4/122)

فَيَسْتَغْلُ بعضُ دعاةِ الأحزابِ أبناءَ بلدي الذين يَفْرُبُ تعدادهم عشرين ألف شخص، حيث إنهم يعملون بالحمالة وهم ذوو نفوس طيبة ساذجة غافلة، فتجولتُ جميع الأماكن والمقاهي التي يتواجد فيها الحمالون، وبيّنتُ لهم المشروطة في السنة الماضية بقدر ما يستوعبونه . فقلت لهم بهذا المعنى:

إن الاستبداد ظلم وتحكم في الآخرين، أما المشروطة فهي العدالة والشريعة . فالسلطان إذا ما أطاع أوامر سيدنا الرسول الكريم ρ وسار في نهجه المبارك فهو الخليفة، ونحن نطيعه، وإلا فالذين يعصون الرسول ρ ويظلمون الناس هم قطاع طرق ولو كانوا سلاطين.

إن عدونا هو الجهل والضرورة⁽⁹²⁶⁾ والاختلاف، وسنجاهد هؤلاء الأعداء الثلاثة بسلاح الصناعة والمعرفة والاتفاق، وسنتعاون ونتصادق يدأ بيد مع الأتراك وهم إخواننا الحقيقيون الذين كانوا السبب- من جهة - لإيقاظنا من غفلتنا ودفعنا إلى سبيل الرقي.

نعم، نتعاون معهم ومع جميع من يجاورنا، لأن الخصام والعداء فساد أي فساد . فلا نملك وقتاً للخصام.

ونحن لا نتدخل بشؤون الحكومة، حيث إننا لا ندرك حكمتها .

ولقد كانت لهذه النصيحة جدوى وأثرٌ في أولئك الحمالين الذين قاطعوا العمل في إنزال البضائع النمساوية- مثلما أقاطع البضائع الأوروبية قاطبة -حيث تصرفوا تصرفاً يتسم بالعقلانية وبعيداً عن التهور.

وحيث إنني كنت السبب في تقويم ارتباطهم بالسلطان وتسويتها وفتح حرب اقتصادية مع النمسا فقد ارتكبتُ إذن جناية حتى وقعتُ في هذه المصيبة!

الجناية الرابعة: إن أوروبا تظن الشريعة هي التي تمدّ الاستبداد بالقوة وتعيّنه . حاش وكلا .. إن الجهل والتعصب المتفشين فينا قد ساعدا أوروبا لتحمل ظناً خاطئاً من أن الشريعة تعين الاستبداد .لذا تألمت كثيراً من أعماق قلبي على ظنهم السيئ هذا بالشريعة،

⁹²⁶ () المقصود بالضرورة هنا حالة الاضطراب الناشئة من الفقر والعوز.

فكما أنني أكَدِّبُ ظَنَّهُم فقد رَحِبْتُ بالمشروطة باسم الشريعة قبل أي شخص .ولكني خشيت من أن يقوم استبداد آخر لتصديق هذا الظن، لذا صرخت من أعماقي، وبكل ما أوتيت من قوة في خطاب أمام المبعوثين ..في جامع أياصوفيا وقلت:

افهموا المشروطة في ضوء المشروعية وتلقَّوها على أساسها، ولقِّنوها الآخرين على هذه الصورة، كي لا تلوِّثها اليُدُ القذرة لاستبدالٍ جديد متستر وملحد باتخاذ ذلك الشيء الطيب المبارك تُرساً لأغراضه الشخصية .قَيِّدوا الحرية بأداب الشرع لأن عوام الناس والجاهلين يصبحون سفهاء وعصاة وقطاع طرق، فلا يطيعون بعد أن ظلوا أحراراً سائبين بلا قيد و شرط .ولتكن قبلتكم في صلاة العدالة على المذاهب الأربعة كي تصحَّ صلاتكم، لأنني قد أعلنت دعوىً :أنه يمكن استخراج حقائق المشروطة صراحة وضمناً وإذناً من بين المذاهب الأربعة.

وحيث إنني قد أخذت على عاتقي- وأنا طالب شريعة -ما يفرض على العلماء جملةً من الوظائف والواجبات فقد اقترفت إذن جنائيةً ..ولهذا تلقيت مثل هذا العقاب!
الجنائية الخامسة :لقد دأبت الصحفُ على زعزعة الأخلاق الإسلامية بقياسين فاسدين وبما يوهن العزة والإقدام، حتى أهلكوا الأفكار العامة السائدة .فتصديتُ لهم بمقالات نشرتها في الجرائد وقلت لهم:

"يا أرباب الصحف !على الأدباء أن يلتزموا بالأداب، وعليهم أن يتأدبوا بالأداب اللائقة بالإسلام، فينبغي أن تكون أقوالهم صادرة من صدورٍ لا تحيد لجهة، ومن قلوبٍ عموم الناس، فيشترك معهم عموم الأمة.

ويجب تنظيم برنامج المطبوعات بما في وجدانكم من شعور ديني ونية خالصة.

بينما أنتم بقياس فاسد،) أي بقياس الريف بإسطنبول، وإسطنبول بأوروبا (أوقعتم الرأي العام والأفكار السائدة في مستنقع آسن؛ فنبهتم عروق الأغراض الشخصية والمنافع الذاتية وأخذِ الثأر، حيث يلقنُ الطفلُ الصغير الذي لم يدرج بعدُ في المدرسة، الفلسفةُ الطبيعية المادية .فكما لا تليق بالرجل فساتين الراقصات، فكذلك لا تطبق مشاعر أوروبا في إسطنبول .إذ اختلاف الأوقام وتخالفُ الأماكن والأقطار شبيهةً بتباين الأزمنة والعصور .

بمعنى أن الثورة الفرنسية لا تكون دستوراً لنا. فالخطأ ينجم من تطبيق النظريات وعدم التفكير بمتطلبات الوقت الحاضر.

فأنا القروي الذي لا أجيد الكتابة قد قمت بإسداء النصائح إلى أمثال هؤلاء المحررين الحاملين لأعراض شخصية ومغالطات في رؤية الأمور التي يعملون فيها بذكائهم .. فارتكبت إذن جناية!

الجناية السادسة: لقد شعرت مراراً في اجتماعات ضخمة بالمشاعر المتهيجة لدى الناس، فخشيت أن يخلّ عوام الناس بالنظام وأمن البلاد بمداخلتهم في السياسة، فقامت بتهدئة تلك المشاعر الجياشة بكلام يلائم لسان طالب علم قروي قد تعلم اللغة التركية حديثاً.

فمثلاً: في اجتماع الطلاب في جامع بايزيد، وفي المولد النبوي المقام في أياصوفيا، وفي مسرح الفرح، هدأت- إلى حد ما - ثورة الناس وغضبهم. فلولا تلك الكلمات والخطب لعصفت عاصفة هوجاء تعصف بهم.

فأنا البدوي الذي لم أختلط بعدُ كثيراً بالحضارة، ولعلمي بدسائس المدنيين .. قد تدخلت في أمورهم فارتكبت إذن جناية!

الجناية السابعة: لقد طرق سمعي أن جمعية باسم "الاتحاد المحمدي" قد تأسست، فتوجست خيفة شديدة، من صدور حركات خاطئة من بعضهم تحت هذا الاسم المبارك. ثم سمعت أشخاصاً مرموقين- من أمثال سهيل باشا والشيخ صادق -⁽⁹²⁷⁾ قد حوّلوا هذا الاسم إلى شيء بسيط ويسير، إذ حصروه في العبادة واتباع سنن مطهرة، فقطعوا علاقتهم بتلك الجمعية السياسية، فلا يتدخلون بعدُ بالسياسة، فخشيت مرة أخرى حيث قلت: إن هذا الاسم هو حقّ المسلمين كافة، فلا يقبل تخصصاً ولا تحديداً. فكما أنني منتسب إلى جمعيات دينية عديدة من جهة- حيث قد رأيت أن أهدافها واحدة -كذلك أنتسب إلى ذلك الاسم المبارك.

⁹²⁷ (من الأعضاء المؤسسين لجمعية الاتحاد المحمدي).

ولكن الاتحاد المحمدي الذي أعرفه وانضمت إليه هو الدائرة المرتبطة بسلسلة نورانية ممتدة من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال. فالذين ينضون تحت رايتها يتجاوز عددهم عن ثلاثمائة مليون في هذا العصر، وإن جهة الوحدة والارتباط في هذا الاتحاد هو توحيد الله .

قسّمه وعهده هو الإيمان .

والمنتسبون إليه جميع المؤمنين منذ الخليقة .

وسجل أسماء أعضائه هو اللوح المحفوظ .

وناشر أفكاره جميع الكتب الإسلامية والصحف اليومية التي تستهدف إعلاء كلمة الله .
ومحالات اجتماعاته ونواديه هي الجوامع والمساجد والتكايا والمدارس الدينية .
ومركزه :الحرمان الشريفان.

فجمعية مثل هذه ..رئيسها هو فخر العالمين سيدنا الرسول الكريم .p ومسلكتها ومنهجها؛ مجاهدة كل شخص نفسه، أي التخلق بأخلاق الرسول الكريم p وإحياء السنة النبوية ومحبة الآخرين وإسداء النصح لهم ما لم ينشأ منه ضرر .

والنظام الداخلي لهذا الاتحاد :السنة النبوية.

وقانونه :الأوامر الشرعية ونواهيها.

وسيوفه :البراهين القاطعة، حيث إن الظهور على المدنيين المثقفين إنما هو بالإقناع وليس بالضغط والإجبار .وإن تحرّي الحقيقة لا يكون إلا بالمحبة، بينما الخصومة تكون إزاء الوحشية والتعصب.

أما أهدافه ومقاصده فهي إعلاء كلمة الله.

هذا وإن نسبة الأخلاق والعبادة وأمور الآخرة والفضيلة في الشريعة هي تسع وتسعون بالمئة بينما نسبة السياسة لا تتجاوز الواحدة بالمائة .فليفكر فيها أولياء أمورنا.

والآن فإن مقصدنا هو سوق الجميع بشوق وجداني إلى كعبة الكمالات بطريق الرقي، وذلك بتحريك تلك السلسلة النورانية، إذ إن الرقي المادي سبب عظيم لإعلاء كلمة الله في هذا الزمان.

وهكذا فأنا أحد أفراد هذا الاتحاد ومن الساعين لرفع رايته وإظهار اسمه، وإلا فلست من الأحزاب والجمعيات التي تسبب الفرقة بين الناس.
الحاصل: لقد بايعت السلطان سليم وقبّلت فكره في الاتحاد الإسلامي، لأن ذلك الفكر هو الذي أيقظ الولايات الشرقية، فهم قد بايعوه على ذلك.

فالشريون الآن هم أولئك لم يتغيروا. فأسلافي في هذه المسألة هم: الشيخ جمال الدين الأفغاني، ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده. ومن العلماء الأعلام علي سواعي(*)، والعالم تحسين (*). والشاعر نامق كمال (*) الذي دعا إلى الاتحاد الإسلامي والسلطان سليم الذي قال:

"إن مغبة الاختلاف والتفرقة يلقانني حتى في قبري
فسلاحنا في دفع صولة الأعداء إنما هو الاتحاد
إن لم تتحد الأمة فإني أتحرق أسى "

السلطان ياوز سليم

ولقد دعوت ظاهراً إلى هذا الاتحاد المحمدي من أجل مقصدين عظيمين:
المقصد الأول: إنقاذ ذلك الاسم من التحديد والتخصيص، ولأعلن شموله المؤمنين عامة كي لا يقع الخلاف والفرقة ولا تترد الشبهات والأوهام.
المقصد الثاني: ليكون سداً أمام افتراق الفرق والأحزاب الذي كان سبباً في هذه المصيبة الفاتنة العظيمة، (928) وذلك بمحاولة التوحيد بينها، فيا أسفي لم يسعفنا الزمن فجاء السيل فأوقعني أيضاً.

ثم كنت أقول: لو نشبت حريق فسأحاول إطفاء جزء منها في الأقل، ولكن احترقت حتى ملابسي العلمية. وذهبت- برضى مني - الشهرة الكاذبة التي لا أستطيع تعهدها.
فأنا الذي لست إلا رجلاً عادياً، قد أخذت على عاتقي مسائل مهمة تقض مضاجع النواب والأعيان والوزراء، فإن قد ارتكبت جناية!

(928) المقصود حادثة 31 مارت .

الجنائية الثامنة: لقد سمعت أن قسماً من الجنود بدأوا ينتسبون إلى بعض الجمعيات، فتذكرتُ الحادثة الرهيبة للانكشاريين. فقلقت كثيراً واضطربت، فكتبت في إحدى الصحف:

إن أسمى جمعية وأقدسها في الوقت الحاضر، هي جمعية الجنود المؤمنين. فجميع الذين انخرطوا في سلك الجندية المؤمنة المضحية ابتداءً من الجندي إلى القائد هم داخلون في هذه الجمعية. إذ إن أقدس هدف لأقدس جمعية في العالم هو الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله. فالجنود المؤمنون قاطبة يدعون إلى هذا الهدف. ألا إن الجنود هم المراكز، فعلى الأمة والجمعيات أن ينتسبوا إلى الجنود، إذ الجمعيات الأخرى ما هي إلا لجعل الأمة جنوداً في المحبة والأخوة، أما الاتحاد المحمدي الذي هو شامل لجميع المؤمنين فهو ليس جمعية ولا حزباً، إذ مركزه وصفه الأول المجاهدون والشهداء والعلماء والمرشدون.

فليس هناك مؤمن ولا جندي فدائي- سواء أكان ضابطاً أو جندياً - خارج عن هذا الاتحاد، لذا فلا داعي للانتساب إلى جمعيات أخرى. ومع هذا فلا أتدخل في أمور بعض الجمعيات الخيرة التي لها الحق في أن تطلق على نفسها الاتحاد المحمدي. فأنا الذي لست إلا طالب شريعة، قد غصبتُ مهمة العلماء العظام فإنّ قد ارتكبت جنائية!

الجنائية التاسعة: لقد شاهدت الحركة الرهيبة التي حدثت في (31) مارت ليضع دقائق . فسمعت مطالب عدة؛ فكما إذا أُديرت ألوان سبعة بسرعة لا يظهر إلا اللون الأبيض فكذلك لم يظهر من تلك المطالب إلا لفظ الشريعة التي تخفف فساد تلك المطالب المتباينة من الألف إلى الواحد، وتتقد العوام من الفوضى والاضطراب، والتي تحافظ حفاظاً معجزاً على السياسة من أن تكون لعبة بيد الأفراد. فأدركت أن الأمر ينساق إلى الفساد؛ إذ الطاعة قد اختلت، والنصائح لا تجدي؛ وإلا كنت أندفع إلى إطفاء تلك النار مثلما كنت أطفئ غيرها، ولكن العوام هم الأغلبية، وأصدقائي غافلون وبسطاء، وأنا أظهر بمظهر الشهرة الكاذبة.

فبعد ثلاث دقائق انسحبت ذاهباً إلى " باؤزكوي (929)" كي أحول دون تدخل معارفي في الأمر، وأوصيت كل من قابلني بعدم التدخل. فلو كان لي تدخل بمقدار أنملة -لكنت أظهر في هذا الأمر ظهوراً عظيماً حيث إن ملاسي تعلن عني، وشهرتي التي لا أريدها ذائعة بين الجميع. وربما كنت أثبت وجودي بمقاومة جيش الحركة إلى أياستافانوس (930) ولو وحدي ثم أموت بشرف ورجولة. وعندئذ كان تدخلني في الأمور من البديهيات، فلا تبقى حاجة إلى التحقيق.

وفي اليوم الثاني استقرت من الجنود المطيعين- الذين هم يمثلون عقدة الحياة لنا - فقالوا: إن الضباط قد لبسوا ملابس الجنود، فالطاعة ليست مختلفة كثيراً.

ثم كررت السؤال: كم من الضباط أصيبوا؟ فخدعوني قائلين: أربعة فقط، وهؤلاء كانوا من المستبدين. وسوف تنفذ آداب الشريعة وحدودها.

ثم تصفحت الجرائد ورأيت: أنهم أيضاً يرون تلك الحركة حركة مشروعة ويصورونها على هذه الصورة، وفرحت من جهة، لأن أقدس غاية لدي هي تطبيق الأحكام الشرعية تطبيقاً كاملاً، ولكن ينسئ أشد اليأس وتألمت كثيراً باختلال الطاعة العسكرية، فخاطبت الجنود بلسان جميع الجرائد وقلت:

أيها الجنود! إن كان ضباطكم يظلمون أنفسهم بإثم واحد فإنكم بعصيانكم تظلمون حقوق ثلاثين مليوناً من العثمانيين وثلاثمائة مليون من المسلمين، لأن شرف العثمانيين وعامة المسلمين وسعادتهم ولواء وحدتهم قائمة- بجهة- في طاعتكم.

ثم إنكم تطالبون بالشريعة ولكنكم تخالفونها بعصيانكم هذا .

ولقد باركت حركتهم وشجاعتهم لأن الصحف التي هي لسان كاذب للرأي العام قد أظهرت لنا أن حركتهم مشروعة. فلقد تمكنت- بتقديرهم هذا -أن أوثر فيهم بنصيحتي . فهذأت العصيان إلى حد ما، وإلا لما كان الأمر يكون سهلاً.

929 (أحد أحياء إسطنبول).

930 (منطقة في ضواحي إسطنبول) يشيل كوي .

فأنا الذي قد زرت مستشفى المجازيب فعلاً، ولم أقل: مالي وللناس، فليفكر في هذا الأمر العقلاء.. فقد ارتكبت إذن جنابة!

الجنابة العاشرة: لقد ذهبت بصحبة العلماء يوم الجمعة إلى الجنود الذين هم في الوزارة الحربية. وقد أخضعت ثمانية طوابير إلى الطاعة بخطب مؤثرة جداً. ولقد أظهرت نصائحي فوائدها بعد مدة. أذكر لكم صورة خطابي:

أيها العساكر الموحدون!

إن شرف ثلاثين مليوناً من العثمانيين وثلاثمائة مليون من المسلمين وكرامتهم وسعادتهم ورمز وحدتهم منوطة- من جهة -بطاعتكم. إن كانوا يظلمون أنفسهم بخطيئة واحدة فإنكم بعصيانكم هذا تظلمون ثلاثمائة مليون من المسلمين. لأنكم بعصيانكم هذا تُلقون الأخوة الإسلامية إلى التهلكة.

اعلموا جيداً! أن مركز الجندي عظيم جداً، إذ هو أشبه ما يكون بالمعمل، فإذا اختل دولا ب منه يخل العمل في المعمل كله. ألا إن الجنود الأفراد لا يتدخلون بالسياسة، والانكشاريون خير شاهد على هذا. إنكم تطالبون بالشرعية إلا أنكم تخالفونها وتلوثونها.

إنه ثابت بالشرعية والقرآن والحديث والحكمة والتجربة: أن طاعة ولي الأمر المستقيم المتدين القائم بالحق فرض. فأولياء أموركم هم ضباطكم. فكما أن مهندساً ماهراً وطبيباً حاذقاً إذا ما ارتكب الآثام لا تتضرر مهنة الطب والهندسة كذلك ضباطكم الذين هم منورو الفكر ومتقفون ومطلعون على فنون الحرب وذوو غيرة وشهامة وهم مؤمنون. فلا تظلموا العثمانيين جميعاً والمسلمين بعصيانكم لأوامرهم جراء حركة جزئية غير مشروعة تصدر منهم، ذلك لأن العصيان ليس ظلماً واحداً بل هو تجاوز على حقوق ملايين من الأفراد. أنتم تعلمون أن راية التوحيد الإلهي محمولة على يد شجاعتكم، وقوة تلك اليد في الطاعة والنظام، حيث إن ألفاً من المطيعين المنظمين يعدلون مائة ألف من السائين. وغني عن البيان فإن ثلاثين مليوناً من العثمانيين لم يقوموا بمثل هذه الانقلابات الدموية طوال مائة سنة، فلقد قتمت بها بطاعتكم من دون إراقة دماء.

وأضيف أيضاً، إن إضاعة ضابط ذي حمية وثقافة ودراية يعني إضاعة قوتكم

المعنوية، لأن الغالب في الوقت الحاضر هو الشجاعة الإيمانية والعقلية والعلمية. وأحياناً يعدل مثقف واحد منهم مائة من غيرهم. فالأجانب يسعون أن يغلبوكم بهذه الشجاعة، إذ الشجاعة الفطرية وحدها غير كافية.

خلاصة الكلام:

إني أبلغكم ما أمر به الرسول الأعظم p وهو: أن الطاعة فرض، فلا تعصوا ضباطكم .

فليحيا الجنود، ولتعش المشروعية المشروعة.

فأنا ..لأنني قد تجشمت أعباء هذه المهمات الجسيمة- مع وجود علماء أكفاء -قد ارتكبت إذن جناية!

الجناية الحادية عشرة: كنت ألمس الوضع الرديء لما كان يعيشه أهالي الولايات الشرقية فأدركت أن سعادتنا الدنيوية ستحصل- من جهة -بالعلوم الحديثة الحاضرة، وأن أحد الروافد غير الأسنة لتلك العلوم سيكون العلماء، والمنبع الآخر سيكون حتماً المدارس الدينية، كي يأنس علماء الدين بالعلوم الحديثة.

وحيث إن زمام الأمر في تلك البقاع التي أغلبيتها الساحقة أميون بيد علماء الدين، فهذا الشعور هو الذي دفعني إلى المجيء إلى إسطنبول، ظناً مني أن نلقى السعادة في " دار السعادة "في ذلك الوقت، مع أن الاستبداد- الذي أصبح الآن أضراباً وتقوى أكثر -كان يُسند إلى المرحوم السلطان المخلوع، فإنه قدّم لي مرتباً بواسطة وزير الأمن العام وفضلاً منه وكرماً، فرفضت. فقد أخطأت! ولكن خَطئي ذلك أصبح خيراً إذ أظهر خطأ الذين يبغون مال الدنيا بالعلوم الدينية، فضحيت بعقلي، ولم أدع حريتي ولم أحن رأسي لذلك السلطان الرؤوف، فتركت منفعي الشخصية؛ إذ هؤلاء يمكنهم أن يضموني إلى صفوفهم بالمحبة وليس بالاضطرار والقوة، فأنا منذ سنة ونصف السنة أسعى هنا لتتال بلادي المعارف والعلوم. وأغلب الأصدقاء في إسطنبول على علم بهذا.

فأنا الذي ابن حمال فقير، لم أتجاوز طوري وكوني ابن فقير وحمال رغم تيسر الدنيا

لي، ولم أوطد علاقاتي مع الدنيا بل تركت أحب المناطق إلى قلبي وهي نرى جبال الولايات الشرقية داعياً إلى السعادة لأمتي، فدخلت مستشفى المجازيب والمعتقلات والسجون وعانيت التعذيب والإهانات في فترة المشروطية.. كل ذلك لأنني قد تطاولت إلى أمثال هذه الأمور حتى أوقعتني في مثل هذه المحاكم الرهيبة. فإنن قد جنيت!
نصف جناية:

انطلاقاً من مفهوم الحفاظ على مركز الخلافة- وهو مركز المسلمين وموضع رابطتهم -والحيلولة دون ضياعه.. وظناً من كون حضرة السلطان عبد الحميد الثاني على استعداد لاستيضاح الأمر والندم على أخطائه الاجتماعية السابقة.. وأخذاً بالقاعدة الجليية (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) لتخفيف الأحداث الحالية التي سارت بعنف وبذرت بذور الفتن والاضطرابات، وتحويلها إلى أفضل ما يمكن.. لأجل كل ذلك قلت بلسان الجريدة للسلطان السابق ما يأتي:

اجعل قصر يلدز، ذلك النجم المنخسف، جامعة للعلوم ليرتفع إلى الأعالي كالثريا. وأسكن فيه أهل الحقيقة وملائكة الرحمة بدلاً من السواح وزبانية جهنم ليصبح بهيجة بهجة الجنة.
وأعد إلى الأمة ما أهدته لك من ثروات في القصر بصرفها في إنشاء جامعات دينية لتزيل الجهل الذي هو داء الأمة الوبيل.

ووطن الثقة بمروءة الأمة ومحبتها، فهي المتكفلة بإدارتك السلطانية. دع الدنيا قبل أن تدعك، واصرف زكاة العمر في سبيل العمر التالي. إنه ينبغي التفكير في الآخرة وحدها بعد هذا العمر.

والآن لنقارن؛ أيُّهما أفضل: أن يكون قصر يلدز موضع لهو أم جامعة علوم؟ وأن يجول فيه السواح أم يدرّس فيه العلماء؟ يُغصب أم يُهدى؟ فليقض أصحاب الإنصاف في هذا.

فأنا الفقير المعدم قمت بإسداء النصيحة إلى سلطان عظيم، قد جنيت إذن نصف جناية!

أما النصف الآخر من الجناية فلم يُحَنُ وقت الإفصاح عنه⁽⁹³¹⁾.
وأأسفَى لقد وضع المعجبون بالتطرف في هذه الحادثة سداً أمام رغبات الأمة المشتاقّة
إلى المشروطة المشروعة التي فيها سعادتنا ومنبغ حياتنا الاجتماعية العطشى إلى
المعارف والعلوم الحديثة المنسجمة مع الإسلام، وذلك بإلقائهم الأغراض الشخصية والفتن
في المشروطة. زد على ذلك أعمال المثقفين المتسمة بالإلحاد وعدم الاكتراث بالدين.
فعلى الذين أقاموا هذا السد المنيع أن يرفعوه ويزيلوه، وهذا ما نرجوه منهم باسم
الوطن.

أيها القواد والضباط!

إن الشهود على هذه الجنايات الإحدى عشرة ونصف الجناية هم ألوف، بل يمكن أن
يكون نصف أهالي إسطنبول شهوداً على بعض الجنايات.

ولكن أطلب الإجابة عن الأسئلة الأحد عشرة ونصف. فضلاً عن رضاي بالعقاب النازل
بي على تلك الجنايات. ومع هذا فلي حسنة واحدة عوضاً عن هذه السيئات، وسأقولها.
وهي: أنني عارضت شعبة الاتحاد والترقي المستبدة هنا، تلك التي أذهبت شوق
الجميع وأطارت نشوتهم وأيقظت عروق النفاق والتحيز وسببت التفرقة بين الناس
وأوجدت الفِرَق والأحزاب القومية، وتسمت بالمشروطة، بينما مثلت الاستبداد في
الحقيقة، بل حتى لطخت اسم الاتحاد والترقي.

إن لكلٍ فكره، وأنا حرّ في إبداء الفكر. فالصلح العام والعفو العام ورفع الامتيازات
ضروري، لئلا يتولد النفاق من استخفاف أصحاب الامتياز الآخرين.

وأقول بلا فخر: نحن المسلمون الحقيقيين نندع ولكن لا نخدع، ونترفع عن الخداع
لأجل حياة دنيوية. لأننا نعلم" إنما الحيلة في ترك الحيل". ولكن لأنني قد عاهدت
المشروطة الحقيقية المشروعة سأصنع الاستبداد إن قابلته في أي لباس كان، حتى لو كان

⁹³¹ (انظروا إلى البحث الموجود في ختام مجموعة" سراج النور "لتطلعوا على النصف
الآخر من الجناية، والتي يعاقب المؤلف من جرائها بثمان وعشرين سنة). المؤلف ()
(المقصود: الشعاع الخامس).

لابساً ملابس المشروطية أو تقلّد اسمها. وفي اعتقادي أن أعداء المشروطية هم أولئك الذين يشوهون صورتها بإظهارها مخالفة للشريعة وأنها ظالمة، فيُكثرون بهذا أعداء الشورى أيضاً. علماً أن القاعدة هي: "لا تتبدل الحقائق بتبدل الأسماء."

وحيث إن أعظم الخطأ هو ظن المرء أنه لا يخطأ، فإني أعتزف بخطئي وهو: أنني أردت نصح الناس قبل أن أخذ بنصيحتهم، وسعيت في إرشاد الآخرين قبل إرشاد نفسي، فهوّنت بهذا شأن الأمر بالمعروف حتى أصبح لا يجدي.

ثم إنه ثابت بالتجربة أن العقاب يأتي نتيجة ذنب، إلا أنه أحياناً ينزل العقاب ولمّا يُرتكب ذلك الذنب إلا أنه أظهر نفسه في صورة ذنب آخر. فذلك الشخص رغم أنه بريء من هذا الذنب إلا أنه يستحق العقاب لذنب آخر خفي. فالله سبحانه ينزل به المصيبة فيلقيه في السجن لذنب خفي، فيعدل. بينما الحاكم يظلم لعدم ارتكاب الشخص ذلك الذنب، ولخفاء الذنب الخفي عنه.

فيا أولي الأمر!

كانت لي كرامة وعزة، وكنت أرغب أن أخدم بها الأمة الإسلامية، إلا أنكم أهنتموها.

وكانت أملك شهرة كاذبة- دون رغبتني -وأجري نصحي بها إلى العوام، فأفنيتموها مشكورين .

والآن ظلت لدي حياة ضعيفة مللت منها، فليهلكني الله إن صُننتها خوفاً من الإعدام، ولا أكون شريفاً إن لم أقدم على الموت ببشاشة.

إن الحكم عليّ صورةً يورث الحكم عليكم وجداناً، وهذا لا يضرني بل هو رفعة وشرف لي، ولكنكم تُلحقون الضرر بالأمة، لأنكم تزيلون تأثير نصائحي، فضلاً عن إضراركم بأنفسكم، حيث أكون حجة قاطعة بيد عدوكم.

فلقد وضعتوني على المحك، ثرى لو وُضعت ما تسمونه بالفرق الخالصة) الأحزاب (على مثل هذا المحك كم سيسلم منهم؟

إن كانت المشروطية تعني مخالفة الشريعة واستبداد جماعة معينة،[فليشهد الثقلان

أني مرتجع. (932)]

ذلك لأن الاتحاد القائم على الكذب كذب أيضاً، والمشروعية القائمة على أسس فاسدة ومفسدة مشروعية فاسدة، إذ المشروعية الحقّة التي لها الدوام والبقاء هي المشروعية القائمة على الحق وعلى الصدق وعلى المحبة وعلى أساس عدم الامتيازات.

إنني أنبّه إلى هذا وكلي أسف وقلق:

مثلاً :عالم جليل تحجزه صفة العلم عن الفساد، ولكن يُقرن ذكر الفساد الناشئ من تهوره كلما ذكر علمه، ومن ثم تُمسّ صفة العلم بسوء .ألا يومئ هذا إلى العداء للعلم؟ كذلك حينما زرعت الفرقاء بذور التفرقة والفتن- خلافاً للشريعة -وأطلقت مليوناً من الطلقات عبثاً، وظلت السياسة والنظام العام بيد أفراد اعتياديين وعمّت الفوضى في الأوساط .. وما هداً ذلك الطوفانَ العارمَ إلا معجزةُ الشريعة حتى مرّ بسلام من دون إراقة دم .بمعنى أن الاسم السامي للشريعة المطهرة والاتحاد المحمدي أنزل تأثير ذلك الفساد الرهيب من الألف إلى الواحد.

فبينما الأمر هكذا فإن ذكر ذلك الاسم الطاهر (الشريعة)، مقررناً بأصحاب الفتن وجعله تُرساً لهم هو مسّ لنقطة خطيرة جداً، بل هو تعرض لعقدة الحياة، بحيث يرجف من هوله كل صاحب وجدان سليم وتذهب نفسه حسرات عليه.

إن الذي يستطيع أن يتصور أنه بالإمكان جعل الثريا مكنسة وإفطأؤه بالنفخ، لا يعلن إلا عن بلاهته!

فلو أن ملكاً في جو السماء، في زحل مثلاً، أمسك بيده ميزاناً يزن جبل آارات وجبل سبحان، وأضيف إلى جبل آارات وزنٌ بقدر درهم، فالمشاهدون القاصرو النظر عندما يرون نزول كفة آارات إلى الأرض وصعودَ كفة سبحان إلى السماء، يُسندون الأمر والثقل إلى ذلك الوزن البسيط بقدر درهم!

وهكذا فالكرامة العسكرية والحمية الإسلامية والشريعة المحمدية شبيهة بتلك الجبال

⁹³² (هذا القول نظير قول الإمام الشافعي*) رضي الله عنه:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي ديوان الإمام الشافعي.)

الشامخة، أما الأسباب الخارجية فهي بوزن درهم فحسب. فاتخاذ هذه الأسباب التافهة أساساً في الأمور دليل على الجهل بشأن الإنسانية والإسلام، بل تهوين بهما. سوف أقول الحقيقة فقط، ولن أجنب الحق أبداً، ذلك لأن مقام الحق سامٍ ولن أضحى به لأجل أحد، لذا لن تصرفني عن ذكر الحق لومة لأئم.

إن ما يسمى بحادثة 31 مارت، ذلك الطوفان الرهيب والصاعقة المحرقة، قد هيأت- تحت أسباب اعتيادية -استعداداً طبيعياً بحيث ورد- من عند الله -على لسان القائمين بها اسم الشريعة المظهرة معجزتها دوماً رغم أن نتائج تلك الحادثة كانت الهرج والمرج. ولأن اسم الشريعة جعل ذلك الطوفان يمر بسلام فإنه يُدين- أمام الله -تلك الصحف التي أطلقت لسانها بالسوء بعد منتصف نيسان .

فإذا ما أخذ بنظر الاعتبار الأسباب السبعة والأحوال السبع التي أدت إلى تلك الحادثة تظهر الحقيقة بجلاء وهي الآتية:

1- لقد كان تسعون بالمائة من هذه الحركة موجهة ضد الاتحاد والترقي وضد استبدادهم ودكتاتوريتهم.

2- كما كانت ترمي إلى تبديل الوزراء الذين كانوا محل نقاش وجدال بين الفرقاء والأحزاب .

3- إنقاذ السلطان المظلوم من الخلع الذي قد تقرر وصُمم عليه.

4- منع التعليمات وإنهاء التلقينات التي لا تليق بالأداب العسكرية والدينية.

5- الكشف عن قاتل السيد "حسن فهمي" (*) بعد أن تم تضخيم موضوع اغتياله.

6- تسوية موضوع الضباط "الأليلي" (933) "الذين أُخرجوا من الخدمة العسكرية وإنصافهم.

7- الوقوف تجاه تعميم مفهوم الحرية على التصرفات السفهية، أي تحديد معنى الحرية بالأداب الشرعية، ثم القيام بتطبيق الحدود الشرعية التي لا يفهم العوام منها سوى

⁹³³ (ضباط الأليلي: هم الضباط الذين ترقوا من الجندي، ولم يكونوا من خريجي الكلية الحربية .

القصاص وقطع اليد.

بيد أن الأرزوية الأسنة كانت مهياة، والخطط والمنزلاقات كانت جاهزة حتى ذهبت الطاعة العسكرية السامية جداً ضحية بها.

إن أس أساس الأسباب هو المناقشات العنيفة المتحيزة للفرقاء وغلؤ الصحف في المجادلات المبالغ فيها بالكذب عوضاً عن بلاغة الكلام. وكما أن دوران القرص الملون لا يُظهر إلا اللون الأبيض فالشريعة الغراء هي التي تجلت من بين هذه المطالب السبعة المذكورة فسدت طريق الفساد.

الحاصل:

لقد عمت الفوضى والإرهاب في الأوساط بما نشرته الصحف من مقالات محرضة، وشروع الفرقاء بتسجيل أسماء الفدائيين، وسيطرة الأشخاص الذين قادوا الانقلاب، وسريان الحرية المطلقة إلى الجنود بما ينافي الطاعة العسكرية، وتلقين بعض المهملين الجنود ما يظنونه مخالفاً للأداب الدينية. وبعد أن انفرط عقد الطاعة زرع المستبدون والمتعصبون الجهلاء- والذين تنقصهم المحاكمة العقلية في الدين- البذور في ذلك المستنقع الأسن- بظن الإحسان- وظلت السياسة العامة للدولة بيد الجهلاء وأطلق ما يقارب المليون من الطلقات في الهواء وتدخلت الأيادي الداخلية والخارجية. فبينما الأمر الطبيعي أن تؤدي هذه الحادثة إلى الهرج والمرج وتدخل الأجانب في البلاد، إلا أن اسم الشريعة- بفضل الله -أرجع الأرواح الخبيثة الناتجة من تلك الأسباب المذكورة إلى أوكارها، فظهرت معجزة أخرى بعد ثلاثة عشر قرناً.

ثم إن الصوت المدوي للجيش والعلماء في ذلك الانقلاب العظيم الفائق والقائل بـ: "أن المشروطية مستندة إلى الشريعة" سرى سريان التيار الكهربائي في وجدان المسلمين عامة، فخرق ذلك الانقلاب القاعدة الطبيعية للانقلابات وأظهر التأثير المعجز للشريعة الغراء، وسيظهره يوماً.

إنني أعترض على أساس فكر الصحف التي ظهرت بعد منتصف نيسان وذلك: أنهم أوجدوا منفذاً ومبرراً للتضحية بالعزة والكرامة والطاعة العسكرية- التي هي أسمى من

الحياة بل تُضَحَّى لأجلها الحياة -في سبيل أعمال غير مشروعة، وأفعال خسيصة خادمة للحياة نفسها لدى أهل الوجدان.

ثم إنهم ظنوا أن شمس الشريعة التي تتجذب إليها الحقائق والأحوال وترتبط بها، تابعة للسلطة أو منقادة للخلافة أو أداة لأية سياسة أخرى، فأظهروا- ما اعتقدوه -أن الشمس المنيرة تابعة لنجم منخسف.

أقول بكل ما أملك من قوة :إنه لا رقي لنا إلا برقي الإسلام الذي هو مليتنا، ولا رفعة لنا إلا بتجلي حقائق الشريعة، وبخلافه نكون مصداقاً للمثل القائل " :أضاع المشيئين".
نعم، علينا أن نستشعر بشرف الأمة وعزتها وثواب الآخرة وبشأن المجتمع، وقيمتها، والحمية الإسلامية، وحب الوطن وحب الدين ...ففي المضاعفات قوة أية قوة.
أيها القادة والضباط!

أطالبكم بإنزال العقاب على جنائاتي، وبالإجابة حالاً عن أسئلتني الآتية، فإن الإسلام هو الإنسانية الكبرى وإن الشريعة الغراء هي المدنية الفضلى، لذا فالعالم الإسلامي أهلٌ ليكون المدينة الفاضلة التي تصورها أفلاطون.
السؤال الأول :

ما جزاء المنخدعين بالصحافة والمنجرفين مع التيار العام المتولد حالياً من العادات والتقاليد التي يرونها مشروعة؟
السؤال الثاني :

ما جزاء من يتعرض لإنسان تشكّل في صورة ثعبان، ولوليّ صالح تقمص صفة شقيّ، وللمشروعية التي لبست لباس الاستبداد، وما هم في الحقيقة سوى تعابين وشقاة ومستبدين؟
السؤال الثالث :

هل يكون المستبد شخصاً فرداً واحداً؟ أم يمكن أن يكون أشخاص عديدون مستبدين؟ وأرى أن القوة يجب أن تكون في القانون، وإلا فسيتوزع الاستبداد ويشتد أكثر بالمنظمات.
السؤال الرابع :

أيهما أضرّ :إعدام بريء أم العفو عن عشرة جناة؟

السؤال الخامس:

أفلا يزيد من سبل النفاق والتفرقة تشديد الخناق على أرباب المسالك والفكر، علماً أنه لا يغلبهم؟

السؤال السادس:

أيمكن بغير رفع المحسوبية والامتيازات حصول اتحاد الأمة الذي هو معدن حياتنا الاجتماعية؟

السؤال السابع:

إن الإخلال بالمساواة، وتخصيصها لبعض الأفراد فحسب، وتنفيذ القانون بحقهم وإن كان يوحي ظاهراً بالعدالة، إلا أنه يولد الظلم والنفاق في جهة أخرى، فضلاً عن أن براءة أغلب المسجونين قد توضحت بالإفراج عن ثمانين بالمئة منهم، وهم بريئون. إنني لا أوجه الكلام هنا إلى المحكمة العسكرية، بل على المخبرين أن يتدبروا في الأمر.

السؤال الثامن:

إذا عدت فرقة معينة نفسها صاحبة امتيازات على الآخرين، وألجأت الناس إلى الظهور بمظهر المخالف للمشروطية، وذلك بكثرة تعرض تلك الفرقة لهم وجرحها لمشاعرهم، فعلى من يقع الذنب لو تعرض الجميع للاستبداد العنيد المتستر تحت اسم المشروطية، التي تقلدته تلك الفرقة؟

السؤال التاسع:

على من تقع المسؤولية فيما لو ترك بستاني باب البستان مفتوحاً، ودخل فيه من دخل، ثم ظهر حدوث السرقات؟

السؤال العاشر:

لو مُنح الناس حرية الفكر والكلام، ثم حوسب شخص على كلامه أو فكره، أفلا يكون ذلك خطة مدبرة لدفع الأمة المنكوبة إلى النار؟

السؤال الحادي عشر:

نرى الجميع يعاهدون المشروطة ويقسمون بها، بينما المعاهد هو نفسه مخالف لمسمى المشروطة أو ساكت عن مخالفيها. ألا يحتاج ذلك إلى كفاة اليمين؟ ألا تكون الأمة إذن كاذبة؟ أفلا يعتبر إذن الرأي العام النزيه كاذباً ومعنوهاً؟

حاصل الكلام: إن المهيم على الوضع الحاضر استبداد شديد وتحكم صارم، وذلك من حيث الجهل المتفشي. وكان الاستبداد والتجسس قد تناسخاً روحاً. والذي يبدو أن الغاية ما كانت استرداد الحرية من السلطان عبد الحميد، بل تحويل استبداد ضعيف وضئيل إلى استبداد شديد وقوي.

نصف سؤال :

شخص ضعيف رقيق يحاول جاهداً دفع أذى البعوض والزنابير عنه لعدم تحمله لها، أفيمكن أن يقنع أحدهم أمقّ بقوله: إن هذا يقصد بعمله هذا تسليط أسد هصور على نفسه وليس دفع البعوض والزنابير؟

النصف الآخر من السؤال: لم يؤذن له.

أيها القواد والضباط! أقول بكل قوتي:

إنني مصرّ إصراراً جاداً على جميع الحقائق التي نشرتها في الصحف في مقالاتي كلها. فإن دعيت من قبّل الماضي، من قبّل محكمة العصر النبوي السعيد، باسم الشريعة العادلة فسأبرز الحقائق التي نشرتها بعينها، لا أغير منها شيئاً، سوى ما يستوجب هذا الزمان من زيّ. وإن دعيت من قبل المستقبل، من قبل محكمة العقلاء الناقدين باسم التاريخ لِمَا بعد ثلاثمائة سنة. فسأبرز هذه الحقائق أيضاً، إلا ما تحتاج من ترميم بعض جوانبها المتشققة.

بمعنى أن الحقيقة لا تتحول إلى أمر آخر، فالحقيقة حق، و"الحق يعلو ولا يعلى عليه"⁽⁹³⁴⁾ والأمة صاحبة، بل لو أغلقت بالمغالطة والخداع، فلا يدوم ذلك .

⁹³⁴() الإسلام يعلو ولا يعلى : "انظر: الدارقطني، السنن 3/252 ؛ البيهقي، السنن الكبرى 6/205، الطبراني، المعجم الأوسط 6/128، المعجم الصغير 2/155 ؛ وعلقه البخاري في الجناز 79. والمشهور على الألسنة زيادة) على (أخراً، بل هي رواية أحمد. والمشهور أيضاً على الألسنة: "الحق يعلو ولا يعلى عليه"، كشف الخفاء. 1/127.

أما الخيال الذي ظن حقيقة فعمره قصير، وسننتشتت تلك الأفكار المضللة أمام فوران الرأي العام وتبرز الحقيقة ناصعة إلى الميدان، إن شاء الله.

بس كنف جون زير كانرا اين بس است بانك ده كروم أكر در ده كس است (935)

على الرغم من أن الوضع في سجنكم معذب والزمان رهيب والمكان موحش والسجناء مستوحشون والصحف تنشر الأراجيف والأكاذيب، والأفكار مشوشة والقلوب كسيرة حزينة والوجدان متألم ويائس والموظفين متشائمون من الوضع والحراس مزعجون.. أقول: على الرغم من كل هذا، فإن الوضع كان لي موضع سرور، لأن ضميري لم يكن يعذبني، بل كلما تنوعت المصائبُ ترنمت بنغمات متنوعة أيضاً.

نعم، لقد أكملتُ هنا- في السجن -الدرس الذي تلقينهُ السنة الماضية في مستشفى المجازيب حيث تلقيت دروساً مطولة لطول زمن المصيبة، إذ كان الحزن البريء المظلوم الذي هو لذة روحانية للعالميا علمني الشفقة على الضعفاء وشدة النفور من الظلم والغدر .
إنني على أمل عظيم أن الأهات والزفرات الساخنة المتبخرة من قلوب الأبرياء الكسيرة ستشكل سحابة رحمة، وقد بدأت فعلاً هذه السحبُ بتشكيل دول إسلامية حديثة في أرجاء العالم الإسلامي.

إن كانت المدنية الحاضرة هي التربة الخصبة لإنماء مثل هذه التصرفات التي تمس الكرامة الإنسانية وتعدي عليها.. وهذه الافتراءات التي تؤدي إلى النفاق.. وهذه الأفكار التي تغذي الحقد والانتقام.. وهذه المغالطات الشيطانية والتحلل من الآداب الدينية.. إذا كانت هذه هي المدنية، فليشهد الجميع بأنني أفضل قمم الجبال الشاهقة في الشرق، وأفضل حياة البداوة في تلك الجبال في بلدي حيث الحرية المطلقة على موطن النفاق الذي تسمونه أنتم قصر المدنية.

إن حرية الفكر وحرية الكلام وحسن النية وسلامة القلب التي لم أشاهدها في هذه

935 (بيت بالفارسية نظير قول بشار بن برد :لقد أسمعتم لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تُنادي .

المدنية الدنية، مستولية على جبال شرقي الأناضول بكل معانيها.

وحسب علمي أن الأدياء يكونون متأدبين، إلا أنني أجد بعض الصحف الخارجية خالية من الأدب وناشرة للنفاق. فإن كان هذا هو الأدب، والآراء العامة مختلطة إلى هذا الحد، فاشهدوا أنني تخلّيت عن هذا الأدب، ولست داخلاً فيهم أيضاً. وسأطالع الأجرام السماوية واللوحات السماوية النيرة على ذرى جبال موطني، قمة باشت،⁽⁹³⁶⁾ بدلاً من مطالعة هذه الصحف.

"إن عالم فيضنا نزيه من عيوب الأمانى الخادعة .

فقد كُتِب علينا الترفع عن زينة الذهب والفضة منذ الأزل .

وجفونا نشوة الآمال وطولها.

عشقنا عشق مجنون لليلي، ولكن أغنانا حتى عن وصالها."

[ولولا تكاليف العلاء ومقاصد عوالٍ وأعقاب الأحاديث في غدٍ

لأعطيت نفسي في التخلي مرادها وذلك مرادي مذ نشأت ومقصدي⁽⁹³⁷⁾

وأكتم أشياء ولو شئت قتلها ولو قتلها لم أبق للصالح موضعاً⁽⁹³⁸⁾]

⁹³⁶ (قمة جبل في جنوب شرقي الأناضول .

⁹³⁷ (وللطغرائي) ت 513 هـ: (1120/

ولولا تكاليف العلى ومغارم وإشفاق نفسي من خلاف أعزتي

وخوفي أعقاب الأحاديث في غدٍ

لأعطيت نفسي في التخلي مرادها وذلك مرادي مذ نشأت ومقصدي

(ديوان الطغرائي ص 59 ط 1 مطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1300

⁹³⁸ (يعزى إلى عتبة بن أبي سفيان) الحلة السيرة، 1/4 ، لابن الأبار (وإلى علي بن بابويه

(الكشكول 1/348 ، البهاء العاملي):

ولو إني سمحت بماء وجهي

وعدني جواب لو أردت لقلته

لكنت إلى الغنى سهل الطريق

ولو قلته لم أبق للصالح موضعاً

تنبيه

إن الذي يسوقكم إلى التأمل هو طرح الأسئلة على المدنية.
نعم، إنني أفضل البداوة على هذه المدنية الممزوجة بالاستبداد والسفاهة والذل. إن هذه المدنية تجعل الأشخاص فقراء وسفهاء وسيئي الأخلاق، بينما تسعى المدنية الحقيقية لترقية النوع الإنساني وتدفعه إلى التكامل، وتخرج ماهيته النوعية من القوة إلى الفعل، لذا فإن طلب المدنية والسعي لها انطلاقاً من هذه الزاوية يعدّ سعياً نحو الإنسانية.

ثم إن سبب افتتاحي بمحبة معنى المشروعية هو أن المدخل الأول لتقدم آسيا والعالم الإسلامي في المستقبل هو المشروعية المشروعة والحرية التي هي ضمن نطاق الشريعة. وأن مفتاح حظ الإسلام وسعده ورقيه موجود في الشورى التي في المشروعية. حيث قد انسحق- لحد الآن -ثلاثمائة مليون من المسلمين تحت أقدام الاستبداد المعنوي للأجانب.

وحيث إن الحاكمة الإسلامية مهيمنة الآن في العالم ولاسيما في آسيا، فإن كل مسلم يكون مالكا لجزء حقيقي من الحاكمة. وإن الحرية هي العلاج الوحيد لإنقاذ ثلاثمائة مليون من المسلمين من الأسر. فحتى لو تضرر هنا- بفرض محال -عشرون مليوناً من الناس في أثناء إرساء الحرية، فليكن ذلك فداءً، إذ نأخذ ثلاثمائة بدفع عشرين.

وا أسفى! إن العناصر والقوميات الموجودة عندنا مختلطة اختلاط أجزاء الهواء، ولم تمتزج امتزاج أجزاء الماء. وستمتزج تلك العناصر والقوميات بالإسلام الذي يفعل فعل التيار الكهربائي فيهم. وسيأتي بإذن الله مزاج العدالة المنصفة المتولدة من حرارة نور المعارف الإسلامية.

فلتعش المشروعية المشروعة، ولتدم الحرية النيرة المسترشدة بتربية حقيقة الشريعة.

غريب زمان الاستبداد

بديع زمان المشروعية

وبدعة هذا الزمان

سعيد النورسي

خاتمة

أعتقد أن البحث يظل ناقصاً إن لم
أوجه بضع كلمات إلى مُواطني
وإخواني.

يا أبناء وطني وإخواني !يا أحفاد الجنود الأشاوس لجيوش آسيا البسلاء للقرون
الماضية، كفاكم نوماً لخمسة سنة. تيقظوا فقد أذن الصباح. وإلا فستنهبكم الغفلة وأنتم
تغطون في نوم عميق في صحراء الجهل القاحلة.

إن الحكمة الإلهية التي هي نظام العالم والمؤسسة للقانون الإلهي النوراني الساري في
أرجاء العالم كله قد رفعت إصبع القدر منذ الأزل تأمركم: حافظوا على الموازنة العامة،
بتوحيد ومزج حميتكم وقوتكم الضائعتين بالتفرقة- ضياع قطرات الماء المتناثرة -بالفكر
الملي، أي الملة الإسلامية، مكوّنين بذلك جاذبةً وطنية عظيمة من جاذبات الذرات
الجزئية. فتجذب هذه الكتلة العظيمة وتدور كالكوكب المنير في موكب الجماهير المتحدة
الإسلامية الممثلة لشوكة شمس الإسلام العظيم.

ثم إن الحرية الشرعية التي هي حقيقة اجتماعية قد انتصبت على ذرى المستقبل
شامخة شموخ جبل سبحان و آارات، هذه الحرية المستندة إلى الشريعة تحذركم من
الانصياع إلى النفس الأمارة بالسوء ومن التجاوز على الآخرين. وإنها لتهدف بكم
وبأمثالكم من الغافلين المتفرقين في أودية الماضي السحيقة: أنْ اهجموا على الجهل والفقير
بالعلم والصنعة.

ثم إن الحاجة التي هي أم المدنية وأم الاختراع والرقي قد رفعت يدها لتنزلها عليكم
صفعة، فتأمركم: إما أن تعطوا حياة حريتكم في صحراء الجهل هذه إلى الناهيين أو عليكم
أن تهرعوا إلى كعبة الكمالات بركوبكم منطاد العلم وقطار الصنعة في ميدان المدنية
لاستقبال المستقبل الزاهر مسترددين أموال الاتفاق التي اغتصبها الأجنبي.

ثم إن المليية الإسلامية التي نصبت خيمتها في وديان الماضي وصحارى الحاضر
وشواهق المستقبل واستظل بها أجدادكم من أمثال صلاح الدين الأيوبي (*) وجلال الدين
خوارزم شاه (*) والسلطان سليم وخير الدين بارباروس (*) وروستم زال (*) وما شابههم
من القواد الدهاة الذين تشرف كلٌ بمنزلة الآخر فعاشوا معاً كعائلة واحدة.. هذه المليية

الإسلامية وهي مثال الحياة الرفيعة.. تأمركم أمراً جازماً :

بأنّ على كل واحد منكم أن يكون مرآة عاكسة للإسلام وحمي دماره، ومثالاً مشخّصاً للأمة الإسلامية، إذ المهمة تتعالى بعلو المقصد، والأخلاق تتسامى وتتكامل بغليان الحمية الإسلامية.

ثم إن المشروعية المشروعة التي هي سبب من أسباب سعادة البشر الدنيوية نجّت الإرادة الجزئية التي هي القوة الدافعة لماكنة الحياة، من تسلط الاستبداد بضمانها سيادة الأمة. هذه المشروعية التي اختمرت بخميرة الشورى الشرعية تدعوكم إلى الاختبار والامتحان، وتريد أن تراكم أنكم قد بلغتم سن الرشد فلا تحتاجون إلى وصاية، فهينوا أنفسكم للامتحان. وأثبتوا وجودكم بالاتحاد، وبينوا لها أن فكركم ووجدانكم الشخصيين هما كقلب الأمة وعقلها المشترك بالحمية الدينية المليّة. وبخلافه ستلغي أمركم ولا تمنحكم شهادة الحرية.

نعم، إن الاضطرابات التي حدثت فيما بينكم في صحارى الماضي من جراء ما يحمله كل منكم من حب السيادة والأنانية والفكر الشخصي ستتقلب- بإذن الله -إلى فكر الإيجاد والسعي الدؤوب ومفهوم الحرية. بل أستطيع أن أقول: يا مواطني في الولايات الشرقية: إن مدارسكم الصاخبة أشبه ما تكون بالبرلمان العلمي لكثرة ما فيها من مناقشات بالنسبة للمدارس الهادئة الأخرى.

ثم أنتم شافعيون، فقراءتكم خلف الأمام، وفطرتكم وأصول مدرستكم تدفعكم إلى السعي والمحاولة الشخصية، كما قال تعالى: (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)﴿النجم.39﴾:

ثم إن الجسارة وشرف الأمة الإسلامية وعزتها- وهي أساس كل كمال وحمية - تأمركم قائلة: مثلما ترقّيتم في مضمار الشجاعة المادية بتعلمكم العلوم والمعرفة من كتابات سيوفكم وفتحتم مجرى من الدماغ إلى القلب مزجاً العقل بالقوة، فافتحوا الآن منفذاً من القلب إلى الفكر، وابعثوا القوة مدداً للعقل، وأرسلوا العواطف ظهيراً للفكر، لئلا تنهب شرف الأمة الإسلامية في ميدان المدنية. اجعلوا سيوفكم من جواهر العلم والصنعة والتساند الذي يأمركم به القرآن الكريم.

سعيد النورسي

خطاب إلى الحرية

أيتها الحرية الشرعية!

إنكِ تنادين بصوت هادر، ولكنه رخم يحمل بشارة سارة، توظفين بها كردياً بدوياً مثلي نائماً تحت طبقات الغفلة، ولولاكِ لظللْتُ أنا والأمة جميعاً في سجن الأسر والقيود. إنني أبشرك بعمر خالد؛ فإذا ما اتخذتِ الشريعة التي هي عين الحياة، منبعاً للحياة، وترعرتِ في تلك الجنة الوارفة البهيجة، فإنني أزف بشرى سارة أيضاً بأن هذه الأمة المظلومة ستترقى ألف درجة عما كانت عليه في سابق عهدها. وإذا ما اتخذتِ الأمة مرشدة لها، ولم تلونك بالمأرب الشخصية وحب الثأر والانتقام، فقد أخرجنا إذن من له العظمة والمنة من قبر الوحشة والاستبداد، ودعانا إلى جنة الاتحاد والمحبة.

فيا رب ما أسعد هذه القيامة والنشور! وما أجمل هذا الحشر العظيم المصور لنا حقيقة "البعث بعد الموت" في هذا الزمان، يصورها تصويراً مصغراً، وذلك كالآتي:

لقد دبت الحياة في المدنية القديمة المدفونة في زوايا آسيا وروم إيلي⁽⁹³⁹⁾. والذين يتحرون نفعهم في ضرر العامة، ويتمنون الاستبداد، بدأوا يقولون: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (النبأ: 40):

إن حكومتنا الجديدة، حكومة المشروطة، قد ولدت أشبه ما يكون بالمعجزة، لذا سننال في غضون سنة واحدة بإذن الله سر من يكلم الناس في المهد صبيّاً.

إن ثلاثين سنة قضيناها صائمين عن الكلام متجملين بالصبر والتوكل على الله، سننال ثوابه بانفتاح أبواب جنة الرقي، أبواب المدنية التي لا عذاب فيها.

إن القانون الشرعي الذي هو براعة الاستهلال لحاكمية الأمة، شبيهه بخازن الجنة، يدعونا إلى الدخول فيها.. فهيا يا إخوة الوطن لنذهب معاً، وندخلها معاً، فإن بابها الأول :

⁹³⁹ (المناطق العثمانية الواقعة في قارة أوروبا).

اتحاد القلوب .والثاني :محببة الأمة . والثالث :المعارف .والرابع :السعي الإنساني .
والخامس :ترك السفاهة .وأحيل إلى أذهانكم بقية الأبواب .علماً أن إجابة الدعوة واجب شرعي.

ولأن فاتحة هذا الانقلاب العظيم بدأت أشبه بالمعجزة، فإن ذلك فال حسن بأن تكون خاتمته أيضاً حسنة .وكالاتي:

إن هذا الانقلاب سيكسر أغلال الفكر البشري الثقيلة، وسيهدم السدود المانعة للرقى، وينجي الحكومة من ورطة الموت، ويظهر جوهر الإنسانية ويحررها مرسلاً إياها إلى كعبة الكمالات.

نعم، إن هذا الفأل الحسن يبشرنا بأن خاتمة هذا الانقلاب ستكون بانقشاع ذلك السحاب المتراكم القاتم، بالرغبة العامة لدى الناس، وبشعورهم بالضرر المادي لسيئات المدنية الملونة بألوان السفاهات والإسرافات والملذات غير المشروعة .وغيرها من الأمور التي دفعت دولة المدنية إلى الانقراض كانقراض الحكومة المستبدة .وعندها ستشرق شمس الشريعة وقمر المدنية في جو السماء الصافي بأسطع ما يكون، فنثوران آسيا وروم إيلي، وستنمو بذور الاستعدادات والقابليات بهطول أمطار الحرية، فتتزين عندئذ الأرض بأوهى حللها الملونة.

نعم، إنه معجزة نبوية وعناية إلهية للأمة المظلومة، وكرامة النية الخالصة للمجتمع كافة .

إن هذا الاتحاد، اتحاد القلوب والمحبة الموجهة للأمة كافة،وهي معدن السعادة والحرية، قد أنعم بها المولى الكريم علينا مجاناً، بينما الأمم الأخرى قد ظفروا بها بعد دفع الملايين من جواهر النفوس الغالية.

إن صدق الحرية والعدالة ينفخ نفخ إسرائيل فيبعث الحياة في مشاعرنا المدنية وآمالنا الخاملة ورغباتنا القومية الرفيعة وأخلاقنا الإسلامية الحميدة، حتى يرن صماخ الكرة الأرضية المجذوبة جذبة المولوي، ويهيج الأمة جميعاً ويهزها هزّ المجذوب.

وياكم يا إخوان الوطن أن تقضوا عليها بالموت مرة أخرى بالسفاهات والإهمال في

الدين.

إن القانون الأساسي المؤسس على هذه الشريعة الغراء قد أصبح ملك الموت لقبض أرواح جميع الأفكار الفاسدة والأخلاق الرذيلة والدسائس الشيطانية والتزلفات الدنيئة. فيا إخوة الوطن! لا تعيدوا الحياة لتلك الرذائل بالإسرافات ومخالفة الشريعة والمذات المحرمة.

فلقد كنا إذن في القبر، وبليت عظامنا، والآن دخلنا في رحم الأم باتحاد الأمة والمشروعية.

إن مائة ونيفاً من السنين التي تأخرنا فيها عن مضمار الرقي والتقدم سنتجاوزها بإذن الله تعالى، بمعجزة نبوية، مستقلين- عملاً- قطار القانون الأساسي الشرعي وممتطين- فكراً- بُراق الشورى الشرعية.

وسنكون في صف الأمم المتمدنة، بطيئنا هذا الزمان القاصر الشبيه بالصحراء الكبرى الموحشة. بل نتسابق معهم حيث إنهم درجوا على ركوب العربات التي تجرها الثيران، بينما نحن- بتكامل الوسائل التي يتوقف عليها العلم- سنزكّب مباشرةً القطارَ والمنطاد، فنسبقهم بفراسخ وفراسخ، وذلك بما تسهل لنا هضم تلك الوسائل حقيقةً الإسلام الجامعة للأخلاق الإسلامية، والاستعدادُ الفطري الكامن فينا، وفيضُ الإيمان الذي نحمله، وشدةُ الجوع التي نشعر بها، فنسبقهم بإذنه تعالى كما كنا سابقين لهم في الماضي.

إنني أدركم بما يأتي بفضل ما أناطت بي مهمة الطالب من وظيفة، وبشهادة التخرج من سلك الحرية:

يا أبناء الوطن! لا تفسروا الحرية تفسيراً سيئاً كي لا تفلت من أيديكم، ولا تخفقونا بسقي الاستعباد السابق الفاسد في إناء آخر⁽⁹⁴⁰⁾ ذلك لأن الحرية إنما تزدهر بمراعاة الأحكام الشرعية وآدابها والتخلق بالأخلاق الفاضلة.

والبرهان الباهر على هذا الادعاء هو ما كان يرفل به عهد الصحابة الكرام رضوان

⁹⁴⁰ (نعم، لقد سقونا عبودية مسمومة جداً باستبداد أُرهب وأشد) المؤلف.

الله عليهم أجمعين من الحرية والعدالة والمساواة على الرغم من الوحشية السائدة والتحكم المقبوت.

وبخلافه فإن تفسير الحرية والعمل بها على أنها التحرر من القيود والانغماس في السفاهات والملذات غير المشروعة والبذخ والإسراف، وتجاوز الحدود في كل شيء اتباعاً لهوى النفس.. مماثلٌ لمن يتحرر من أسر سلطان واحد ويدخل في استبداد حقراء سافلين كثيرين. فضلاً عن أن هذا النمط من الحرية يُظهر أن الأمة غير راشدة ومازالت في عهد الصباوة وليست أهلاً للحرية. فهي سفيهة إذن تستحق الحجر عليها، بالرجوع إلى الاستبداد السابق البائد.

إن عدم الأهلية للحرية الشرعية الحديثة الباهرة الواسعة يؤدي إلى مرض وبيل يتعرض له اتحاد الأمة العظيم فتعرض الأمة إلى حالات فاسدة متعفنة.

بينما تفسير أهل التقوى والوجدان ليس على هذا النمط، ومذهبهم يخالف هذا التفسير؛ فنحن الأمة العثمانية نتصف بالرجولة، فلا تليق بقامة استعداد أمتنا البطلة فسائين النساء المزرکشة بالسفاهة والهوى والإسراف.

وبناء على ما سبق لا ينبغي أن ننخدع، بل علينا أن نجعل القاعدة الآتية دستور عمل لنا وهي: "خذ ما صفا دع ما كدر"، وفي ضوئها سنأخذ من الأجانب- مشكورين- كل ما يُعِينُ على الرقي المدني من علوم وصناعات. أما العادات والأخلاق السيئة، فهي ذنوب المدنية ومساوئها التي لا يتبين قبحها كثيراً لكونها محاطة بمحاسن المدنية الكثيرة.

فنحن لو أخذنا منهم المدنية- بسوء حظنا وسوء اختيارنا -بما يوافق الهوى والشهوات- كالأطفال- تاركين محاسنها التي تحتاج إلى بذل الجهد للحصول عليها، نكون موضع سخرية كالمخانيث أو كالمترجلات، فإذا لبست المرأة ثياب الرجل وليس الرجل ثياب المرأة يكون كل منهما موضع سخرية واستهزاء. ألا لا ينبغي أن نتجمل بمساحيق التجميل.

حاصل الكلام: سمنع بسيف الشريعة مساوئ المدنية وذنوبها من الدخول إلى حدود حريتنا ومدنيتنا حفاظاً على فتوة مدنيتنا وشبابها بزلال عين حياة الشريعة.

ينبغي لنا الاقتداء باليابانيين في المدنية، لأنهم حافظوا على تقاليدهم القومية التي هي قوام بقائهم وأخذوا بمحاسن المدنية من أوروبا. وحيث إن عاداتنا القومية ناشئة من الإسلام وتزدهر به فالضرورة تقتضي الاعتصام بالإسلام.

يا أبناء الوطن الغيارى!

إن منتسبي الجمعية المليية قد فتحوا لنا طريق السعادة بتضحية أرواحهم، فعلينا أن نعينهم بترك بعض لذائذنا، حيث إننا نجلس معاً على مائدة تلك النعمة.

إن أصحاب الأفكار الفاسدة، يريدون الاستبداد والمظالم تحت ستار الحرية، فلأجل الإلّا نشاهد مرة أخرى تلك الاستبدادات التي دُفنت في حُفر الماضي ولا تلك المظالم التي جرت في سيل الزمان، أريد أن أقيم سداً حديدياً بين الماضي والحاضر وذلك بإيضاح تاريخ حياة الحرية، وهو كالاتي:

إن هذا الانقلاب لو أعطى الحرية- التي أنجبها -أحضان الشورى الشرعية لتربيتها فسُتبعَت أمجاد الماضي لهذه الأمة قوية حاكمَةً؛ بينما لو صادفت تلك الحرية الأغراض الشخصية، فستقلب إلى استبداد مطلق، فتموت تلك المولودة في مهدها.

لقد وُلدت الحرية في الوقت المناسب، فحتاج تنشئتها إلى ظروف وأحوال فطرية وليست إلى افتعال ظروف تحتاج إلى مشاق.

إن الحمية الإسلامية التي عانت سابقاً كثيراً من الضوائق والبؤس، وهي ليست مستحقة لها، قد فارت فوراً عظيماً بحيث اكتملت الحرية في ذلك الرحم. فحالما يحين وقت الولادة وتظهر إلى الوجود ستعلن هيمنتها، فلا يتمكن أي شيء من التصدي لها وزلزلتها، حيث إنها ستأسس على أسس رصينة- كعرش بلقيس -على حقائق خمس تلك هي:

الحقيقة الأولى:

أن في الكل من القوة ما ليس لكل، كقوة الحبل المتين الناشئة من خيوط رفعية دقيقة، أو كحكومتنا الحديثة المتبنية لأفكار الرأي العام وحكومتنا السابقة.

أيتها الأمة! نحن الآن ذلك الحبل المتين، فمن أضعفها بالأغراض الشخصية والآراء

الفردية فقد جنى جناية لا تغتفر، حيث جنى على حقوق الأمة جميعاً.
الحقيقة الثانية:

أن السلطة المستندة إلى القوة والإكراه كانت هي الحاكمة في سالف الأزمان وهي محكومة بالتدني والانقراض، حيث إنها حصيلة الجهل والوحشية. فأية دولة جرت في عروقتها دماء السلطة المستبدة فإن سطور صحائف تاريخها تتعق نعيق اليوم بالانقراض. بينما في زمن المدنية فإن العلم والمعرفة هما السلطة الحاكمة على العالم، وحيث إن مولدها هي المدنية ومن شأنها الزيادة وعمرها أبدي، لذا لو كانت مثل هذه السلطة الحاكمة مدبرة لشؤون أية دولة كانت فإنها تنجي تلك الحكومة من قيد العمر الطبيعي وأجل الانقراض، فتدوم حياتها بدوام الأرض. وكتاب أوروبا وصحائفها تعلن هذا بجلاء. وإذا قيل: لقد كان بالإمكان إدارة الحكومة الضعيفة السابقة من قبل أشخاص اعتياديين، فيا ترى هل تثمر الأناضول وروم إيلي رجالاً دهاة خارقين يحملون على أكتافهم هذه الحكومة التي نعقد عليها الآمال؟

نقول جواباً على هذا السؤال: نعم، إن لم يحدث انقلاب آخر.

والآن أنعم النظر في:

الحقيقة الثالثة:

كان الإنسان في السابق يتحرك في ميدان محدود وضيق جداً، رغم استعداداته غير المتناهية، حتى إنه كان يعيش عيش حيوان مع كونه إنساناً. لذا تدنت أفكاره وضافت أخلاقه بنسبة محدودية تلك الدائرة.

فإذا ما عاشت الآن هذه الحرية الشرعية العادلة ولم تفسد، فستكسر أغلال فكر الإنسان، وتتحطم الموانع الموضوعية أمام استعداده للرقى، فتتوسع ميدان حركته سعة الدنيا كلها. حتى إن قروياً مثلي يستطيع أن ينظر إلى إدارة الدولة التي هي في أوج العلا كالثريا، ويربط نوى الأمانى والاستعدادات هناك. وحيث إن كل فعل وطور يصدر يلقي صداه هناك، لذا ستعالى همته كالثريا وتتكامل أخلاقه بالدرجة نفسها، وتتوسع أفكاره بقدر سعة الممالك العثمانية، وسيسبق بإذن الله الأفذاذ من أمثال أفلاطون (*) وابن سينا

وبسمارك (*) وديكارت (*) والتفتازاني (*).

نحن على أمل عظيم أن تثمر مزرعة الأناضول وروم إيلي شباناً غيارى؛ فلا جرم أن الممالك العثمانية محلّ ظهور الأنبياء، ومهد الدول الحضارية، ومشرق شمس الإسلام؛ فإذا ما نمت هذه الاستعدادات المغروزة في الإنسانية بغيث الحرية، فإنها تتحول إلى شجرة طوبى من الأفكار النيرة وتمتد أغصانها إلى كل جهة، وسيجعل الشرق مَشْرِقاً للغرب، إن لم تقسد وتنخر بالكسل والأغراض الشخصية.
الحقيقة الرابعة:

إن الشريعة الغراء تمضي إلى الأبد لأنها آتية من الكلام الأزلي. والبرهانُ الباهر عليه هو أن الشريعة تتوسع وتنمو نموّ الكائن الحي أي بنسبة نمو استعداد الإنسان وتَشْرُبه من نتائج تلاحق الأفكار وتَعَدِّيهِ عليها، ذلك الاستعداد الذي يمثل ميل الرقي الذي هو غصن من أغصان شجرة استكمال العلم.

فالحرية والعدالة والمساواة التي كانت يترقل بها خيرُ القرون والخلفاء الأربعة، ولاسيما في ذلك الوقت، دليل على أن الشريعة الغراء جامعة لجميع روابط المساواة والعدالة والحرية الحقّة؛ فأثار سيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهما وصلاح الدين الأيوبي دليل وأي دليل على هذا الادعاء.

ومن هنا فإنّي أقرر:

أن سبب تأخرنا وتدنينا وسوء أحوالنا إلى الآن ناتج مما يأتي:

1- عدم مراعاة أحكام الشريعة الغراء.

2- تصرفات بعض المداهنين تصرفاً عفويّاً.

3- التعصب المقيت في غير محله سواء لدى عالم جاهل، أو جاهل عالم!

4- تقليد مساوئ المدنية الأوروبية تقليداً ببعائياً- بسوء حظنا أو سوء اختيارنا- مما وادّ

تَرَكْنَا لمحاسن المدنية التي تُستحصل بمشكلات ومصاعب.

فلو قام الموظفون خبير قيام بوظائفهم وسعى الآخرون حسب الظروف المحيطة وما يتطلبه الزمان الحاضر، فلن يجد أحد متسعاً من الوقت للسفاهة. ولو انهمك أي منهما بها

فلا يكون إلا جرثومة خطيرة في جسم المجتمع.

الحقيقة الخامسة:

إن فكر أفراد قليلين كان كافياً لإدارة الدولة حيث الروابط الاجتماعية والضرورات المعاشية والمستلزمات الحضارية لم تكن كثيرة ومتشعبة، ولكن في الوقت الحاضر فقد كثرت الروابط الاجتماعية وتعددت الضروريات المعاشية وتزايدت الزخارف الحضارية إلى حد كبير، بما لا يمكن أن تحمل تلك الدولة وتديرها وتربّيها إلا مجلس نواب في حكم قلب الأمة ينبض بنبضها، والشورى الشرعية التي هي في مقام فكر الأمة وعقلها، وحرية الأفكار التي هي بمنزلة سيف الدولة وقوتها. ومثال هذه الحقيقة هو الحكومة المستبدة السابقة وحكومة المشروطية الحاضرة.

وأذكر أموراً ثلاثة بناء على الوظيفة التي أناطتها إياي الحقيقة الثالثة وبشهادة تخرّج

الحرية:

الأول :

كما أن الجسم محالٌّ أن تتحلل إلى ذرات دفعةً واحدة كذلك تشكُّله من ذرات دفعة واحدة وبصورة فجائية محال أيضاً. لذا فإن فصل الموظفين السابقين من جسم الدولة ووضع آخرين جدد في مواضعهم متعذر وإن لم يكن محالاً. علماً أن الدولة ستنبذ الموظفين الذين ينطون على خبث دفين لا يمكن إصلاحه، بينما باب التوبة مفتوح لمن يمكن إصلاحه ما لم تطلع الشمس من مغربها. فهؤلاء يجب الاستفادة من تجاربهم، إذ إشغال مواضعهم الوظيفية يحتاج إلى أربعين سنة أخرى. وإلا فإن إطالة اللسان بالسوء إلى الجميع وإهانتهم يجعل هذا الاتحاد، اتحاد الأمة العظيم، معرضاً لوباء وبيل من أفكار فاسدة وأخلاق سيئة.

الثاني:

لقد نشأت في جبال الشرق فكنت أتخيل مركز الخلافة في هالة جميلة، ولكن ما إن أتيت قبل حوالي ثمانية أشهر حتى شاهدت أن إسطنبول شبيهة برجل متوحش لبس ملابس إنسان مدني، وذلك لما فيها من تنافر القلوب واستيحاش الأفراد بعضهم بعضاً. والآن يقدم

ذلك الشخص المدني نفسه لنا وهو بملابس نصف مدنية ونصف وحشية، وذلك بسبب اتحاد الأمة .

كنت سابقاً أحسب أن فساد الشرق نابع من تعرض عضوٍ منه للمرض، ولكن لما شاهدت إسطنبول المريضة وجسست نبضها، وشرحتها، أدركت أن المرض هو في القلب، وسرى منه إلى جميع الجهات . فحاولت علاجه، ولكن أكرمت بصفة الجنون!
وقد شاهدت أيضاً : أن الإسلام الذي يشكل المدنية الحقيقية قد تأخر عن المدنية الحاضرة مادياً، فكان الإسلام قد استاء من سوء أخلاقنا فمضى راجعاً إلى الماضي ليشكلنا إلى خير القرون.

إن من أهم أسباب تأخرنا في مضمار المدنية بعد الاستبداد، هو تباين الأفكار واختلاف المشارب لدى منتسبي ثلاث شعَب كبيرة، يُعدّون مرشدين عموميين للجميع، وهم منتسبو المدارس الحديثة والمدارس الدينية والتكايا والذين يمثلون مصداق قول الشاعر:

عَبَارَاتُنَا شَتَّى وَحُسْنُكَ وَاحِدٌ وَكُلُّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ

إن تباين الأفكار هذا قد هزَّ أساس الأخلاق الإسلامية وفرّق اتحاد الأمة، وأخرنا عن ركب الحضارة، لأن أحدهم يكفّر الآخر ويضلله، بينما الآخر يعدّ الأول جاهلاً لا يوثق به . وهكذا ساد الإفراط والتفريط . وعلاج هذا الداء هو الصلح النابع من توحيد الأفكار، وربط العلاقات ووصلها حتى يوصل إلى نقطة الاعتدال، فيتصافح الجميع، ويتفقوا جميعاً لنلا يُخلّوا بنظام الرقي.

الثالث:

إنني استمعت إلى الوعاظ . فلم تؤثر في نصائحهم وو عظمهم . فتأملت في السبب، فرأيت أنه فضلاً عن قساوة قلبي هناك ثلاثة أسباب:

1- إنهم يتناسون الفرق بين الحاضر والماضي فيبالغون كثيراً في تصوير دعاويهم محاولين تزويقها دون إيراد الأدلة الكافية التي لا بد منها للتأثير وإقناع الباحث عن الحقيقة، فالزمن الحاضر أكثر حاجة إلى إيراد الأدلة.

2-إنهم عند ترغيبهم بأمر ما وترهيبهم منه يُسقطون قيمة ما هو أهم منه، فيفقدون بذلك المحافظة على الموازنة الدقيقة الموجودة في الشريعة، أي لا يميزون بين المهم والأهم.

3-إن مطابقة الكلام لمقتضى الحال هي أرقى أنواع البلاغة، فلا بد أن يكون الكلام موافقاً لحاجات العصر. إلا أنهم لا يتكلمون بما يناسب تشخيص علة هذا العصر، وكأنهم يسحبون الناس إلى الزمان الغابر، فيحدثونهم بلسان ذلك الزمان.

فعلى الوعاظ والمرشدين المحترمين أن يكونوا محققين ليتمكنوا من الإثبات والإقناع، وأن يكونوا أيضاً مدققين لئلا يفسدوا توازن الشريعة، وأن يكونوا بلغاء مقنعين كي يوافق كلامهم حاجات العصر. وعليهم أيضاً أن يزنوا الأمور بموازين الشريعة.

فلتحيا الشريعة الغراء، ولتحيا العدالة الإلهية، ولتحيا اتحاد الأمة.

وسحقاً للاختلاف، وحباً لمحبة الأمة،..

ولتمت الأغراض الشخصية وفكر الانتقام،..

وليعش الجنود الأشاوس الذين هم الشجاعة مجسمة،..

ولتعش الجيوش التي تمثل عظمة الدولة...

ولتدم جمعية الأحرار المتدينين وطلاب النور الذين هم العقل النير والتدبير الحكيم.

سعيد النورسي

* * *

تأليف

بديع الزمان سعيد النورسي

ترجمة وتحقيق

إحسان قاسم الصالحي

بين يدي هذه الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومَن والاه، وبعد؛

فقد ألقى الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، وهو في شرح الشباب هذه الخطبة باللغة

العربية في الجامع الأموي بدمشق، برجاٍ من علماء الشام وإحاحهم، وحضرها جمهور

غير من الناس يربون على عشرة آلاف شخص، فاستمعوا إليها بلهفة وشوق، حتى إن الخطبة لما طبعت لأول مرة نفذت نسخها في غضون أيام قليلة فأعيد طبعها خلال أسبوع واحد.

كان ذلك في شتاء سنة 1911 م، أي قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى. ثم توالى أيام الحرب الدامية، وانتهت بأفول نجم الدولة العثمانية، وبدأت بعدها أيام مَحَنٍ توالى على الأستاذ النورسي بسلسلة اعتقاله ونفيه ومحاكماته التي دامت حتى سنة 1950 م. فطوال هذه السنين العجاف لم يتسنَّ له مراجعة هذه الخطبة، بل حتى إنه لم يرها، إلى أن أرسل إليه في سنة 1951 م أحد أصدقائه من مدينة " وان " نسخة مطبوعةً منها.

كان الأستاذ النورسي عند ذلك في منفاه في " أميرداغ " فأعاد النظر في خطبته التي ألقاها قبل أربعين سنة، وبدأ بترجمتها إلى التركية، أو بالأحرى بتفتيحها وصياغتها مجدداً، إذ ضمَّ إليها فقرات مهمة وهوامش قيِّمة⁽⁹⁴¹⁾ وحذف منها ما يحدد شموليتها، وأحال بعض مسائلها إلى أجزاء رسائل النور، ثم درَّسها لقسم من طلابه.

قام الملا عبد المجيد " شقيق الأستاذ النورسي " بترجمة هذا النص التركي إلى العربية -بتوصية من المؤلف نفسه - حسب أسلوبه، ونُشرت بالاستنساخ اليدوي في أوساط ضيقة، إذ كانت الطباعة محظورة بالحروف العربية آنذاك.

وفي بداية الستينات تناول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ترجمة الملا عبدالمجيد هذه، وصاغها بأسلوبه العذب. ونُشرت منها طبعات كثيرة في حينه⁽⁹⁴²⁾. ولكن لما كانت الترجمة العربية هي في الأصل غير كاملة وغير مستوعبة للموضوع، فقد جاءت تلك الصياغة الجميلة - مع الأسف - ينقصها الكثير من الفقرات المهمة والمسائل الجليلية التي تمس الأحداث، فضلاً عن أن الصياغة اقتصرت على الخطبة وحدها دون

⁹⁴¹ (ذُيلت هوامش المؤلف بـ "المؤلف"، وحصرت العبارات العربية التي وردت في النص التركي بين قوسين مركنين. [])

⁹⁴² (طبعت الطبعة الأولى منها في مطبعة بركات بدمشق .)

ذبولها ولواحقها.

ثم تناول الأستاذ عاصم الحسيني) رحمه الله رحمة واسعة (النصَّ التركي بالترجمة إلى العربية، فأجاد أسلوباً وأداءً للمعنى، وقام طلاب النور بطبعها في المطبعة البولسية ببيروت سنة1974 م.

ما قمت به في هذه الرسالة:

قابلتُ ترجمة الأخ عاصم بالنص التركي فتوصلت إلى الآتي:

1-إنها ترجمة قيّمة لا ترقى إليها ترجمة أخرى، سواء في الأداء أو السبك الرصين للجمل، وهي تكاد تكون مطابقة لمتن الخطبة بالنص التركي، إلاّ في بعض الجمل أو أجزاء من فقرات.

2-بيد أن الأخ الكريم لم تتح له الفرصة- كما يبدو -لإكمال ترجمته، فلم يترجم ذبول الخطبة كاملة، إذ المقالات التي كتبها الأستاذ النورسي في الصحف المحلية في عهد الاتحاديين وألحقها بالنص التركي، ذات أهمية في إعطاء الصورة الكاملة والواضحة للأحوال السياسية والاجتماعية وكذا التيارات الفكرية التي كان يموج بها المجتمع وقتئذٍ.

3-ولأجل هذا كله، رأيت لزاماً عليّ القيام بترجمة النص التركي للخطبة مجدداً، مع ذبولها ولواحقها كاملة، ليلمس القارئ الكريم بنفسه أبعاد المسائل التي يطرّقها الأستاذ النورسي، ويطلّع عليها من جميع جوانبها.

ولقد انتهجت أثناء الترجمة والمقابلة على النص التركي والعربي، الخطوات الآتية:

1-اعتبار النص التركي الذي صاغه الأستاذ النورسي بنفسه هو الأساس، مع ذبوله ولواحقه. وهو النص نفسه الذي وضعه الأستاذ ضمن مباحث كتاب (Tarihçe-i Hayat)أي" تاريخ الحياة" الذي قام بتأليفه طلابه المقربون وأقرّه بنفسه وطُبع في حياته. والنسخة التي اعتمدتُ عليها من الخطبة هي من منشورات" دار سوزلر" في إسطنبول سنة1979 م.

2-مقابلة كل فقرة في النص التركي بالنسخة العربية لنص الخطبة المطبوعة في إسطنبول- لأول مرة -سنة1922 م في مطبعة الأوقاف الإسلامية. علماً أن هذا النص الأول العربي لم تبق له إلاّ أهميته التاريخية حيث نَقَّحه المؤلف بنفسه كما ذكرنا.

- 3-الاكتفاء بترجمة الأخ عاصم الموافقة للنص التركي مع إجراء ما يلزم من تغييرات في الفقرات والجمل ليقربها أكثر إلى معنى النص التركي وليفي بمراد المؤلف، مع إكمال الجمل أو الفقرات الناقصة فيها.
 - 4-ترجمة الذبول بكاملها والمقالات الملحقة بها.
 - 5-وضع هوامش ضرورية للقارئ الكريم لإيضاح ما يستغلّق عليه من مصطلحات سياسية وتاريخية كانت معروفة ومتداولة في حينها.
 - 6-استخراج الآيات الكريمة من القرآن الكريم ووضع اسم السورة ورقم الآية.
 - 7-تخريج الأحاديث الشريفة اعتماداً على الكتب الموثوقة.
- والله نسال أن يوفقنا لحسن القصد، وصحة الفهم، وصواب القول وسداد العمل...
وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إحسان قاسم الصالحي

المحرم الحرام 1409

مقدّمة الخطبة الشامية للمؤلف

باسمه سبحانه

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أبداً دائماً.

إخواني الأعزاء الأوفياء!

هذه الرسالة العربية قد أُلقيتُ درساً في الجامع الأموي بدمشق قبل أربعين عاماً، وذلك بناءً على إصرار العلماء هناك، واستمعَ إليها ما يقرب من عشرة آلاف شخص، بينهم ما لا يقل عن مائة من كبار علماء الشام.

إن الحقائق الواردة فيها، قد أحسَّ بها "سعيد القديم" بإحساس مسبق، فزَقَّها بشائر عظيمة بيقين جازم، ظناً منه أن تلك الحقائق وشيكة التحقق، بيد أن الحريين العُظميين، والاستبدادَ المطلق الذي استمر ربع قرن من الزمان، (943) قد أدَّى إلى تأخر تحقق تلك الحقائق أربعين أو خمسين عاماً.

والآن قد بدأت تباشير تحقق ما أخبر عنه تلوحُ في أفق العالم الإسلامي، بمعنى أن هذا الدرس المهم ليس مجرد خطبة قديمة، قد عفا عليها الزمن، بل هو درس اجتماعي إسلامي، يحتفظ بكامل جدِّته وطراوته وحقيقته طوال هذه الفترة... وكنُّ الذي حدث هو أن عام 1327 هـ قد أصبح عام 1371 هـ وأن الجامع الأموي قد حل محلُّه جامع العالم الإسلامي الذي يضم ثلاث مائة وسبعين مليون نسمة (944).

إن درساً كهذا جدير الآن بالترجمة على ما أعتقد.

سعيد النورسي

نهج رسائل النور

في التبليغ

⁹⁴³ (أ) منذ انتهاء الخلافة العثمانية سنة 1923 م إلى سنة 1950 م.

⁹⁴⁴ (ب) تعداد المسلمين آنذاك .

"يسجّل هنا جوابٌ مهمٌّ عن سؤالٍ في غاية الأهمية، إذ يذكر " سعيد القديم " بإحساسٍ مستيق، في درسه ذاك الذي ألقاه قبل أربعين سنة دروسَ رسائلِ النور الخارقة وتأثيراتها، وكأنه يراها: "

لقد سألني الكثيرون وسألوا بعض إخواني النوريين، وما زالوا يسألون :

لماذا لا تُهزم" رسائلِ النور " أمام هذا الحشدِ الغفير من المعارضين والفلاسفة المُتعتنين وأرباب الضلال؟ فعلى الرغم من إقامتهم سداً منيعاً. إلى حدٍ ما -ليجول دون انتشار ملايين الكتب الإيمانية والإسلامية القيمة ..وعلى الرغم من حرمانهم الكثير من الناس، ولا سيما الشباب الأبرياء من حقائق الإيمان بتسهيل سبُل السفاهة لهم وإغرائهم بملذّات الحياة الدنيا ..وعلى الرغم من محاولتهم كسر شوكة رسائلِ النور بثتى وسائلِ الغدر وأساليب الهجوم العنيف واختلاق الأكاذيب وإشاعة الدعايات الزائفة وتخويف الناس منها وحملهم على التحلي عنها ..وعلى الرغم من ذلك فقد انتشرت رسائلِ النور .فما الحكمة من انتشارها انتشاراً لم يسبق له مثيل، حتى بلغ ما نُسخ من معظمها باليد فقط ستمئة ألف نسخة، وهي تحظى بانتشار واسع ويتلقاها الناس بشوق بالغ، في الخفاء، وتستقرئ نفسها في داخل البلاد وخارجها بكمال المسرة والمحبة؟.

فجواباً عن أسئلة كثيرة تُردُّ بهذا المعنى نقول:

الجواب:

إن رسائلِ النور التي هي تفسير حقيقي للقرآن الكريم، ببيان إعجاز معانيه الجليلة، تُبيِّنُ أن في الضلالة جحيماً معنوياً في هذه الدنيا، كما تُبيِّنُ أن في الإيمان نعيماً معنوياً في الدنيا أيضاً. وهي تبرهن أن في المعاصي والفساد والمُتَع المحرّمة ألاماً معنوية مبرّحة، كما أن في الحسنات والخصال الحميدة والعمل بالحقائق الشرعية لذائدٌ معنوية أشبه ما تكون بملذات الجنة .

فهي بهذا الأسلوب تنقذ من كان له مسكة من عقل من أهل السفاهة وأرباب الضلال من التماذي في غيهم، ذلك لأن في عصرنا هذا حالتين رهيبتين:

أولاًها :

أن نوازع الإنسان وأحاسيسه المادية لا ترى العقبي، فَفَضِّلُ درهماً من لَذَّةٍ عاجلة على قنطار من لذات آجلة، هذه الأحاسيس قد طغنت- في هذا العصر -على عقل الإنسان وسيطرت على فكره؛ لذا فالسبيل الوحيد لإنقاذ السفيه من سفهه، هو الكشف عن ألمه في لذته نفسها، ومساعدته على التغلب على أحاسيسه تلك؛ إذ المرء في زماننا هذا، مع علمه بلذائذ الآخرة ونعيمها الثمين كالألماس يفضل عليها مُتَعَمِّلاً دنبوية تافهة أشبه ما تكون بقطع زجاجية قابلة للكسر! كما تشير إليها الآية الكريمة: ﴿يَسْتَجِبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ إبراهيم (3): وبناء على هذا ولشدة حبه للعالمية تراه ينساق وراء أرباب الضلالة ويتبعهم بعد أن كان من أهل الإيمان.

والسبيل الوحيد لإنقاذه من خطر الانسياق هذا، هو إظهار آلام جهنم وعذابها في الدنيا أيضاً .

وهذا هو النهج الذي تسيير عليه رسائل النور.

إن ما في عصرنا الحاضر من تعنت الإلحاد، وصدود الضلالات الناجمة من طغيان العلوم الحديثة وغرورها والإعراض الناشئ من اعتياد السفه والغي، قد جعلت نسبة من يتعظ واحداً من مجموع عشرة أشخاص، أو ربما واحداً من عشرين شخصاً، بعد أن يُعرَف له الخالق جلَّ جلاله ويُثَبَّت له وجود جهنم ويخوَّف من عذابها ليتجنب الشرور والسيئات، ثم تراه يقول: "إن الله غفور رحيم.. إن جهنم بعيدة جداً". ثم قد يستمر في لهوه وعبثه، فينهزم قلبه وتنهار روحه أمام طغيان شهواته.

وهكذا فإن "رسائل النور" تبين العواقب الوخيمة الأليمة التي تترتب على الكفر والضلال في هذه الدنيا، في معظم الموازنات التي تعقدها، فتتوَقَّر أشدُّ الناس اتباعاً لهوهم وأكثرهم تعنتاً وعناداً، من الخوض في متعمم المحرمة وسفاهتهم المشؤومة، وتدفع بالعقلاء منهم إلى طرق باب التوبة والاستغفار.

وعلى سبيل المثال: الموازنات المبسطة التي تتضمنها الكلمات: السادسة، والسابعة، والثامنة من "الكلمات الصغيرة"، والموازنة المطولة التي يتضمنها الموقف الثالث من

الكلمة الثانية والثلاثين... هذه الموازنات تُحْمِلُ أشد الناس سفاهة وضلالة على الرهبة والرعب، وعلى قبول إرشادها والاعتاظ بها .

ومثلاً: نشير هنا باختصار إلى ما رآه) أي سعيد القديم (من حقائق في إثناء تجوالٍ خيالي من خلال التدبر في آية" النور . "وتفصيله في" القسم الخامس من المكتوب التاسع والعشرين من مجموعة المكتوبات "فمن شاء فليراجعه .والخلاصة هي:

أنني في أثناء سياحتي الخيالية تلك، رأيت عالمَ الحيوان، ذلك العالم المحتاج إلى الرزق والتقوّت .وعندما تأملته من وجهة نظر الفلسفة المادية، أظهرَ لي- ذلك العالمَ من الأحياء -عالمًا رهيباً مؤلماً؛ بما فيه من ضعف وعجز فضلاً عن مسيس احتياجه وشدة جوعه!

ولما كنت أنظر إليه بعين أهل الضلال والغفلة أطلقتُ صرخةً ملؤها الألم والحزن، وإذا بي أرى ذلك العالم بمنظار الإيمان وحكمة القرآن، فإذا باسم" الرحمن "يشرق من برج" الرزاق "كشمسٍ ساطعة، فأثار ذلك العالم الجائع البائس من الأحياء وأسبغ عليه نور رحمته.

ثم رأيت عالماً آخر في عالم الحيوان هذا، ذلك هو عالم الأفراخ الصغار التي تنتفض ضعفاً وعجزاً وعوزاً، وقد تغشاه ظلام محزن أليم، يدعو كل إنسان إلى الإشفاق عليه . ولما كنت أنظر بعين أهل الضلالة، صَحْتُ قائلاً :واحسرتاه !وإذا بالإيمان يمنحني نظارة، شاهدتُ من خلالها :طلوع اسم" الرحيم "من برج" الشفقة"، ينشر أضواءه الزاهية الجميلة، حتى حَوَّلَ ذلك العالمَ المحزن إلى عالم بهيج، وَقَلَبَ عبارات الشكوى والألم والحزن المنهمرة من عيني إلى دموع الفرح والشكر والامتنان.

ثم تراءى لي عالم الإنسان كشاشة سينمائية، فأعمتُ النظر فيه بمنظار أهل الضلالة، وإذا به عالم مظلم مرعب ..لم أتمالك معه نفسي فأطلقتُ صرخةً ألمٍ من أعماق قلبي قائلاً : وا أسفاه !ذلك لأن آمال الناس وأمانيتهم الممتدة إلى الأبد، وتصوراتهم وأفكارهم المحيطة بالكون، وتطلعاتهم الجادة واستعداداتهم الفطرية التواقفة إلى الخلود والجنة والسعادة الأبدية، وقواهم الطليقة غير المحددة فطرياً، واحتياجاتهم المتوجهة إلى غاياتٍ ومقاصدٍ لا

منتهى لها، وتعرضهم- مع ضعفهم وعجزهم -لهجماتٍ ما لا يحصى من المصائب والأعداء ..مع كل هذا، لهم عمرٌ جدّ قصير، ويحيون حياةً ملؤها الصخب والقلق، يذوقون مرارة الموت كل يوم بل كل ساعة، يقيسون ضنك المعيشة في حياتهم، ويتجرعون آلام الفراق والزوال التي هي أوجع للقلب وأثقل على الوجدان، فضلاً عن أنهم ينظرون إلى القبر والمقبرة نظراً أهل الغفلة وكأنه باب إلى ظلام سرمدى، يُرمون في غياهبه فرداً فرداً وطائفة إثر طائفة!

وهكذا ..ففي الوقت الذي رأيت عالم الإنسان هذا غارقاً في مثل هذه الظلمات وإذا أنا على وشك الصراخ من أعماق قلبي وروحي وعقلي، بل بجميع مشاعري بل بجميع ذرات وجودي، إذا بالنور المنبعث من القرآن والإيمان الراسخ الناشئ منه، يحطم ذلك المنظار المضلّ، ويهب لعقلي بصراً نافذاً أرى به الأسماء الإلهية الحسنى وقد أشرقت كالشمس الساطعة من بروجها؛ فاسم الله "العدل" رأيتُه بازغاً من برج "الحكيم"، واسم "الرحمن" من برج "الكريم"، واسم "الرحيم" من برج "الغفور" "أي بمعناه)، واسم "الباعث" من برج "الوارث"، واسم "المحيي" من برج "المحسن"، واسم "الرب" من برج "المالك"... فأضاءت هذه الأسماء بنورها الباهر عوالم كثيرة داخل عالم الإنسان المظلم، وحوّلتها إلى عوالم مشرقة بهيجة، كما بددت تلك الحالات الجهتية بما فتحت من نوافذ إلى عالم الآخرة، حتى نثرت الأنوارَ إلى جميع جوانب ذلك العالم البائس للإنسان. فقلتُ: "الحمد لله ..الشكر لله ..بعدد ذرات العالم"، ورأيت بعين اليقين وعلمتُ علم اليقين: "أن في الإيمان حقاً جنةً معنوية، وأن في الضلال جحيماً معنوياً أيضاً في هذه الدنيا ذاتها."

ثم ظهر في تلك الجولة عالم كرة الأرض، فعكستُ القوانين العلمية المظلمة بالفلسفة غير المنقادة للدين، إلى خيالي عالماً في منتهى الغرابة والدهشة؛ إذ تأملتُ هذه الأرض التي تزيد سرعة حركتها على سرعة طلقة المدفع بسبعين مرة، وتقطع مسافةً خمسة وعشرين ألف سنة في سنة واحدة، وهي مع شيخوختها وهرمها معرضةٌ للتشتت والتحطم في كل لحظة، وتحمل في باطنها زلازل مخيفة، وعلى ظهرها هذا الإنسان البائس الذي تجوب به أجواء الفضاء غير المحدود ..فأشفقتُ على وضع هذا الإنسان وسط هذا الظلام الدامس الموحش المخيم عليه، ودار رأسي من هول ما رأيتُ وأظلمت الدنيا أمام عيني،

فطرحَتْ نظارةَ الفلسفةِ أرضاً وحطمتها كلياً، ونظرتْ إلى الأمرِ ببصيرةٍ وضّاءةٍ بحكمة القرآن، وإذا بأسماء خالق الأرض والسماوات: القدير، العليم، الرب، الله، ربّ السماوات والأرض ومسخر الشمس والقمر، قد أشرقت من بروج الرحمة والعظمة والروبوية شروقَ الشمس، فغمرتْ ذلك العالمَ الحالك الموحش المذهل بنور زاهٍ باهر جعلني أبصر بعينيّ المؤمنين هاتين: أن الكرة الأرضية في غاية الانتظام والتسخير والتكامل مع الإنسان، وهي في أمان وسلام، فيها رزق كل من يدبّ عليها، كأنها سفينة سياحية مهياة للتنزّه والراحة والاستجمام والتجارة. تتجول بما عليها من مخلوقات، حول الشمس في مملكة ربانية واسعة، وهي مشحونة بالرزق كأنها قطار أو سفينة أو طائرة مشحونة في الربيع والصيف والخريف... فقلتُ وقتئذٍ: "الحمد لله على نعمة الإيمان بعدد ما في الأرض من ذرات."

وفي ضوء هذا المثال تستطيع أن تقيس كثيراً من الموازنات الأخرى التي تتضمنها "رسائل النور" والتي تُثبِت: أن أرباب السفاهة والضلال يذوقون في الدنيا نفسها عذاباً جهنمياً معنوياً، كما أن أهل الصلاح والإيمان يعيشون في جنة معنوية في هذه الدنيا، وبإمكانهم أن يذوقوا طعوم لذائد تلك الجنة المعنوية بحواسهم ولطائفهم الإسلامية والإنسانية وبتجليات الإيمان وجلواته، بل يمكنهم الاستفادة من تلك اللذات حسب تفاوت درجاتهم الإيمانية.

بيد أن طبيعة هذا العصر العاصف الذي تُسود فيه التيارات المعطّلة للمشاعر، والصارفة لأنظار البشرية إلى الأفاق الخاوية والغرق فيها، قد أوجدتْ صعقاً من النوع الذي يعطلّ الإحساس، لذا فإن أرباب الضلال لا يشعرون - مؤقتاً - بعذابهم المعنوي، وأن أهل الهداية بدورهم قد داهمتهم الغفلة فلا يستطيعون أن يقدّروا لذّة الإيمان الحقيقية حق قدرها.

الحالة الرهيبة الثانية لعصرنا الحالي:

أن أنواع الضلالة الناشئة من الإلحاد والعلوم الطبيعية، والتمرد المتولد من الكفر العنادي في الماضي، يُعتَبَران من الضلالة بحيث لا يُذكَران إذا ما قيسا بما عليه الوضع

في وقتنا الراهن، لذا فقد كانت أدلة علماء الإسلام ودراساتهم كافية لسدّ حاجات عصرهم، إذ كان كفر عصرهم مبنياً على الشك، فكانوا يزِيلونه بسرعة؛ حيث كان الإيمان بالله يَسُودُ أوساطَ الناس، وكان من اليسير إرشادُ الكثيرين إلى طريق الهداية والصراط السوي، وإنقاذهم من السفاهة والضلال، وذلك بالتذكير بالله سبحانه والتخويف من عذابه فكان الكثيرون يتخلَّون عن غيهم.

أما اليوم فقد تغير الحال، إذ بينما كان يوجد- في الماضي -ملحد واحد في بلد، يمكن العثور الآن على مائة كافر في قسبة واحدة. وقد زاد عدد الذين يضلون بسبب افتتانهم بالعلوم والفنون الحديثة ويقفون بعناد وتمرد في وجه حقائق الإيمان أضعافاً أضعافِ الماضي بمائة مرة. ولما كان هؤلاء المعاندون يعارضون الحقائق الإيمانية بغير فرعوني وبتضليلات رهيبية، فلا مناص من أن يجابهوا بحقائق قدسية في قوة القبلة الذرية، لِتَحطِّمَ مبادئهم وأسسهم في هذه الدنيا وتوقف زحفهم وتجاوزهم، بل تحملَ قسماً منهم على التسليم والإيمان.

فنحن نحمد الله أجزل الحمد ونشكره شكراً لا منتهى له على أن "رسائل النور" قد أصبحت تريباقاً شافياً لجروح عصرنا الدامية ومعجزة معنوية من معجزات القرآن الحكيم، ولمعة من لمعاته، فلقد استطاعت بموازنتها العديدة أن تحارب أشد المعاندين المتعنتين بسيف القرآن الأمامسي، وتنصب الحجج وتقيم الأدلة على الوحدانية الإلهية وحقائق الإيمان بعدد ذرات الكون.

ولعل هذا السرّ هو الذي جعلها لا تُغلب ولا تنهزم منذ خمسة وعشرين عاماً، في وجه أشد الحملات شرسة، بل كانت هي الغالبة على الدوام.

نعم، إن موازنات الكفر والإيمان، ومقاييسات الهداية والضلال التي تشتمل عليها "رسائل النور"، تُثبت بالمشاهدة هذه الحقيقة المذكورة. فالذي يطالع براهين ولمعاتِ "الكلمة الثانية والعشرين- "بمقاميها- مثلاً، أو يجيل النظر في الموقف الأول من "الكلمة الثانية والثلاثين"، أو يقرأ نوافذ "المكتوب الثالث والثلاثين"، أو يتصّحح الحجج الإحدى عشرة من مجموعة "عصا موسى"، وإذا ما قاس سائر الموازنات والمقاييسات الأخرى

على ما ذكرناه، يدرك جيداً: أن حقائق القرآن المتجلية في " رسائل النور " هي التي تستطيع قطع دابر الإلحاد وعناد أهل الضلال المتمرد في زماننا هذا واستئصال شأفتهما. وكما قد تتجمع الشذرات التي تميط اللثام عن وجه مُعَمَّيات حقائق خلق العالم وأهم دقائق أسرار الدين في مجموعة " أسرار قرآنية) الطلاسم " (فألمي بالله عظيم أن تتجمع كذلك تلك الأجزاء المتناثرة التي تُثبِت- بالأدلة والبراهين - أن أهل الضلالة يعيشون في جهنم في هذه الدنيا وأن أهل الهداية يذوقون لذائذ الجنة في هذه الدنيا أيضاً.. وأن الإيمان بذرة معنوية من بذور الجنة، والكفر نواة من نوى زقوم جهنم. وأملُ أن تجتمع تلك الأجزاء من " رسائل النور " في مجموعة موجزة وتنشر بعون الله وتوفيقه.

سعيد النورسي

نقدم أولاً ما يقدمه كلُّ ذي روح بلسان حال حياته من هدايا معنوية إلى خالقه، وما يقدمه كلُّ منهم من الحمد والشكر بلسان حاله إلى ذلك الواجب الوجود الذي قال: (لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) (الزمر 53)، ونصلي ونسلم صلاةً وسلاماً لا منتهى لهما على نبيِّنا محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام، الذي قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق (945)" أي: إنما بعثني الله إلى الناس لتتميم الخصال الحميدة وإنقاذ البشرية من الطباع الذميمة .
أما بعد!

فيا إخواني العرب الذين يستمعون إلى هذا الدرس في هذا الجامع الأموي؛ إنني ما

⁹⁴⁵ (أحمد بن حنبل، المسند 2/381؛ البيهقي، السنن الكبرى 10/191؛ القضاء، الشهاب

صعدت هذا المنبر وإلى هذا المقام الذي هو فوق حدي لأرشدكم؛ فهذا أمرٌ فوق طوقي، إذ ربما فيكم ما يقارب المئة من العلماء الأفاضل، فمَثَلِي معكم كمثَل صبي يذهب إلى المدرسة صباحاً ثم يعود في المساء ليعرض ما تَعَلَّمه على أبيه، ابتغاء تصحيح أخطائه والتلطّف في تصويبه وإرشاده.

فشاننا معكم شأن الصبيان مع الكبار، فنحن تلامذة بالنسبة إليكم وأنتم أساتذة لنا ولسائر أمة الإسلام. وها أنذا أعرض بعض ما تعلمته على أساتذتي:

لقد تعلمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية، وعلمتُ في هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراض جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب- وخاصة الأوربيين -نحو المستقبل.
وتلك الأمراض هي:

أولاً: حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه.

ثانياً: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

ثالثاً: حبّ العداوة.

رابعاً: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

خامساً: سريان الاستبداد سرياناً الأمراض المعدية المتنوعة.

سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية .

ولمعالجة هذه الأمراض الستة الفتاكة، أبين ما اقتبسُهُ من فيض صيدلية القرآن الحكيم -الذي هو بمثابة كلية الطب في حياتنا الاجتماعية -أبيئها بست كلمات، إذ لا أعرف أسلوباً للمعالجة سواها.

الكلمة الأولى " :الأمل"

أي: شدة الاعتماد على الرحمة الإلهية والثقة بها.

نعم، إنه بناءً على ما تعلمته من دروس الحياة، يسرّني أن أرفق إليكم البشرى يا معشر

المسلمين، بأنه قد أزف بزوغُ أمارات الفجر الصادق ودنا شروقُ شمس سعادة عالم الإسلام الدنيوية وبخاصة سعادة العثمانيين، ولاسيما سعادة العرب الذين يتوقّف تقدّم العالم الإسلامي ورقّيه على تيقظهم وانتباههم، فإنني أعلن بقوة وجزم، بحيث أُسمِع الدنيا كلها وأنف اليأس والقنوط راغم⁽⁹⁴⁶⁾:

أن المستقبل سيكون للإسلام، وللإسلام وحده، وأن الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن والإيمان. لذا فعلينا الرضى بالقدر الإلهي وبما قسمه الله لنا؛ إذ لنا مستقبل زاهر، وللأجانب ماضٍ مشوش مختلط.

فهذه دعواي، لي عليها براهين عدة، سأذكر واحداً ونصفاً فقط منها، بعد أن أمهّد لها ببعض المقدمات.

أما المقدمات فهي:

أن حقائق الإسلام تمتاز باستعدادها استعداداً كاملاً لدفع أهلها إلى مراقي التقدم المادي والمعنوي معاً.

أما أنه مستعد للراقي المعنوي:

فاعلموا أن التاريخ الذي يسجل الوقائع الحقيقية، أُصدّقُ شاهد على حقيقة الأحداث؛ فهي هو التاريخ يرينا أن القائد الياباني الذي هزم الروس يدلي بالشهادة الآتية في صدد عظمة الإسلام وحقانيته": إنه بنسبة قوة الحقائق الإسلامية وبنسبة التزام المسلمين تلك الحقائق، يزدادون رقياً وتقدماً، هكذا يرينا التاريخ. ويرينا أيضاً أنه بقدر ضعف تمسكهم بتلك الحقائق يصابون بالتوحش والتخلف والاضمحلال والوقوع في ألوان من الهرج والمرج والاضطرابات، ويُغلبون على أمرهم. "أما سائر الأديان الأخرى فالأمر فيها على عكس

⁹⁴⁶ (لقد أخبر " سعيد القديم " بإحساس مسبق منذ خمسة وأربعين عاماً بأن العالم الإسلامي- وفي مقدمته الدول العربية -سينجو من سيطرة الأجانب وتحكّمهم، وسيشكلون دولاً إسلامية سنة 1371. ولم يفكر آنذاك في الحربين العالميتين ولا في الاستبداد المطلق الذي دام ما يقارب أربعين عاماً، فبشّر بما كان سنة 1371 وكأنه 1327 دون أن يأخذ سبب التأخير بنظر الاعتبار). المؤلف.)

الإسلام، أي: بقدر ضعف تمسك أتباعها وضعف تعصبهم وصلابتهم في دينهم يزدادون رقياً وتقدماً، وعلى قدر تعصبهم وتمسكهم بدينهم يتعرّضون للانحطاط والاضطرابات. هذا هو حكم التاريخ.. وهكذا مرَّ الزمانُ إلى الآن.

وما أرانا التاريخ قط منذ خير القرون والعصر السعيد إلى الآن أن مسلماً قد ترك دينه مرّحاً عليه- بالمحاكمة العقلية والدليل اليقيني -ديناً آخر، على حين أن كثيراً من أتباع الأديان الأخرى- حتى المتعصبين منهم، كالروس القدامى والإنكليز- قد رجّحوا بالمحاكمة والدليل العقلي دين الإسلام على أديانهم فدخلوا في الإسلام. ولا عبرة هنا بتقليد العوام الذي لا يستند إلى دليل، كما لا عبرة بالمروق عن الدين والخروج على حقائقه، فهذه مسألة أخرى. علماً أن التاريخ يفيدنا بأن عدد من يدينون بالإسلام- بالمحاكمة العقلية - جماعاتٍ وأفواجاً يزداد يوماً بعد يوم⁽⁹⁴⁷⁾.

ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعاتٍ وأفواجاً، بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام.

إن البشرية التي أخذت تصحو وتنبه بتنتاج العلوم والفنون الحديثة أدركت كنه الإنسانية وماهيتها، وتيقنت أنه لا يمكنها أن تعيش هملاً بغير دين، بل حتى أشد الناس إحاداً وتكرراً للدين مضطر إلى أن يلجأ إلى الدين في آخر المطاف؛ لأن: "نقطة استناد" البشر عند مهاجمة المصائب والأعداء من الخارج والداخل، مع عجزه وقلة حيلته، وكذا

⁹⁴⁷ (والدليل على هذه الدعوى هو أنه مع قيام حربين عالميتين رهيبتين، وظهور استبداد مطلق قاسٍ نجد أنه بعد خمس وأربعين سنة:

1. قبول بعض الدول الصغيرة كالسويد والنرويج وفنلندا تدريس القرآن في مدارسها، ليكون سداً منيعاً أمام الشيوعية والإلحاد.

2. قبول عدد من الخطباء الإنكليز المشهورين بإقناع الإنكليز وحملهم على قبول القرآن.

3. موالاة أكبر دول المعمورة في الوقت الحاضر- وهي أمريكا -لحقائق الدين بكل قواها، واعترافها بأن آسيا وإفريقيا ستجدان السعادة والأمن والسلام في ظل الإسلام. فضلاً عن تعاطفها مع دول إسلامية حديثة الولادة ومحاولتها الاتفاق معها.. كل ذلك يُثبت صدق هذه الدعوى التي قيلت قبل خمس وأربعين سنة، وشاهد قوي عليها). المؤلف.

في أحداث الحياة، فلا تعتبرون ولا تهتدون إلى الطريق المستقيم؟ لماذا لا تتأملون ولا تحكّمون عقولكم لئلا تضلوا؟.

ثم تقول: أيها الناس انتبهوا واعتبروا! أنفدوا أنفسكم من بلايا معنوية تنزل بكم، باتعاطكم من القرون الخوالي.

يا إخواني الذين يضمّمهم هذا الجامع الأموي، ويا إخواني في جامع العالم الإسلامي! اعتبروا أنتم أيضاً! وقيّموا الأمور في ضوء الأحداث الجسام التي مرت خلال السنوات الخمس والأربعين الماضية، كونوا راشدين، يا من يعدّون أنفسهم من أولي الفكر والعلم. نحصل مما سبق: نحن معاشر المسلمين خدام القرآن نتبّع البرهان، ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلوبنا حقائق الإيمان، لسنا كمن ترك التقليد بالبرهان تقليداً للرهبان كما هو دأب أتباع سائر الأديان!

وعلى هذا فإن المستقبل الذي لا حكم فيه إلا للعقل والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامه إلى العقل والمنطق والبرهان.

وها قد أخذت الحجب التي كانت تكسف شمس الإسلام تنزاح وتنقشع، وأخذت تلك الموانع بالانكماش والانسحاب، ولقد بدأت تباشير ذلك الفجر منذ خمس وأربعين سنة، وها قد بزغ فجرها الصادق سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف أو هو على وشك البروز، وحتى إن كان هذا الفجر فجرًا كاذبًا فسيطلع الفجر الصادق بعد ثلاثين أو أربعين عاماً إن شاء الله.

نعم، فقد حالت ثمانية موانع دون استيلاء حقائق الإسلام على الزمان الماضي استيلاءً تاماً وهي:

المانع الأول والثاني والثالث:

جهل الأجانب،

وتأخرهم عن عصرهم) أي بُعدهم عن الحضارة)،

وتعصبهم لدينهم...

فهذه الموانع الثلاثة بدأت تزول بفضل التقدم العلمي ومحاسن المدنية .

المانع الرابع والخامس:

تحكّم القسيسين وسيطره الزعماء الروحانيين على أفكار الناس وأذهانهم،
وتقليد الأجانب لأولئك القسيسين تقليداً أعمى.

فهذان المانعان أيضاً يأخذان بالزوال بعد انتشار حرية الفكر وميل النوع البشري إلى
البحث عن الحقائق.

المانع السادس والسابع:

تفشي روح الاستبداد فينا،

وانتشار الأخلاق الذميمة النابعة من مجافة الشريعة ومخالفتها.

فإن زوال قوة استبداد الفرد الآن يشير إلى زوال استبداد الجماعة والمنظمات الرهيبة
بعد ثلاثين أو أربعين سنة. ثم إن فوران الحمية الإسلامية والوقوف على النتائج الوخيمة
للأخلاق الذميمة كفيلان يرفع هذين المانعين بل هما على وشك أن يُرفعا، وسيزولان
زوالاً تاماً إن شاء الله.

المانع الثامن:

توهم وجود نوع من التناقض بين مسائل من العلم الحديث والمعنى الظاهري لحقائق
الإسلام؛ هذا التوهم سبب إلى حد ما وَقَف استيلاء الحقائق الإسلامية في الماضي. فمثلاً:
"إن" الثور والحوت "اللذين هما عبارة عن مَلَكِين روحانيين مأمورين بالإشراف على
الأرض بأمر الله تَحَيَّلَهُمَا البعضُ أنهما حيوانان حقيقيان مجسَّمان، أي: ثور ضخمة وحوت
جسيم، فوقف أهل العلوم الحديثة موقف المعارض للإسلام لعدم اطلاعهم على حقيقة
التشبيه والمجاز.

وهناك مئات من الأمثلة كهذا، إذ بعد الاطلاع على الحقيقة لا يجد أعتى الفلاسفة مفرأ
من الاستسلام والانصياع. حتى إن رسالة " المعجزات القرآنية " قد أشارت إلى كل آية من
الآيات التي تَعَرَّضَ لها أهل العلم الحديث، وأظْهَرَتْ أن في كل منها لمعة رائعة من
لمعات إعجاز القرآن، وبيَّنت ما ظنَّه أهل العلم مدارَ نقدٍ في جُمَل القرآن وكلماته: أن في

كل منها من الحقائق السامية الرفيعة ما لا تطاوله يد العلم، وألجأ الفلاسفة العنيدون إلى الاستسلام والرضوخ. وهذه الرسائل في متناول الجميع، وفي إمكان كل واحد الاطلاع عليها بسهولة، وعليه أن يطلع عليها، ليرى كيف انهار هذا المانع فعلاً، بعدما قيل منذ خمس وأربعين سنةً.

نعم، إن هناك مؤلفاتٍ قيمة لعلماء الإسلام في هذا المجال، وكلُّ الأوامر تدل على أن هذا المانع الثامن سيضمحل تماماً.

وإذا لم يحدث ذلك الآن، فإنه بعد ثلاثين أو أربعين عاماً سوف يتجهز العلم، والمعرفة الحقيقية، ومحاسن المدنية، بوسائل وأعددة كاملة فتتغلب- هذه القوى الثلاث -على الموانع الثمانية المذكورة وتقضي عليها، وذلك ببعثها روحَ التحري عن الحقائق، والإنصاف والمحبة الإنسانية، وإرسالها إلى جبهاتٍ محاربةٍ تلك الأعداء الثمانية.

وقد بدأت تهزمها فعلاً، وسوف تقضي عليها قضاءً تاماً بعد نصف قرن إن شاء الله.

نعم، "الفضل ما شهدت به الأعداء."

وإليك مثالين فقط من بين مئات الأمثلة :

المثال الأول : أن مستر كارلايل (*) أحد مشاهير فلاسفة القرن التاسع عشر وأشهر فيلسوف من القارة الأمريكية يلفت أنظار الفلاسفة وعلماء النصرانية بقوله:
"لقد جاء الإسلام على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها، وحق له أن يبتلعها، لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة، وما كاد يظهر الإسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية وكل ما لم يكن بحق فإنها حطب ميت أكلته نارُ الإسلام فذهب، والنار لم تذهب (948)." "

ويزيد مستر كارلايل فيقول بحق الرسول: p

"هو الرجل العظيم الذي علمه الله العلم والحكمة، فوجب علينا أن نصغي إليه قبل كل

948 (من ترجمة الأستاذ محمد السباعي لكتاب "الأبطال".

شيء (949) ."

ويقول أيضاً:

"إن كنت في ريب من حقائق الإسلام فالأولى بك أن ترتاب في البديهيات والضروريات القطعية، لأن الإسلام من أبدِه الحقائق وأشدّها ضرورة." وهكذا فقد سجّل هذا الفيلسوف الشهير هذه الحقائق حول الإسلام في أماكن متفرقة من مؤلّفه.

المثال الثاني: هو الأمير بسمارك (*) الذي يُعتبر من أشهر رجال الفكر في تاريخ أوروبا الحديث. يقول هذا الفيلسوف:

"لقد درستُ الكتب السماوية بإمعان، فلم أجد فيها الحكمة الحقيقية التي تكفل سعادة البشرية، وذلك للتحريف الذي حصل فيها. ولكنني وجدت قرآن محمد μ يعلو على سائر الكتب. وقد وجدت في كل كلمة منه حكمة. وليس هناك كتاب يحقق سعادة البشرية مثله. ولا يمكن أن يكون كتاب كهذا من كلام البشر. فالذين يدعون أن هذه الأقوال أقوال محمد μ يكابرون الحق وينكرون الضرورات العلمية، أي أن كون القرآن كلام الله أمرٌ بديهي." وهكذا تنتج حقول الذكاء في أمريكا وأوروبا محاصيل رائعة من أمثال مستر كارلايل وبسمارك من جهابذة المحققين.

وفي ضوء هذه الحقيقة أقول وبكل اطمئنان واقتناع:

إن أوروبا وأمريكا حبالى بالإسلام، وستلدان يوماً ما دولة إسلامية، كما حبلت الدولة العثمانية بأوروبا وولدت دولة أوروبية.

أيها الإخوة في الجامع الأموي، ويا إخواني في الجامع الإسلامي بعد نصف قرن! أفلا تنتج المقدمات التي أسلفنا ذكرها حتى الآن: أن الإسلام وحده سيكون حاكماً على قارات المستقبل حكماً حقيقياً ومعنوياً، وأن الذي سيقود البشرية إلى السعادتين الدنيوية والأخروية

949 (من ترجمة الأستاذ محمد السباعي لكتاب "الأبطال".

ليس إلاّ الإسلام والنصرانية الحقّة المنقلبة إلى الإسلام والمتفقة معه والتابعة للقرآن بعد
تحررها من التحريفات والخرافات!
الجهة الثانية: أن الإسلام مستعد للراقي المادي:

إن الأسباب القوية التي تدفع الإسلام إلى الرقي تبين أن الإسلام سيسود المستقبل مادياً
أيضاً.

فكما أثبتنا في الجهة الأولى استعداد الإسلام معنوياً للراقي؛ تُظهر هذه الجهة إظهاراً
واضحاً استعداد الإسلام للراقي المادي وسيادته في المستقبل. لأنه في قلب الشخصية
المعنوية للعالم الإسلامي خمسُ قوى لا تُفهر، وهي في منتهى الرسوخ والمتانة(950):
القوة الأولى :

"الحقيقة الإسلامية" التي هي أستاذ جميع الكمالات والمُثُل، الجاعلةُ من ثلاثمائة
وخمسين مليونَ مسلمٍ كنفسٍ واحدة، والمجّهزة بالمدينة الحقيقية والعلوم الصحيحة، ولها
من القوة ما لا يمكن أن تهزمها قوة مهما كانت.
القوة الثانية:

"الحاجة الملحة" التي هي الأستاذ الحقيقي للمدينة والصناعات والمجّهزة بالوسائل

950 (نعم، نفهم من أستاذية القرآن وإشارات درسه: أن القرآن بذكره معجزات الأنبياء، إنما
يدل البشرية على أن نظائر تلك المعجزات سوف تتحقق في المستقبل بالترقي، ويحث
الإنسان على ذلك وكأنه يقول له: هيا عمل واسع لتنجز أمثال هذه المعجزات؛ فاقطع مثلاً
مسافة شهرين في يوم واحد كما قطعها سليمان عليه السلام.. وعمل على مداواة أشد
الأمراض المستعصية كما داواها عيسى عليه السلام.. واستخرج الماء الباعث على الحياة
من الصخر وأنقذ البشرية من العطش كما فعله موسى عليه السلام بعصاه.. وابتحث عن
المواد التي تفيك شر الحرق بالنار، وألبسها كما لبسها إبراهيم عليه السلام.. والتقط أبعد
الأصوات وسمعها وشاهد الصور من أقصى المشرق والمغرب كما فعل ذلك بعض
الأنبياء.. وألن الحديد كالعجين كما فعله داود عليه السلام، واجعل الحديد كالشمع في يدك
ليكون مداراً لجميع الصناعات البشرية.. كما تستفيدون فوائد جمة من الساعة والسفينة
اللتين هما من معجزات سيدنا يوسف وسيدنا نوح عليهما السلام.. فاعملوا على محاكاتها
وتقليدهما. وهكذا قياساً على هذا نجد أن القرآن الكريم يسوق البشرية إلى الرقي المادي
والمعنوي، ويلقي علينا الدروس ويثبت أنه أستاذ الجميع). المؤلف.

والمبادئ الكاملة.. وكذا" الفقر "الذي قضم ظهرنا .فالحاجة والفقر قوتان لا تسكتان ولا تُقهران.

القوة الثالثة :

"الحرية الشرعية" التي ترشد البشرية إلى سبل التسابق والمنافسة الحقّة نحو المعالي والمقاصد السامية، والتي تمزق أنواع الاستبداد وتشتتها، والتي تهيج المشاعر الرفيعة لدى الإنسان، تلك المشاعر المجهزة بأنماط من الأحاسيس كالمنافسة والغبطة والتيقظ التام والميل إلى التجدد والنزوع إلى التحضر .فهذه القوة الثالثة): الحرية الشرعية (تعني التحلي بأسمى ما يليق بالإنسانية من درجات الكمال والتشوق والتطلع إليها.

القوة الرابعة:

"الشهامة الإيمانية" المجهزة بالشفقة والرافة. أي: أن لا يرضى الذلّ لنفسه أمام الظالمين، ولا يُلحقه بالمظلومين .وبعبارة أخرى عدم مداينة المستبدين وعدم التحكم بالمساكين أو التكبر عليهم، وهذا أساس مهم من أسس الحرية الشرعية.

القوة الخامسة:

"العزة الإسلامية" التي تعلن إعلاء كلمة الله .وفي زماننا هذا يتوقف إعلاء كلمة الله على التقدم المادي والدخول في مضمار المدنية الحقيقية .ولا ريب أن شخصية العالم الإسلامي المعنوية سوف تدرك وتحقق في المستقبل تحقيقاً تاماً ما يتطلبه الإيمان من الحفاظ على عزة الإسلام..

وكما أن رقي الإسلام وتقدمه في الماضي كان بالقضاء على تعصب العدو وتمزيق عناده ودفع اعتدائه- وقد تم ذلك بقوة السلاح والسيف؛ فسوف تُغلب الأعداء ويُسَنَّتْ شملهم بالسيوف المعنوية- بدلاً من المادية -للمدنية الحقيقية والرقى المادي والحق والحقيقة.

اعلموا أيها الإخوان!

إن قصدنا من المدنية هو محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية، وليس ذنوبها وسيئاتها، كما ظن الحمقى من الناس أن تلك السيئات محاسن فقلّدها وخرّبوا الديار، فقدموا الدين

رشوة للحصول على الدنيا فما حصلوا عليها ولا حصلوا على شيء.

إنه بطغيان ذنوب المدنية على محاسنها، ورجحان كفة سيئاتها على حسناتها، تلقت البشرية صفتين قويتين بحريين عالميتين، فأثتا على تلك المدنية الأثمة، وقامت دماءً لطخت وجه الأرض برمتها. وسوف تغلب بإذن الله محاسن المدنية بفضل قوة الإسلام التي ستسود في المستقبل، وتطهر وجه الأرض من الأذناس وتُحَقِّق أيضاً سلاماً عاماً للبشرية قاطبة.

نعم، لما كانت مدنية أوروبا لم تتأسس على الفضيلة والهدى بل على الهوس والهوى، وعلى الحسد والتحكم، تغلبت سيئات هذه المدنية على حسناتها إلى الآن، وأصبحت كشجرة منخورة بديدان المنظمات الثورية الإرهابية. وهذا دليل قوي ومؤشر على قرب انهيارها وسبب مهم لحاجة العالم إلى مدنية آسيا الإسلامية "التي ستكون لها الغلبة عن قريب.

إذا كان أمام أهل الإيمان والإسلام أمثال هذه الأسباب القوية والوسائل القوية للرقى المادي والمعنوي، وطريقٌ سويٌّ مههد كسكة الحديد للوصول إلى السعادة في المستقبل، فكيف تياسون، وتنبطون روح العالم الإسلامي المعنوية وتظنون ظن السوء وفي يأس وقنوط، أن الدنيا دار ترقٍ وتقدم للأجانب وللجميع بينما أصبحت دار تدينٍ وتأخرٍ للمسلمين المساكين وحدهم. إنكم بهذا ترتكبون خطأ شنيعاً؛ إذ ما دام الميل نحو الكمال قانوناً فطرياً في الكون وقد أُدرج في فطرة البشرية، فإن الحق والحقيقة سيُظهرا في المستقبل على يد العالم الإسلامي إن شاء الله سعادةً دنيوية أيضاً كقارة لما اقتترفته البشرية من آثام، ما لم تقم قيامة مفاجئة بما ارتكبت من مفاسد ومظالم.

فانظروا إلى الزمن، إنه لا يسير على خط مستقيم حتى يتباعد المبدأ والمنتهى، بل يدور ضمن دائرة كدوران كرتنا الأرضية؛ فتارة يرينا الصيف والربيع في حال الترقى، وتارة يرينا الشتاء والخريف في حال التذني. وكما أن الشتاء يعقبه الربيع، والليل يخلفه النهار، فسيكون للبشرية ربيع ونهار إن شاء الله، ولكم أن تنتظروا من الرحمة الإلهية شروق شمس حقيقة الإسلام، فتروا المدنية الحقيقية في ظل سلامٍ عام شامل.

لقد قلنا في بداية هذا الدرس أننا سنقيم برهاناً ونصف برهاناً على دعوانا. وقد انتهى

الآن البرهان مجملاً .

وجاء دور نصف البرهان وهو الآتي:

لقد ثبت بالبحث والتحري الدقيق والاستقراء والتجارب العديدة للعلوم أن الخير والحسن والجمال والإتقان والكمال هو السائد المطلق في نظام الكون وهو المقصود لذاته، أي هو المقاصد الحقيقية للصانع الجليل .بدليل أن كل علم من العلوم المتعلقة بالكون يُطلعنا بقواعده الكلية على أن في كل نوع وفي كل طائفة انتظاماً وإبداعاً بحيث لا يمكن للعقل أن يتصور أبداع وأكمل منه .

فمثلاً :علم التشريح الذي يخص الطب، وعلم المنظومة الشمسية الذي يخص الفلك وبقية العلوم التي تخص النباتات والحيوانات، كلٌ منها تفيدها بقواعدها الكلية وبحوثها المتعددة النظام المتقن للصانع الجليل في ذلك النوع، وقدرته المبدعة وحكمته التامة فتبين جميعها حقيقة الآية الكريمة: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) السجدة. (7):

كما أن الاستقراء التام والتجارب الشاملة تثبت أن الشر والقبح والباطل والسيئات كلها جزئية وتبعية وثانوية في خُلق الكون.

فالقبح مثلاً في الكون والمخلوقات ليس هدفاً لذاته وإنما هو وحدة قياسية، لتتقلب حقيقة واحدة للجمال إلى حقائق كثيرة .والشر كذلك، بل حتى الشيطان نفسه إنما خُلق وسلط على البشرية ليكون وسيلةً لترقيات البشر غير المحدودة نحو الكمال التي لا تُنال إلا بالتسابق والمجاهدة.

وأمثال هذه الشرور والقباح الجزئية خُلق في الكون لتكون وسيلة لإظهار أنواع الخير والجمال الكليين .وهكذا يثبت بالاستقراء التام أن المقصد الحقيقي في الكون والغاية الأساسية في الخلق إنما هو الخير والحسن والكمال، لذا فالإنسان الذي لوّث وجه الأرض بكفره الظالم وعصيانه الله لا يمكن أن يفلت من العقاب، ويذهب إلى العدم من دون أن يحق عليه المقصود الحقيقي في الكون، بل سيدخل سجن جهنم!

كما ثبت بالاستقراء التام وتحريات العلوم وأبحاثها أن الإنسان هو أكرم المخلوقات وأشرفها، لأنه يستطيع أن يكشف بعقله عن مراتب الأسباب الظاهرية في خلق الكائنات ونتائجها، ويعرف العلاقات بين العلل والأسباب المتسلسلة، ويستطيع أن يقاد بمهارته

الجزئية الصنائع الإلهية والإيجاد الرباني المنتظم الحكيم، ويستطيع أن يدرك بعلمه الجزئي وبمهارته الجزئية إتقان الأفعال الإلهية، وذلك يجعل ما لديه من جزء اختياري ميزاناً جزئياً ومقياساً مصغراً لدرك تلك الأفعال الإلهية الكلية والصفات الجليلة المطلقة. كل ذلك يُثبت أن الإنسان أشرف مخلوق وأكرمهُ.

وثبت أيضاً بشهادة الحقائق التي قدّمها الإسلام للبشرية والتي تخص البشر والكائنات أن المسلمين هم أفضل البشر وأشرفهم وهم أهل الحق والحقيقة، كما ثبت بشهادة التاريخ والوقائع والاستقراء التام؛ أن أشرف أهل الحق المشرفين من بين البشر المكرّمين وأفضلهم هو محمد μ الذي يشهد له ألف من معجزاته وسمو أخلاقه ومكارمه وحقائق الإسلام والقرآن.

ولما كان نصف البرهان هذا قد بين هذه الحقائق الثلاث أفيمن أن يُفدح نوع البشر بشافوته شهادة هذه العلوم جميعها، وينقض هذا الاستقراء التام، ويتمرد في وجه المشيئة الإلهية والحكمة الأزلية؛ فيستمر في قساوته الظالمة وكفره المتمرد ودماره الرهيب؟ أفيمن أن تستمر هذه الحالة في عداة الإسلام هكذا؟

إنني أقسم بما أتاني الله من قوة بل لو كان لي ما لا يعد ولا يحصى من الألسنة لأقسمت بها جميعاً، بالذي خلق العالم بهذا النظام الأكمل، وخلق الكون في منتهى الحكمة والانتظام من الذرات إلى السيارات السابحات في أجواز الفضاء، ومن جناح البعوضة إلى قناديل النجوم المتألئة في السموات، ذلكم الحكيم ذو الجلال والصانع ذو الجمال، أقسم به سبحانه بألسنة لا تحد أنه لا يمكن أن يخرج البشر على سنة الله الجارية في الكون ويخالف بقية إخوانه من طوائف المخلوقات بشروره الكلية ويقضي بغلبة الشر على الخير فيهمض تلك المظالم الزقومية على مدى ألوف السنين! فهذا لا يمكن قطعاً!

نعم، إنه لا يمكن ذلك إلا بافتراض محالٍ هو أن الإنسان ليس خليفة الله في الأرض، الحامل للأمانة الكبرى والأخ الأكبر الأكرم لسائر أنواع المخلوقات، إنما هو أدنى مخلوق وأردؤه وأرذله وأضره وأحقره، دخل الكون متلصصاً ليفسده! فهذا الفرض المحال باطل من أساسه لا يمكن قبوله بأية جهة كانت.

فلأجل هذه الحقيقة يمكن أن نستنتج من نصف برهاننا هذا:

انه كما أن وجود الجنة والنار ضروري في الآخرة فإن الغلبة المطلقة ستكون للخير وللدين الحق في المستقبل، حتى يكون الخير والفضيلة غالبين في البشرية كما هو الأمر في سائر الأنواع الأخرى، وحتى يتساوى الإنسان مع سائر إخوانه من الكائنات، وحتى يحق أن يقال: إنه قد تحقق وتقرر سرّ الحكمة الأزلية في النوع البشري أيضاً.

وحاصل الكلام: ما دام البشر - طبقاً للحقائق المذكورة القاطعة - أفضل نتيجة منتخبة من الكائنات، وأنه أكرم مخلوق لدى الخالق الكريم، وأن الحياة الباقية تقتضي وجود الجنة وجهنم بالبداهة، فتستلزم المظالم التي ارتكبتها البشرية حتى الآن وجود جهنم، كما تستلزم ما في استعداداته الكمالية المغروزة في فطرته، وحقائقه الإيمانية التي تهم الكائنات بأسرها وجود الجنة بالبداهة. فلا بد، ولا محالة أن البشر لن يهضموا ولن يغفروا الجرائم التي ارتكبت خلال الحربين العظيمنتين والتي جرّت الويلات والمصائب على العالم بأجمعه واستقاءت زقوم شرورها التي استعصت على الهضم فلطّخت وجه الأرض، وتركت البشرية تعاني البؤس والشقاء وهدمت صرح المدنية الذي بنته البشرية طوال ألف عام. فما لم تقم قيامة مفاجئة على البشرية فإننا نرجو من رحمة الرحمن الرحيم، أن تكون الحقائق القرآنية وسيلة لإنقاذ البشرية من السقوط إلى أسفل سافلين، وتطهّر وجه الأرض من الأذناس والأدران، وتقيم سلاماً عاماً شاملاً.

الكلمة الثانية": اليأس داء قاتل"

إن مما أملت عليّ تجاربي في الحياة وتمخض فكري عنه هو: أن اليأس داء قاتل، وقد دبّ في صميم قلب العالم الإسلامي. فهذا اليأس هو الذي أوقعنا صرعى - كالأموات - حتى تمكثت دولة غريبة لا يبلغ تعدادها مليوني نسمة من التحكم في دولة شرقية مسلمة ذات العشرين مليون نسمة فتستعمرها وتسخرها في خدمتها.. وهذا اليأس هو الذي قتل فينا الخصال الحميدة وصرف أنظارنا عن النفع العام وحصّرها في المنافع الشخصية.. وهذا اليأس هو الذي أمات فينا الروح المعنوية التي بها استطاع المسلمون أن يبيسطوا سلطانهم على مشارق الأرض ومغاربها بقوة ضئيلة، ولكن ما إن ماتت تلك القوة المعنوية الخارقة

باليأس حتى تمكّن الأجنب الظلمة- منذ أربعة قرون -أن يتحكموا في ثلاثمائة مليون مسلم ويكبلوهم بالأغلال.

بل قد أصبح الواحد بسبب هذا اليأس يتخذ من فتور الآخرين وعدم مبالاتهم ذريعة للتملص من المسؤولية، ويخلد إلى الكسل قاتلاً" :مالي وللناس، فكل الناس خائرون مثلي"، فيتخلى عن الشهامة الإيمانية ويترك العمل الجاد للإسلام.

فما دام هذا الداء قد فتك فينا إلى هذا الحد، ويقتلنا على مرأى منا، فنحن عازمون على أن نفتصّ مِنْ قاتلنا، فنضربَ رأس ذلك اليأس بسيف الآية الكريمة: (لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) الزمر (53):ونقصم ظهره بحقيقة الحديث الشريف: "ما لا يدرك كله لا يترك جَلّه (951)".

إن اليأس داء عضال للأمم والشعوب، أشبه ما يكون بالسرطان... وهو المانع عن بلوغ الكمالات، والمخالف لروح الحديث القدسي الشريف: "أنا عند ظن عبدي بي .. (952)" وهو شأن الجبناء والسفلة والعاجزين وذريعتهم، وليس هو من شأن الشهامة الإسلامية قط ..وليس هو من شأن العرب الممتازين بسجايا حميدة هي مفخرة البشرية. فلقد تعلم العالم الإسلامي من ثبات العرب وصمودهم الدروس والعبر. وأملنا بالله عظيم أن يتخلى العرب عن اليأس ويَمَدُوا يَدَ العون والوفاق الصادق إلى الترك الذين هم جيش الإسلام الباسل فيرفعوا معاً راية القرآن عالية خفاقة في أرجاء العالم، إن شاء الله.

الكلمة الثالثة: "الصدق أساس الإسلام"

لقد علمتني زبدهُ تنبعاتي وتحقيقاتي في الحياة بتمخض الحياة الاجتماعية أن "الصدق "

⁹⁵¹ (ما لا يدرك كله لا يترك جَلّه " هو معنى الآية (فاتقوا الله ما استطعتم) والحديث " اتق الله ما استطعت " ولفظ الترجمة قاعدة وليس بحديث) كشف الخفاء للعجلوني. (2/196)

⁹⁵² (البخاري، التوحيد15، 35؛ مسلم، الذكر2، 19، التوبة1؛ الترمذي، الزهد51، الدعوات 131؛ ابن ماجه، الأدب.58)

هو أس أساس الإسلام، وواسطة العقد في سجاياه الرفيعة ومزاج مشاعره العلوية. فعلينا إذن أن نحبي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية في نفوسنا ونداوي به أمراضنا المعنوية.

أجل، إن الصدق هو عقدة الحياة في حياة الإسلام الاجتماعية. أما الرياء فهو نوع من الكذب الفعلي، وأما المداينة والتصنع فهو كذب دنيء مردول. وأما النفاق فهو كذب ضار جداً. والكذب نفسه إنما هو افتراء على قدرة الصانع الجليل.

إن الكفر بجميع أنواعه كذب. والإيمان إنما هو صدق وحقيقة. وعلى هذا فالبون شاسع بين الصدق والكذب بُعداً ما بين المشرق والمغرب. ولا ينبغي أن يختلط الصدق والكذب اختلاطاً النور والنار، ولكن السياسة الغادرة والدعاية الظالمة قد خلطتا أحدهما بالآخر. فاختلطت كمالات البشرية ومثلها بسفاسفها ونقائصها⁽⁹⁵³⁾.

⁹⁵³ (إخواني يُفهم من هذا الدرس الذي ألقاه "سعيد القديم" قبل خمس وأربعين سنة: أن سعيداً ذلك كان وثيق الصلة بالسياسة وبشؤون الإسلام الاجتماعية. ولكن حذار أن يذهب بكم الظن إلى أنه قد نهج اتخاذ الدين أداة للسياسة ووسيلة لها. كلا! بل كان يعمل بكل ما لديه من قوة على جعل السياسة أداةً للدين، وكان يقول: "إني أفضل حقيقة واحدة من حقائق الدين على ألف قضية سياسية من سياسات الدنيا".

نعم، لقد أحسنَ آنذاك- قبل ما يقارب الخمسين عاماً- أن بعض الزنادقة المنافقين يحاولون جعل الدين آلة للسياسة، فعمل هو أيضاً- بكل قوة- في مواجهة نواياهم ومحاولاتهم الفكرية تلك على جعل السياسة وسيلة من وسائل تحقيق حقائق الإسلام وخدمة لها.

بيد أنه رأى بعد ذلك بعشرين سنة أن بعض الساسة المتدينين يبذلون الجهد لجعل الدين أداة للسياسة الإسلامية، تجاه جعل أولئك الزنادقة المنافقين المتستترين الذين يجعلون الدين آلة للسياسة بحجة التعزّب. ألا إن شمس الإسلام لن تكون تابعة لأضواء الأرض ولا أداة لها. وإن محاولة جعلها آلة لها تعني الحط من كرامة الإسلام، وهي جناية كبرى بحقه، حتى إن "سعيداً القديم" قد رأى من ذلك النمط من التحيز إلى السياسة أن عالماً صالحاً قد أتتى بحرارة على منافع فكره يوافق فكره السياسي، وانتقد عالماً صالحاً آخر يحمل أفكاراً تخالف أفكاره السياسية حتى وصّمه بالفسق، فقال له "سعيد القديم: "لو أن شيطاناً أيد فكرك السياسي لأمرت عليه الرحمات، أما إذا خالف أحدُ فكرك السياسي للعنته حتى لو كان ملكاً". "الأجل هذا قال" سعيد القديم "منذ خمس وثلاثين سنة": أعوذ بالله من

الشیطان والسیاسة "وتَرَكَ السیاسة". المؤلف).

ولما كان سعيد الجديد قد ترك السياسة كلياً ولا ينظر إليها قطعاً، فقد تُرجمت هذه الخطبة الشامية لسعيد القديم التي تمس السياسة.

إن الصدق والكذب بعيداً أحدهما عن الآخر بُعدَ الكفر عن الإيمان؛ فإن عروج محمد p في خير القرون إلى أعلى عليين بوساطة الصدق وما فتحه من كنوز حقائق الإيمان وأسرار الكون.. جعلَ الصدقَ أروجَ بضاعةٍ وأثمنَ متاعٍ في سوق الحياة الاجتماعية؛ بينما تردى مسيلمة الكذاب وأمثاله إلى أسفل سافلين بالكذب؛ إذ لما حدث ذلك الانقلاب العظيم في المجتمع تبين أن الكذب هو مفتاح الكفر والخرافات، وأفسد بضاعة وأفقرها. فالبضاعة التي تثير التفرز والاشمئزاز لدى جميع الناس إلى هذا الحد لا يمكن أن تمتد إليها يد أولئك الذين كانوا في الصف الأول من ذلك الانقلاب العظيم، أولئك الصحابة الكرام الذين فُطروا على تناول أجود المتاع وأثمنه وأفخره، وحاشاهم أن يلوثوا أيديهم المباركة بالكذب ويمدوها عمداً إلى الكذب ويتشبهوا بمسيلمة الكذاب، بل كانوا بميولهم الفطرية السليمة وبكل ما أوتوا من قوة في طليعة المبتاعين للصدق الذي هو أروج مال وأقوم متاع بل هو مفتاح جميع الحقائق ومراقبة عروج محمد p إلى أعلى عليين. ولأن الصحابة الكرام قد لازموا الصدق ولم يحدوا عنه ما أمكنهم ذلك فقد تقرر لدى علماء الحديث والفقهاء أن الصحابة عدول، رواياتهم لا تحتاج إلى تزكية، كل ما رواه من الأحاديث عن النبي p صحيح. "فهذه الحقيقة المذكورة حجة قاطعة على اتفاق هؤلاء العلماء.

وهكذا فإن الانقلاب العظيم الذي حدث في خير القرون أدّى إلى أن يكون اليون شاسعاً بين الصدق والكذب كما هو بين الكفر والإيمان. إلا أنه بمرور الزمن قد تقاربت المسافة بين الصدق والكذب، بل أعطت الدعايات السياسية أحياناً رواجاً أكثر للكذب، فبرز الكذب والفساد في الميدان وأصبح لهما المجال إلى حد ما.

ثم إنه لم يثبت أنه استغل الدين كأداة للسياسة طوال حياته التي استغرقت أكثر من ربع قرن، وفي مؤلفاته ورسائله التي تربو على مئة وثلاثين رسالة والتي دُفقت بإمعان من قبل خبراء منات المحاكم بل حتى في أحلك الظروف التي تلجته إلى السياسة لشدة مضايقات الظلمة المرتدين والمنافقين، بل حتى عندما أُصير أمر إعدامه سراً، لم يجد أحد منهم أية أمانة كانت عليه حول استغلاله الدين لأجل السياسة.

فنحن طلاب النور نرقب حياته عن كثب ونعرفها بدقائقها لا نملك أنفسنا من الحيرة والإعجاب إزاء هذه الحالة، ونعدّها دليلاً على الإخلاص الحقيقي ضمن دائرة رسائل النور). طلاب النور).

وبناءً على هذه الحقيقة فإن أحداً من الناس لا يمكن أن يبلغ مرتبة الصحابة الكرام. نكتفي هنا بهذا القدر ونحيل القارئ الكريم إلى رسالة الصحابة التي هي ذيل الكلمة السابعة والعشرين رسالة "الاجتهاد".

أيها الإخوة في هذا الجامع الأموي ويا إخوتي الأربعمائة مليون من المؤمنين بعد أربعين عاماً في جامع الإسلام الكبير.

لا نجاه إلا بالصدق، فالصدق هو العروة الوثقى، أما الكذب للمصلحة فقد نسّخه الزمان، ولقد أفتى به بعض العلماء - مؤقتاً - للضرورة والمصلحة، إلا أن في هذا الزمان لا يُعمل بتلك الفتوى؛ إذ أسيء استعماله إلى حد لم يعد فيه نفعٌ واحد إلا بين مئة من المفساد. ولهذا لا تُبنى الأحكام على المصلحة.

مثال ذلك: إن سبب قصر الصلاة في السفر هو المشقة، ولكن لا تكون المشقة علة القصر. إذ ليس لها حدّ معين، فقد يُساء استعمالها، لذا لا تكون العلة إلا السفر. فكذلك المصلحة لا يمكن أن تكون علةً للكذب لأنه ليس للكذب حدّ معين، وهو مستتق ملائم لسوء الاستعمال، فلا يباط به الحكم. وعلى هذا فالطريق اثنان لا ثالث له: إما الصدق وإما السكوت "وليس - قطعاً - الصدق أو الكذب أو السكوت.

ثم إن انعدام الأمن والاستقرار في الوقت الحاضر بالكذب الرهيب الذي تقترفه البشرية وبتزييفها واقتراءاتها، ما هو إلا نتيجة كذبتها وسوء استعمالها للمصلحة، فلا مناص للبشرية إلا سدّ ذلك الطريق الثالث، وإلا فإن ما حدث خلال نصف هذا القرن من حروب عالمية وانقلابات رهيبية ودمار فظيع قد يؤدي إلى أن تقوم قيامة على البشرية.

أجل، عليك أن تصدق في كل ما تتكلمه ولكن ليس صواباً أن تقول كل صدق، فإذا ما أذى الصدق أحياناً إلى ضرر فينبغي السكوت. أما الكذب فلا يسمح له قطعاً.

عليك أن تقول الحق في كل ما تقول ولكن لا يحق لك أن تقول كل حق، لأنه إن لم يكن الحق خالصاً فقد يؤثر تأثيراً سيئاً، فتضع الحق في غير محله.

الكلمة الرابعة: "المحبة"

إن مما تعلمته من الحياة الاجتماعية البشرية طوال حياتي، وما أملتُه عليّ التنبعات والتحقيقات هو:

أن أجد شيء بالمحبة هو المحبة نفسها. وأجد صفة بالخصومة هي الخصومة نفسها. أي إن صفة المحبة التي هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية والتي تدفع إلى تحقق السعادة هي أليق للمحبة، وأن صفة العداوة والبغضاء التي هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها هي أقبح صفة وأضرها وأجد أن تُتجنب وتُنْفَر منها. ولما كنا قد أوضحنا هذه الحقيقة في المکتوب الثاني والعشرين) رسالة الأخوة (نشير إليها هنا إشارة مقتضبة:

لقد انتهى عهد العداوة والخصام. ولقد أظهرت الحربان العالميتان مدى ما في روح العداوة من ظلم فظيع ودمار مريع. وتبين أن لا فائدة منها البتة. وعليه فلا ينبغي أن تجلب سيئات أعدائنا- بشرط عدم التجاوز -عداوتنا، فحسبهم العذاب الإلهي ونار جهنم. إن غرور الإنسان وحبّه لنفسه قد يقودانه أحياناً إلى عداة إخوانه المؤمنين ظلماً ومن دون شعور منه فيظن المرء نفسه محقاً. مع أن مثل هذه العداوة تُعدّ استخفافاً بالوشائج والأسباب التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض- كالإيمان والإسلام والإنسانية -وخطأ من شأنها. وهي أشبه ما يكون بحماقة من يرحح أسباباً تافهة للعداوة كالحصيات على أسباب بجسامة الجبال الراسيات للودّ والمحبة.

فما دامت المحبة مضادة للعداوة ومنافية لها فلا تجتمعان قطعاً كما لا تجتمع الظلمة والنور. فالذي تتغلب أسبابه على الآخر هو الذي يجد موضعه في القلب بحقيقته، أما ضده فلا يكون بحقيقته.

فمثلاً: إذا وجدت المحبة بحقيقتها في القلب فإن العداوة تتقلب حينئذ إلى الرافة والشفقة، فهذا هو الوضع تجاه أهل الإيمان. أما إذا وجدت العداوة بحقيقتها في القلب، فإن المحبة تتقلب عندها إلى المداراة والمماشة والصدقة الظاهرية. فهذا إنما يكون مع أرباب الضلال غير المتجاوزين.

أجل، إن أسباب المحبة هي الإيمان والإسلام والإنسانية وأمثالها من السلاسل النورانية المتينة والحصون المعنوية المنيعه؛ أما أسباب العداوة والبغضاء تجاه المؤمن فإنما هي

أمر خاصة تافهة تفاهة الحصيات. لذا فإن إضرار العداء لمسلم إضراراً حقيقياً، إنما هو خطأ جسيم لأنه استخفاف بأسباب المحبة التي هي أشبه بالجبال.

نحصل مما سبق:

أن الود والمحبة والأخوة هي من طباع الإسلام وروابطه. والذي يحمل في قلبه العداء فهو أشبه ما يكون بطفل فاسد المزاج يروم البكاء بأدنى مبرر للبكاء، وقد يكون ما هو أصغر من جناح ذبابة كافياً لدفعه إلى البكاء، أو هو أشبه ما يكون برجل متشائم لا يحسن الظن بشيء ما دام سوء الظن ممكناً، فيحجب عشر حسناتٍ للمرء بسيئة واحدة. ومن المعلوم أن هذا منافٍ كلياً للخُلُق الإسلامي القاضي بالإنصاف وحسن الظن.

الكلمة الخامسة: تضاعف السيئات والحسنات"

إن الدرس الذي تعلمته من الشورى الشرعية هو: أن سيئة امرئٍ واحدٍ في هذا الزمان، لا تبقى على حالها سيئة واحدة، وإنما قد تكبر وتسري حتى تصبح مئة سيئة. كما أن حسنة واحدة أيضاً لا تبقى على حالها حسنة واحدة بل قد تتضاعف إلى الآلاف. وحكمة هذا وسره هو: أن الحرية الشرعية والشورى المشروعة قد أظهرتا سيادة أمتنا الحقيقية؛ إذ إن حجر الأساس في بناء أمتنا وقوام روحها إنما هو الإسلام، وإن الخلافة العثمانية والجيش التركي من حيث كونهما حاملين لراية تلك الأمة الإسلامية فهما بمثابة الصدفة والقلعة للأمة، وأن العرب والترك هما الأخوان الحقيقيان وسيظلان حارسين أمينين لتلك القلعة المنيعه، والصدفة المتينة.

وهكذا فبفضل هذه الرابطة المقدسة التي تشد الأمة الإسلامية بعضها ببعض يصبح المسلمون كافةً كعشيرة واحدة. فنترتبط طوائف الإسلام برباط الأخوة الإسلامية كما يرتبط أفراد العشيرة الواحدة ويُمد بعضهم بعضاً معنوياً، وإذا اقتضى الأمر فمادياً، وكان الطوائف الإسلامية تنتظم جميعها كحلقاتٍ سلسلةٍ نورانية. فكما إذا ارتكب فرد في عشيرة ما جريمةً فإن عشيرته بأسرها تكون مسؤولة ومتهمة في نظر العشيرة الأخرى وكان كل فرد من تلك العشيرة هو الذي قد ارتكب الجريمة، فتلك الجريمة قد أصبحت بمثابة الألوفا

منها، كذلك إذا قام أحد أفراد تلك العشيرة بحسنة واحدة، افتخر بها سائر أفراد العشيرة وكان كل فرد منها هو الذي كسب تلك الحسنة.

فلأجل هذه الحقيقة فإن في زماننا هذا ولاسيما بعد أربعين أو خمسين سنة ليس المسيء هو وحده المسؤول عن سيئته، بل تتضرر الأمة الإسلامية بملايينها بتلك السيئة. وستظهر أمثلة هذه الحقيقة بكثرة بعد أربعين أو خمسين سنة.

يا إخواني المستمعين إلى أقوالي في هذا الجامع الأموي، ويا أيها الإخوان المسلمون في جامع العالم الإسلامي بعد أربعين أو خمسين عاماً!

لا يعتذرن أحدكم بالقول: "إننا لا نضّر أحداً ولكننا لا نستطيع أن ننفع أحداً أيضاً". فنحن معذورون إذن. "فعدركم هذا مرفوض، إذ إن تكاسلكم وعدم مبالاةكم وتقاعسكم عن العمل لتحقيق الاتحاد الإسلامي والوحدة الحقيقية للأمة الإسلامية، إنما هو ضرر بالغ وظلم فاضح.

وهكذا فكما أن سيئة واحدة تتضاعف إلى الألوف فإن حسنة واحدة في زماننا هذا - وأعني بالحسنة هنا ما يتعلق بقدسية الإسلام - لا تقتصر فائدتها على فاعلها وحده بل يمكن أن تتعداه ليعم نفعها - معنوياً - ملايين المسلمين ويشد من حياتهم المادية والمعنوية . وعليه فإن هذا الزمان ليس زمان الانطراح على فراش الكسل والخلود إلى الراحة وعدم المبالاة بالمسلمين بترديد: "أنا مالي".

يا إخواني في هذا الجامع، ويا إخواني في مسجد العالم الإسلامي الكبير بعد أربعين أو خمسين عاماً!

لا يذهب بكم الظن أنني سعدت هذا المنبر لأرشدكم وأنصحكم، بل ما سعدته إلا لأذكر حقنا عليكم وأطالبكم به، إذ إن مصالح الطوائف الصغيرة وسعادتها الدنيوية والأخروية ترتبط بأمتالكم من الطوائف الكبيرة العظيمة، والحكام والأساتذة من العرب والترك؛ فإن تكاسلكم وتخاذلكم يضران بإخوانكم من الطوائف الصغيرة من أمثالنا أيما ضرر. وإنني أوجه كلامي هذا بوجه خاص إليكم يا معشر العرب العظام الأمجاد، ويا من أخذتم من التيقظ خطأ أو ستنيقظون تيقظاً تاماً في المستقبل؛ لأنكم أساتذتنا وأساتذة جميع الطوائف الإسلامية وأئمتها، فأنتم مجاهدو الإسلام الأوائل، ثم جاءت الأمة التركية

العظيمة لتمدّ وظيفتكم المقدسة تلك أيما إمداد. لذا فإن ذنبكم عظيم بالتكاسل والتقاعد، كما أن حسناتكم جليلة وسامية أيضاً. ولا سيما نحن على أمل عظيم برحمة الله أنه بعد مرور أربعين أو خمسين عاماً تتحدون فيما بينكم- كما اتحدت الجماهير الأمريكية -وتنبؤون مكانتكم السامية وتوفّقون بإذن الله إلى إنقاذ السيادة الإسلامية المأسورة وتقيمونها كالسابق في نصف الكرة الأرضية بل في معظمها. فإن لم تقم القيامة فجأة فسيرى الجيل المقبل هذا الأمل.

فيا إخوتي الكرام!

أرجو أن لا يذهب بكم الظن بأنني بكلامي هذا أستنهض هممكم للاشتغال بالسياسة- حاش لله-، فإن حقيقة الإسلام أسمى من كل سياسة، بل جميع أصناف السياسة وأشكالها يمكن أن تسير في ركاب الإسلام وتخدمه وتعمل له، وليس لأية سياسة كانت أن تستغل الإسلام لتحقيق أغراضها.

فأنا بفهمي القاصر أتصور المجتمع الإسلامي ككل- في زماننا هذا -أشبه ما يكون بمصنع ذي تروس وآلات عديدة؛ فإذا ما تعطل ثرس من ذلك المصنع أو تجاوز على رفيقه الترس الآخر فسيختل تماماً نظام المصنع الميكانيكي. لذا فقد أن أوان الاتحاد الإسلامي وهو على وشك التحقق. فينبغي أن تصرفوا النظر عن تقصيراتكم الشخصية، ولتجاوزوا كلَّ عن الآخر.

وهنا أنبه ببالغ الأسى والأسف إلى أن قسماً من الأجانب كما سلبوا أموالنا الثمينة وأوطاننا، بثمن بخس دارهم معدودة مزوّرة، كذلك فقد سلبوا منا قسماً من أخلاقنا الرفيعة وسجاياتنا الحميدة والتي بها يترابط مجتمعنا، وجعلوا تلك الخصال الحميدة محوراً لرفيقهم وتقدمهم، ودفعوا إلينا نظير ذلك رذائل طباعهم وسفاهة أخلاقهم.

فمثلاً: إن السجبة المليئة التي أخذوها منا هي قول واحدٍ منهم:

"إن متّ أنا فلتحيّ أمتي، فإن لي فيها حياة باقية" هذه السجبة أقوى أساس وأمتته لرفيقهم وتقدمهم، قد سرقوها منا؛ إذ هذه الكلمة إنما تنبع من الدين الحق ومن حقائق الإيمان، فهي لنا وللمؤمنين جميعاً، بينما دخلت فينا أخلاق رذيلة وسجايا فاسدة، فترى ذلك الأناثي الذي فينا يقول: "إذا متّ ظمآن فلا نزل القطر" و"إن لم أر السعادة فعلى الدنيا

العفاء " !فهذه الكلمة الحمقاء إنما تتبع من عدم وجود الدين ومن عدم معرفة الآخرة، فهي دخيلة علينا تسمّنا. ثم إن تلك السجية الغالبة عندما سرت إلى الأجنب اكتسبت كلُّ فرد منهم قيمة عظيمة حتى كأنه أمة وحده؛ لأن قيمة الشخص بهمّته، فمن كانت همته أمته فهو بحد ذاته أمة صغيرة قائمة.

وبسبب عدم تيقظ أناس منا، وبحكم أخذنا الأخلاق الفاسدة من الأجنب فإن هناك من يقول: "نفسى نفسى" مع ما في أمتنا الإسلامية من سمٍّ و قدسية. فألف رجل مثل هذا الشخص الذي لا يفكر إلا بمصلحته الشخصية ولا يبالي بمصلحة الأمة، إنما ينزل بمنزلة شخص واحد.

[من كانت همته نفسه فليس من الإنسان لأنه مدني بالطبع] فهو مضطر لأن يراعي أبناء جنسه، فإن حياته الشخصية يمكن أن تستمر بحياته الاجتماعية. فمثلاً: إن الذي يأكل رغيفاً عليه أن يفكر كم يحتاج إلى الأيدي التي تُحضّر له ذلك الرغيف. فهو يقبل تلك الأيدي معنى. وكذا الثوب الذي يلبسه، كم من الأيدي والآلات والأجهزة تضافرت لتهيئته وتجهيزه. وقيسوا على منوال هذين المثالين لتعلموا أن الإنسان مغطور على الارتباط بأبناء جنسه من الناس لعدم تمكنه من العيش بمفرده، وهو مضطر إلى أن يعطي لهم ثمناً معنوياً لدفع احتياجاته، لذا فهو مدني فطرةً. فالذي يحصر نظره في منفعه الشخصية وحدها إنما ينسلخ من الإنسانية ويصبح حيواناً مفترساً، اللهم إلا من لا حيلة له، وله معذرة حقيقية.

الكلمة السادسة: "الشورى"

إن مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية إنما هو " الشورى ". فالآية الكريمة تأمرنا باتخاذ الشورى في جميع أمورنا، إذ يقول سبحانه: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى، 38):

أجل، فكما أن تلاحق الأفكار بين أبناء الجنس البشري إنما هو شورى على مر

العصور بوساطة التاريخ، حتى غدا مدارَ رقيّ البشرية وأساسَ علومها، فإن سبب تخلف القارة الكبرى التي هي آسيا عن ركب الحضارة إنما هو لعدم قيامها بتلك الشورى الحقيقية.

إن مفتاح قارة آسيا وكشافت مستقبلها إنما هو الشورى، أي كما أن الأفراد يتشاورون فيما بينهم، كذلك ينبغي أن تسلك الطوائف والأقاليم المسلك نفسه فتتشاور فيما بينها. إن فك أنواع القيود التي كُتبت ثلاثمائة بل أربعمئة مليون مسلم، ورَفَع أنواع الاستبداد عنهم إنما يكون بالشورى والحرية الشرعية النابعة من الشهامة الإسلامية والشفقة الإيمانية، تلك الحرية الشرعية التي تنزّين بالآداب الشرعية وتنبذ سيئات المدنية الغربية.

إن الحرية الشرعية النابعة من الإيمان إنما تأمر بأساسين:

[1- أن لا يُدَلَّل "المسلم" ولا يتدَلَّل.. من كان عبداً لله لا يكون عبداً للعباد.]

[2- أن لا يجعل بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله.] إذ من لا يعرف الله حق معرفته يتوهم نوعاً من الربوبية لكل شيء، في كلِّ حَسَبٍ نسبته، فيسلطه على نفسه.

[نعم إن الحرية الشرعية عطية الرحمن [وتجلّ من تجليات الخالق الرحمن الرحيم، وهي خاصّة من خصائص الإيمان.

فليحيا الصدقُ، ولا عاش اليأسُ، فلتدُمّ المحبة ولتفوّ الشورى، والملازم على من اتبع الهوى، والسلام على من اتبع الهدى.. آمين.

وإذا قيل:

لِمَ تهتم بالشورى إلى هذا الحد، وكيف يمكن أن تتقدم البشرية عامة وآسيا والإسلامُ بوجه خاص بتلك الشورى؟

الجواب:

فكما أوضحت لمعةُ "الإخلاص" وهي اللمة الحادية والعشرون: أن الشورى الحق تُؤدِّد الإخلاص والتساند، إذ إن ثلاث ألفات هكذا (111) تصبح مئة وإحدى عشرة، فإنه بالإخلاص والتساند الحقيقي يستطيع ثلاثة أشخاص أن يفيدوا أمتهم فائدة مئة شخص .

ويخبرنا التاريخ بحوادث كثيرة أن عشرة رجال يمكنهم أن يقوموا بما يقوم به ألف شخص بالإخلاص والتساند الحقيقي والشورى فيما بينهم.

فما دامت احتياجات البشر لا حد لها وأعداؤه دون حصر، وقوته ورأس ماله جزئيان محدودان جداً، ولاسيما بعد ازدياد المخزبين والمتوحشين نتيجة تفشي الإلحاد.. فلا بد أن يكون أمام أولئك الأعداء غير المحدودين والحاجات التي لا تحصر نقطة استناد تتبع من الإيمان، فكما تستند حياته الشخصية إلى تلك النقطة فإن حياته الاجتماعية أيضاً إنما تستطيع أن تدوم وتقاوم بالشورى الشرعية النابعة من حقائق الإيمان، فتوقف أولئك الأعداء الشرسين عند حدّهم وتلبي تلك الاحتياجات.

الذيل الأول

تشخيص العلة

هذا الذيل يبين بطولاً معنوية لا تُتلم نابعة من الإيمان، ضمن تمثيل لطيف جداً نذكر خلاصته لمناسبة ما ذكرناه من مسائل.

لقد رافقتُ أيضاً السلطان رشاد (□) في سياحته إلى " روم إيلي " ممثلاً عن الولايات الشرقية، وذلك في بداية عهد الحرية(954).

كان في قطارنا معلمان اثنان، قد تلقيا العلوم في المدارس الحديثة، فجرت بيننا مباحثة، إذ سألاني:

-أيُّهما أقوى وأولى بالالتزام: الحمية الدينية أم المليية؟ قلت لهم وقتئذ:

نحن معاشر المسلمين، الدين والمليية عندنا متحدان بالذات، والاختلاف اعتباري، أي

954 (الاصطلاح الذي أطلقه الاتحاديون على عهدهم .

ظاهري، عرضي، بل الدين هو حياة الملية وروحها؛ فإذا ما نُظر إليهما بأنهما مختلفان ومتباينان، فإن الحماية الدينية تشمل العوام والخواص بينما الحماية الملية تنحصر في واحد بالمئة من الناس، ممن يضحى بمنفعته الشخصية لأجل الأمة.

وعليه فلا بد أن تكون الحماية الدينية أساساً في الحقوق العامة، وتكون الملية خادمة منقادة لها وساندة حصينة لها.

فحن الشرقيين لا نشبه الغربيين، إذ المهيم على قلوبنا الشعور الديني؛ فإنّ بعث الأنبياء في الشرق يشير به القدرُ الإلهي إلى أن الشعور الديني وحده هو الذي يستنهض الشرق ويسوقه إلى التقدم والرقي، والعصر السعيد- وهو خير القرون والذي يليه -خير برهان على هذا.

فيا زملائي في هذه المدرسة السيارة، أعني القطار، ويا من تسألون عن التفاضل بين الحماية الدينية والملية، ويا أيها الدارسون في المدارس الحديثة! إنني أقول لكم جميعاً: إن الحماية الدينية والملية الإسلامية قد امتزجتا في التُّرك والعرب مزجاً لا يمكن فصلهما، وإن الحماية الإسلامية هي أقوى وأمتن حبل نوراني نازل من العرش الأعظم، فهي العروة الوثقى لا انفصام لها، وهي القلعة الحصينة التي لا تهدم.

قال ذلك المعلمان:

ما دليلك؟ يلزم لمثل هذه الدعوى الكبيرة حجة عظيمة ودليل قوي. فما الدليل؟ وفي هذه الأثناء خرج قطارنا من النفق، فأخرجنا رؤوسنا من النوافذ نتطلع إلى الخارج، رأينا صديقاً لا يتجاوز السادسة من العمر واقفاً بجانب سكة الحديد.

قلت لصاحبي :

إن هذا الصبي يجيبنا عن سؤالنا بلسان حاله، فليكن أستاذنا بدلاً مني في مدرستنا السيارة هذه.

إذ لسان حاله يقول هذه الحقيقة:

انظروا إلى دابة الأرض هذه، وإلى ضجيجها وصيحتها، وانطلاقها من النفق، وتأمّلوا في ذلك الطفل الوديع الواقف على مقربة منها، فعلى الرغم من تهديد هذه الدابة وهجومها وانقضاضها على كل من يقترب منها حتى كأنها تقول: يا ويل من يصادفني ويقف

أمامي .. على الرغم من هذا فإن ذلك الصبي البريء واقف لا يحرك ساكناً بالقرب منها، وهو في كمال الاطمئنان والحرية، ولا يكثرث لتهديدها، مبدياً بطولَةً فائقةً وجرأةً خارقةً، وكأنه يستخف بهجومها، فهو يقول بلسان ثباته وبطولته في سن الصبا هذا :

أيها القطار إنك لا تخيفني بصوتك الصاخب الذي يشق عنان السماء .. أيها القطار إنك أسيرُ نظام، فخطامك في يد قائدك، لا طاقة لك أن تتجاوز حدك ولا يمكنك أن تتحكّم فيّ، فهيا انطلق في طريقك وامض في سيرك بإذن قائدك.

فيا صاحبي في القطار، ويا إخوتي الباحثين في العلوم بعد خمسين عاماً!

افرضوا خيالاً أن رستم الفارسي وهرقل اليوناني، واقفان موقف الصبي هذا، وإذ هما لا علم لهما بالقطار، فلا يعتقدان بأنه يسير وفق نظام معين، فإذا ما خرج عليهما من النفق المظلم وفي رأسه النار ذات الوقود وفي أنفاسه هدير السماء، وفي عيونه بروق المصابيح، وهو يهدد ويزمجر وكأنه يريد أن ينفصّ عليهما .. تصوروا هذه الحالة ثم قدّروا مدى الخوف والهلع الذي يعتريهما، وكيف أنهما يفترّان من القطار مع ما يملكانه من جرأة وشجاعة نادرة. وتصوّروا كيف أن حريتهما وجسارتها تضحلان أمام تهديد دابة الأرض هذه حتى لا يجدان بداً منها إلا الفرار .. كل ذلك لأنهما لا يعتقدان بوجود قائد يقود ذلك القطار، ولا يؤمنان بوجود نظام يسير على وفقه، بل لا يظنان أنها دابة مطيعة منقادة ليس إلا، وإنما يتخيلانها أسداً هصوراً ووحشاً كاسراً جسيماً تنتظم وراءه أسود كثيرة ووحوش عديدة.

يا إخوتي! ويا زملائي الذين يسمعون هذا الكلام بعد خمسين عاماً!

إن الذي منح هذا الصبي تلك الجسارة والحرية أكثر من ذينك البطلين ووهب له اطمئناناً وسكينة يفوقهما بكثير هو : أن في قلب ذلك الصبي نواة حقيقة، وهي : إيمانه واطمئنانه بأن ذلك القطار يسير على وفق نظام، واعتقاده بأن زمامه بيد قائد يقوده بأمره ولأجله.

وأما الذي أربّه ذينك البطلين المشهورين وأسر وجدانها، فهو عدم معرفتهما بقائد ذلك القطار وعدم اعتقادها بنظامه، أي جهلها بالعقيدة وخلوها منها.

فمثل هذه البطولة النابعة من إيمان ذلك الصبي الوديع قد ترسّخت طوال ألف سنة في

قلوب عشائر من طوائف الإسلام) وهم الترك ومن تشبَّهوا بهم (عقيدةً وإيماناً، فوهبهم ذلك الإيمان بطولة فائقة استطاعوا بها أن يغزوا دولاً تفوقهم مئة ضعف وأن يثبَّتوا أممها، فنشروا كمالات الإسلام في أرجاء العالم.. في آسيا وإفريقيا ونصف أوروبا، واستقبلوا الموت بسرور بالغ قائلين: "إن قُتِلْتُ فأنا شهيد، وإن قُتِلْتُ عدواً فأنا مجاهد." بل ثبَّتوا- بالإيمان - أمام كل ما اتخذ موقف عداءٍ تجاه استعدادات الإنسان وقواه ابتداءً من الميكروبات إلى المذنبات التي في السماء، وكان كلاً منها قطار رهيب، فلم يكثرثوا بتهديداتِها. وإنما حازت جميع قبائل الإسلام وفي مقدمتها طوائف الترك والعرب نوعاً من السعادة الدنيوية بتسليمهم الأمر إلى الله والرضى بقضائه وقدره ورؤية الحكمة وتلقي دروس العبرة من الحوادث بدلاً من الرهبة والهلع منها.

فإظهارُ هؤلاء المسلمين بطولَةً معنوية فوق المعتاد- كما يُظهِره ذلك الصبيُّ -يدلُّنا: أن أمة الإسلام مثلما تفوز في الآخرة فلهم في الدنيا أيضاً السيادة مستقبلاً.

إن الذي أدَّى إلى أن يدخل في رُوع دينك البطلين الخوف والفرار والقلق إنما هو حرمانهما من الإيمان والعقيدة وجهلُّهما وضلالهما.

فقد أثبتت " رسائل النور " بمئات الحجج القاطعة تلك الحقيقة التي ذكرْتُ بضعة أمثلة منها في مقدمة هذه الرسالة أيضاً، تلك هي: أن الكفر والضلال يُريَان الكونَ لأهلها أنه مليء بالآلاف الأعداء المُخيفين، بل هو سلسلة من طوائف تعادي الإنسان، ابتداءً من المنظومة الشمسية وانتهاءً إلى ميكروبات التدرن الرئوي، كلها تعادي هذا الإنسان المسكين بأيدي القوى العمياء والمصادفة العشواء والطبيعة الصماء، حتى تجعله في رعب دائم وألم مقيم وهلع ملازم واضطراب مستمر، مع ما يحمله هذا الإنسانُ من ماهية جامعة واستعداد كلي وحاجات لا نهاية لها ورغبات لا تنتهى لها. بل يجعله الكفر والضلال في حالة من عذاب جهنم في الدنيا وكأنه يتجرع الزقوم ولا يكاد يسيغه، فلا تجديه آلاف الفنون والعلوم- الخارجة عن الدين والإيمان -ولا التقدمُ البشري- مثلما لم تجد بطولة دينك البطلين المشهورين -بل تُجري في دمه السفاهة واللغو لتعطل حواسه لئلا يشعر بالألم مؤقتاً.

فكما أن المقايضة بين الإيمان والكفر تُفضي في الآخرة إلى الجنة والنار، فإن الإيمان في الدنيا أيضاً يحقق نوعاً من الجنة المعنوية ويجعل المرء يرى الموت نوعاً من التسريح من الوظيفة، بينما الكفر يجعله في الدنيا أيضاً في جحيم معنوي سالباً منه السعادة إذ يريه الموت إعداماً أبدياً. كما أثبتنا ذلك في "رسائل النور" إثباتاً بدرجة الشهود والقطعية التامة. فنحيل القارئ الكريم إلى تلك الرسائل.

فإن شئتم أيها الإخوان أن تروا حقيقة هذا المثال، فارفعوا رؤوسكم وانظروا إلى هذا الكون! كم ترون لله في الفضاء من كرات النجوم وأجرام العوالم وسلاسل الحادثات والوقائع المتسلسلة أمثال القطار والمنطاد والسيارات الإلهية فكأنها سفائن برية وفلك بحرية وطائرات هوائية خلقتها يدُ القدرة الإلهية بنظام وحكمة .

فكما أن للقدرة الإلهية في عالم الشهادة وفي عالمنا المادي أمثال هذه، فإن لها في عالم الأرواح والمعنويات نظائر متسلسلة أعجب، يصدق بها كل من يملك عقلاً، بل يرى أغلبها كل من يملك بصيرة.

فهذه الأمور المتسلسلة المترابطة في الكون سواءً منها المادية أو المعنوية تهاجم أهل الضلال الذين حُرِّموا من الإيمان وتهدهم وتُرهبهم وتحطم قواهم المعنوية، بينما لا تخيف أهل الإيمان ولا تهدهم بشيء بل تبعث فيهم السرور والسعادة والأنس والأمل والقوة، وذلك لأنهم يرون الوجود بنور الإيمان، وتلك الحوادث المتسلسلة، وتلك القاطرات المادية والمعنوية والعوالم السيارة، إنما تساق إلى وظيفة معينة محددة من قبل صانع حكيم لتؤديها ضمن نظام وحكمة من دون اختلاط ولا تجاوز قط.

فيري الإيمان المؤمن أن كل شيء ينال قبساً من تجليات جمال الله وإتقان صنعته سبحانه، ويمنحه قوة معنوية عظيمة بما يفتح له من نماذج للسعادة الأبدية.

وهكذا فإن ما يعانيه أهل الضلال من الآلام الرهيبة الناشئة من فقدان الإيمان، وما يلزمهم من خوف ورعب شديدين، تقف إزاءه جميع أنواع الرقي البشري عاجزة لا تمنح له سلواناً ولا عزاءً، بل لا يمكنها أن تضمن له قوة معنوية، فتتطمج الجراءة والإقدام.. إلأ ما تخدعه الغفلة من إسدال ستار النسيان عليها.

أما أهل الإيمان فلا تُرهبهم تلك الحوادث ولا تأخذ من معنوياتهم؛ وذلك بفضل الإيمان (مثل ذلك الصبي) بل تزيد معنوياتهم صلابة، إذ ينظرون إليها- أي إلى الحوادث -من خلال حقيقة إيمانهم فيشاهدون إرادة الصانع الحكيم وإدارته وتدبيره إياها ضمن حكمته الواسعة، فيتحررون من المخاوف والأوهام، إذ يعلمون أنه: لولا أمرُ الصانع الحكيم وإذنه لما استطاعت هذه العوالم السيارة الحركةَ قط، فينالون بهذا اطمئناناً يسعدهم في الدنيا كذلك، كل حسب درجته.

ومن لم يكن في قلبه ووجدانه بذرة هذه الحقيقة النابعة من الإيمان والدين الحق، ولم يستند إلى ركيزة، فمثله كمثّل ذنك البطلين المشهورين، إذ تنهار قواه المعنوية بمثل تحطم جسارتها وبطولتها، ويكون أسيرَ حوادث الكائنات فيفتسخ وجدانه ويصبح كالمتمسول الذليل بإزاء كل حادثة.

نكتفي بهذا القدر لبيان هذه الحقيقة الواسعة حيث بيّنت "رسائلُ النور" بحججها الدامغة أن هذا السر كامنٌ في الإيمان بينما الضلالة تحمل شقاءً وتعاسة في الدنيا أيضاً.

إن الإنسان الذي أحسّ في هذا العصر بحاجته الماسة إلى قوة معنوية وصلابة وثبات وإلى عزاء وسلوان، قد ترك حقائق الإيمان التي هي أعظم ركيزة استنادٍ له والتي تضمّن له القوة المعنوية والسلوان والسعادة، واستهواه التغرب فاستند إلى الضلالة والسفه، فبدلاً من أن يستفيد من المليّة الإسلامية أخذ يحطم القوة المعنوية تحطيماً كاملاً، فأزال عنه السلوان وأوهن صلابته بانسياقه وراء الضلال والسفه والسياسة الكاذبة. ألا ترى أن هذا بعدُ شاسع عن مصالح الإنسان ومنافعه؟ ألا إن الإنسانية ستدرك يوماً- إن بقي لها من العمر بقية -حقيقة القرآن، وستتعصم به، وفي مقدمتها المسلمون.

* * *

لقد سألت قسم من النواب المتدينين سعيداً القديم أوائل عهد الحرية:

إنك تجعل السياسة تابعة للدين في كل شيء، بل تجعلها وسيلة منقادة للشريعة، ولا تقبل الحرية إلا على أساس الوجه المشروع، بمعنى أنك لا تعترف بالحرية والمشروطية بدون الشريعة، ولأجل هذا جعلوك في صفوف المطالبين بتطبيق الشريعة في حادثة (31) مارت.

فأجابهم سعيد القديم بالآتي:

أجل، إنه لا سعادة لأمة الإسلام إلا بتحقيق حقائق الإسلام، وإلا فلا، ولا يمكن أن تذوق الأمة السعادة في الدنيا أو تعيش حياة اجتماعية فاضلة إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإلا فلا عدالة قطعاً، ولا أمان مطلقاً؛ إذ تتغلب عندئذ الأخلاق الفاسدة والصفات الذميمة، ويبقى الأمر معلقاً بيد الكذابين والمرائين.

سأعرض لكم ما يثبت هذه الحقيقة في حكاية أوردها نموذجاً مصغراً من بين آلاف الحجج.

سافر شخص إلى قوم من البدو في صحراء، فنزل ضعيفاً عند رجل فاضل.. لاحظ أنهم لا يهتمون بحرز أموالهم. وقد ألقى صاحبُ المنزل نقوده في زوايا البيت مكشوفةً دون تحفظ. قال الضيف لصاحب المنزل:

ألا تخافون من السرقة؟ تلقون أموالكم هكذا في الزوايا دون تحرز؟

أجابه: لا تقع السرقة فينا!

-إننا نضع نقودنا في صناديق حديد مقفلة، ومع ذلك كثيراً ما تقع فينا السرقة.

-إننا نقطع يد السارق كما أمر به الله تعالى وعلى وفق ما تتطلبه عدالة الشريعة.

-فاذن كثيرون منكم قد حرّموا من إحدى أيديهم!

-ما رأيت إلا قطع يد واحدة، وقد بلغت الخمسين من العمر.

-إن في بلادنا يسجن يومياً ما يقارب الخمسين من الناس بسبب السرقة، ومع ذلك لا

يردعهم ذلك إلا بواحد من ألف مما تردعه عدالتكم!

-لقد أهملت حقيقة عظيمة وغفلت عن سرّ عجيب عريق، لذا تُحرمون من حقيقة

العدالة؛ إذ بدلاً من المصلحة الإنسانية تتدخل فيكم الأغراض الشخصية والمحسوبيات والتحيز وما إلى ذلك من الأمور التي تعيّر طبيعة الأحكام وتحرّفها.

وحكمة تلك الحقيقة هي: أن السارق فينا في اللحظة التي يمد يده للسرقة يتذكر إجراء

الحدّ الشرعي عليه، ويخطر بباله أنه أمر إلهي نازل من العرش الأعظم، فكأنه يسمع

بخاصية الإيمان بأذن قلبه ويشعر حقيقةً بالكلام الأزلّي الذي يقول: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ

فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ المائدة (38): فيهيج عنده ما يحمله من إيمان وعقيدة، وتثار مشاعره النبيلة،

فتحصل له حالة روحية أشبه ما يكون بهجوم يُشن من أطراف الوجدان وأعماقه على ميل السرقة، فيتشتت ذلك الميل الناشئ من النفس الأمارة بالسوء والهوى، وينسحب وينكمش، وهكذا بتوالي التنكير هذا يزول ذلك الميل إلى السرقة، إذ الذي يهاجم ذلك الميل ليس الوهم والفكر وحدهما وإنما هو قوى معنوية من عقل وقلب ووجدان، كلها تهاجم دفعة واحدة ذلك الميل والهوى فبتذكر الحد الشرعي يقف تجاه ذلك الميل زجرٌ سماوي وراذع وجداني فيسكتانه.

أجل، إن الإيمان يقيم دائماً في القلب والعقل حارساً معنوياً أميناً، لذا كلما صدرت ميول فاسدة عن تطلعات النفس والنوازع والأحاسيس المادية قال لها ذلك الحارس الرادع : "محظور .. ممنوع" .. فيطردها ويهزمها.

إن أفعال الإنسان إنما تصدر عن تمايلات القلب والمشاعر وهي تنبعث من شدة تحسس الروح وحاجتها، والروح إنما تهتز بنور الإيمان، فإن كان خيراً يفعله الإنسان، وإلا يحاول الانسحاب، وعندئذ لا تغلبه النوازع والأحاسيس المادية التي لا ترى العقبي! :
الحاصل :

إن " الحد " أو " العقاب " عندما يقام امتثالاً للأمر الإلهي والعدل الرباني فإن الروح والعقل والوجدان واللطف المندرجة في ماهية الإنسان تتأثر به وترتبط به، فلأجل هذا المعنى أفادتنا إقامة حد واحد طوال خمسين سنة أكثر من سجنكم في كل يوم! ذلك لأن عقوباتكم التي تُجرونها باسم العدالة لا يبلغ تأثيرها إلا في وهمكم وخيالكم، إذ عندما يقوم أحدكم بالسرقة يرد إلى خياله العقاب الذي ما وضع إلا لأجل مصلحة الأمة والبلاد ويقول : إن الناس لو عَرَفوا بأني سارق فسينظرون إليّ نظرة ازدراءٍ وعتاب، وإذا تبين الأمر ضديّ ربما تزجني الحكومة في السجن .. وعند ذلك لا تتأثر إلا قوته الواهمة تأثراً جزئياً، بينما يتغلب عليه الميل الشديد إلى السرقة والنابع من النفس الأمارة والأحاسيس المادية- لاسيما إن كان محتاجاً- فلا ينفعه عقابكم لإنقاذه من ذلك العمل السيء. ثم لأنه ليس امتثالاً للأمر الإلهي فليس هو بعدالة، بل باطل وفساد بطلان الصلابة بلا وضوء وبلا توجه إلى القبلة، أي إن العدالة الحقة والعقاب الرادع إنما يكون إذا أُجريت امتثالاً للأمر الإلهي وإلا

فإن تأثير العقاب يكون ضئيلاً جداً.

فإذا قست على هذه المسألة الجزئية في السرقة سائر الأحكام الإلهية تترك أن السعادة البشرية في الدنيا مرتهنة بإجراء العدالة، ولا تنفذ العدالة إلا كما بيّنها القرآن الكريم.
(انتهت خلاصة الحكاية.)

ولقد أخطر على القلب أنه إذا لم يفق الإنسان من غفلته بسرعة، ولم يسترشد بعقله، ويفتح أبواب المحاكم لتنفيذ عدالة الله ضمن حقائق الإسلام، فستنفلق على رأسه قيامات مادية ومعنوية ويسلم السلاح إلى الفوضويين والإرهابيين ومن هم أمثال يأجوج ومأجوج! وهكذا فلقد حكى " سعيد القديم " هذه الحكاية لقسم من النواب المتدينين، وأدرجت قبل خمسة وأربعين عاماً في ذيل الخطبة الشامية العربية التي طبعت طبعتين في أسبوع واحد. والآن فهذه الحكاية والتمثيل الأول، إنما هما درسان يستفيد منهما النواب المتدينون الأفاضل في الوقت الحاضر أكثر من سابقهم، فنبيّنهما لهم درساً من دروس العبرة⁽⁹⁵⁵⁾.

⁹⁵⁵ (لقد رجونا من أستاذنا أن يدرّسنا في غضون يومين الخطبة الشامية المطبوعة بالعربية، لعدم إتقاننا العربية، ففضل علينا بشرحها، ونحن بدورنا دوناً ما قرره علينا، وكان الأستاذ يكرر بعض الجمل ويعيدها كي يرسخها في أذهاننا، ولما كنا قد وجدنا المثال والحكاية الأخيرة واضحة، فقد أبرزناها مقدماً إلى الطلاب الجامعيين والنواب المتدينين، ذلك لأن الأستاذ عندما استهلّ الدرس قال:

"إنني أضعكم أمامي بدلاً من المعلمين في ذلك القطار، وأضع النواب المتدينين حقاً بدلاً من النواب المتدينين الذين سألوني عن الشريعة قبل خمسة وأربعين عاماً، هكذا أتصور الأمر وأتكلم في ضوئه.

فنحن نبين ما في هذه الرسالة من معاني أولاً لأهل المعرفة والتربية والنواب المتدينين، وإذا شاؤوا نبين لهم الدروس التي أخذناها من الأستاذ لدى شرحه الخطبة لنا. وإذا ارتأوا نطبعها وننشرها.

كنا نودّ أن نأخذ درساً حول السياسة الإسلامية الدائرة في العالم الإسلامي، ولكن لأن الأستاذ قد ترك السياسة منذ خمس وثلاثين سنة، فإن هذه الخطبة التي تمس السياسة -إنما هي درس من دروس " سعيد القديم."

طلاب النور

طاهري، زبير، بايرام، جيلان، صونغور،

ذيل الذيل

لتحيا الشريعة الغراء

26 شباط 1324 رومي

الجريدة الدينية 70/

7مارت 1909 م

أيها النواب!

سأقول جملة واحدة موجزة مع أنها طويلة .فأرجو أن تلاحظوها باهتمام بالغ، إذ في إطنابها إيجاز وهي:

إن المشروعية والقانون الأساس هما العدالة والشورى وحصر القوة في القانون...

مع هذا العنوان أقول:

إن الإسلام وشريعته الغراء- هو :المالك الحقيقي وصاحب العنوان المعظم ..والمؤثر الحق والمتضمن للعدالة المحضة ..ويحقق نقطة استنادنا ..ويرسي المشروعية على أساس متين ..وينفذ ذوي الأوهام والشكوك من ورطة الحيرة ..ويتكفل بمستقبلنا وآخرتنا .. وينقذكم من التصرف في حقوق الله بدون إذن منه، تلك الحقوق التي تَصْمَنُ مصالح الناس كافة ..ويحافظ على حياة أمتنا ..ويظهر ثباتنا وكمالنا ويحقق وجودنا أمام الأجانب، وسحر العقول والأذهان ..وينقذكم من تبعات الدنيا والآخرة ..ويؤسس الاتحاد العام الشامل نهاية المطاف ..ويولد الأفكار العامة) الرأي العام (التي هي روح ذلك الاتحاد ..ويحول دون دخول مفاصد المدنية إلى حدود حريتنا ومدنيتنا ..وينجيننا من ذل التسول من أوروبا ..

ويطوي لنا المسافة الشاسعة التي تَخَلَّفنا فيها عن الرقي في زمان قصير بناءً على سرِّ الإعجاز .. ويرفع من شأننا في زمن قصير بتوحيد العرب والطوران وإيران والساميين .. ويظهر الشخصية المعنوية للدولة بمظهر الإسلام ..

ويخلصكم من حنث الأيمان بالمحافظة على المادة الحادية عشرة من القانون الأساس .. ويبطل الظنون الفاسدة التي تحملها أوروبا سابقاً .. ويحملهم على التصديق بأن النبي محمداً ﷺ وخاتم الأنبياء، وأن الشريعة خالدة .. ويقيم سداً أمام الإلحاد الذي يدمر المدنية .. ويزيل بصفحته النورانية ظلمة تباين الأفكار وتشتت الآراء .. ويجعل جميع العلماء والوعاظ متحدين في سبيل سعادة الأمة وتنقية إجراءات الدولة وخداماً للمشروعية المشروعة .. ويؤلف قلوب غير المسلمين ويربطهم به أكثر، فعدالته المحضة رحيمة .. ويجعل أجبين شخص وأكثرهم ضعة أشجع وأرفع إنسانٍ ويعاملهم هكذا .. وينفخ فيهم الشعور بالرقي والتضحية ويحسسهم بحب الوطن .. ويخلصنا من السفاهة التي تهدم المدنية ومن الحاجيات غير الضرورية .. ويبعث فينا النشاط في العمل للعالم مع تذكر الآخرة والمحافظة عليها .. ويعلمنا الأخلاق المحمودة التي هي حياة المدنية .. ويفهمنا قواعد المشاعر النبيلة .. ويبرئ ساحتكم أيها المبعوثون من مطالبة حقوق خمسين ألف شخص .. ويظهركم مثلاً مصغراً مشروعاً لإجماع الأمة .. ويجعل أعمالكم كأنها عبادة حسب نياتكم الخالصة .. وينجيكم من الجناية التي تتركب بحق الحياة المعنوية لثلاثمائة مليون من المسلمين ..

فإذا ما أظهرتم الإسلام وشريعته الغراء واتخذتموها أساساً لأحكامكم، وطبقتم دساتيرها، فمع اغتنام فوائد إلى هذا الحد هل تفقدون من شيء؟ والسلام .

فلتحيا الشريعة الغراء .

سعيد النورسي

حقيقة

26 شباط 1324 رومي

نحن منذ الأزل داخلون في الجمعية المحمدية، فالتوحيد هو جهة الوحدة والاتحاد فيما بيننا، وقَسَمْنَا وعهدنا هو الإيمان.

فما دمنا موحدين متحدين، فكل مؤمن مكلفٌ بإعلاء كلمة الله... وأعظمُ وسيلة لإعلاء كلمة الله في زماننا هذا هو الرقي المادي.

إذ الأجنب يسحقوننا تحت تحكمهم المعنوي بسلاح العلوم والصنائع، ونحن سنجاهد بسلاح العلم والتقنية الجهلَ والفقَرَ والخلاف الذي هو ألد أعداء إعلاء كلمة الله.

أما الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الألماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء . لأن الغلبة على المدنيين إنما هي بالإقناع وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً.

نحن فدائيو المحبة لا مكان بيننا للخصومة.

فالجُمهوريَّة (956) عبارة عن العدالة والشورى وحصر القوة في القانون... أليس من الجناية على الإسلام أن تستجدي الأحكام من أوروبا ولنا شريعة غراء تأسست قبل ثلاثة عشر قرناً؟ إن هذا الاستجداء شبيه بالتوجه إلى غير القبلة في الصلاة.

إن القوة لا بد أن تكون في القانون وإلا فسيتفشى الاستبداد في الكثيرين.

ولا بد أن يكون المهيمن والأمر الوجداني قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) الحج . (74): وهذا يكون بالمعرفة التامة والمدنية الكاملة أو بتعبير آخر بالإسلام، وإلا فسيكون الاستبداد هو المستولي دائماً.

إن الاتفاق في الهدى وليس في الهوى والهوس.

نعم، إن الله خلق الناس أحراراً وهم عبيد لله، فقد تحرر كل شيء، فنحن بامتنا لنا الشريعة أحرار، وبتمسكنا بالمشروطية أحرار أيضاً، ولن نتنازل عن المسائل الشرعية

956 (ووضعت هذه الكلمة حديثاً بدلاً من المشروطية الموجودة سابقاً)... المؤلف.)

ولن نعطيها أتاوة. إن قصور فردٍ عن شيء لا يكون عذراً لقصور آخر.

اعلموا أن اليأس مانع كل كمال.

إن هدية الاستبداد وتذكاره هو " مالي أنا .. فليفكر غيري."

أحيل الربط بين هذه الجمل إلى فكر المُطالع الكريم لعدم إتقاني اللغة التركية!!

سعيد النورسي

صدى الحقيقة

27مارت 1909 م

إن السبيل المحمدي مستغنٍ عن كل ما يَوْمئِ إلى الحيلة والشك لأنه منزّه عن الخداع والشبهة.

ثم إن حقيقة واسعة عظيمة محيطة إلى هذا الحد- ولا سيما تجاه أهل هذا الزمان -لا يمكن أن تخفى مطلقاً.

وهل يخفى البحر العظيم في كأس؟!

أقول مكرراً إن التوحيد الإلهي هو جهة الوحدة في الاتحاد المحمدي الذي هو حقيقة اتحاد الإسلام) الوحدة الإسلامية.(

أما يمينه وبيعته فهو الإيمان.

ومقرّاته وأماكن تجمعاته :المساجد والمدارس الدينية والزوايا.

ومنتسبوه :جميع المؤمنين.

ونظامه الداخلي :السنن الأحمدية، والقوانين الشرعية بأوامرها ونواهيها .فهذا الاتحاد

ليس نابعاً من العادة وإنما هو عبادة.

فالإخفاء والخوف من الرياء، والفرائض لا رياء فيها، وأوجبُ الفرائض في هذا الوقت

هو اتحاد الإسلام) الوحدة الإسلامية.(

وهدف الاتحاد وقصده تحريك الرابطة النورانية التي تربط المعابد الإسلامية التي هي منتشرة ومنتشبة، وإيقاظ المرتبطين بها بهذا التحريك، ودفعهم إلى طريق الرقي بأمر وجداني.

مشرب هذا الاتحاد هو: المحبة. وعوده: الجهل والفقر والنفاق.

وليظمنن غير المسلمين بأن اتحادنا هو الهجوم على هذه الصفات الثلاث ليس إلا. وبالنسبة إليهم فسيبيلنا الإقناع؛ لأننا نعتقدهم مدنيين. وإننا مكلفون بأن نظهر الإسلام بمظهر الجمال والحسن المحبوب، لأننا نظن فيهم الإنصاف. ألا فليعلم المهملون غير المكثرئين أنهم لا يحبون أنفسهم بالانسلاخ من الدين لأي أجنبي كان. وإنما يظهرون أنهم على غير هدى ليس إلا. ومن كان على غير هدى في طريق الفوضوية لا يُحَبَّ قطعاً، والذين انضموا إلى هذا الاتحاد بعد التدقيق العلمي والبحث والتحري لا يتركونه تقليداً لأولئك حتماً.

نحن نعرض أفكار اتحاد الإسلام الذي هو الاتحاد المحمدي ومسلكه وحقيقته للناس أجمعين. ونحن مستعدون لسماع أي اعتراض كان.

جمله شيران جهان بسته اين سلسله أند

روبه أزحيله جه سان بكسلد اين سلسله را

أي:

هل يقطع الثعلب المحتال سلسلة

قيدت بها أسد الدنيا بأسرهم

سعيد النورسي

* * *

"فقرة تركتها من" فهرس المقاصد "المنشور"

إن نهر العلوم الحديثة والثقافة الجديدة الجاري والآتي إلينا من الخارج كما هو الظاهر، ينبغي أن يكون أحد مجاريه قسماً من أهل الشريعة كي يتصفى من شوائب الحيل

ورواسب الغش والخداع، لأن الأفكار التي نمت في مستنقع العطالة، وتنفست سموم الاستبداد، وانسحقت تحت وطأة الظلم، يُحدث فيها هذا الماء الأسن العفن خلاف المقصود. فلا بد إذن من تصفيته بمصفاة الشريعة. وهذا الأمر تقع مسؤوليته على عاتق أهل المدرسة الشرعية.

والسلام على من اتبع الهدى
سعيد النورسي

لتحيا الشريعة الأحمدية

"على صاحبها الصلاة والسلام"

5مارت 1325 رومي

الجريدة الدينية 77/

18مارت 1909 م

إن الشريعة الغراء باقية إلى الأبد؛ لأنها آتية من الكلام الأزلي وأن النجاة والخلاص من تحكم النفس الأمارة بالسوء بنا هي بالاعتماد على الإسلام والاستناد إليه والتمسك بحبل الله المتين.

وإن جئنا فوائد الحرية الحقة والاستفادة منها استفادة كاملة منوط بالاستمداد من الإيمان؛ ذلك لأن من أراد العبودية الخالصة لرب العالمين لا ينبغي له أن يُذلل نفسه فيكون عبداً للعبيد. وحيث إن كل إنسان راعٍ في ملكه وعالمه فهو مكلف بالجهاد الأكبر في عالمه الأصغر ومأمور بالتخلق بأخلاق النبي μ وإحياء سنته الشريفة.

يا أولياء الأمور! إن أردتم التوفيق فاطلبوه في موافقة أعمالكم للسنن الإلهية في الكون -أي قوانين الله- وإلا فلن تحصدوا إلا الخذلان والإخفاق. لأن ظهور الأنبياء عامة في الممالك الإسلامية والعثمانية إنما هو رمز وإشارة من القدر الإلهي: أن الذي يدفع أبناء

هذه الممالك إلى التقدم إنما هو الدين، وأن أزاهير مزرعة آسيا وإفريقيا وبساتين نصف أوروبا ستفتح وتزدهر بنور الإسلام.

اعلموا أن الدين لا يضغى به لأجل الحصول على الدنيا؛ فقد كانت تعطى فيما مضى مسائل الشريعة أتوة للحفاظ على الاستبداد البائد (957). أروني ماذا حصدنا من ترك مسائل الدين والتضحية بها غير الضرر والخيبة.

إن إصابة الأمة في قلبها إنما هو من ضعف الدين ولن تنعم بالصحة إلا بتقوية الدين. إن مشربنا: محبة المحبة، ومخاصمة الخصومة، أي إمداد جنود المحبة بين المسلمين، وتشتيت عساكر الخصومة فيما بينهم.

أما مسلكتنا: فهو التخلق بالأخلاق المحمدية p وإحياء السنة النبوية .

ومرشدنا في الحياة: الشريعة الغراء

وسيفنا: البراهين القاطعة.

وهدفنا: إعلاء كلمة الله..

إن كل مؤمن هو منتسب- معنى -لجماعتنا، (958) وصورة هذا الانتساب هو العزم القاطع على إحياء السنة النبوية في عالمه الخاص، فنحن ندعو باسم الشريعة أولئك المرشدين وهم العلماء والمشايخ من طلاب العلوم إلى الاتحاد قبل أي أحد سواهم.

سعيد النورسي

تنبيه خاص

957 (المقصود عهد السلطان عبد الحميد الثاني، والأستاذ النورسي مع أنه كان يشغ بالاستبداد إلا أنه يحسن الظن بالسلطان نفسه، فهو إذ يفصح مساوي الاستبداد الذي كان يمارس باسم السلطان يبئ ساحة السلطان فيقول عنه: السلطان المظلوم .. إنه ولي من أولياء الله الصالحين .

958 (هذه المقالة والتي تعقبها تعدّ دعوة واضحة إلى الاتحاد الإسلامي والرجوع إلى الشريعة والتمسك بأهداب الدين ونبذ الخلافات مهما كانت صورها، وهي في الوقت نفسه تمهيد للأذهان لقبول "الاتحاد المحمدي" بمفهومه العام الشامل لجميع المسلمين، والذي أعلن عنه رسمياً في 5/ نيسان 1909/ضمن احتفال مهيب في جامع أياصوفيا .

إن الصحفيين الذين هم خطباء عامّون قد أوقعوا الأمة في مستنقع فاسد بقياسين فاسدين:

الأول: أنهم يقيسون الولايات الأخرى على إسطنبول علماً أن الأطفال الذين لا يستطيعون قراءة الألفباء إذا لُقّنوا الفلسفة فإنه يكون تلقيناً سطحياً.

الثاني: أنهم يقيسون إسطنبول على أوروبا علماً أن الرجل إذا ما لبس ثوب امرأة يكون محل هزاء وسخرية ويتسفل.

سعيد النورسي

رد الأوهام

18مارت 1325 رومي

31مارت 1909 ميلادي

سأردّ هنا الأوهام الفاسدة التسعة التي أسندت إلى جماعة الاتحاد المحمدي:
الوهم الأول:

إن طرح المسألة الدينية في الأوساط لا بلائم مثل هذا الظرف الدقيق.
الجواب: نحن نحب الدين ونحب الدنيا أيضاً لأجل الدين ..[و] لا خير في الدنيا بلا

دين.]

ثانياً: ما دامت الحاكمية للشعب في المشروطة فلا بد أن يُثبّت الشعب وجوده. وشعبنا مسلم ومسلم فقط. فليست هناك رابطة حقيقية وقوية غير الإسلام بين العرب والترك والكرد والأروناؤوط والجركس واللاز.

إن إهمالاً طفيفاً في الدين أدّى إلى إرساء قواعد طوائف الملوك وظهور الجاهليات الميتة قبل ثلاثة عشر قرناً وبالتالي إلى ظهور الفتن والقلقل. وقد ظهرت فعلاً وشاهدناها.

الوهم الثاني:

إن تخصيص هذا العنوان- أي الاتحاد المحمدي -يجعل غير المنتسبين إليه في شك من أمرهم.

الجواب :وقد قلت سابقاً :فإما أنه لم يُقرأ أو فهم خطأ؛ لذا أضطر إلى التكرار وهو :
عندما نقول " الاتحاد المحمدي "الذي هو اتحاد الإسلام، فالمراد هو الاتحاد الموجود الثابت بين جميع المؤمنين بالقوة أو بالفعل .وليس المراد جماعة في إسطنبول أو في الأناضول إذ إن قطرة من ماءٍ تحمل صفة الماء، فلا أحد خارج هذا الاتحاد، ولا يخصص هذا العنوان بأحد .وتعريفه الحقيقي هو :

أن أساس هذا الاتحاد يمتد من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال ..ومركزه :
الحرمان الشريفان ..وجهة وحدته :التوحيد الإلهي ..عهده وقسمه :الإيمان ..نظامه الداخلي :السنة النبوية الشريفة ..قوانينه :الأوامر والنواهي الشرعية..مقر اجتماعاته :
جميع المدارس والمساجد والزوايا ..ناشر أفكار تلك الجماعة نشرأ خالداً إلى الأبد :جميع الكتب الإسلامية وفي المقدمة القرآن الكريم وتفاسيره) ورسائل النور أحد تلك التفاسير في زماننا هذا (وجميع الصحف الدينية والجرائدُ النزيهة التي تهدف إلى إعلاء كلمة الله ..
ومنتسبوه :جميع المؤمنين ..رئيسه :فخر العالمين. p

والآن لنقف عند الصدد وهو :تيقظ المؤمنين وإقبالهم نحو الإسلام ولا ينكر ما للرأي العام من تأثير ..وهدف الاتحاد وقصده :إعلاء كلمة الله ..ومسلكه :الجهاد الأكبر للنفس وإرشاد الآخرين ..وهمة هذه الهيئة المباركة مصروفة بنسبةٍ تسع وتسعين بالمئة إلى غير السياسة من تهذيب الأخلاق واستقامة السلوك وما شابهها من الفضائل والمقاصد المشروعة إذ إن الجمعيات المتوجهة إلى مثل هذه المقاصد نادرة، علماً أن أهميتها جليلة .
وهناك واحد بالمئة من المقاصد يتعلق بالسياسة وهو إرشاد السياسيين ..سيوفهم :البراهين القاطعة ..مشربهم :المحبة وإنماء المحبة المندمجة في بذرة الأخوة الموجودة بين المؤمنين لتصبح شجرة طوبى مباركة.

الوهم الخامس (959):

ربما ينفّر الأجانب من هذا الاتحاد؟

الجواب:

إن من يجد في نفسه هذا الاحتمال جاهل لا محالة إذ يردّ هذا الاحتمال ما يُلقَى من خطب ومحاضرات حول الإسلام وعظّمته (960) في مراكزهم وعواصمهم.

ثم إن أعداءنا ليسوا الأجانب. وإنما الذي أردنا إلى هذا الوضع وحال بيننا وبين إعلاء كلمة الله هو مخالفتنا للشريعة الغراء نتيجةً "جهلنا" بها، و"الضرورة" التي أثمرت سوء الأخلاق وسوء المعاملات، و"الاختلاف" الذي أنتج الأغراض الشخصية والنفاق، فاتحادنا هجوم على هذه الثلاثة من الأعداء الظلمة.

أما جهل الأجانب بالإسلام في القرون الوسطى، فالإسلام مع اضطراره إلى معادة الجهل والهمجية إلا أنه قد حافظ على العدالة والاستقامة معهم فلم يُر في التاريخ الإسلامي أمثال محاكم التفتيش. ولما قوي ساعد المدنيين في زمن التحضر هذا فقد زال عنهم ذلك التعصب الذميم.

إن الظهور على المدنيين من منظور الدين إنما هو بالإقناع وليس بالإكراه، وبإظهار الإسلام محبوباً وسامياً لديهم، وذلك بالامتثال الجميل لأوامره وإظهار الأخلاق الفاضلة. أما الإكراه والعداء، فهما تجاه وحشية الهمجيين.

الوهم السادس:

إن البعض يقول: إن اتخاذ اتحاد الإسلام أتباع السنة النبوية هدفاً له يحدد من الحرية وينافي الأخذ بمتطلبات المدنية.

الجواب:

المؤمن حرّ في ذاته. فالذي هو عبد لله رب العالمين لا ينبغي له أن يتنذّل للناس، بمعنى أنه كلما رسخ الإيمان قويت الحرية.

959 (لعل سبب انتقاله إلى الوهم الخامس هو أن الوهمين الثالث والرابع مندمجان ضمن الوهم الثاني، والله أعلم.

960 (يشير إلى خطب مستر كارلايل وبسمارك وأمثالهما.

أما الحرية المطلقة فما هي إلا الوحشية المطلقة بل هي بهيمية، وتحديد الحرية ضروري من وجهة نظر الإنسانية.

ثالثاً: إن قسماً من السفهاء والمُهملين يريدون أن يَظنُّوا أذلاءً أسارى النفس الأمانة بالسوء، فلا يروق لهم العيش الحر.

الحاصل: إن الحرية الخارجة عن دائرة الشرع، إنما هي استبداد أو أسرٌ بيد النفس الأمانة بالسوء، أو بهيمية أو وحشية. فليعلم جيداً هؤلاء الزنادقة والمُهملون للدين أنهم لا يستطيعون أن يحببوا أنفسهم لأي أجنبي كان يملك وجداناً، بالإلحاد والسفاهة، بل لا يمكنهم أن يتشبهوا بهم. لأن السفه والذى لا يسير على هدى لا يكون محبوباً، فالثياب اللانقاة بامرأة إذا ما لبسها الرجل يكون موضع هزء وسخرية.

الوهم السابع:

إن جمعية اتحاد الإسلام إنما هي لشق الصف بين سائر الجمعيات الإسلامية وتوَلد الحسد والنفرة بينها.

الجواب:

أولاً: إن الأمور الأخروية لا حسد فيها ولا تنافر وتزاحم؛ فأیما جمعية حسدت وزاحمت الاتحاد فكأنما تتناقق في العبادة وترائي فيها.

ثانياً: إننا نتحد مع الجماعات المتشكِّلة بدافع محبة الدين وخدمته وذلك على وفق شرطين اثنين:

الشرط الأول: المحافظة على النظام العام للبلاد والحرية الشرعية.

الشرط الثاني: انتهاج نهج المحبة، وعدم محاولة إظهار مزايا لها بانتقاص الجمعيات الأخرى، بل الأولى مراجعة مفتي الأمة وجماعة العلماء فيما إذا ظهر خطأ.

ثالثاً: إن الجماعة التي تهدف إلى إعلاء كلمة الله لن تكون وسيلة لأي غرض مهما كان، وإذا تشبَّت بالأغراض فلا يحالفها التوفيق قطعاً لأنه نفاق، فشان الحق عالٍ وسامٍ لا يضحى به من أجل أي شيء كان. كيف تكون نجوم الثريا مكانس، أو كيف توكل كعناقيدٍ عنبٍ؟ إن الذي يريد أن يطفئ شمس الحقيقة بالنفخ إنما يدلّ على بلاهته

وجنونه .

أيتها الصحف الدينية!

إن قصدنا وهدفنا هو اتحاد الجماعات الدينية في الهدف؛ إذ كما لا يمكن الاتحاد في المسالك والمشارب فلا يجوز أيضاً، لأن التقليد يشق طريقه ويؤدي إلى القول: "مالي وما عليّ، فليفكر غيري." الوهم الثامن:

إن المنتسبين إلى الاتحاد- معنىً وصورة -أكثرهم من العوام وقسم منهم غير معروفين وهذا مدعاة إلى حدوث فتن واختلافات.

الجواب:

إنما ذلك لعدم السماح في هذا الاتحاد بالتمايز بين الناس سواء أكانوا من الخاصة أم من العامة، ثم لأن المرء في الاتحاد يدعو إلى إعلاء كلمة الله فكل ما يقوم به يتأب عليه ثواب عبادة.. ففي جامع العبادة يتساوى الملك والمتسول فلا امتياز، بل المساواة الحقة دستور قائم. لأن الأكرم عند الله هو الأتقى، والأتقى هو المتواضع، فبناءً على هذا يتشرف الشخص بانتسابه إلى هذه الجماعة الخالصة لخدمة الدين والدعوة إلى الآخرة، وإلا فلا يزيد الاتحاد شرفاً، إذ القطرة لا تزيد البحر شيئاً.. ثم إن الإنسان كما لا يخرج عن الإيمان بارتكاب كبيرة، فإن باب التوبة أيضاً مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها. والبحر لا ينتجس بغرفة ماء، بل يطهر اليد فالمنتسب إلى هذا المثال المصغر للاتحاد الإسلامي يشترط عليه اتباع السنة النبوية وإحيائها وامتثال أوامرها واجتناب نواهيها وعدم الإخلال بأمن البلاد ونظامها، فالمجهول الذي انتسب إلى هذا الاتحاد لا يلوّث- قصداً -هذه الحقيقة ما استطاع إليه سبيلاً، وحتى لو كان المرء نفسه مذنباً فإيمانه نزيه مقدّس. والرابطة إنما هي بالإيمان ليس إلا.

فتشويه هذا العنوان المقدس بحجج واهية أمثال هذه إنما ينجم عن الجهل بعظمة الإسلام فضلاً عن إظهار هذا المتحجج نفسه أنه أحق الناس.

نحن نردّ بكل ما أوتينا من قوة تشويه سمعة اتحادنا الذي يمثل " اتحاد المسلمين "أو

التعريض به مما هو دأب الجمعيات الدنيوية الأخرى، ونحن على أتم استعداد للإجابة عن أي استفسار واعتراض كان.

إن الجماعة التي أنضمُّ إليها إنما هي هذا الاتحاد الإسلامي الذي فصلنا القول فيه. وإلا فليست هي تلك التي يتخيلها المعترضون بخيالهم الباطل.

إن أفراد هذه الهيئة الدينية هم معاً، سواءً أكانوا في الشرق أو الغرب أو الجنوب أو الشمال.

سؤال: أنت تذيّل مقالاتك وتمضيها باسم "بديع الزمان" وهذا يومئ إلى المدح؟

الجواب: كلا، ليس للمدح! وإنما أريد أن أبين- بهذا الإمضاء- تقصيري. وتعليبي هو:

أن البديع يعني": الغريب "فأخلاقى غريبة كمظهري، وأسلوبُ بياني غريب كملابسي، كلها مخالفة للآخرين.

فأنا أرجو بلسان حال هذا العنوان عدم جعل المحاكمات العقلية والأساليب المتداولة والرائجة مقياساً لمحاكماتي العقلية ومحكاً لأساليب بياني.

ثم إن قصدي من البديع هو "العجيب" فلقد أصبحت مصداقاً لما قيل:

[إِلَى لَعْمَرِي قَصْدُ كُلِّ عَجِيْبَةٍ كَأَنِّي عَجِيْبٌ فِي عُيُونِ الْعَجَائِبِ] (961)

ومثاله الواضح هو:

لقد جنّت إلى إسطنبول منذ سنة ورأيت حوادثٍ وانقلاباتٍ تحدّث في مئة سنة.

والسلام على من اتبع الهدى.

نقول بلسان جميع المؤمنين وبعدهم: فلتحيا الشريعة الأحمدية

بديع الزمان

سعيد النورسي

* * *

أخي رئيس التحرير (962) !

على الأدباء أن يتأدبوا، ويتحلوا بالأداب الإسلامية، فلينظم ما في وجدانهم من شعور ديني نظامَ المطبوعات، فلقد أظهر هذا الانقلابُ الإسلاميُّ: أن المهيمن في الوجدان إنما هو الحميَّة الإسلامية. ولقد عُرف أن الاتحاد الإسلامي شامل لأهل الإيمان والجيش كافة، فلا أحد خارج عنه.

سعيد النورسي

* * *

القطعة الأخيرة من ذيل الذيل

هذه القطعة عبارة عن درسين أُقِيَا على الأفواج الثمانية من الذين قاموا بالعصيان في حادثة 31 مارت المشهورة، وعلى أثرهما اقتنعوا بالعودة إلى الولاء. فهانت المصيبة من المئة إلى الواحد. نُشر هذان الدرسان في الجرائد الدينية سنة 1325 رومي - 1909م.

إلى جنودنا الأشاوس

4نيسان 1325 رومي

962 (المقصود: السيد درويش وحدتي (*).

أيها الجنود الموجدون الأبطال!

أيها الأبطال الذين أنقذوا هذه الأمة المظلومة والإسلام المقدس من الوقوع في ورطتين

عظيمتين!

إن عزكم وبهائمكم في الانتظام والانضباط. وقد أظهرتموهما في أحلك الظروف وأحرجها وأشدّها اضطراباً. فحياتكم وقوتكم إنما هي في الطاعة. أظهرها هذه الفضيلة المقدسة لأصغر أمرائكم. فإن شرف ثلاثين مليوناً من العثمانيين وثلاثمائة مليون من المسلمين أصبح منوطاً بطاعتكم أنتم.

إن راية الإسلام والتوحيد الإلهي في يد شجاعتكم وبطولتكم. وإن قوة أيديكم المباركة إنما هي في الطاعة. فضباطكم هم كآبائكم المشفقين، وقد ثبت بالقرآن والحديث والحكمة والتجربة: أن طاعة الأمر في الحق فرض. فكما تعلمون، أن ثلاثين مليون لم يتمكنوا أن يقوموا بمثل هذين الانقلابين خلال مائة سنة.

ولقد جعلت قوتكم التي تنبعث من طاعتكم الأمة الإسلامية في شكران وتقدير، وإن إدامة هذا الشرف والحفاظ عليه إنما هو في طاعتكم لضباطكم.

وأنا أعلم أنكم لم تتدخلوا في الاضطرابات لئلا تجعلوا ضباطكم مسؤولين وهم كآبائكم الرحماء بكم.

أما الآن فلقد انتهى الأمر. فارتموا في أحضان شفقة ضباطكم ورحمتهم. إن الشريعة الغراء تأمرنا هكذا. إذ الضباط هم أولو الأمر. فمن جهة مصلحة الوطن والأمة- ولا سيما في النظام العسكري- إطاعة أولى الأمر فرض، والحفاظ على الشريعة المحمدية إنما هو بالطاعة.

سعيد النورسي

خطاب إلى الجنود

7 نيسان 1325 رومي

الجريدة الدينية عدد 110

30 نيسان 1909 م

يا عساكر الموحدين! إنني أبلغكم أوامر سيد العالمين: p

إن طاعة أولى الأمر ضمن الدائرة المشروعة فرض. فأولياء أموركم وأساتذتكم
ضباطكم .

إن الثكنات العسكرية أشبه ما تكون بمعمل عظيم منتظم؛ إذا اختل دولا ب من العمل،
يؤثر في خراب المعمل بأكمله.

إن مصنعكم العسكري القومي المنظم نقطة استناد واعتماد ثلاثين مليوناً من العثمانيين
وثلاثمائة مليون من المسلمين ونقطة استمدادهم.

إن قتلكم لاستبداديين عظيمين دون إراقة دم كان أمراً خارقاً. ولأنكم قد أظهرتم
معجزتين للشريعة الغراء. فقد أظهرتم لضعفاء العقيدة قوة الحمية الإسلامية و قدسية
الشريعة في برهانين اثنين.

ولو كنا نضحى بألوف من الشهداء في سبيل هذين الانقلابيين لكنا نعدّها ضئيلة، ولكن
لو ضُحّي بجزء من ألف جزء من طاعتكم فهو غال جداً. لأن تناقص طاعتكم يولد الموت،
كتناقص الحرارة الغريزية والعقدة الحياتية.

إن تاريخ العالم يشهد أن تدخل الجنود في السياسة قد أدى إلى أضرار جسيمة للدولة
وللأمة معاً. فلا بد أن حميتكم الإسلامية ستصرفكم عن مثل هذه الأضرار التي تصيب حياة
الإسلام التي تكفلتم بحفظها.

إن الذين يفكرون في السياسة هم بمثابة قوتكم المفكرة من أولياء الأمور والضباط. إن
ما تظنونّه- أحياناً- من ضرر يصبح خيراً، لأنه يدفع ضرراً أكبر في السياسة. فضباطكم
حسب تجاربهم يرون هذا الأمر ويأمرونكم به. فعليكم الطاعة دون تردد، إذ لا يجوز
التردد والتكؤ.

إن الأفعال غير المشروعة الخاصة لا تنافي المهارة والحذاقة في الصنعة ولا تجعل

الصنعة غير مرغوب فيها. فالطبيب الحاذق مثلاً أو المهندس الماهر إذا ما تصرف تصرفاً غير مشروع فلا يؤدي ذلك إلى ترك الاستفادة مما لديه من طب أو هندسة، كذلك فن الحرب، فضباطكم المجربون والماهورون المنورون فكراً بالحمية الإسلامية، إذا قام بعضٌ منهم بأمر غير مشروع لا يجوز أن يؤدي ذلك إلى عدم طاعتهم وعصيانهم لأن فن الحرب مهارة مهمة.

إن الشريعة الغراء التي هي قوام حياتكم قد ابتلعت الجمعيات التي نُشئت الأفكار وتفرّق الناس. فهي كاليد البيضاء لسيدنا موسى عليه السلام أرغمت السحرة على السجود. إن أعمالكم كانت علاجاً لهذه الحركات الانقلابية. فإذا ما زادت قليلاً انقلبت سماً قاتلاً وأدت بالحياة الإسلامية إلى أمراض جسام. ثم إن ما فينا من استبداد قد زال بهمتكم، ولكن نحن لا زلنا تحت الاستبداد المعنوي لأوربا في مضمار الرقي. فلا بد من الالتزام بأقصى درجات الحذر والسكينة والهدوء. فلتحيا الشريعة الغراء، فليعيش الجنود.

سعيد النورسي

* * *

تأليف

بديع الزمان سعيّد النورسي

ترجمة وتحقيق

إحسان قاسم الصالحى

نبذة تاريخية

بينما كانت رحى الحرب دائرة في معارك ضارية وتسيل دماء الألوفا من المسلمين رخيصة في سبيل الدفاع عن مركز الخلافة" إسطنبول"، بدأ الحلفاء ولا سيما الإنكليز بشن حرب نفسية وإشاعة أفكار مضللة تمس عقيدة الأمة، فانبتت أعوانهم وجواسيسهم في أرجاء إسطنبول يُلقون بألسنتهم تلك الشبهات المغرضة وينشرونها في أوساط العامة والخاصة، ضمن حرب هادفة تحطم الروح المعنوية للمسلمين.

ولما شاهد الأستاذ النورسي سريان هذه الأفكار المسمومة في هذه الحرب الماكرة التي استطاعت استمالة قسم من العلماء إلى صف الإنكليز، قام بتأليف هذه الرسالة: "الخطوات الست" مبيناً فيها مكاييد الغزاة المحتلين، داحضاً شبهاتهم ووساوسهم الشيطانية، مُبعداً عن المسلمين مشاعر اليأس والقنوط.

وطُبعت الرسالة سرأً، ونُشرت وهي لا تحمِل اسم المطبعة ولا سنة الطبع، وقام محبو الأستاذ وتلاميذه بنشرها في أوسع نطاق في خفاء تام.

ولنلق الآن نظرة سريعة على تلك الأحوال التي واكبت تأليف الرسالة ونشرها ومدى تأثيرها:

"في 13 تشرين الثاني سنة 1919 م دخلت خمس وخمسون سفينة حربية من أساطيل الحلفاء إسطنبول، حسب هدنة" موندروس". وصلت هذه السفن إلى البسفور أمام قصر

"دولمه باعجه" ووجهت مدافعها نحو قصر الخليفة" السلطان وحيد الدين "الذي أصبح في حكم الأسير.

هكذا داست أقدام جنود أربع دول محتلة إسطنبول. وخرجت الأقليات غير المسلمة ترحب بجنود الاحتلال وتصفق لهم، فاليهود والأرمن بدأوا يجوبون الشوارع ويلوحون بقبعاتهم لهؤلاء المحتلين وينثرون عليهم الورود. أما الروم فقد كانوا يحملون أعلام اليونان الصغيرة ويهتفون: زيتو . زيتو . أي يعيش . يعيش.

وبين مظاهر فرح اليهود والأرمن والروم وهنأفاتهم وتصفيقاتهم اخترق القائد الفرنسي الجنرال" فرانس دوبر "شارع" بك أوغلو "متوجهاً إلى السفارة الفرنسية ممتطياً جواداً أبيض، وملوحاً بيديه لهؤلاء المستقبليين، مقلداً في ذلك الفاتحين العظماء في التاريخ. بل لم يتورع من وطء العلم العثماني بحوافر جواده.

أما المسلمون فقد كانوا يشاهدون هذه المناظر بقلوب جرحت وعيون تجمدت في مآقيها الدموع، ويطوون هذه الآلام في أعماق قلوبهم.

ولم تكن إسطنبول هي المدينة الوحيدة التي احتلتها دول الحلفاء. بل تم احتلال مدن أخرى كثيرة، احتلها الأرمن والإيطاليون والإنكليز واليونان والروس حيث سرح الجيش العثماني من الخدمة بموجب تلك المعاهدة المذكورة ولم يبق إلا الأناضول) وسط تركيا (سالمًا من الاحتلال.

وهكذا امتلأت شوارع هذه المدن بجنود سكارى يعربدون ويصخبون ويفسدون كيفما شاؤوا. ويخيم على الأحياء الإسلامية حزنٌ صامت .

في هذا الجو القاتم كان الأستاذ النورسي يشعر بألم عميق، وكان أصدقائه يحاولون التسرية عنه والتخفيف من شدة آلامه. وهو يقول لهم والأسى يعصر قلبه :

"لقد تحملتُ آلامي الشخصية كلها. ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني أشعر بأن الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي، أنها توجه إلى قلبي أولاً. ولهذا ترونني مسحوق الفؤاد. ولكني أرى نوراً سيُنسِنينا هذه الآلام إن شاء الله."

ومع أن الجانب العسكري والمادي للدولة العثمانية قد انهدأ أمام الحلفاء، إلا أن الحرب النفسية ما زالت دائرة، فالإنكليز ما فتئوا يزاولون بث الأفكار والشبهات كي يكون النصر

ساحقاً وكاملاً ونهائياً من دون أن يكون هناك احتمال للمقاومة، فيجب أن تُسلم الضحية رقيبها برضاها إلى جلاذيتها دون تذمر⁽⁹⁶³⁾.

وما إن دخل القائد الإنكليزي إسطنبول حتى سلّمت له رسالة "خطوات ستة" التي تهجمهم بعنف وتقدّم أباطيلهم وتشد من عزائم المسلمين.. وعرض عليه نشاط "بديع الزمان" "الدائب في فضح سياسة المحتلين وتأليب الناس عليهم.

قرر القائد الإنكليزي إعدام الأستاذ النورسي، ولكن عندما أعلم أن هذا القرار سيثير غضب الأمة كلها ويزيد سخطها، وسيدفعهم إلى القيام بأعمال عدائية مهما كلفهم ذلك، تخلى عن قرار الإعدام، إلا أن سلطات الاحتلال لم تفتّر عن ملاحقة الأستاذ.

ولما سمع قواد حركة التحرير في الأناضول بتأثير هذه الرسالة في أوساط العامة والخاصة، وعن أعمال "بديع الزمان" ضد المحتلين في إسطنبول دَعَوْه إلى "أنقرة" مرتين تقديراً لأعماله البطولية وخدماته الجليلة نحو الأمة والبلاد. إلا أن الأستاذ النورسي آثر البقاء في إسطنبول يجابه الأعداء مباشرة ورفض الدعوة قائلاً:

"إنني أريد أن أجاهد في أكثر الأماكن خطراً، وليس من وراء الخنادق، وأرى أن مكاني هذا أخطر من الأناضول."

كتب الأستاذ النورسي هذه الرسالة بالتركية، وطُبعت من دون الإشارة إلى اسم المطبعة وسنة الطبع كما ذكرنا، ثم عرّبها بنفسه وطبعها في مطبعة "أوقاف إسلامية" بإسطنبول سنة 1336 هـ - 1338 رومي، في كتيب يضم "الخطبة الشامية" و"سنوحات". وقام طلاب النور بإعادة طبعها سنة 1958 في مطبعة النور بأنقرة. والطبعتان مليونتان بأخطاء إملائية ومطبعة.

قابلتُ النصّين التركي والعربي، ووجدتُ أن عبارات النصّ التركي أوضح من النصّ العربي وفيه زيادات طفيفة، فاستأصت منهما هذا النصّ الذي يستوعب النصّ التركي معنئاً، ويكاد يطابق النصّ العربي مبنئاً.

والله نسأل أن يوفقنا إلى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل،

⁹⁶³ (سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة- تأليف أورخان محمد علي -باختصار.

وصلّ اللهم وسلم على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إحسان قاسم الصالحي

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

{وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ} (البقرة) 168:

اعلم! أن لكل زمان شيطاناً إنسياً، هو وكيل الشيطان وقد لبس صورة إنسانٍ فردٍ أو روح جماعة. وعزازيل⁽⁹⁶⁴⁾ زماننا هو الروح الغدار الذي نَشَرَ الفسادَ في جوانب العالم بسياسته الفتانة، فيفسد العالم الإسلامي بـ"خطوات ست"؛ إذ يتحرى في الأناسي وفي الجماعات المنابع الخبيثة، فيستعملها لأغراضه، ويتوسم في الطبائع المعادن المضرة فيستخرجها ويستخدمها لمصلحه بوساوسه الفعلية أي بدعاياته وإشاعته. ويتفطن في النفوس إلى الأعصاب الضعيفة والعروق الواهية التي لا تقاوم، فيحركها لمفاسده، فيستعمل من بعضٍ: حرص الانتقام.. ويحرك من بعضٍ حرص الجاه.. ويهيج من بعضٍ: حسّ الطمع.. ويستغل من بعضٍ: الحمق.. ومن بعضٍ الإلحاد.. وهكذا، ومن العجيب أنه يستغل من بعضٍ التعصب، فيتخذ كل ذلك وساطة لإنفاذ سياسته.

⁹⁶⁴ (عزازيل: اسم للشيطان).

الخطوة الأولى

إنه يوسوس بالذات، أو بالوسيلة، فيقول صراحةً أو يجعل غيره يردد ما يقوله: أنتم تعترفون أنكم مستحقون لهذه المصيبة، فالقدرُ الإلهي يعدل ولا يظلم، إذن فارضؤوا بما أعاملكم به، لأنني وسيلة لما استحققتم. نردّ هذه الوسوسة والشبهة، فنقول:

إن القدر الإلهي يصيبنا بمصيبة بسبب عصياننا لأوامر الله. فالرضى بما قدر الله هو عين التوبة عن سبب المصيبة، وهو الذنوب. ولكذك أيها الواسط الملعون تظلمنا لكوننا مسلمين، وتصيبنا بظلمك لإسلامنا، لا لذنوبنا ومعاصينا، فالرضى بما تعمل، وإطاعتك طوعاً إنما هو ندامة عن الإسلام وإعراض عنه والعياذ بالله. نعم، إن الشيء الواحد يكون ذا جهتين؛ فهو مصيبة من جهة القدر، فتكون عدالةً، لترتيبها على السبب الباطن من ذنوب وشرور فينزلها القدرُ الإلهي زجراً عنهما. فالرضى بهذه المصيبة- من هذه الجهة -متضمن للندم من الذنوب. والشيء نفسه يجيء من جهة البشر في الوقت نفسه، فيظلم البشر، لأن السبب عنده ليس كوننا مذبنيين، بل كوننا مسلمين. فالرضى به من هذه الجهة أعظم الجنايات.

الخطوة الثانية

يوسوس بالذات أو بالوساطة، فيقول: بأنكم قد اتفقتم مع من هو مثلي في الكفر، (965) فإلم تتجنبون من المصافاة معي وموالياتي؟

نقول رداً على هذه الشبهة:

نحن نقبل يدَ المعاونة، ولا نقبل يدَ المعاداة فهما شيئان متغايران، لأن كل صفة من صفات الكافر ليست بكافرة أو ناشئة من كفره، لذا لا مشاحة في مصافحة يد الكافر الذي مدها لمعاونة الإسلام، وذلك لدفع عدو الإسلام المعتدى العريق. بل قبولها إنما هو خدمة

⁹⁶⁵(المقصود: الألمان الذين كانوا حلفاء الدولة العثمانية.

للإسلام. أما أنت أيها الكافر الملعون فتمدّد يد الخصومة التي لا تهدأ، وتريد منا تقبيلها مع الاستسلام. ونحن نعلم أن مسها- فضلا عن تقبيلها -جنايةٌ على الإسلام وعداء له.

الخطوة الثالثة

يوسوس بالذات أو بالوساطة فيقول:

إن من ساسوكم إلى الآن أفسدوا واستهانوا بحقكم وشوّشوا عليكم الإدارة وظلموكم، إذن فلستم أهلاً للإدارة، فاتخذوني وصياً عليكم وارضوا بحكمي وإدارتي شؤونكم. نرد هذه الشبهة فنقول:

أيها الموسوس الخناس! إن السبب الأصلي للسيئات التي ارتكبتها رؤساء أمورنا ما هو إلا أنت، لأنك قد ضيقت عليهم الدنيا، وقطعت في كل فرصة مجاري حياتهم، وبنثت بينهم أولادك غير الشرعيين، وأجبرتهم على ترك الدين للدنيا إذ تنكحهم مدنية لا تأخذ مهرها إلا من دينهم ولا تُعَيّن حاكماً إلا وقد أخذت منه دينه رشوة لقاء منصبه . ومع ذلك فلو حكمتناك فينا بدلاً منهم، نصير كمن تنجس ثوبه بماء نجس فيغسله ببول الخنزير .

إنك لا تُبقي لنا إلا حياةً حيوانية مؤقتة، وتقتل فينا حياتنا الإنسانية والإسلامية. أما نحن فنحيا- على رغمك -بحياة الإسلام وشرف الإنسانية .

الخطوة الرابعة

يوسوس بالذات أو بالوساطة، فيقول:

إن الذين يخاصمونني من أولياء أموركم في الأناضول، ⁽⁹⁶⁶⁾ينبئهم فاسدة ومقصدهم ليس مقاصدكم الإسلامية عينا.

نرد هذه الوسوسة فنقول:

إنهم وسائل، وتأثيرُ النيات في الوسائل قليل، إذ لا تغير حقيقة القصد. لأن المقصود

⁹⁶⁶ (المقصود: قواد حركة التحرير الذين بدؤوا بجمع الشعب وتنظيمهم لأجل دفع المستعمرين عن البلاد.

يترتب على وجود الوسيلة وليس على ما فيها من نية.

فمثلاً: إنني أحفر أرضاً لاستخراج الماء أو للعثور على كنز، وجاء أحدهم وعاونني في الحفر بنية ستر نفسه في الحفرة أو بدفن شيء فيها، فنيته هذه لا تؤثر في وجدان الماء ولا الكنز، لأن خروج الماء يتوقف على فعل الحفر وليس على نية الحافر وقلبه. نعم، إن قصد المخاصمين لك وهدفهم هو توجيه المسلمين شطر الكعبة لا إلى الغرب، والحفاظ على مكانة القرآن الرفيعة ذلك الكتاب الأمر بإعلاء كلمة الله بالعزة الإسلامية. فهم يقيمون خصومةً أوروباً مقام محبتها التي هي أساس كل مشاكلنا وسوء أخلاقنا. فكيفما تكن نيّتهم لا تغير حقيقةً هذه المقاصد الثابتة.

الخطوة الخامسة

يقول بنفسه أو بوسائله :

إن الإمام- أي الخليفة -يؤيد سياستنا ويميل إلى الودّ معنا، وأمره مطاع!

فترد هذه الشبهة:

إن ميلَ الشخص نفسه وأمره الخاص وفكره الذاتي، مغايرٌ تماماً للميل الحاصل من الشخصية المعنوية لأمر أمين الأمة المتقلد أمانة الإمامة والخلافة؛ فهذه الإرادة تنبثق من عقل وتستند إلى قوة وتتوجه إلى مصلحة العالم الإسلامي.

أما عقله فهو شورى الأمة، وليس شبهتك ووسوستك! وقوته هو جيشه المسلح وأمته الحرة، وليس سلاحك وحرابك. والمصلحة إنما تتوجه من المحيط الإسلامي إلى المركز، فترجّح الفائدة العظمى للإسلام والمسلمين على المصالح الشخصية. وإلا لو انعكس الأمر ورجحت- عند التعارض -مصلحة القريبى على المصلحة العظمى، كترجيح سرير السلطنة على إسطنبول وهي على الأناضول وهو على الدولة وضحي بالعالم الإسلامي لأجل الدولة، فهذا الترجيح لا يطاع. وهو أمر غير وارد أصلاً. فالسلطان المتدين، وحيّد الدين لو أصبح أفجر إنسان، فلا يمكنه أن يقوم بهذا الأمر بإرادته لسبب واحد هو أنه يحمل اسم الخليفة، فإن قام به فلا يقوم إلاّ مكرهاً. فطاعته عند ذاك بترك طاعته.

الخطوة السادسة

إنه يوسوس فيقول:

إن مقاومتكم لا فائدة فيها ولا جدوى منها، إنكم تُلقون أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، إذ كيف تقتدرون وحدكم على ما لم تقتدروا عليه مع حلفائكم؟
فنرد هذه الشبهة:

إن قوتك العظيمة المخاصمة لنا، إنما تتماسك متخاذلةً على رجلي الحيلة والإفساد، فلا نياسُ لأسباب ثلاثة:

الأول: أن الحيلة والإفساد إنما تؤثران إذا استترتا تحت حجاب الخفاء والغفلة، فإذا ما تظاهرتا أفلستا، وانطفأت قوتهما.. وها قد تمزق الحجاب تمزقاً صيّر كذبك وهذيانك وإفسادك أضحوكة وشيئاً عقيماً لا يؤثر في شيء.

الثاني: أن قوتك المأفونة المنحورة المخاصمة لنا ليست بلا أعداء إذ تُقابلها أعداء لا يقبلون الائتلاف معك أبداً، مما يقضي عليها ويجعل تسعين بالمئة منها معطلة لا نفع فيها. أما بقية قوتك فلا يمكنها أن تديم- كما أدامت في الماضي -استبداداتٍ قاتمة تجثم على عالم الإسلام وتسكته بكم الأفواه وتأسره حتى تتركه دون حراك، ذلك العالم اليقظ الذي تشترك أجزاءه في الداء والدواء.

فهذا احتمال بعيد جداً، إن اعتقدته فإنك إذن أخط من الدابة وأحمق من الحمار مع أنك شيطان خبيث.

الثالث: إن كان لا بد من الهلاك بيدك فالموت بعزة حياة لنا، والحياة بذل هي الموت بعينه. والموت على نوعين وصورتين:

أحدهما: التسليم والتذلل تحت أقدامك، فحينها نكون قاتلين لروحنا ووجداننا بأيدينا ثم يقتل الخصمُ جسدنا كأنه قصاص لقتلنا الروح والوجدان.

والنوع الثاني: أن يحافظ المرء على وجدانه ويقاوم خصمه، ويبصق في وجهه ويُنزل صفعته على عينه، فيحيا الروح والوجدان، ويستشهد الجسد، وتتنزه الفضيلة عن الرذيلة والعقيدة عن الاستخفاف وعزة الإسلام عن الاستهزاء.

وحاصل الكلام:

إن محبة الإسلام توجب عداؤكم وخصومتكم، إذ كيف يصلح جبرائيلُ) عليه السلام (عزازيلُ) الشيطان!)

إن أشد العقول بلاهةً عقلٌ يرى إمكان التوفيق والتلاؤم بين أطماع) الإنكليز (ومنافعهم وبين عزة الإسلام ومصلحته.

وإن أكثر القلوب حماقةً قلبٌ يظن إمكان الحياة تحت حمايتهم إذ يعلقون حياتنا بشرطٍ محال في محال، إذ يقولون: احيوا حياةً ولكن بشرط ألا تُرى في فرد منكم خيانةً وإلا ندمرُ عليكم الديار ونمخُ المتهم والبريء معاً.

فلو تحدى ظلمهم صادقٌ لوجه الحق، والتجأ إلى جامع أياصوفيا، فلا يتخرجون من هدم ذلك البناء الشامخ الذي لا يقدرُ بثمن. وإذا ما وُجد في قرية من يقاومهم فلا يرون بأساً من إبادة القرية كاملة بشبيها وشبابها إذ يرون أن لهم صلاحيةً إفتاء جماعةٍ برمتها إذا كان فيها من يضرهم. فتباً لمدينةٍ خولتهم هذه الصلاحية.

إذن أفيمكن أن يتفق قلبٌ مع قلبٍ من يتلذذ بغرز خنجر الظلم فيه؟

أفيمكن أن لا يوجد مشاغبٌ في مدينة أو قرية أو جماعة؟ فكيف يمكن إذن إدامة حياة إنسانٍ مريضٍ مقيد، سلب منه عصاه، وسلط عليه كلبان ذوا مخالب وأنياب.

إن) الإنكليز (كالشيطان الرجيم يثير أحاسيس الإنسان الخبيثة ويشجع الأخلاق الرذيلة في حين يطفئ جذوة المشاعر النبيلة.

وإن ما يظهره هذا العدو من حقد دفين لا يسكن ليس هو نتيجة الحرب الحالية لأن انهزامنا كان كافياً لتسكينه كما سكن لدى الآخرين!..

فيا أيها المسلمون، أفبعد كل هذه الأحوال تتخدعون؟ أفبعد ما رأيتم من قرب قبْح الكفار وشناعتهم- بعد ما كان يُرى جميلاً من بعيد- تستحسنون ما استنبحه الشرع والعقل ومصلحة الإسلام.

استعيذوا بالله من همزات الشيطان، والتجئوا إليه متضرعين نادمين وتوسلوا برحمة الرحمن الرحيم.

* * *

نبذة عن الأعلام

إبراهيم حقي (1780-1703) م: (ولد في إحدى قرى أرضروم شرقي الأناضول تلقى العلوم على علماء أرضروم حتى بلغ إلى أن نظم الشعر في ثلاث لغات. انتسب إلى الشيخ فقير الله في " تيللو " من أفضية" سعرد "سنة 1728 ثم تولى التدريس والوعظ والإرشاد. ألف عدة كتب منها" لب الكتاب "في مشاهير الشعراء والمفكرين في سبع مجلدات وأشهر كتابه" معرفتنامه."

ابن سينا(370-428) 980-1037م: (الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعات. مولده في إحدى قرى بخارى. ونشأ وتعلم فيها، وطاف البلاد، وناظر العلماء، وتقلد الوزارة في همذان . أشهر كتبه" القانون "بقي معولا عليه في علم الطب وعمله، ستة قرون، وترجمه الفرنج إلى لغاتهم، وكانوا يتعلمونه في مدارسهم .

ابن همام(790-861 هـ) (1388-1457) م: (محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد ابن مسعود، إمام من علماء الحنفية، عارف بأصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه

والحساب. توفي في القاهرة. من كتبه) فتح القدير (في شرح الهداية في ثمانى مجلدات في فقه الحنفية و) التحرير (في أصول الفقه.

الأخضري (920-983 هـ/1512-1575 م): (هو عبد الرحمن بن سيدي محمد الصغير الأخضري البنطوسي البسكري الجزائري المالكي له" الجواهر المكنون "في ثلاثة فنون منظومة. الدرّة البيضاء أرجوزة. الدرّة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء . السلم المروّق في المنطق منظومة. دفن بمسقط راسه بنطوس.

أفلاطون (347-427 ق.م): (فيلسوف يوناني قديم، وأحد أعظم الفلاسفة الغربيين. عرف من خلال مخطوطاته التي جمعت بين الفلسفة والشعر والفن. كانت كتاباته على شكل حوارات ورسائل. أصبح تلميذا لسقراط وتعلّق به كثيرا .

أنترانيك (1865-1927) م : (رئيس منظمة الطاشناق الأرمنية، أشغل الدولة العثمانية مدة طويلة من الزمن بعدد من ثوراته ضد الدولة.

أنور باشا (1881-1922) م : (كان وزيراً للحربية في حكومة الاتحاد والترقي سنة 1913 ونائباً للقائد العام للقوات المسلحة حيث كان السلطان هو القائد العام. هرب إلى ألمانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ومنها إلى تركستان وشكل جيشاً لمقاومة الروس واستشهد في إحدى المعارك.

البيزدوي فخر الإسلام (400-482 هـ/1010-1089) م : (علي بن محمد بن الحسين فخر الإسلام البيزدوي فقيه أصولي من أكابر الحنفية، من سكان سمرقند نسبته إلى "بزده" قلعة بقرب" نفس". له تصانيف منها: "كنز الوصول" في أصول الفقه، يعرف بأصول البيزدوي، و"تفسير القرآن" كبير جداً، و"غذاء الفقهاء" في الفقه.

بسمارك: (1815-1898) من مشاهير السياسيين الألمان وأحد الذين حققوا الوحدة الألمانية. وجعلوها في مقدمة الدول في القرن التاسع عشر.

تحسين (العالم: (1811-1881) (اسمه حسن تحسين بن عثمان المدرس. ولد في قرية نينات المتاخمة حالياً للحدود التركية اليونانية. درس على والده العلوم ثم قدم إسطنبول وأكمل دراسته ثم أرسل إلى أوروبا فتولى التدريس في المدرسة العثمانية بباريس،

وهناك وجد الفرصة لينهل من العلوم الحديثة، وصادق جمعية العثمانيين الجدد بعيداً عن السياسة. ولما عاد تولى إدارة دار الفنون) الجامعة (بإسطنبول. توفي في شهر تموز عن مرض السل .

التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله (712) أو 793-727هـ: (ولد بتفتازان بخراسان. إمام في العربية والمنطق والفقه، سعى لإحياء العلوم الإسلامية بعد كسوفها بغزو المغول فألف كثيراً من أمهات الكتب. حتى إنه يعدّ الحد الفاصل بين العلماء المتأخرين والمتقدمين. من كتبه "تهذيب المنطق" و"شرح المقاصد" و"شرح العقائد النسفية" و"المطول".. وكتابه" التلويح في كشف حقائق التنقيح "في الأصول شرح فيه كتاب" التوضيح في حل غوامض التنقيح "للعلامة عبيد الله بن مسعود المحبوبي (ت747هـ. توفي في سمرقند رحمه الله

توماس كارلايل (1881-1795) م: (كاتب ومؤرخ وفيلسوف إنكليزي، أراد والده البناء أن يكون ابنه قسيساً إلا أن كثرة شكوكه حول الدين حالت دون ذلك، مرّ بمعاناة نفسية دامت زهاء سبع سنوات، انتهى به المطاف بالاستقرار على مسائل الإيمان. ألقى سلسلة من المحاضرات، تناول في إحداها عظمة الرسول p ، وأثنى عليه وبين أنه النبي الحق ودحض افتراءات كثيرة. جمع تلك المحاضرات في كتابه المشهور "الأبطال". أوصى بتوزيع ثرواته إلى الطلاب الفقراء، وإيداع مكتبته في جامعة هارفرد الأمريكية. ترك أثراً عميقة في ثقافة الإنكليز ونظرتهم إلى العالم .

جلال الدين الرومي (672-604) هـ-1273-1207/م: (عالم بفقّه الحنفيّة والخلاف وأنواع العلوم، ثم متصوف صاحب" المثنوي "المشهور بالفارسية المستغني عن التعريف في ستة وعشرين ألف بيت، وصاحب الطريقة المولوية. ولد في بلخ) بفارس . استقر في" قونية "سنة623 هـ عرف بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية، فتولى التدريس بقونية في أربع مدارس بعد وفاة أبيه سنة628 هـ. من مؤلفاته : ديوان كبير، فيه ما فيه، مکتوبات.

جلال الدين خوارزم شاه (1231-000) م: (هو الحاكم السابع والأخير لامبراطورية

خوارزم. تصدى لأول مرة لحيش جنكيز خان، وشتت جيش أحد قواده، وفي سنة 1221 شنت أيضاً جيشاً كبيراً للمغول. ولكن اضطر إلى الانسحاب إلى الهند لتوالي هجوم المغول. في سنة 1224 أحيا امبراطوية خوارزم في إيران أدت انتصاراته إلى توجس السلاجقة والدولة الأيوبية منه. فلم يجد منها عوناً. وفي سنة 1231 اضطر إلى الانسحاب امام المغول إلى جبال طوروس واعتزل هناك .

حسن فهمي(1875-1909) م : (صحفي معروف بمعارضته لجمعية الاتحاد والترقي. تم اغتياله فوق جسر " غلطة " من قبل هذه الجمعية. وأثار اغتياله استياءً عاماً ونقمة ضد الاتحاديين.

حسين الجسر(1261-1327) : هـ-1845-1909م (عالم بالفقه والأدب، من بيت علم في طرابلس الشام. له نظم كثير. دخل الأزهر سنة1279 هـ واستمر إلى سنة1284 هـ، وعاد إلى طرابلس فكان رجلها في عصره، علماً ووجهة، وتوفي فيها. من مؤلفاته : الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية، الحصون الحميدية) في العقائد الإسلامية).

خير الدين بارباروس(1475-1546) م : (كان قائد أساطيل عثمانية ومجاهداً بحرياً. ولد في جزيرة لسبوس....خلف أخاه في جهاده ضد الإسبان، وتابع عملياته البحرية حتى تمكن من طردهم من الجيوب التي أقاموها على ساحل الجزائر، وتمكن من غزو السواحل الإسبانية، ثم قام من جلائل الأعمال؛ حيث أنقذ سبعين ألف مسلم أندلسي من قبضة الإسبان الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، فنقلهم في سنة936 هـ- 1529م (على سفنه إلى شمالي إفريقيا.

درويش وحدتي. رئيس جريدة" فولقان- "أي البركان -أصله من قبرص، كان ينشر مقالات عنيفة ضد الاتحاد والترقي مثيراً العواطف، فكان الأستاذ النورسي يتردد إليه في إدارة الجريدة وينبئه على تهوره، إلا أنه لم ينتفع بنصائحه فساقته عواطفه وتهوره إلى الإعدام.

ديكارت) رينة(1590-1650)م : (فيلسوف ورياضي وفيزيائي فرنسي. تقوم فلسفته على

التحرر من الفلسفة التقليدية المدرسية. اشتهر بمقولته: "أنا أفكر إذأ أنا موجود"، كما استنتج وجود الله من مجرد تصورنا لكماله الإلهي. كانت لكتبه بالغ الأثر في الفكر الأوروبي.

رستم بن زال) رستم پسر زال: (هو حسب الأسطورة الفارسية فارس ومغامر تغنى به الفردوسي في ملحتمه الشاهنامة. ومآثره ملء القصص الفارسي، واسمه مرّد في الشعر القديم والحديث.

الزمخشري(538-467) هـ: (هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري جار الله . ولد بزمخشر، إمام عصره في اللغة والتفسير، له" الكشاف عن حقائق التنزيل " و"الفائق في غريب الحديث" و"المفصل" في النحو و"أساس البلاغة" وغيرها . توفي بعد رجوعه من مكة المكرمة.

سعدي الشيرازي (690-606) و694هـ: (هو مشرف الدين بن مصلح الدين من شعراء الصوفية الكبار، ومن أرقهم تعبيراً، ولد في مدينة" شيراز"، قدم بغداد استكمالاً لدراساته في علوم الدين في المدرسة النظامية، كان من مريدي الشيخ عبدالقادر الكيلاني، قضى ثلاثين سنة من عمره في الأسفار ونظم الشعر، وكتابه" كلستان- روضة الورد "مشهور، ترجمه الشاعر محمد الفراتي إلى العربية.

سعيد حليم(1921-1863) م: (كان رئيساً للوزراء عندما كان أنور باشا وزيراً للحربية. أدين مع سبع وستين من رفقائه بإقحامهم الدولة العثمانية في الحرب العالمية. فنفي إلى جزيرة" مالطة" وظل فيها سنتين، ثم التجأ إلى إيطاليا حيث حظر دخوله إلى تركيا ومصر؛ إذ كانت تحت الاحتلال البريطاني. اغتاله شخص أرمني في 6/1/1921 قرب روما.

السكاكي)ت626 هـ1228م: (هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر من أعلام البلاغة، مؤلف كتاب" المفتاح" الذي يعد أوسع ما كتب في البيان في زمانه وله شروح كثيرة . وضع علوم البلاغة في قالبها العلمي. مولده ووفاته بخوارزم.

السلطان رشاد(1918-1844) م: (هو السلطان محمد الخامس الملقب بالسلطان رشاد تولّى

السلطنة بعد عزل أخيه السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1909 م.

الشافعي (150-204) هـ/ 767-820 م / (أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد في غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة 199 هـ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة، وكان من أحذق قريش بالرمي برع في ذلك أولاً كما برع في الشعر واللغة وأيام العرب ثم أقبل على الفقه والحديث وأفتى وهو ابن عشرين سنة، وله تصانيف كثير أشهرها كتاب "الأم" في الفقه و"أحكام القرآن" "الأعلام للزركلي. (6/26)

الشريف الجرجاني) ت 838 هـ/ 1434 م: (هو محمد بن علي بن محمد بن علي نور الدين ابن الشريف الجرجاني، فاضل من أهل شيراز. نقل إلى العربية رسالة في " المنطق " كتبها أبوه بالفارسية، وله: "الرشاد في شرح الارشاد "شرح رسالة التفنازاني، "إرشاد الهادي" في النحو، وصنّف " الغرة " في المنطق. وله شرح للـ"المواقف" في علم الكلام للعلامة عضد الدين الأيجي المتوفي سنة 756 هـ) الأعلام. (6/288)

صلاح الدين الأيوبي) يوسف بن أيوب (532-589) هـ/ (1138-1193 م: (ولد في مدينة "تكريت) "العراق (من أبوين كرديين. كان من قادة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ملك دمشق. قضى على الدولة الفاطمية في مصر واعترف بالخليفة العباسي في بغداد. انتصر على الزنكيين واحتل سورية والموصل وطبرية وهزم الصليبيين قرب حطين، وأسر مليكهم ودخلت قواته القدس يوم 2 أكتوبر 1187. توفي في دمشق.

عبد القاهر الجرجاني) ت 471 هـ/ 1078 م: (إمام في اللغة والبلاغة، له مصنفات منها: كتاب (المعنى 30) مجلد)، (المقصد 3) مجلدات)، (إعجاز القرآن، المفتاح، دلائل الإعجاز، أسرار البلاغة.

عبد المجيد: هو أصغر إخوة الأستاذ النورسي. ترجم كثيرا من رسائله إلى اللغة العربية إلا أنها نشرت في وقتها في نطاق ضيق. وترجم إلى التركية رسائله العربية "إشارات الإعجاز" و"المثنوي العربي". كان مدرسا للغة العربية ثم مفتيا ثم مدرسا للعلوم

الإسلامية في معهد الأئمة والخطباء والمعهد الإسلامي في قونيا. توفي سنة 1967 م عن ثلاث وثمانين سنة من العمر رحمه الله رحمة واسعة.

علي سواعي (1839-1878) كاتب ثوري ولد في إسطنبول. أخذ موقعه بين الكتاب والمحررين بجهوده الشخصية حيث كان يلمّ بالعلوم الإسلامية والسياسية والاجتماعية وغيرها. كان يكتب مقالات في الجرائد علاوة على قيامه بالوعظ في المساجد، ثم بدأ ينظم قصائد ضد الدولة نفيه إلى قسطنطيني، ومنها تمكن من الهروب إلى فرنسا، وهناك تخاصم مع العثمانيين الجدد، ثم انتقل إلى إنكلترا وتزوج إنكليزية. ولما عاد إلى إسطنبول عين مديراً لمدرسة إعدادية ولكن فصل منها لسوء إدارته وغدا عدواً لدوداً للسلطان عبد الحميد الثاني. قتل لدى محاولة اقتحام قصر جراغان.

فخر الدين الرازي (606-544) هـ: 1210-1150م (هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين النيمي البكري، الإمام المفسر. أُوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الريّ وإليها نسبته. توفي في هراة سنة 606 هـ. من تصانيفه "مفتاح الغيب" "في تفسير القرآن الكريم" و"لوامع البيان في شرح أسماء الله تعالى والصفات".

فنزيليوس (1864-1936) م: (من رجال اليونان البارزين في السياسة، كان محامياً ثم قائد الثوار في جزيرة كريت. أسقط في سنة 1910 رئيس الوزراء قسطنطين وحلّ محله. أصبح سبباً لكثير من الاضطرابات والقتل في البلاد هرب سنة 1935 إلى باريس، وتوفي هناك.

القرافي (684 هـ-1285 م: (هو شهاب الدين أحمد بن ادريس عبد الرحمن القرافي من علماء المالكية، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة له مصنفات جلييلة في الفقه والأصول منها "أنوار البروق في أنواء الفروق" "أربعة أجزاء"، "الذخيرة" "في فقه المالكية ست مجلدات) الأعلام. (1/94-95)

محي الدين بن عربي (638-560) هـ: 1240-1165 م: (هو محمد بن علي بن محمد ابن

عربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية بـ"الأندلس" وانتقل إلى أشبيلية. وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز. وأنكر عليه أهل الديار المصرية "شطحات" صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقه دمه. وحبس، فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي فنجا. واستقر في دمشق، فتوفي فيها. له نحو أربعمئة كتاب ورسالة، منها "الفتوحات المكية" في التصوف وعلم النفس و"فصوص الحكم". نامق كمال (1840-1888) م: (أديب وشاعر تركي شهير، زعيم الحركة الفكرية الوطنية، له روايات أهمها: الوطن.

نصرالدين خوجة (1284-1208) م: (ولد في قرية تابعة إلى سيفري حصار. تعلم العربية والعلوم الإسلامية من والده وحل محله في الإمامة بعد وفاته، ثم تولى القضاء والتدريس في آق شهر ودفن فيها، اشتهر بنوادره.

نصير الدين الطوسي (672-597 هـ) (1274-1201 م): (هو أبو جعفر حمد بن محمد بن الحسن الطوسي، الفيلسوف، كان رأساً في العلوم العقلية، علامة بالأرصاد والمجسطي والرياضيات، علت منزلته عند هولاءكو فكان يطيعه فيما يشير به عليه. هندنبرغ) بول فون (1934-1847) م: (مارشال ألماني. انتصر على الروس 1914، رئيس الأركان في الحرب العالمية الأولى. رئيس جمهورية الرايخ. 1925-1934

فهرس الموضوعات

محاكمات عقلية

- 11 تقديم: د. عبد الملك السعدي
14 كلمة للقارئ الكريم (الترجم).....
19 ديباجة الكتاب
23 المقدمة

المقالة الاولى

عنصر الحقيقة" مقدمات ومسائل"

- 27 الاولى: مقاصد القرآن وذكر الكائنات فيه
29 الثانية: تلاحق الافكار ودوره في الرقي والنمو
31 الثالثة: نفوذ الاسرائيليات والفلسفة في الفكر الاسلامي
35 الرابعة: الشهرة التي تصبح مصدر الخرافات
37 الخامسة: تحول المجازات والتشبيهات الى حقائق بمرور الزمن
38 السادسة: لا يلزم ان يكون من التفسير كل ما يرد فيه
41 السابعة: اضرار المبالغة واطلاق الكلام جزافاً
44 الثامنة مقارنة بين ابناء الماضي والحاضر والمستقبل
48 التاسعة: المستقبل للاسلام
52 العاشرة: المشكلات القرآنية
54 الحادية عشرة: قضايا عدة في قضية واحدة
56 الثانية عشرة: لب الامور وقشرها

مسائل:

- 61 الاولى: كروية الأرض
64 الثانية: الثور والحوت
67 الثالثة: جبل قاف
69 الرابعة: ذو القرنين وبأجوج ومأجوج وخراب السد.

- 73 الخامسة: موقع جهنم
- 75 السادسة: مهمة المفسر ونهج القرآن
- 76 السابعة: نكات بلاغية
- 77 الثامنة: اسباب تورط الظاهريين

المقالة الثانية

عنصر البلاغة

- 87 المسألة الأولى: تحول نظم المعاني إلى نظم الألفاظ
- 89 المسألة الثانية: تجسم المعاني ونفخ الروح في الجمادات
- 90 المسألة الثالثة: أسلوب الكلام
- 91 المسألة الرابعة: تجاوب قيود الكلام وتعاون كلفياته
- 92 المسألة الخامسة: المقصد والغرض من الكلام
- 95 المسألة السادسة: المعاني المتولدة من الكلام
- 98 المسألة السابعة: فلسفة البيان
- 99 المسألة الثامنة: تشرب معنى الكلمة بغرض الكلام
- 99 المسألة التاسعة: أعلى مراتب الكلام
- 101 المسألة العاشرة: سلاسة الكلام
- 102 المسألة الحادية عشرة: سلامة البيان
- 103 المسألة الثانية عشرة: سلامة الكلام واعتداله

المقالة الثالثة

عنصر العقيدة

- 109 مقدمة المقصد الأول
- 110 المقصد الأول: دلائل على الصانع الجليل
- 110 دلالة الذرات على واجب الوجود
- 111 لِمَ لا يراه كل فرد بعقله؟

111	أصول العروج إلى معرفة الله
112	دليل العناية في القرآن
113	دليل الاختراع في القرآن
116	ما الطبيعة؟
118	ظهور الوجود من عدم الصرف
120	توهم العلاقة بين وحدة الوجود والماديين
121	بيان دلائل التوحيد إجمالاً
123	مقدمة المقصد الثاني
124	المقصد الثاني: دلائل النبوة المطلقة ونبوة محمد p
125	تميز الإنسان عن الحيوان
131	براهين نبوة محمد p
131	مقدمة
131	المسلك الأول: ذاته الشريفة
133	المسلك الثاني: صحيفة الماضي
135	المسلك الثالث: صحيفة الحال الحاضرة
137	المسلك الرابع: صحيفة المستقبل
141	خاتمة: ردود على شبهات
145	المسلك الخامس: المعجزات
148	المقصد الثالث
148	الحشر الجسماني

قزل ايجاز

153	مقدمة الملا عبد المجيد النورسي
163	فصل في جواز الاشتغال به
165	فصل في أنواع العلم الحادث

171	أنواع الدلالات الوجودية
173	فصل في مباحث الألفاظ
180	فصل في نسبة بين الألفاظ والمعاني
185	فصل في بيان الكل والكلية والجزء والجزئية
188	فصل في المعارف
195	فصل في القضايا وأحكامها
197	مقدمة في المحرّفات
207	فصل في التناقض
211	اعتذار

تعليقات

تعليقات على الكلنوي في المنطق

215	مقدمة
224	سلسلة المنطق
230	فصل في الكلّي والجزئي
240	فصل في الذاتي والعرضي
244	باب الحد
248	باب القضايا... القضية
251	فصل الحملية مطلقاً
255	فصل: الحملية مطلقاً
257	فصل في العدول والتحصيل
258	"فصل" الحملية مطلقاً
268	فصل الشرطية
278	خاتمة الخاتمة

282	فصل في العكس
288	فصل في عكس النقيض
293	خاتمة
294	الباب الرابع: في الأدلة والحجج

السانحات

308	افادة مرام
309	حكمة الاطلاق في القرآن الكريم
310	العاقبة دليل العقاب
310	الإيجابي والسلبي في الشعور القومي
311	أهمية الرزق كأهمية الحياة
311	الحياة الحقيقية هي الآخرة
312	حقيقة قوله تعالى من قتل نفساً
313	القدرة الإلهية في البعث
319	عدم اتخاذ الوسائط أرباباً
320	أعدل دستور في السياسة الشخصية والجماعية والقومية
322	هيمنة القرآن الكريم
326	دعوة إلى إنشاء مجلس شورى للاجتihad
330	حوار في رؤيا
339	ذيل الرؤيا
341	ذيل الذيل

المناظرات

351	مقدمة المترجم
354	رأي المؤلف في مؤلفاته القديمة

- 357 ديباجة الرسالة :أسئلة العشائر وأجوبتها
- 396 حول المدرسة الزهراء
- 403 ما الذي ألقانا في غياهب الضياع؟

المحكمة العسكرية العرفية

- 409 المقدمة
- 411 إحدى عشرة جناية
- 421 نصف جناية
- 427 أسئلة موجهة إلى الحكام
- 432 تنبيه
- 433 خاتمة
- 435 خطاب إلى الحرية

الخطبة الشامية

- 447 مقدمة المحقق
- 451 مقدمة المؤلف
- 452 نهج رسائل النور في التبليغ
- 459 ديباجة الرسالة
- 459 أمراض الأمة الإسلامية
- 460 الكلمة الأولى :الأمل
- 461 استعداد الإسلام للرفي المعنوي
- 461 حكم التاريخ
- 462 صحوة البشرية
- 462 جوهر الإنسان

- 463-حث القرآن الإنسان على العقل
- 464الموانع التي حالت دون انتشار الإسلام
- 465الفضل ما شهدت به الأعداء
- 465-مثال توماس كارليل
- 466-مثال آخر :بسمارك
- 467استعداد الإسلام للتقدم المادي
- 467-الحقيقة الإسلامية
- 467-الحاجة الملحة
- 468-الحرية الشرعية
- 468-الشهامة الايمانية
- 468-العزة الاسلامية
- 470نصف برهان
- 470-دلالة العلوم
- 471-الإنسان أكرم مخلوق
- 471-محمد م أفضل الخلق
- 472الكلمة الثانية :اليأس داء قاتل
- 473الكلمة الثالثة :الصدق أساس الإسلام
- 476الكلمة الرابعة :المحبة
- 477الكلمة الخامسة :تضاعف السيئات والحسنات
- 481الكلمة السادسة :الشورى
- 483الذيل الأول :تشخيص العلة
- 492ذيل الذيل
- 494-حقيقة
- 496-صدى الحقيقة
- 498-لتحيا الشريعة

- 500ردّ الأوهام
- 506إلى جنودنا الأثاوس
- 507خطاب إلى الجنود

الخطوات الست

- 511نبذة تاريخية
- 515ديباجة الرسالة
- 521نبذة عن الأعلام
- 527فهرس الآيات القرآنية
- 528فهرس الأحاديث الشريفة
- 529فهرس الأشعار
- 529فهرس الأسماء
- 530فهرس النباتات
- 531فهرس الأماكن
- 532فهرس الجماعات
- 534فهرس الحيوانات
- 534فهرس الأمثال والحكم
- 535فهرس تحليلي
- 547فهرس الموضوعات